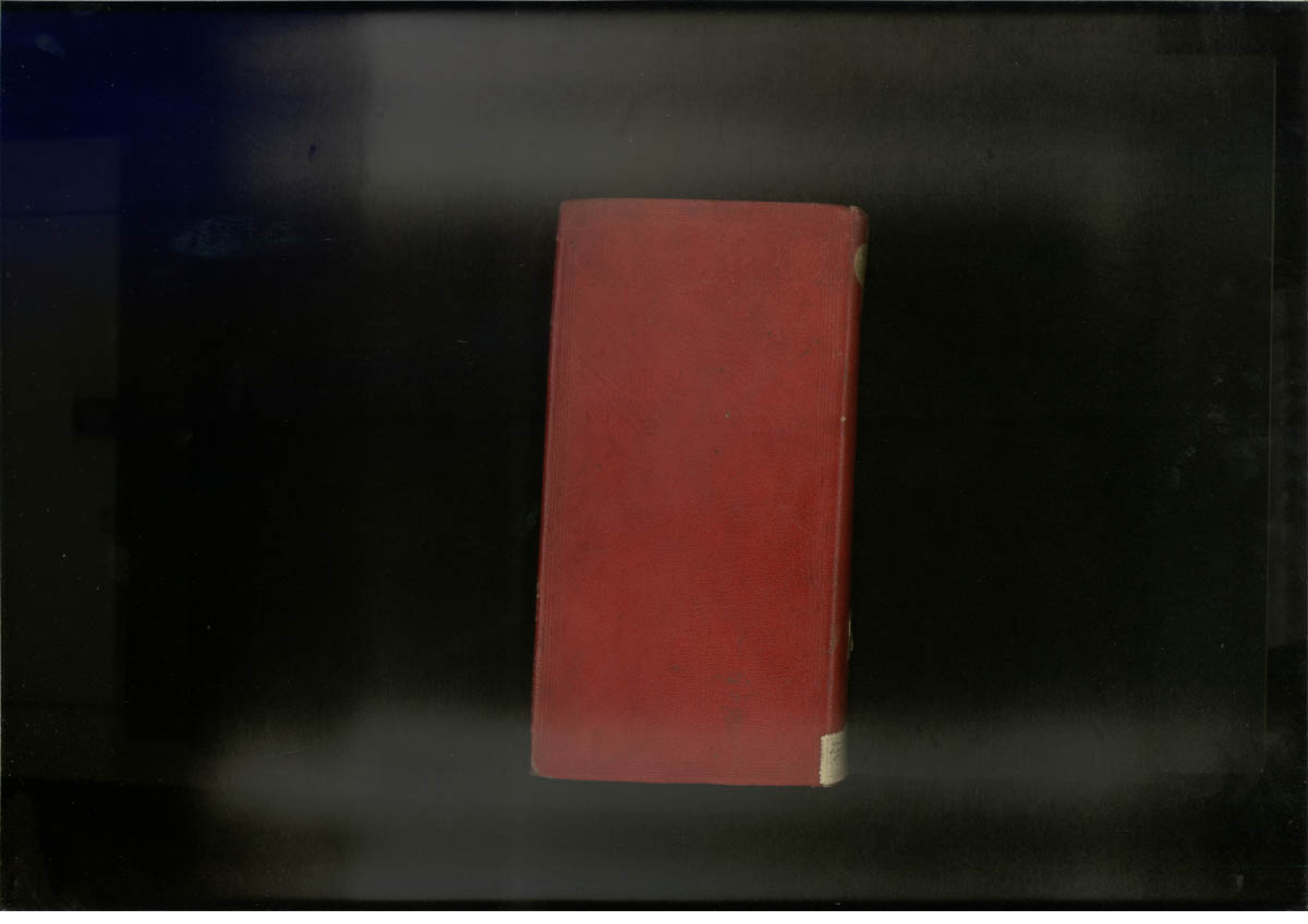
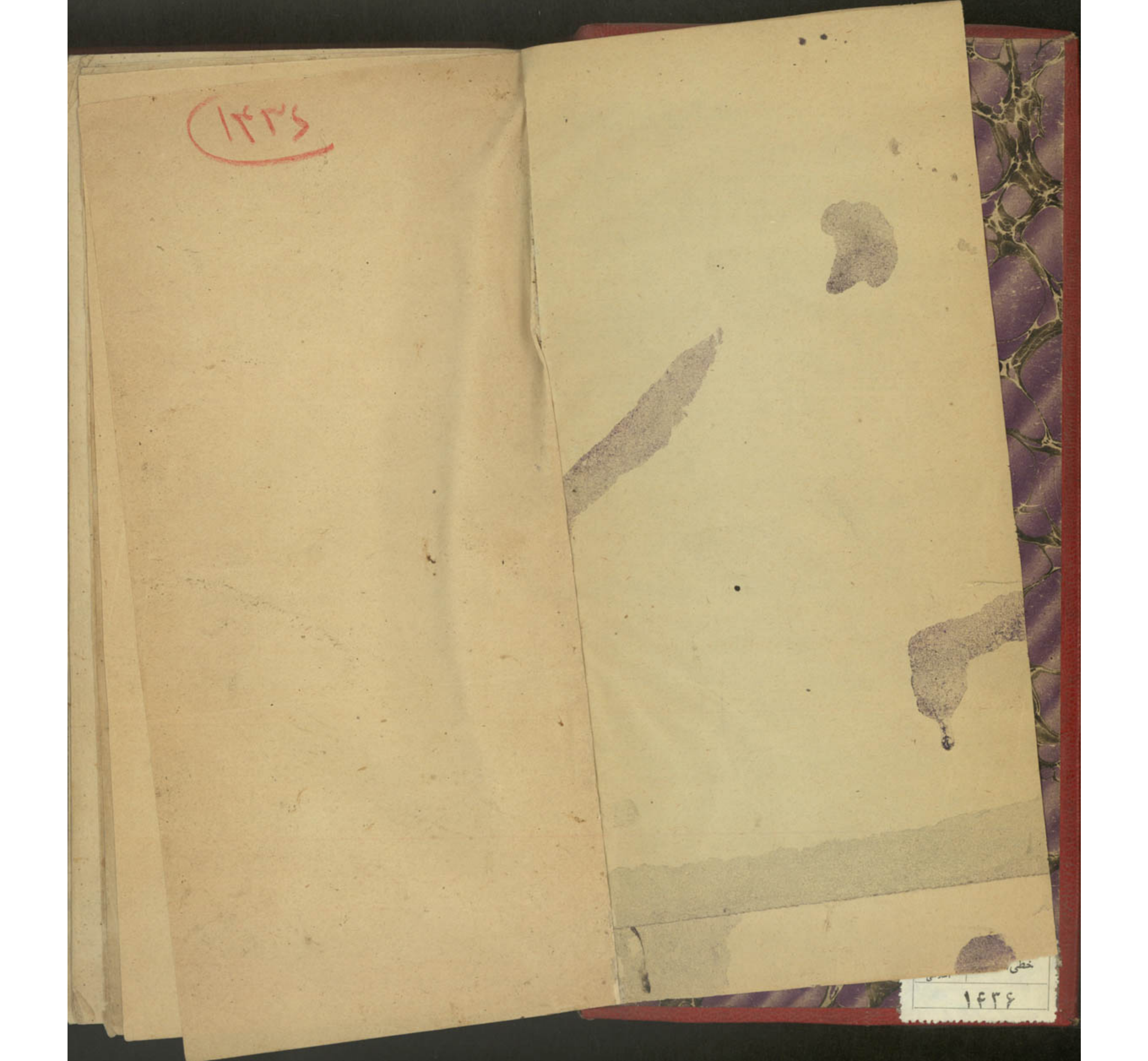
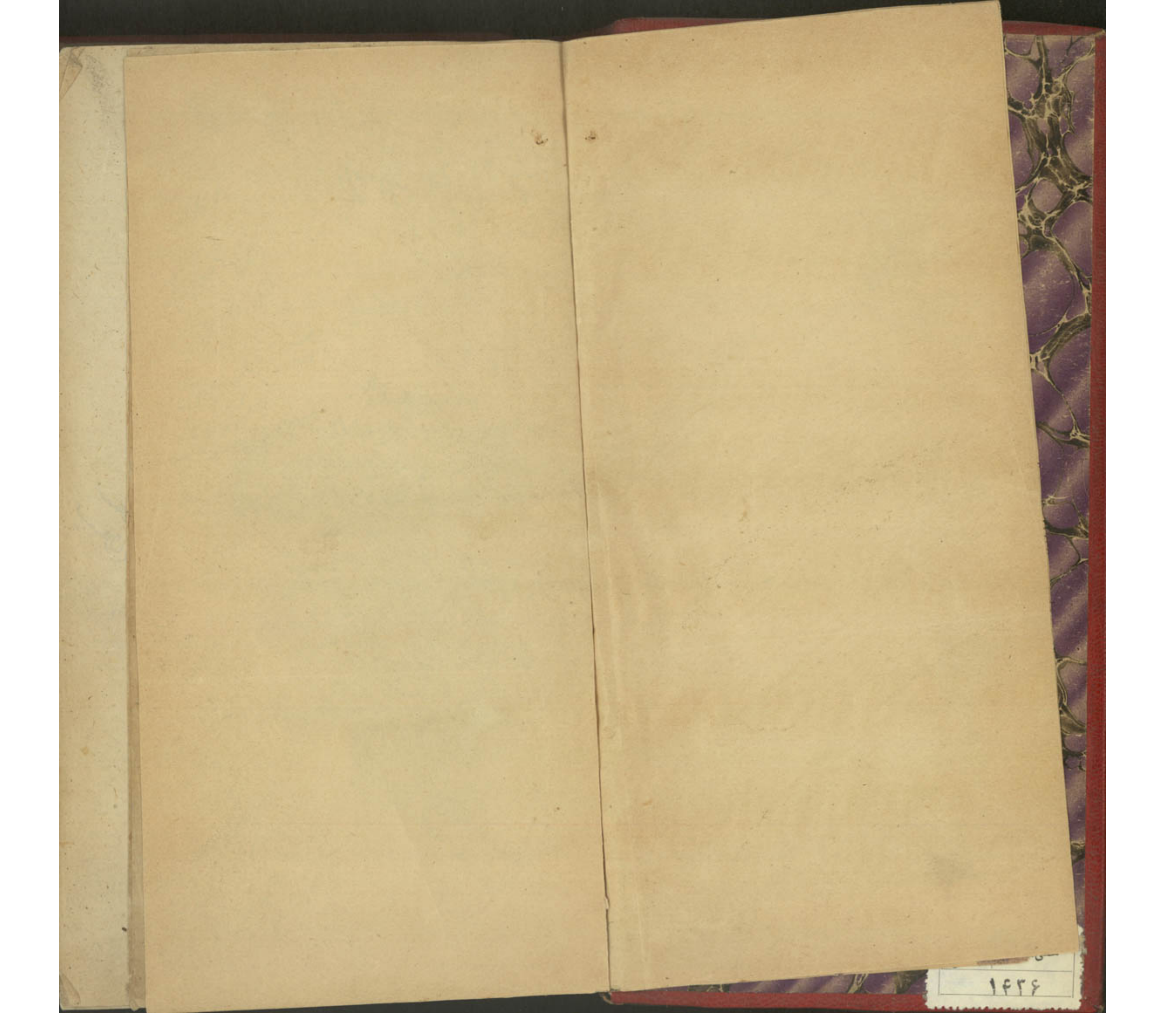


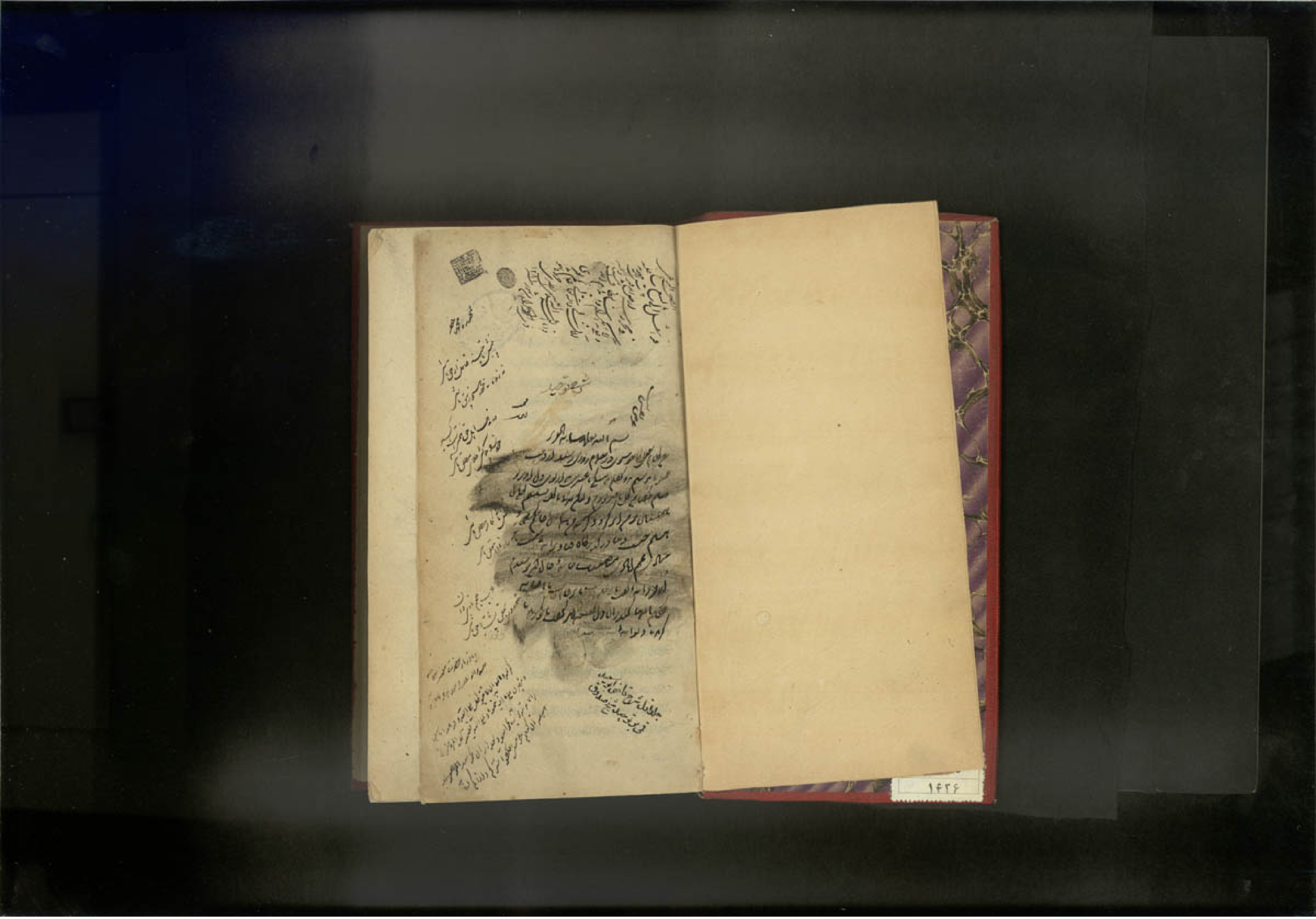

کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب شرح کتاب التوحید
مؤلف قاضی سعید
جلد ( ) از کتب ( )
آقای سید محمدصادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
بازرسی شد
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی اهدائی
۱۴۳۶



کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب
مؤلف
جلد (   ) از کتب (   )
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۳۲۱۲۹
۳۴۱۰
بازرسی شد
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی اهدائی
۱۴۳۶


١٤٣٦
خطی
١٤٣٦


۱۴۳۶


۱۴۲۶



بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك وحنانيك يا سبوح يا قدوس وفقنا اللهم كي نسبحك كثيرا
انك كنت بنا بصيرا وارنا اللهم حقائق الاشياء كما هي حتى نحمدك كلنا
بجملة محامدك كلها على جميع نعمك بكليتها واقشع اللهم سحائب ظلمات
الجهل عن بصائرنا كيلا نجهلك في شيء من الاشياء واذقنا اللهم
طعم عفوك وغفرانك لنا لنتقلب في رضوانك وجنانك العلى انت
الذي تعرفت الى كل شيء فما جهلك شيء وان من شيء الا يسبح بحمدك
واختلفت في الاثار والاطوار فما يعزب عنك من مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء ولا اصغر من ذلك وانطق السنتنا بحمدك وشكرك واشرح
صدورنا للاسلام لك ولرسالك الحمد لله الذي تجلى لعباده من غير
ان يرى واراهم نفسه من غير ان يتجلى حتى قال من لا يحجبه الا لبس كماله الذي
ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله والحمد لله الظاهر من آيات ابداع الاشياء
والمستتر في السموات والارض عمن يشاء حتى يعتقد هذا بان لا هو ويشهد
ذلك بان لا غيره فسبحان الذي لا هو الا هو وكل شيء هالك الا وجهه
والحمد لله الدال على وحدته كل شيء ففي كل شيء له آية تدل على انه تشاهد
واحد والهادي الى نور عظمته كل هوية وفي ضمن جوامع الكلم واشرفها

واشرقت

واشرقت الارض بنور ربها الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله
ساكنا فتبارك الله الذي كلما افرضته ثانيا فهو هو ولا شيء يعادله
ويماثله وصل اللهم على سابق الانوار لديك وقائد الابرار اليك
المخلوق من نوره اللوح والقلم الاعلى ومن اجله العرش والكرسي و
السموات العلى محمد المبعوث على الانس والجان المنعوت في جميع الكتب
بكل لسان صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والمختص بشفاعة كافة الامم
والحوض المورود وعلى شقيق نوره وحقيق امره صنوه الذي هو كنفسه
وصهره الذي هو من نفسه كنفسه واولادهما الذين هم تفاصيل شهودهما
وتقاسيم وجودهما ثم على جميع المرسلين والاولياء والنبيين والاصفياء
والصديقين والشهداء ثم على المنتجبين من شيعة هؤلاء ما دامت الارض
والسماء وفاضت الانوار من الحجب الاعلى وبعد فهذا علق مضنون
به الا عن عباد الله المخلصين وعلم مكنون لا يحتمله الا صدور المنتجبين وباب
مغلق لا ينفتح الا بالالحاح وطريق مظلم لا يسلك الا بمشكوة فيها مصباح
جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد
واحد هذا اصول اصول الدين وفروع شجرة عين اليقين لا يؤمن بذلك
كل كفور وقليل من عبادي الشكور ولا يقتطف جناه هذه كل سائر
وشاهق المعرفة اشمخ من ان يطير اليه كل طائر بل هو نور يسعى بين يدي السالك
الى الله بقدم العرفان وبصيرة لمن اعطاه الله عين العيان وقدم صدق
ينتهي الى رضوان الله الاكبر وانه حق يشهد الخبير مستقر ولعمر الحبيب
انه سر الاولياء والعلم المختص بشيعة آل العباء اسلم الملتجي الى عتبة باب العلم
المرتجي من تربة بسطة في العلم وصحة في الجسم المتمسك بحبل النبي والوصي

محمد بن محمد معينا المدعو بسعيد الشريف القمي وقات مطالعة كتاب
التوحيد لشيخنا صدوق الطائفة ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن
بابويه القمي طاب ثراه وحشره الله مع من ارتضاه فاخرج ذلك لاهل الكمال
من احباب الطالبين واولاد الروحانيين ولما كان بعض هذه
الاسرار حين ما طلعت من مشارق الانوار وقعت في هامش ذلك الكتاب
المستطاب حسب اختلاف الافاق واراد ان يدونها في وسط الشمل
حيث يستضئ بشروقها ارباب الرواق والاشراق اوردها في ذاته الجمع
والتاليف ورصعتها احسن ترصيف فجاءت بقوة الله وعونه صحيفة
يقرب من صحف الاقدمين ويبعد عن فهم المحدثين والمرجو من الله مغيث
النفوس وباريها ومبدع العقول وجاعلها ان يجعل مغارب هذه الانوار
جبال العقول الاحرار ويعصمها من خطفة من يجعل علمه بضاعة التجار
ومن الله القوة في البدو والخاتمة وبه الاعتصام من شرور اهل الجهالة
والبطالة وهو المستعان وعليه التكلان **الباب الاول** من كتاب
التوحيد في ثواب الموحدين والعارفين اورد في هذا الباب اربعة
وثلثين حديثا **الاول** باسناده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا اله الا الله
شرح اي ما قلت انا ولا قال كلمة تامة الافادة للتوحيد ومفيدة للتنزيه
الدالة على التفريد مثل تلك الكلمة الشريفة والمقالة المنيفة لانها
اتم في تلك الافادة واول شيء في هذه الدلالة واكمل في تركيب الكلمة
لوجوه الاول انها صريحة الحصر لاشتمالها على الاثبات الثاني انها كما تدل
على توحيد المعبود الحق كذلك تدل على هلاك ما سواه وبطلان ما عداه

لانه

لان كلما يطاع من دونه وينظر اليه ان له حولا وقوة فهو اله كما قال
تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقد نفت الكلمة كل اله سواه الثالث
انها تدل على ان كل عبادة صدرت من اي عابد فهي بالحقيقة مسوقة اليه
يرجع الامر كله وذلك لان كل ما يتوهم في شيء من خير فهو من الله
واليه يرجع عواقب الثناء الرابع انها بحسب التركيب ماخوذة
الحروف من لفظة الله اذ لا حرف فيها الا وهي في تلك الكلمة المباركة
وفي ذلك اشارة الى ان مدلول تلك الكلمة هو تفصيل معنى هذه
اللفظة لان الله اسم للذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية
محمد صادق الحسيني ... في ربيع الاول ١٣٣٨
المنعوت بنعوت الربوبية المقدس عن الشرك في الوجود والكمال و
الصفات والافعال وان كل وجود وكل كمال وجود فانما هو
من شعاع وجوده ورشحات كماله فاللفظة الشريفة دلت باجمالها
على تفرده تعالى بالوجود الحقيقي وان كل ما سواه غير مستحق للوجود و
كمالات الوجود بذاته الخامس انها مشتملة على لفظة الله سوى اسمائه
الاخر اذ هذه اللفظة هو الاسم الجامع لجميع الاسماء فكان ذكره هو ذكر
جميع الاسماء السادس ان حروفها المكتوبة والمتلفظ بها خمسة عشر
وعدد ابواب الجنة والنار كذلك وفي ذلك اشعار بان المتلفظ
بها عن صدق اعتقاد يدخل في جملة الموحدين ويفتح له ابواب الجنان
وتغلق عنه ابواب النيران وايضا اشارة الى ان جهنم عبارة عما
سوى الله وان الجنة هو النظر الى الله السابع ان حروفها من حروف
الفم فيمكن بها التكلم جهرة وخفية الثامن ان نفي الاغيار متقدم
في هذه الكلمة على اثبات الواحد القهار اشارة الى ان السالك الى الله

ليس فيها م

ما لم يتصف غيره ولم يحكم بهلاك ما سواه لم يصل الى قرب الحق وجواره التاسع
ان الحروف الاول منها اللام والاخر الهاء والمركب منهما الدال المللات في الاولى
والاخرة ولا الخلق والامر العاشر ان لهذا التركيب بحسب الوضع الالهي فوايد
عظيمة بحسب التاثير وترتب الاثار الغريبة من تصفية الباطن وتنوير
القلب وتكميل النفوس الانسانية وحصول التقرب الى الملكوت الاعلى و
الملائكة المقدسة ومشاهدة الانوار واللحوق الى الابرار والتخلص من الصفات
الذميمة والنفاق عن الاخلاق الردية كما يعرفه اهل الذكر فاسالوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون وقد اطنبت الكلام في اشتقاق لفظة الله وفي
علميتها وعدمها وفي تقدير الخبر في الكلمة الشريفة ودفع الشكوك عن ذلك
في كتابنا الاربعين من اراد ذلك فليطلب هناك **الثاني** باسناده عن ابي
عبد الله عن ابيه عن ابائه عليهم السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله خير العبادة قول
لا اله الا الله **شرح** العبادة لغة هي غاية الخضوع ونهاية التذلل والمراد
بالقول ما كان عن عرفان قلبي وايقان نفسي اذ لا يجوز الشهادة الا بمجرد
القلب واما كونه خير العبادة فلانه اصل الاسلام ولا يصح ساير العبادات
الا به ولان غاية الخضوع متحققة فيه اذ مفاد الكلمة الطيبة نفي
ما سوى الله تعالى بالهلاك الذاتي والبطلان الحقيقي واثبات الواحد
الحق العلي وليس فوق الفناء المحض خضوع اذ العبادات الاخر مشتملة
على نوع خضوع كالافتقار والذلة والتبصبص والمسكنة وطلب العفو
والرحمة وامثالها وهذا القول اظهار للفناء الكلي والفقر الحقيقي وان
الكل منه واليه وبه فهو خير العبادة **الثالث** باسناده عن ابي حمزة
عن ابي جعفر عليه السلم قال سمعته يقول ما من شيء اعظم ثوابا من شهادة ان لا اله الا

لان الله عز وجل لا يعدله شيء ولا يشركه في الامر احد **شرح** وجه التعليل
انه لما كان الله جل مجده لا يعدله ولا يشاركه شيء في امر من الامور فكذا ثواب
الشهادة بوحدانيته والاقرار بوجوبه لا يشبهه ثواب عمل من الاعمال ولا يعدله
جزاء عامل العلوم اذ شرف العلم والابتهاج به انما هو باعتبار شرف معلومه
وايضا لما كان الله عز وجل لا يشركه شيء في امر من الامور ومن جملة الامور
المتعلقة به ثواب الشهادة به فلا يشرك ثوابها ثواب شيء من الاشياء
قال بعض اهل المعرفة لما كان متعلق معرفة كل عارف والذي يمكن ادراك حكمه
انما هو مرتبة الالوهية امر في كتابه العزيز نبيه صلى الله عليه واله الذي هو اكمل الخلق
فقال فاعلم انه لا اله الا الله منبها له ولمن يتبعه على ما يمكن معرفته والظفر به
ومعلوم ان الالوهية مرتبطة بالماء لوه ومرتبطها الماء لوه على ما يقتضيه
سر التضايف فلذلك يمكن معرفتها بخلاف الذات فانها لا نسبة لها الى شيء
بل الكل اليها مستهلك فلذلك ورد تفكروا في الاء الله ولا تتفكروا في
ذات الله انتهى ملخصا **الرابع** باسناده عن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد الله
عليه السلم ان الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضمانا قال قلت وما هو قال ضمن له ان
اقر له بالعبودية وللمحمد صلى الله عليه واله بالنبوة ولعلي عليه السلم بالامامة
وادى ما افترض عليه ان يسكنه في جواره قال قلت فهذه والله الكرامة التي
لا يشبهها كرامة الادميين قال ثم قال ابو عبد الله عليه السلم اعملوا قليلا تنعموا كثيرا
شرح ان في قوله عليه السلم ان اقر بكسر الهمزة للشرط حذف جوابه لما تقدم عليه وان
في قوله ان يسكنه بالفتح مصدرية والجملة مفعول ضمن علم انه عليه السلم ذكر
اربعة امور لكنها مشتملة على الاصول الخمسة مع زيادة العمل بالفرايض بيان
ذلك ان الاقرار بالربوبية يتضمن الاقرار بالتوحيد والصفات الكمالية والتنزيه

[illegible]

من اوصاف النقص من الظلم والجور وغير ذلك والاقرار بالمعاد وهذه هي
الثلثة من الاصول الخمسة وجه التضمن ان الرب اما بمعنى المالك او المقادر وكل
منهما يصح ما قلنا اما المعنى الاول فلان الرب بهذا المعنى هو الذي ينفذ
مشيته في مملكته كيف شاء وكما شاء ايجادا واعداما واظهارا واعادة
كما قال عز من قائل نصا على الاظهار والاعادة رب المشارق اشارة الى الاول
والمغارب اشارة الى الثاني وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلم ربنا الذي
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قوله تعالى خلقه ثم هدى بيان لقوله اعطى
ولذا لم يأت بالواو خلقه اي خلقه وهداه الى صلاح المعاش والمعاد وقال
اشارة الى الاول اقرأ باسم ربك الذي خلق والى الثاني ارجعي الى ربك اي الى حكمه
وما لكك واشار الى الاول بالعدل والصلاح بقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار
والموجودات كلها مملكة واحدة لله تعالى لارتباط بعضها ببعض وانتظامها على
ترتيب متسق فمدبرها ومالكها واحد والنافذ المشية لا محالة متصف بالعلم
والقدرة وساير الصفات الكمالية وعادل لا يجور اذ الجور انما هو لنقص نفوذ
المشية وقد عرفنا فاذا الاقرار بالربوبية يتضمن الاقرار بالتوحيد والعدل
والمعاد كما بينا بالدلايل المتقنة واما المعنى الثاني فالرب بهذا المعنى هو الذي
يقدر على الايجاد والاعادة والعدل والصلاح ويستغني عن كل شيء ولا يستغني
عنه وبذلك يظهر الامور الثلثة قال الله جل مجده اشارة الى الابداء والاعادة
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق
العليم والخلق لا يكون الا بقدرة واما القول بامامة علي عليه السلم فهو متضمن
للاقرار بالائمة من اولاده عليهم السلم اذ القايل بخلافته ووصايته بلا فصل انما
يحكم بالنص لا بالاجماع والاختيار والنص من رسول الله صلى الله عليه وآله على الائمة

على والائمة شرع سواء وكذلك نص كل ما سبق سابق على اللاحق فصحت
الاصول الخمسة بالتعبيرات الثلث واما قوله واد ما افترض عليه فاشارة الى
الفروع التي كلها اصل واحد من الاصول وهو الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله
من عند الله مع العمل به واما قوله ان يسكن في جواره اشارة الى نتيجة هذه الاصول
وهو نتيجة قرب الفرايض ومعنى السكنى في جوار الله هو ان يعيش مع ملائكة الله
لانهم لم يخطاوزوا عن مقامهم الذي رتبهم الله فيه من التسبيح والتحميد فهم كانهم
ايضا يؤدون فرايض الله ومعنى الكون مع الملئكة هو ان يصير مطهرا من الادناس
البشرية ونقيا من الاوساخ الجسمانية ويصير من الملائكة الروحانية واما
نتيجة قرب النوافل فهو اعظم من ذلك وهو المحبوبية التامة المستتبعة لان يغني
العبد عن كله ويبقى مع الله جل جلاله كما في الحديث القدسي فاذا احببته كنت
سمعه وبصره ويده ورجله الخامس باسناده عن ابي عبد الله عن ابيه
عن جده عليهم السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الايمان ولا اشرك بالله
شيئا احسن او اسا دخل الجنة شرح قوله ولا اشرك بالله جملة حالية
منفية ولذا جاء الواو وفي هذا الحديث الحادي والتلثون وتنكير الشيء مع
وقوعه في سياق النفي يفيد العموم فمعناه لا اشرك بالله شيئا في شيء من الذات
والصفات والافعال بان يعتقد ان لا ذات متاصل سواه ولا وجود حقيقي
لما عداه ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا حول ولا قوة الا بالله ولا شك
ان هذا الاعتقاد مما يوجب دخول الجنة وهي الكون مع الله والحكم بفناء الكل
وهلاك سوى وجه الله واما المعتقد بهذه العقيدة المسيء بارتكاب الافعال
القبيحة او الاتصاف بالصفات الذميمة فيحتمل ان يعاقب ولا يجاز النار
لسيئته ثم يدخل الجنة ويحتمل عدم العقوبة بسبب المغفرة لقوله تعالى ان الله

وترك في الحديث ثم

لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والعلم عند الله السادس
باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل هو اهل التقوى واهل
المغفرة قال قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى ولا يشرك بي عبدي شيئا
ان ادخله الجنة وقال عليه السلام ان الله تبارك وتعالى اقسم بعزته وجلاله ان لا يعذب
اهل توحيده بالنار ابدا شرح كلمة ان في قوله ان اتقى بالفتح على المصدرية
والفعل مجهول مسند الى المفعول والجملة مع معطوفة في حكم المفرد على ان يكون
مضافا اليه للاهل وفي قوله ان لم يشرك بي عبدي للشرطية وفي قوله ان ادخله
الجنة بالفتح للمصدرية على ان يكون مما اضيف اليه الاهل وهو قايم مقام
الجزاء والجملة الشرطية توسطت بين المضاف والمضاف اليه وقد شاع الفصل
بينهما واما صيغة التقوى والمغفرة فالاول على المجهول والثاني على المعلوم
ان نسبا الى الله تعالى وبالعكس من ذلك ان نسبا الى العبد في قوله واجعلنا
من اهل التقوى واهل المغفرة وفسر التقوى بعدم الاشراك وهو التقوى في
الاعتقاد وفسر المغفرة بدخول الجنة لانها تستلزمه وقوله ابدا قيد للنفي
السابع باسناده عن ابي بصير قال قال ابو عبد الله عليه السلام ان الله تبارك
وتعالى حرم اجساد الموحدين على النار شرح فهذا الحديث امور الاول
ان الموحدين لا يعذبون بالنار وذلك لا ينافي ان لا يعاقب بغيرها كالآلام
الدنيوية وشدة النزع وضغطة القبر الى غير ذلك نعوذ بالله منها الثاني
ان الاجساد محشورة ومنعمة ومعذبة خلافا لمن لم يعتقد ذلك والحشر
الاجسام ووجوب وقوعه سر عظيم لا يعرفه الا من اخذ من مشكوة النبوة علمه
الثالث وجه حرمة اجساد الموحدين على النار هو ان النار مخلوقة من غضب
الله جل جلاله وهو سبحانه انما ينظر اولا الى البواطن فمنشأ النار انما هو

من باطن

وانا اهل ان لا يشرك بي عبدي شيئا

من باطن الانسان فاذا كان الباطن معتقدا لتوحيد الله ومؤمنا
بكتبه ورسله والدار الاخرة فليس للنار التي هي المخلوقة من غضب الله
منشأ ومبدأ في باطن ذلك الموحد فلا يعذب بالنار وان كان قد
يعاقب بغيرها بسبب اساءة الاعمال كالامور الخارجة من الامراض الدنيوية
وغيرها كما قلنا الرابع ان الشيخ رحمه الله نقل في رسالة الاعتقادات
عن المعصومين عليهم السلام ان اهل التوحيد انما يتألمون بخروجهم من النار
ووجه ذلك ان الخروج انما يكون عندما يتخلصون من اثر القبايح والذمايم
فح يستشعرون بما يخالف الحالة الاولى وليس الالم الا ادراك المنافر
فقبل الخروج كانت تلك الحالة ملايمة لهم بسبب رسوخ الاخلاق الذميمة
واثار الاعمال القبيحة في انفسهم وان كانت منافية لاعتقاداتهم لكن
لغلبة الاثار التي هي نتايج هذه الذمايم والقبايح لم يستشعروا بها
من حيث المنافرة وحين التخلص منها استشعروا بها فصح انهم لا يعذبون
بالنار وانما يتألمون بالخروج منها وجه اخر انهم بخروجهم من النار ودخولهم
الجنة التي اعدت لهم واستعدوا لها اطلعوا على ما فاتهم من جنة نعيم الاعمال
والاخلاق وجنات اخرى لساير الاعتقادات الحقة فيتألمون بذلك
التفقدات الى ان يتداركهم العناية الالهية وايضا لما كانوا من اهل التوحيد
الخالص التذوا بكل ما حكم به عليهم ربهم حيث كانوا يطلبون رضا مولاهم
ويرون نعمته ولطفه في كل ما يصل اليهم فاذا فارقوا حالة البلاء بالخروج
من النار حسبوا انقطاع هذه الرحمة وانعدام تلك النعم الى ان فازوا
بنعم الجنان ففي الحد المشترك يتألمون حيث لم يدروا الى ماذا يصيرون
وبالجملة هذه الحالة تشبه حالة الموت والخروج من الدنيا واضطراب النفس

فيها مع تيقنها بان ذلك لنا ولحظها بل يمكن ان يكون هذا وجها رابعا
والله اعلم الثامن باسناده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال الموجبتان من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة ومن مات
يشرك بالله دخل النار شرح الموجبتان مبتداء حذف خبره لوجود العلة
وهو قوله من مات آه ونظيره من ذلك في حذف الجزاء لوجود السبب قوله
تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي وان يكذبوك فلا تحزن
واصبر فقد وقع التكذيب قبلك وليس امرهم شيئا فيك والتقدير
في المقام الموجبتان فيهما الشرك وعدمه فان من مات كذا فهو كذا ومن مات
كذا فهو كذا التاسع باسناده عن الحسن بن الصباح قال حدثني انس
عن النبي صلى الله عليه وآله قال كل جبار عنيد من ابى ان يقول لا اله الا الله
شرح اي هو من ابى عن هذا القول ثم الجبار من العباد من ارتفع عن
الاتباع ونال درجة الاستيلاء قال في مجمل اللغة رجل جبار لا يرى
لاحد عليه حقا والعنيد المتجبر انتهى فكل من ابى عن القول بالوحدانية
فكانه لا يرى لله جل ثناؤه عليه حقا من النعم الابتدائية والآلاء الغير
المتناهية وارتفع عن عبادة ربه واتباع امره ونهيه فهو جبار عنيد
نعوذ بالله منه العاشر باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن ابي جعفر
عليه السلام قال جاء جبرئيل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد
طوبى لمن قال من امتك لا اله الا الله وحده وحده وحده شرح كلمة طوبى
بمعنى خيرها الطوبى لهم اي خير لهم وارباب التفسير يقولون طوبى هي
الجنة بالهندية وفي الحديث طوبى شجرة والكل هنا محتمل واما تثليث
قوله وحده فباعتبار توحيد الذات والصفات والافعال فافهم ۞

الحادي عشر

الحادي عشر باسناده عن جابر عن ابي عبد الله عليه السلام مثله وزاد مخلصا
وبيانه معناه الاخلاص الثاني عشر باسناده عن ابي الطفيل عن علي عليه السلام
قال ما من عبد مسلم يقول لا اله الا الله الا صعدت تخرق كل سقف لا تمر
بشيء من سيئاته الا طلستها حتى ينتهي الى مثلها من الحسنات فتقف شرح
الطلس محو الكتاب وتانيث الافعال باعتبار الكلمة والمسلم هنا هو
من سلم المسلمون من يده ولسانه كما ورد في الخبر واما سر ذلك فهو ان
الذنوب التي اتى بها العبد لما كانت محيطة به لقوله سبحانه واحاطت
به خطيئته كانت كالسقوف المرفوعة فوقه والعمل الصالح لما كان من جنس
الامور العالية فلا محالة يكون ميله الى العلو الى ان يصل الى ما هو من جنسه
من الباقيات الصالحات ولا ريب ان الكلمة الشريفة اشرف الكلم الطيب
والى الله يصعد الكلم الطيب فاذا صعدت الكلمة الطيبة تخرق كل حاجز
من سقوف السيئات الى ان يصل الى ابناء جنسها من الحسنات والكلمات التامات
الثالث عشر باسناده عن عبيد بن زرارة قال قال ابو عبد الله عليه السلام
قول لا اله الا الله ثمن الجنة شرح وذلك لان المتلفظ بها لسانا يدخل
في حكم المسلمين ويخرج من العقوبات الدنيوية التي اعدت للكافرين
من القتل والاسر ونهب الاموال والبنين والمقابل بها اعتقادا يدخل
في زمرة المؤمنين ويصير الجنة وحورهم ومرافقة الصالحين ووجه
آخر مختص بمن يقولها عن عرفان الهي وهو انك قد عرفت ان الكلمة تدل
على نفي الاغيار واثبات الواحد القهار فالقائل بها ينفي عن نفسه
كل وجود وكمال وجود الا بالله فيبقى مع الله واي جنة اشرف والذ من
جوار الله ويحتمل بعيدا ان يكون الثمن بضم المثلثة واسكان الميم بمعنى اقها

يوجب الدخول في واحد من الجنان الثمانية او لنها واحدة منها
الرابع عشر باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال ما من
الكلام كلمة احب الى الله عز وجل من قول لا اله الا الله وما من عبد يقول
لا اله الا الله يمد بها صوته فيفرغ الا تناثرت ذنوبه تحت قدميه كما يتناثر
ورق الشجرة تحتها شرح اما وجه كونها احب الكلمات الى الله فلوجهين
اما اولا فلان الله انما خلق الخلق ليعرفوا خالقهم كما في القدسيات
كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف فلما كانت
تلك الكلمة الصادرة عن قايلها يشعر بان قائلها ممن يعتقد بالله ووحدانيته
وساير صفاته الكمالية المستجمع لها اسم الله فهي احب الكلمات الى الله تعالى
اذ هي التي ينبئ عن حصول الغرض المتعلق بالخلق وهو المعرفة واما ثانيا
فلان شرف الكلمة الموجب لحسنها ومحبوبيتها انما هو بشرف معناها
ولا علم اشرف من معرفة الله تعالى وتوحيده والعلم بصفاته الحسنى واما
مد الصوت فانه مما يترتب عليه الاثر الذي هو تناثر الذنوب لان جملة
يمد صوته حالية والحكم انما يتفرع على القيد قيل المراد بمد الصوت
هي المدة الواقعة بين كلمة لا ولفظة الا آخر حتى ان كثيرا من القراء صرح
باشباع تلك المدة مع ان القراء كلهم يبالغون في عدم تطويل المدة كلها
واقول لفظة الصوت ورجوع الضمير فيها الى الكلمة يابى عنه كما لا يخفى
واما تناثر الذنوب فلعل المراد بالذنوب هو الوجود وكمالات التي
اعتقد كل احد انها له كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وتناثرها
عبارة عن اضمحلال الكل لدى القائل بتلك الكلمة اذا قالها عن خلوص
عقيدة وعرفان قلب اذ مفادها هلاك الكل ومعرفة ان الله هو الثابت

ولا ينافي ذلك تناثر الذنوب الظاهرة اذ المراد هو المعنى العام لهما
الخامس عشر باسناده عن ابي حرب بن زيد بن خالد الجهني قال اشهد
على ابي زيد بن خالد لسمعته يقول ارسلني رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال لي بشر الناس انه من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له فله الجنة
شرح الكلمة الشريفة تدل على التوحيد وكذلك وحده وكذا لا شريك له
فالمعنى ان من قال تلك الكلمات معتقدا انه لا شيء يشاركه سبحانه
في ذاته ولا يعادله في صفاته ولا يعاضده في افعاله بل هو المتفرد بوجوب
الوجود والمتوحد بالصفات العظمى والاسماء الحسنى وله الخلق والامر فله
الجنة السادس عشر باسناده عن ابان وغيره عن الصادق عليه السلام قال من ختم
صيامه بقول صالح او عمل صالح تقبل الله منه صيامه فقيل له يا ابن رسول
الله ما القول الصالح قال شهادة ان لا اله الا الله والعمل الصالح اخراج
الفطرة شرح بقول صالح اي بواحد من الاقوال الصالحة وكذا عمل
صالح والالف واللام فيهما في السؤال للعهد الذكري اي ما هذا القول الصالح
وذلك العمل الصالح اما وجه التناظر في الصلاح بين قول لا اله الا الله وزكوة
الفطرة فهو ان كل واحد منهما زكوة فكما ان الفطرة زكوة للجسد كله فكذا الذكر
زكوة اللسان واما وجه صلاحهما فباعتبار متعلقهما اذ الذكر انما هو لله
سبحانه الذي هو اشرف الموجودات ومحرك الحركات والفطرة انما يتعلق
بالانسان الذي هو اشرف المخلوقات ومن اجله تحركت المتحركات وفي خبر
الكلم الطيب قول لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله وخليفة رسول الله
والعمل الاعتقاد بالقلب ان هذا هو الحق من عند الله لا شك فيه فاتى في معنى
الكلم الطيب بين الخبرين اذ قد ورد في خبر آخر ان الثلثة هو التوحيد السابع عشر

باسناده عن الشيباني عن الرضا علي بن موسى عن ابيه عن ابائه عليهم السلام قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما جزاء من انعم الله عليه بالتوحيد الا الجنة
شرح سيأتي بيان ذلك في محل مناسب الثامن عشر بهذا الاسناد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ان لا اله الا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل من قالها
مخلصا استوجب الجنة ومن قالها كاذبا عصمت ماله ودمه وكان مصيره
الى النار شرح قد مضى ما يليق ان يكون شرحا لهذا الحديث ويظهر من هذا الخبر
ان الاخلاص في قول هذه الكلمة الشريفة هو ان يقولها من اعتقاد قلبي ومعرفة
يقينية وسيأتي في حديث آخر تفسير آخر للاخلاص التاسع عشر بهذا الاسناد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال لا اله الا الله في ساعة من ليل او نهار
طلست ما في صحيفته من السيئات شرح قد مضى ما يصلح ان يكون شرحا
لذلك متمم العشرين بهذا الاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان لله عز وجل عمودا من ياقوتة حمراء راسه تحت العرش واسفله على ظهر الحوت
في الارض السابعة السفلى فاذا قال العبد لا اله الا الله اهتز العرش وتحرك
العمود وتحرك الحوت فيقول الله تبارك وتعالى اسكن يا عرشي فيقول كيف اسكن
وانت لم تغفر لقائلها فيقول الله تبارك وتعالى اشهدوا سكان سمواتي
اني قد غفرت لقائلها شرح في بعض النسخ كيف اسكن موضع اسكن
لعل العمود عبارة عن الالوهية التي قامت بها السموات والعرش والكرسي
كما في الاخبار ان العرش انما استقر بلا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله
ولان كل موجود انما قام باسم من اسماء الله كما في الادعية باسمك الذي تقوم
به السموات الى غير ذلك وجميع الموجودات انما قام باسم الله الذي هو امام ائمة
الاسماء وباقي تحتها باعتبار نسبتها الى الذات التي هو زين السموات والارض

ونورهما وحمرتها باعتبار اضافتها الى الماء لو ان الحمرة انما يحدث
من اختلاط البياض مع السواد الذي هو ظلمة الامكان والعدم
والعرش عرش الوحدانية كما في حديث العرش في قوله سبحانه رب العرش
عما يصفون اي رب الوحدانية ولما كانت الالوهية من الامور المتضايفة
فلا محالة تقتضي مألوها فاحد طرفي ذلك العمود هي الوحدانية
عند الراس لان الله علا بالوحدانية والطرف الآخر هو المخلوق المألوه
وعبر عنه بالاسفل والحوت هو صور الاشياء القائمة بالمواد الجسمانية
المعبر عنها بالارض السابعة السفلى اذ كان حيوة الحوت بالماء كذلك
بقاء الصورة بالمادة التي عبر عنها في حديث آخر بالماء فتحرك العمود هو
ظهور الالوهية من موطن العبودية وتيقنه بان لا موجود في الحقيقة سواه
وان الكل منه وتحرك العرش اي عرش الوحدانية هو اثبات الواحد القهار
وتحرك الحوت هو اضمحلال الكل في نظر المهلل الموحد اذ الفناء حركة في
اصطلاح الالهيين كما ان الظهور حركة والله اعلم وقد بسطنا الكلام في
ذلك في كتابنا الاربعين الحادي والعشرون باسناده عن احمد بن عباس الطائي
قال حدثني علي بن موسى الرضا سنة اربع وستين ومائة قال حدثني ابي محمد بن
علي قال حدثني موسى بن جعفر قال حدثني ابي جعفر بن محمد قال حدثني ابي محمد بن
علي قال حدثني ابي الحسين بن علي قال حدثني ابي علي بن ابي طالب عليهم السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله جل جلاله لا اله الا الله حصني
فمن دخله امن من عذابي شرح وذلك لان الموحد نفى كل وجود وكل كمال
عن نفسه وغيره وجعل الكل مظاهر نوره سبحانه واشعة شمس ظهوره فقد نفى
عن كل شيء يعتقد انه له ولغيره وانه يحفظه ويقوم بامره واعتقد ان الله

هو قيوم السموات والارض وما فيهما ولا يؤده حفظهما ودخل في حصن
الله وفي جواره وامن من نقمته وسخطه والله متم نوره الثاني والعشرون باسناده
عن ابي الصلت الهروي قال كنت مع علي بن موسى الرضا عليه السلام حين رحل من
نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فاذا محمد بن رافع واحمد بن حرث ويحيى
بن يحيى واسحق بن راهويه وعدة من اهل العلم قد تعلقوا بلجام بغلته في المربعة
فقالوا بحق اباءك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من ابيك فاخرج رأسه
من العمارية وعليه مطرف خز ذو وجهين وقال حدثني ابي العبد الصالح
موسى بن جعفر عليهما السلام وساق الحديث مثل ذلك شرح المربعة بفتح الميم والتاء
الموضع الذي يربعون فيه في الربيع وموضع بنيسابور والمطرف بكسر الميم
عند بني تميم وبضمها عند قيس والراء مفتوحة على اللغتين وهو رداء من خز
مربع له اعلام الثالث والعشرون باسناده عن اسحق بن راهويه قال لما وافى
ابو الحسن نيسابور واراد ان يخرج منها الى المامون اجتمع اليه اصحاب الحديث وذكر
مثل ذلك وزاد في اخره فلما مرت الراحلة نادانا بشروطها وانا من شروطها
شرح واي فصل يعني ان الاقرار بالائمة الاثني عشر من شروط الدخول في
حصن الله لان الاعتقاد بالرضا عليه السلام يستلزم الاقرار بامامة ابائه واولاده
الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين كما لا يخفى ثم يمكن ان يحمل جميع اخبار
هذا الباب مما يدل على تناثر الذنوب وطلس السيئات وغفران الذنوب
والامن من عذاب الله على انه اذا قال تلك الكلمة الشريفة بشروطها التي احدها
الاقرار بالائمة الاثني عشر المستلزم للاقرار بالنبي صلى الله عليه وآله وبما جاء به
من عند الله والعمل بالطاعات والانتهاء عن السيئات ايضا على ما سياتي
من معنى الاخلاص الرابع والعشرون باسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وآله بينا رجل مستلقي على ظهره ينظر الى السماء والى النجوم ويقول
والله ان لك لربا هو خالقك اللهم اغفر لي قال فنظر الله عز وجل اليه
فغفر له شرح يمكن الاستدلال بالسموات والنجوم على وجود الصانع عز
شانه بوجوه الاول من طريق امكانها وافتقارها واحتياجها الى مخرج
اياها الى الوجود والفعلية وستاحتياجها بالكلية وذلك ليس الا بالغني
المطلق والواحد الحق الثاني من جهة الحركة اذ المتحرك لا يتحرك بنفسه فلا بد
من محرك غير متحرك ولا لمرتبة الحركة لهذا الذي يلينا الثالث من جهة
جسميتها اذ كل جسم محدود بشهادة العقول كلها وبراهين ثبتنا في الابعاد
فلا بد من حاد اياه اذ ليس في طبيعة هذا الجسم من حيث هو جسم ان يتحدد بهذا
الحد دون ذلك الحد والله تعالى حاد كل محدود الرابع من جهة صورتها
اذ كل صورة لها مصور الخامس من جهة تركيبها الان كل مؤلف لا بد له من مؤلف
الى ان ينتهي الى مؤلف لا تاليف له السادس من جهة اتساقها على نسق واحد
وانتظامها على نظام واحد وحدوث الليل والنهار على طريقة واحدة
وذلك يدل على انها مسخرات تحت مدبر واحد على ذلك يسخرها الى ان يشا
اذ لو كان لها قدرة مستقلة لفعلت ما شاءت ولو كان ذلك بالطبع
لم يختلف اصلا السابع من جهة عجايب خلقها وبدايع صنعها المودعة
فيها من الكواكب المركوزة والافلاك الجزئية التي لا بد لها في انتظام حركاتها
على ما هو مذكور في كتب الهيئة واثارها الفايضة منها على السفليات و
المخترات الحادثة منها في الكائنات وذلك لا يكون الا بامر آمر مدبر لها كلها
وربط احديها بصاحبتها فهذه سبعة دلايل دالة على وجود خالق السموات
والارض قال الله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الخامس والعشرون باسناده

عن محمد بن حمران عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قال لا اله الا الله مخلصا
دخل الجنة واخلاصه ان تحجزه لا اله الا الله عما حرم الله عز وجل شرح هذا معنى
آخر للاخلاص في الاعتقاد غير الذي مضى في الحديث الثامن عشر من الباب
فالاخلاص في الاعتقاد بهذا المعنى يوجب دخول الجنة وذلك لان العمل
كاشف عن العلم والظاهر عنوان الباطن فاذا اعتقد حقا وخالف مقتضاه
فكانه لم يعتقد فلا يترتب على ذلك اثر من الثواب حاشا لمن عرف الله تعالى عصيه
السادس والعشرون باسناده عن زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وآله مثله
السابع والعشرون باسناده عن معاذ بن جبل قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وآله
فقال لي يا معاذ هل تدري ما حق الله عز وجل على العباد يقولها ثلاثا قال
قلت الله ورسوله اعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حق الله عز وجل
على العباد ان لا يشركوا به شيئا ثم قال عليه السلام هل تدري ما حق العباد على الله
عز وجل اذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله اعلم قال ان لا يعذبهم او قال
ان لا يدخلهم النار شرح لما كان انه جلت حكمته لم يخلق العالم عبثا ولعبا
ولا لطلب زيادة سلطان بل كان ملكا قبل الكون والمكان فلا محالة يكون
لغرض وحكمة وقد نفت البراهين العقلية وجوه الاغراض الاولية الذاتية
سوى نفس ذاته المقدسة فوجب ان يكون الاغراض ثانوية عرضية تابعة
لمقتضيات اسماء الله من كمال الجلاء والاستجلاء كما يدل على ذلك ما في
الادعية المأثورة باسمك الذي خلقت به العرش وباسمك الذي خلقت به
الكرسي الى غير ذلك وقد سبق في الحديث المذكور ان ذلك الغرض هو المعرفة
اي معرفة الله بكمالاته الذاتية والاسمائية فحقه تعالى على العباد ان يقروا بانه
المتوحد بالنعم والمتفرد بالقدم لا شبه له ولا شريك يعانده ولا مماثله

شيء

شيء في شيء ولا يعادله فاذا فعل ذلك وجاء في حقوقه على اتقان لا ينافي
غرضه فجزاهم بدخول الجنة والمغفرة ولا يدخلهم في جواره ويؤمنهم من سخطه
وعذابه الثامن والعشرون باسناده عن موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر عن
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام قال حدثني ابي عن ابيه
عن جده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن ابائه عن علي عليهم السلام في قول الله عز وجل هل
جزاء الاحسان الا الاحسان قال علي عليه السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول الله عز وجل ما جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة شرح في بعض
النسخ بعد قوله بالتوحيد احسن واساء اعلم انه ورد عنهم عليهم السلام ان الاحسان
هو ان تعبد الله كانك تراه وفي هذا الخبر فسر الاحسان بالتوحيد الذي
هو من نعم الله وما ل التفسيرين واحد فان الموحد الحقيقي لا يرى للذوات
الممكنة وجودا وشيئية ولا حولا ولا قوة الا بالله فاذا نظر الى كل شيء فقد
راى الله فيه صدقا بحقائق الايمان وقوله انعمت عليه بالتوحيد صريح في ان
توحيد الله تعالى من نعمه سبحانه وليس من صنع العبد في شيء فكلا الاحسانين
منه جل ثناؤه فله الحمد في الاولى والاخرة وله الشكر على النعم السابقة
واللاحقة التاسع والعشرون باسناده عن حمران عن عثمان بن عفان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله من مات وهو يعلم ان الله حق دخل الجنة
شرح الحق المطلق هو الموجود الحقيقي الثابت بذاته المستغني عن كل شيء
في كل شيء ولا يستغني عنه شيء في شيء بل الكل منه وله الكل في وحدته اذ لو
احتاج هو في شيء الى شيء او استغنى عنه شيء في شيء فليس حقا على الاطلاق
فالمبدأ الاول هو الحق المطلق وكل ما سواه فباطل محتاج اليه مفتقر الى
كالعدم لديه ولانه لو كان محتاجا في شيء لزم امكانه من هذه الجهة والامكان

بطلان محض ولما استغنى عنه غني في شيء انقلبت حقيقة الامكان والفقر
اذ الامكان هو الاحتياج المحض والفقر الكلي وايضا يلزم ان يخلو عنه شيء حيث
لا يصل هو سبحانه الى ذلك الشيء المستغني عنه وذلك يستلزم محدودية سبحانه
وينافي صمديته كما يأتي ولا شك ان العالم بان الله حق على الحقيقة من اهل الجنة
اذ الجنة منزلة اهل الحق ولا حق احق بالحقية من اعتقاد ان الله حق وعن النبي
صلى الله عليه وآله اصدق قول قالته العرب قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل متمم الثلثين باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله والذي بعثني بالحق بشيرا لا يعذب الله بالنار موحدا ابدا
وان اهل التوحيد ليشفعون فيشفعون ثم قال عليه السلام اذا كان يوم القيمة
امر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت اعمالهم في دار الدنيا الى النار فيقولون
يا ربنا كيف تدخلنا النار وقد كنا نوحدك في دار الدنيا وكيف تحرق
بالنار السنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا وكيف تحرق قلوبنا
وقد عقدت ان لا اله الا انت ام كيف تحرق وجوهنا وقد عفرناها لك في
التراب ام كيف تحرق ايدينا وقد رفعناها بالدعاء اليك فيقول الله جل
جلاله عبادي ساءت اعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنم فيقولون
يا ربنا عفوك اعظم ام خطيئتنا فيقول عز وجل بل عفوي فيقولون
رحمتك اوسع ام ذنوبنا فيقول عز وجل بل رحمتي فيقولون اقرارنا بتوحيدك
اعظم ام ذنوبنا فيقول عز وجل بل اقراركم بتوحيدي اعظم فيقولون
يا ربنا فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كل شيء فيقول الله جل
جلاله ملائكتي وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي من المقرين بتوحيدي
وان لا اله غيري وحق علي ان لا اصلي بالنار اهل توحيدي ادخلوا عبادي الجنة

شرح

شرح ليشفعون فيشفعون الاول للمجرد المعلوم والثاني للتفعيل المجهول
يقال شفع على الاول اذا طلب لغيره فشفع على الثاني اذا قبلت شفاعته
وهذه الشفاعة انما هي لاهل التوحيد الذين لم يبلغوا درجة الشافعين
ولم يبلغوا منزلة الاولين اما لنقصان توحيدهم او لكثرة سيئاتهم بالنسبة
اليهم فلا اشكال وكذلك المسألة انما هي لقوم منهم بلغوا بحسن اعتقادهم
درجة اليقين وسلموا عن شبهات الملحدين لكنهم لضعف نفوسهم اتبعوا
الشهوات وارتكبوا السيئات وسؤال اهل التوحيد اما على الحقيقة ولما
باعتبار اطلاع الله عز وجل على هذه الاعضاء وعلى اثر كل عمل واحد منها حيث
صرف كل عضو فيما خلق لاجله اذ اللسان انما خلق للذكر وهم قد دعوا وذكروا
الله تعالى والقلب انما شانه الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر
وقد اعتقدوها وحق الوجه ان تعفر به في التراب بالخضوع واظهار
الذلة الامكانية وكذا اليد ينبغي لها ان يسأل بها من الله ويتضرع بها وترفع
الى الله تعالى اذ الخيرات عنده وهو الحافظ من الشرور وهو المستعان في كل
الامور وبالجملة لما كان هؤلاء من الذين لا يثقل حسناتهم تلك بالنسبة
الى سيئاتهم واراد الله ذلك بقوله سبحانه عبادي ساءت اعمالكم فلذلك
تشبثوا بعفو الله ورحمته ومحض التوحيد الذي لا يقابله شيء من السيئات الذي هو
وهو ايضا من نعم الله عز شانه فوسعتهم الرحمة وشملتهم المغفرة ووجه اخر
وهو انهم راوا اولا اعمالهم شيئا بالنظر الى نعم الله حيث قابلوها بها
وزعموا انهم تشكروها اولا فاجيبوا بان نعم الله اعظم من ان يقابل بها شيء
او يؤدي منها شكر شيء سيما مع الاعمال السيئة والاخلاق الغير المرضية فتمسكوا
ثانيا بالهام الهي وتوفيق رباني الى رحمة الله وعفوه وتوحيده الذي هو ايضا

من فعمر فاستوجبوا بذلك الرحمة والرضوان ونالوا العفو والغفران
قوله لا اصلى من اصليت اللحم بالنار اذا احرقته ويحتمل ان يكون من صليت
اللحم اذا شويته بمعنى انه لا يصل اليهم حرارة النار فضلا عن احراقها
اياهم وصيغة دخولهما اتما افعال فيكون امر للملائكة او مجرد فيكون
امر لاهل التوحيد الحادى والثلثون باسناده عن جعفر بن محمد بن عمارة
عن ابيه عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على عن ابيه على بن الحسين عن ابيه الحسين بن
على عن ابيه على بن ابيطالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنات
لا يشرك بالله شيئا احسن واساء دخل الجنة شرح قد مضى شرح هذا
الثانى والثلثون باسناده عن هشام بن سالم وابى ايوب قالا قال ابو عبد الله عليه
السلام من قال لا اله الا الله مائة مرة كان افضل الناس ذلك اليوم عملا
الا من زاد شرح سواء كانت الزيادة بحسب الكمية كما هو الظاهر او بحسب
الكيفية من حضور القلب وتوجه النفس او بحسبهما جميعا قال بعض
اهل السلوك ان تاسع اذكار اللسان وامضاها المشاهدة الانوار
كلمة لا اله الا الله قوله عز وجل ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اشارة الى كلمة
لا اله الا الله وقال بعض اهل المعرفة لا يعلم قدر هذه النشاة الانسانية
الا من ذكر الله الذكر المطلوب فانه تعالى جليس من ذكره والجليس مشهود
الذاكر فمتى لم يشاهد الذاكر الحق الذى هو جليسه فليس بذاكر اقول
الذكر المطلوب اشارة الى قوله تعالى حيث امر عباده بالذكر وطلب
منهم ذلك فاذكرونى اذكركم وقال بعض الاعلام المراد من الذكر المطلق
فى اصطلاح السالك ان يذكر الله باللسان ويكون خاضرا بقلبه
وجميع قواه الادراكية بحيث يكون العبد بكليته كونه انسانا وعبدا متوجها

الى بارئه فينتفى الخواطر وينقطع احاديث النفس عنه ثم اذا داوم عليه
بهذا الوجه من الشرائط من تخلية البيت عن الحطام وتنقية الجوف عن الحرام
بل عن الطعام وتنظيف الثوب والبدن عن الادناس وتنزيه العقل
والسر عن الوسواس والتوجه الى المبداء الاعلى من المنطق والقياس فينتقل
الذكر من لسانه الى قلبه ولا يزال يذكر ويردد هذه الكلمة على لسانه مواطاة
للقلب حتى يصير الكلمة متاصلة مزيلة لحديث النفس بنوب معناها فى
القلب عن كل حديث النفس فاذا استولت الكلمة وتجوهرت فى القلب
فح يذكر القلب وان سكت اللسان وبتجوهرها يسكن نور اليقين
فى قلب السالك حتى يتجلى له الحق من وراء استار غيوبه فيتنور باطن
العبد بحكم واشرقت الارض بنور ربها الثالث والثلثون باسناده عن ابى
سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله قال قال الله جل جلاله لموسى عليه السلام
يا موسى لو ان السموات وعامرهن والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله
فى كفة مالت بهن لا اله الا الله شرح المراد بعامرى السموات النفوس
المدبرة لها والملائكة الموكلة عليها وسر الميل والرجحان ان الكلمة الطيبة
يدل على وجوده سبحانه ووحدته واستجماعه جميع الصفات الحسنى اللائقة
به تعالى والسموات والارضون وما فيهما كلها لا شئ محض وليس
صرف ما عندكم ينفد وما عند الله باق وانما هى اظلال نور وجوده
واشعة شهوده ولا ريب ان الاصل يترجح على الفرع واين الوجود من العدم
ثم اعلم ان هذا الوزن انما هو لبيان انه لا يقابل التوحيد شئ من
الاعمال والذوات واما انه هل يوزن تلك الكلمة فى ميزان القيمة
فالحق انه يوزن بها فترجح كفته وبذلك يغفر لاهل التوحيد كما نص عليه

فى اخبار هذا الباب بل هى الميزان نفسه كما فى الخبر النبوى الميزان كلمة
لا اله الا الله وذلك لان الميزان نفس الاعتقادات الحقة وقد عرفت
ان التوحيد اشرف العقايد واعلاها أو الميزان ارباب العقايد الحقة
وقد عرفت ان التوحيد اشرف العقايد واعلاها او الميزان ارباب العقايد
الحقة كما ورد فى الميزان ومآل المعنيين يرجع الى شئ واحد عند التحقيق
وههنا اشكال ذكره بعض اهل المعرفة ولم يجب عنه وهو ان كل ذكر وعمل
له مقابل فى خفة التضاد وليس للتوحيد مقابل الا الشرك ولا يجتمعان
فى ميزان واحد عند التحقيق اذ اليقين الدايم كالاجماع ضده فلا
يتعاقبان على موضوع واحد فليس لهذه الكلمة ما يقابلها ويعادلها
فى الكفة الاخرى واجاب عنه استادنا الربانى دام فيضه الروحانى
بان ذلك مبنى على ان يوضع كل واحدة من الحسنات فى مقابلة نظيرتها
من السيئات فى الوزن واما اذا وضع المجموع فى مقابلة المجموع او وضعت
حسنات الام فى مقابلة حسنات الابناء وكلا وصيا كما ورد فى الاخبار
عن الموازين القسط فيمكن ان يوضع هذه الكلمة فى الميزان فى مقابلة
الذنوب التى ليست من نظيرها كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال يؤتى
بالرجل ومعه سبعة وسبعون سجلا كل سجل مثل مد البصر فيه خطاياه
وذنوبه فيوضع فى كفة الميزان ويخرج له قرطاس مثل انملة فيه شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيوضع فى الكفة الاخرى فيرجح
بذلك على ذنوبه كلها فانه اذا اعتبر وحدة الميزان كما هو الظاهر من هذا
الخبر ووزن مجموع الحسنات مع مجموع السيئات يمكن ان يقابل هذه
الكلمة مع الذنوب فيصح جعلها فى الكفة المقابلة للسيئات واما

اذا تعدد

اذا تعدد الميزان لشخص واحد فالظاهر ان المراد بالكفة الاخرى ليس
الكفة المقابلة لكفة الاعمال كيف والعمل لا يوزن بلا اعتقاد بل المراد
كفة الاخرى من ميزان الاخر وانما يرجح الكفة بذلك على ذنوبه كلها لانه
لما رجح ميزان اعتقاده الذى هو الاصل سيما التوحيد غفر الله او يوضع
توحيد الاباء والام فى مقابلة توحيد بنيهما واما ما يعرف قدرها كم
له او عليه كيف ولو لم يوضع هذه الكلمة فى الميزان لما صح قوله صلى الله
عليه وآله انه كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة على الميزان فتدبر الرابع
والثلثون باسناده عن عمر بن يزيد عن ابى عبد الله عليه السلم قال سمعته يقول
من قال فى يوم اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا احدا
صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا كتب الله عز وجل له خمسا واربعين الف
الف درجة ومحى عنه خمسا واربعين الف الف سيئة ورفع له فى الجنة خمسا حسنة ل
واربعين الف الف درجة وكان كمن قرأ القرآن اثنتى عشرة مرة وبنى له بيتا
فى الجنة شرح وجه العدد فى الخبر ان لفظة آدم خمس واربعون والقائل
بالكلمة الشريفة ينفى عن نفسه بكل لفظة منها شركة مع الرب تعالى بل يثبت
لنفسه نقيضها مثلا بلا اله الا الله ينفى شركة الوجود معه سبحانه ويثبت
لنفسه هذا الوجود الذى ليس له من نفسه وكذا بلا شريك له يثبت عدم
مدخلية نفسه فى شئ من كمالاته وبالوحدة اثبات الكثرة لنفسه و
بالاحدية التجزية وبالصمدية المهيته والجوف وبالاخيرين اتخاذ
الصاحبة والولد وبالجملة فلما كانت الصفات المذكورة مما لم يتيسر
معناها الا لله بالحقيقة بخلاف الاسماء الحسنى الاخر فانه يمكن للانسان
التحقق بها والمظهرية لها كان القائل بها مبينا نفسه لهذا القول عن الله

كل التميز فيعرف نفسه بذلك فيكون جزاؤه على عدد حروف اسم الاب
الذي هو الاصل للانسان وفي بعض الروايات ان من قرأها خمسا واربعين
مرة في يوم اعطي في ذلك فعلى هذا تعدد الدرجات والمثوبات بازاء
الاعداد واما ترتب ثواب قراءة القرآن اثنتي عشرة مرة فلعله لاجل ان تلك
الكلمة انما يفيد ما افاده سورة التوحيد على الاجمال كما لا يخفى على ارباب
الحال ولا شك انه ورد فيمن قرأ تلك السورة المباركة ثلث مرات فكانما
قرأ القرآن لكن على ذلك كما ينبغي ان يكون العدد ستة وثلاثين فزيادة
فلعل ذلك للتفاوت بين كلام الله وكلام المخلوق وان كان هو الامام
عليه السلام والله اعلم ثم رسوله واولياؤه والحمد لله على فضله وآلائه **الباب الثاني**
من كتاب توحيد الصدوق رضي الله عنه في التوحيد ونفي التشبيه قال بعض
اهل المعرفة اعلم ان التوحيد هو الشغل في حصول العلم في نفس الانسان
الطالب بان الله الذي وجد واحد لا شريك له في الالوهية قال تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقد وجد الصلاح وهو بقاء العالم
ووجوده فدل على ان الموجد له لو لم يكن واحدا ما صح وجود العالم هذا
دليل الحق فيه على وحدته وطابق الدليل العقلي في ذلك ولو كان غير
هذا من الادلة اذ لا يشعر بعدد الوجود بوجه وقد تكلف قوم في الدلالة عليه
بطريق آخر وقد حصلوا في هذه الدلالة فجمعوا بين الجهل فيما نصبه الحق
دليلا على وحدته وبين سوء الادب فاما جهلهم فكونهم ما عرفوا جمع
الدلالة على توحيده في هذه الآية حتى قدحوا فيه واما سوء الادب فعارضتهم
بما دخلوا فيها بالامور القادحة فجعلوا نظرهم في توحيده اتم في الدلالة
مما دل به الحق على احديته وما ذهب الى هذا الا المتأخرون من المتكلمين

الناظرين

الناظرين في هذا الشأن واما المتقدمون فما عرجوا على هذه الدلالة
وسعوا في تقريرها وابانوا عن استقامتها ادبا مع الله تعالى وعلما
بموضع الدلالة منها انتهى واما نفي التشبيه فهو الاقرار بان الله لا يماثله
شيء في وجود ذاته وفي صفاته وافعاله تعالى عما يقول الملحدون
فيه وفي اسمائه وفي هذا الباب خمسة وثلاثون حديثا منها خطب ولنبين
شرح الخطب وبيانها بحذاء العبارات لغموضها **الحديث الاول** باسناده
عن ابي اسحق السبيعي عن الحارث الاعور قال خطب امير المؤمنين علي بن
ابي طالب صلوات الله عليه يوما خطبة بعد العصر فعجب الناس من حسن
صفته وما ذكر من تعظيم الله جل جلاله قال ابو اسحق فقلت للحارث
او ما حفظتها قال قد كتبتها فاملاها علينا من كتابه الحمد لله الذي
لا يموت قد يقال الموت ويراد به الفناء والزوال وقد يقال على تبدل
نشآت النفس في الترقي الى كل من الصور الهيولانية والنباتية والحيوانية
والانسانية في المراتب الانسانية موت عن الصورة السابقة والله هو الخالق
للموت والحياة بالمعنيين ولا يوصف هو بخلقه وايضا هو سبحانه واجب
الوجود وواجب الوجود لا يصح عليه الفناء والعدم والا لزم انقلاب الحقيقة
ولا يتكمل هو سبحانه اذ الاستكمال انما هو عن نقص وواجب الوجود تام
وفوق التمام ولا ينقضي عجائبه لانه كل يوم هو في شأن من احداث بديع
لم يكن يمكن ان يتراءى من احداث بديع على الاضافة والوصفية والاولى
والمعنى لا ينقطع مخلوقاته العجيبة التي تتعجب منها العقول وتقصر
عن البلوغ الى اسرار حكمتها كل فضول والتسبيب في عدم الانقطاع هو انه
جل ثناؤه كل يوم في شأن اي كل آن يظهر امرا بديعا لم يكن قبل الآن

وليس هو سبحانه قد فرغ من الامر كما يقوله اليهود واضرابهم وسر ذلك
هو تقابل الاسماء الالهية واختلاف مقتضياتها وذلك باب من العلم
كثير فوائدها اعلم انه ذهب كثير من المحققين الى تجدد الخلق مع الآنات
وتشبثوا بعد ادلتهم العقلية بهذه الآية وامثالها لكن قوله عليه السلم
في تفسير الآية حيث فسر الشأن باحداث امر بديع لم يكن يقطع متشبثهم
اذ القائل بتجدد الخلق يقول بها تلك الوجودات المتجددة وهي لا تكون
بديعة الذي لم يلد فيكون في المرة مشاركا فيكون منحصرا بتقدير ان ؛
وكذا الافعال المصدرة بالفاء بعده وشاركا على صيغة المفعول له
او حق يشاركه ولده في عزه وجلاله اذ الولد انما يعز بعزة ابيه اذا كان
ابوه عزيزا اذ هو من اهل بيت الشرف والعزة والحال انه لا مشارك له تعالى
في شيء من الاشياء ويمكن ان يكون اشارة الى البرهان المشهور للتوحيد
والمراد بالعز وجوب الوجود اذ هو سبب الاتصاف بجميع النعوت الالهية
وصورة الدليل ان الولد لا محالة يكون من نوع الاب وانما التمايز
بالعوارض وذلك لشهادة العقول جميعا فلو فرض لله تعالى ولد لكان
مشاركا له في حقيقته فيحتاج الى المميز والاحتياج ينافي وجوب
الوجود ولا ريب ان هذا التقرير على امتناع الولد مما لا يرد عليه الشبهة
المشهورة بشبهة ابن كمونة كما لا يخفى ولم يولد فيكون موروثا هالكا
اذ الولد من جملة مواريث الاب كما في الخبر نحن مواريث الانبياء والغرض
ان كونه سبحانه مولودا يستلزم كونه موروثا كما قلنا والمراد بالموروث
ما حصل من شيء وبقي منه فيكون له سبحانه ابتداء وكل ما يكون له ابتداء حصل له
فيجب ان يكون له انتهاء والا يلزم وجود احد المتضايفين بدون الآخر

اذ الاولية

اذ الاولية والآخرية من الامور المتضايفة واذا كان له انتهاء يلزم
ان يكون هالكا لا محالة لان انتهاء كل شيء عدمه سواء كان في
الجسمانيات ام في غيرها فذكر عليه السلم اللفظين والمراد بهما ما قلنا
ولم تقع عليه الاوهام فتقدره شبحا ماثلا وقع الطاير اذا رفرف
حوله وكره قدره جعل له مقدارا ينتهي الى حدود والشبح الشخص وهو
سواد الانسان تراه من بعيد مثل الرجل بالفتح مثولا بالضم انتصب
قائما يظهر من ايراد لفظ الوقوع ان الادراك الخيالي انما هو بوصول
النفس الى الشيء المدرك بقوتها الوهمية لا بان يحصل في النفس صورة
منه كما يراه اكثر العلماء وكذلك ساير الادراكات من الحسية والعقلية
عند اهل المعرفة الا ان التفاوت ان الاحساس انما هو بوصول
النفس ووقوعها على ظاهر الشيء والتخيل انما هو بوقوعها على مثاله
الشبحي لست اعني بذلك عالم المثال بل اريد نحو تجرده عن عالم الشهادة
والتعقل انما هو بوقوعها على ذاته العيني وان كان ذلك بقوة للنفس واحدة
بمعنى انها بعينها تدرك المعقولات بنفسها وتدرك بها المحسوسات والمتخيلات
وكذلك تسمع بعين ما تبصر لكن التعدد انما هو في الآلات
فان مظاهر ادراكاتها وآلاتها متعددة لكن عند ادراك الجزئيات
المحسوسة كانها تخرج من ذاتها نحو آلتها كما اشير اليه في هذه
الخطبة بلفظ الوقوع وعند ادراك المعقولات ترجع الى ذاتها
وان كان تعقل كل الاشياء كلياتها وجزئياتها من ذاتها لان
ذاتها جامعة لجميع الحقائق من وجه والفرق بين التعقل والتخيل
والاحساس على المذهب الحق ان الاشياء بالادراك الاحساسي مدركة

باعيانها الخارجية على ما هي عليه في الخارج من غير تفاوت اصلا واما
بالادراك العقلي فعند ربكه كذلك اذا كانت صادقة لكن لا يلزم هذا
النحو من الادراك ان يدرك النفس الاشياء المتمكنة كالاجسام في
امكنتها الخاصة بمعنى انه لا يلزم ان يكون امكنتها الخاصة ملحوظة للنفس
في هذا الادراك وان كان قد يتفق ان يكون ملحوظة وهذا هو معنى التجريد
الخيالي فان تجريد الشيء عن مكانه الخاص به تجريد عن بعض اللوازم المادية
لا ما نعم ان باب الحصول فان حصول الصورة ايجاد لشيء آخر لا تجريد
للشيء الاول واما المدركات العقلية فهي مدركة للنفس بنفس ذواتها وحقائقها
الذاتية التي هي عينها وبرجوع النفس الى ذاتها من غير احتياج الى آلة اصلا
وبالجملة التعبير بالوضع وبالشبح القائم الذي يشبه الشيء الذي يقع في فيه
بعض التجريد لا ايهامه كما وقع في هذه العبارة من اصل التعبير وهو قيد لما ذهبنا
اليه الادراك العقلي ولا لكان شيئا قائما محدودا محدودا مجردا عن بعض
الحدود وكل ما هو محدود فهو محيط به وخالق الاشياء محيط بالاشياء
كما قيل المحرك الاول على المحيط دون المحاط وذلك لان كل محاط به فهو اما
جسماني او معلول المحيط والمبدأ الاول منزه عن الجسمية وعن المعلولية ولم
تدركه الابصار فيكون بعد انتقالها حائلا لا يمكن ان يقرأ هذه العبارة
على وجهين الاول ان يكون لفظة بعد بفتح الباء على الظرفية والحائل بمعنى
المتغير كما في النهاية كل متغير حائل او بمعنى المتحرك يقال حال الشخص اذا
تحول وكذلك كل متحول عن حاله ومنه استحالت الشخص نظرت اليه هل يتحرك
كذا في المجمل والمعنى انه تعالى لا يدرك بالبصر اذ لا بد في الابصار من المقابلة
لا محالة وهي حدث للشيئين لم يكن لهما قبل آن المقابلة واذا انتقل

اليسر في الادراك العقلي الحجر
وصورة الاستدلال انه تعالى
سبحانه لا يصل الى

البصر

البصر عن المبصر زالت تلك الصفة وهي المقابلة فقد وقع التغير والمبدأ
لا يجوز عليه التغير اصلا ويحتمل ان يكون التغير انما هو في كونه مدركا بالفعل
بالبصر فاذا انتقل عنه البصر زالت عنه صفة كونه مرئيا لهذا الرائي ويحتمل
ان يكون الحائل بمعنى المانع والمراد انه جل مجده لما استحال عن مكان مع
كونه لا في مكان فلو كان هو سبحانه مدركا بالبصر كان لا محالة في جهة خاصة
ومكان خاص فاذا انتقل عنه البصر لم يكن يدركه البصر كما هو شان البصر
في مدركاته فيكون هو مانعا بعد انتقال الابصار عن الرؤية مع انه سبحانه
انما منظره في القرب والبعد سواء الاحتمال الثاني ان تكون كلمة بعد بضم
الموحدة بمعنى الامتداد الواصل بين الرائي والمرئي والحائل بمعنى المانع
لا غير والمعنى انه لو كان سبحانه وتعالى مدركا بالبصر كان الامتداد الذي
ينتقل فيه وينوجه النور البصري الى الله تعالى فاصلا بينه وبين الرائي
لا محالة على ما هو شرط الرؤية فيكون محدودا تعالى عن ذلك علوا كبيرا
الذي ليست له في اوليته نهاية ولا في آخريته حد ولا غاية الاول من الممكنات
لا بد وان ينتهي في طرفيه احدهما الى العلة والآخر الى ما هو اقرب النسبة اليه
وذلك ثان له واوليته سبحانه لا ينتهي اصلا لا الى علة حتى ينتهي
في جهة بدوه اليها ولا ثاني له عز شانه حتى ينتهي الى حده اذ ليس هو واحدا
لا عدد فليست له سبحانه في اوليته نهاية وكذا ليس هو سبحانه آخر شيء
من الاشياء ولا كان يتبعض ذاته ولا آخر له ينتهي اليه ولا فيه ينتهي عنده
شيء من الاشياء فليس لآخريته عز وجل حد ولا غاية فهو الاول بمعنى انه
لا شيء قبله والآخر بمعنى انه لا شيء بعده وظاهر انه لا شيء فيه ولا هو في شيء
فهو الثابت وما عداه هالك الذي لم يسبقه وقت ولا يتقدمه زمان ه

ولم يتغاوره زيادة ولا نقصان ولم يوصف باين ولا مكان اشار عليه السلام
الى نفي اقسام الكم ومقولتي متى واين عنه تعالى بهذه الفقرات الثلث فعلم بتقدم
الوقت وسبق الزمان نفي الكم الغير القار ومقولة متى عنه تعالى فهو ليس
في حد من الزمان ولا في نفس الزمان وعدم تغاور الزيادة والنقصان و
تداولهما عليه من تغاوروا الشيء اذا اخذوه نوبا اي واحدا بعد واحد نفي
للجسمية التعليمية اذ التزيد والتنقص انما هما في الاحجام والاعظام وعدم
موصوفيته بالاين والمكان نفي لمقولة الاين والسطح اذ الشيء انما هو في المكان
بسطحه على المذهب الحق الذي بطن من خفيات الامور وظهر في العقول
بما يرى في خلقه من علامات التدبير البطون والظهور انما هو بالنسبة
الى الادراكات فالله سبحانه باطن ان طلب من جهة الحس وخزانة الخيال والوهم
في العقول بطريق الاستدلال نقول عليه السلام الذي بطن من خفيات الامور اي بما
باطنا للخفيات فهو اخفى من خفيات الحس والخيال ومشكلات العقول
ويحتمل ان يكون المعنى انه صار باطنا خفيا من بينها كانها بالنسبة الى
خفائه جليات ليست بخفيات وبالجملة ليس خفاؤه عز شانه باحتجاب
ولا باستتار نقاب بل هو باعتبار كمال ظهوره خفي ومن ذلك قيل يا خفيا
من فرط الظهور وسيجي في خطبة احتجب بنوره قال بعض العلماء اعلم انه
سبحانه انما خفي مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره
حجاب نوره وكل ما جاوز حده انعكس الى ضده ثم قال مثاله نور الشمس
فانه اظهر الاشياء المدركة بالبصر وبه يظهر كل شيء وقد اشكل ذلك على جمع
كثير من العلماء فقالوا ليس في الاشياء المتلونة الا لونها لا غير فتنبهوا
على تعليم النور بالمتلونات بالتفرقة التي يدركونها بين الظل وموضع

النور

النور وبين الليل والنهار ولو اطبق نور الشمس كل الاجسام الظاهرة
ولم تغب عنها لتعذر علينا معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على
الالوان ولو تصور لله عز وجل عدم او غيبة عن بعض الامور لانهدمت
السموات والارض وكل ما انقطع نوره عنها ولادركت التفرقة بين
الحالتين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها متفقة
في الشهادة والاحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سببا
لخفائه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عنهم لشدة ظهوره فهو
الظاهر الذي لا اظهر منه وهو الباطن الذي لا ابطن منه انتهى ملخصا الذي
سئلت الانبياء عنه فلم تصفه بحد ولا نقص بل وصفته بافعاله ودلت
عليه باياته يعني ان الانبياء لما سئلوا عنه تعالى لم يصفوه حتى يلزم
التحديد والنقص ويحتمل ان يكون اي لم يحدوه ولم ياتوا بنقص فيه
بوصفهم اياه لانه متعال عن وصف الواصفين وكل من وصفه فقد حده
وذلك لان الوصف والاحاطة يستلزم التحديد واما توصيفهم تعالى
بما وصف به نفسه فهو على سبيل الاقرار المحض كما هو سبيل الاعتقاد
وكذا وصفهم وافعاله باياته فانما هو بالحقيقة اخلاء بالافعال لا به
وذلك بان لها فاعلا عالما قادرا حكيما لا يشبه شيئا فالانبياء
عليهم السلام وقفوا حيث ما حدهم الله تعالى من الوصف بالافعال والايات
فكيف لغيرهم التجاوز عنه ونحن ما امرنا الا بالاتحاد في الاسماء والصفات
فهذا ابراهيم خليل الله عليه السلام قال للكافر بالله وكل ربي الذي يحيي ويميت
وان الله ياتي بالشمس من المشرق وهذا موسى كليم الله عليه السلام قال لفرعون
حين سأله وما رب العالمين قال انه رب السموات والارض وربكم ورب

سواء كان بالعينية او الزيادة هي
موجبة الاحاطة احاطة الواصف
واحاطة الوصف ٣٤

ابائكم الاولين لا يستطيع عقول المتفكرين جحده لان من كانت السموات
والارض فطرته وما فيهن وما بينهن وهو الصانع لهن فلا مدفع لقدرته
كما ان السموات والارض بالجهات الست التي ذكرنا آنفا تدل على وجود
الخالق الصانع عز شانه كذلك اتصال تدبيرهما واتساق نظمهما
واحكام صنعهما يدل على قدرته جلت عظمته وذلك بان جعل الجسم
الذي ليس بثقيل ولا خفيف فوق الكل ومحيطا بالكل والخفيف المطلق
والمضاف فوق ثقيلهما وجعل الكثيف مستقرا للكثير من الحيوانات
ومعاشا للمتولدات فكل ذلك يدل على قدرته واحكام صنعته وانه
لم يمتنع عنه شيء ولم يتجاوز عن حكمه شيء الذي بان من الخلق فلا شيء
كمثله مباينته سبحانه عن الخلق كما تكون بذاته كذلك هو عز شانه مباين
عن الخلق بصفاته وافعاله اما انه مباين بذاته عن الخلق فلانه لو شاركهم
فيها لكان هو ايضا مخلوقا تعالى الله عن ذلك كما هم كذلك لان كل ما يجيء
في الخلق فهو مخلوق واما بصفاته فلان الاشتراك في العارض يستلزم
الاشتراك في الذات كما دل عليه البرهان واما بافعاله فلان كل فاعل
فانما يفعل باعتبار خصوصية له بالنظر الى مفعوله والا لكان صدور
ذلك الشيء عنه دون غيره ترجيحا من غير مرجح وذلك في الصناعة مثل
ملكة الصانعين بالنظر الى صنايعهم حيث لا يصدر عنهم الا ملكة
الشعر الكتابة الى غير ذلك فلو ماثله شيء في فعله لكان لذلك الشيء تلك فعل
الخصوصية ايضا فيشتركان في الصفة وهي مستلزمة للاشتراك في الذات
فيلزم التركيب فيها فاذا كان هو سبحانه مباينا لكل شيء فلا شيء مثله
ولا مماثله شيء في شيء واعلم ان معنى قوله لا شيء كمثله انه ليس في جنس

شيء من الاشياء مثله فانتفت الشيئية عن مثله فالكاف يحتمل
الزيادة كما هو الظاهر ويحتمل التشبيه اي لا شيء مثل مثله ويلزمه نفي
المثل بابلغ طريق لانه لو كان له مثل لكان هو مثل مثله وقد حكم بان
لا شيء مثل مثله هف الذي خلق الخلق لعبادته واقدرهم على طاعته
بما جعل فيهم فقطع عذرهم بالحجج فمن بينة هلك من هلك وعن بينة
نجى من نجى بيان ما الموصولة محذوف للعلم به اي بما جعل فيهم من
الاستطاعة وارادة الفعل قد ثبت في الحكمة المتعالية ان المبادي
العالية كلها غاية فعلها هي عين فعلها بعنوان القصد الاول في
افعالها هو تلك الافعال لانهم لا يفعلون الا الخير وليس فعل
الخير الا لانه خير اذ لو كانت لغرض غيرها ومن الواجب ان الغاية متأخرة
الوجود عن ذي الغاية اذ هي المترتبة على وجوده وكل ما هو متأخر الوجود
عن الشيء فهو اخس منه فيلزم ان يكون الشريف موجودا لاجل الخسيس
وهذا شنيع بل عند التحقيق الا انه هو ان غاية فعل هذه المبادي هي
عين ذاتها كما قال الشيخ الرئيس في التعليقات ولو ان انسانا
عرف الكمال الذي هو واجب الوجود بالذات ثم كان ينظم الامور
التي بعده على مثاله حتى كانت الامور على غاية النظام لكان غرضه
بالحقيقة واجب الوجود بذاته الذي هو الكمال فان كان واجب الوجود
بذاته هو الفاعل فهو ايضا الغاية والغرض انتهى وبيان ذلك في المثال
على الاجمال ان الجائع مثلا اذا اكل ليشبع فهو من حيث انه شبعان
تخيلا هو الذي ياكل ليصير شبعان وجودا فالشبعان تخيلا هو العلة
الفاعلية والشبعان وجودا هو الغاية المترتبة على الفعل فالاكل

صادر من المشبع ومصدد للشبع باعتبارين فافهم وبالجملة فعلى الاول
وهو ان الغاية نفس الافعال فمعنى كونه تعالى خلق الخلق للعبادة انه
خلقهم لافاضة الخيرات ورشح الكمالات في جميع عوالم الوجود وكافة اطوار
الشهود ومن جملتها مثوبات الآخرة بل هي اعظم المثوبات واجل الخيرات
منوطا بالطاعات والعبادات واستكمال قوتي العلم والعمل وتصفية
الظاهر والباطن من الخلل والزلل فاقيم السبب مقام المسبب فقيل خلقهم
للعبادة وانما خلقهم ليجزيهم احسن ما عملوا واما على الثاني وهو كون
الغاية نفس الذات فمعنى الكلام انه سبحانه لما كان هو الفاعل والغاية
فهو الاول والآخر بهذا المعنى ايضا فغايته فعله هو ظهوره كما انه حسبما
اقتضته صفاته وهذا الظهور هو المعبر عنه بالمعرفة كما في الحديث القدسي
كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف اي اظهر نوري في سمواتي وارضي
واعرض آلائي على اوليائي والمعرفة انما هي سبب باعث على الطاعة
كما اشير اليه في معنى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون
فاقيم المسبب مقام السبب بعكس الوجه الاول فقيل خلقهم للعبادة
وانما خلقهم لظهور نوره وشروق جماله فهو سبحانه من حيث الخفاء
الاجمالي فاعل ومن حيث الظهور التفصيلي المعبر عنه بالمعرفة غاية وهو اول
بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل وله الكل وهو الآخر بالنظر الى سير
السالكين اليه اذ هو غاية الغايات فالغاية مطلقا لوجود العالم انما
هو الله سبحانه ولقاء الآخرة ولذلك السبب بني العالم ونظم النظام
الاتم الا الى الله تصير الامور ثم انه سبحانه لما خلق الخلق لعبادته وطلب منهم
ان يعبدوه وليس ذلك الا بان يمكنهم منها ويجعل لهم القدرة على الفعل

ولما كان حصول الاستعداد
لافاضة تلك الخيرات م

والترك حسب اختيارهم ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى فجعل عز مجده فيهم آلات الفعل وادواته ووهب القدرة
على الاتيان بما شاؤا واعطاهم العقل الذي يسلك به سبيل الخير ويعلم
به وجوه الشر وبعث فيهم رسلا مبشرين ومنذرين فلذلك قطع عذرهم
حيث لم يكن لهم عذر بوجه من الوجوه وانما هلك الهالك بسوء اختياره
وبينه من امره حيث يعرف الخير والشر بتعريف الله على لسان رسله ونجى الناجي
بحسن فعاله ولله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم اجمعين وسياتي تحقيق
ذلك في اواخر الكتاب ان شاء الله ولله الفضل مبدئا ومعيدا المناظر من
الجملة الاولى ان الكل انما يثابون ويعاقبون بحسن فعالهم وسوء
اختيارهم وذلك هو العدل اشار عليه السلم الى ان ذلك من الفضل وذلك
لانه لو نظروا الى فعالهم والى نعم الله تعالى عليهم لم يكونوا يستحقون
شيئا من الثواب على عمل منهم في عالم الشهود بل انما هي بمحض الفضل والجود
فله الفضل في الابداء والاعادة وله الحمد اولا وآخرا ثم اشار عليه السلم بقوله
مبدئا ومعيدا الى الدليل على ان الامر على التفضل في البدء والعود لان الله
هو المبتدئ بالنعم قبل استحقاقها واليه يرجع عواقب الشاء وهذا ما
افاد عليه السلم بقوله ثم ان الله عز وجل له الحمد افتتح الكتاب بالحمد حيث
صدر القران المجيد بسورة الحمد تنبيها على ان له النعم الابتدائية فله الحمد
في الاولى والفاتحة وختم امر الدنيا ومجيء الآخرة بالحمد لنفسه فقال
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ثم ختم امر الدنيا عبارة
عن مجيء الآخرة فهذه الحالة يظهر للناس حين اشرفوا على سلطان الآخرة
التي هي محل بروز الامور ومكان ظهور بطلان دار الغرور ان الله قد حكم بينهم

بالحق واخذ منهم بالفضل وان الكل من الله وان المرجع والمصير الى الله فقيل
الحمد لله رب العالمين فله الحمد فی الاخرة والخاتمة الحمد لله اللابس
الكبرياء بلا تجسد والمرتدی بالجلال بلا تمثل لما ذكر عليه ان لله الحمد
فی الاولی والاخرة سلك عليه هذا السبيل فبعد ما ذكر الحمد اولا مستتبعا
بالتنزيه والتقديس اعاده ثانيا متعقبا بالتمجيد والتعظيم تأدبا
باداب الله تعالى ثم الكبرياء كمال الذات وهو يرجع الى شيئين دوامه ازلا
وابدا وكونه مصدرا لجميع الاشياء والجلال هو كمال الصفات من العلم
والقدرة والغنى والملك والتقديس والتنزيه وغير ذلك واسناد اللبس
الى الكبرياء والرداء الى الجلال لما ذكرنا من ملاحظة الذات فی الاول و
الصفات فی الثانی اذ اللباس انما هو للبدن كله فهو انسب للاستعارة
للذات والرداء من التوابع كما ان الصفات توابع ونفی التجسد والتمثل
لدفع ما يتوهم من التلبس والتردی من الجسمية والصورة والمعنی انه
سبحانه تفرد بكمال الذات والصفات وليس لاحد ذات وهوية ولا صفة
وحولة الا بالله تعالى والمستوی على العرش بلا زوال العرش من وجه
هو جملة المخلوقات ای هو المحتوی على جميع الموجودات لا يعزب عنه مثقال
ذرة فی الارض والسموات والمستولی على ما دق وجل والمستوی نسبته
الى ما علا واسفل من دون زوال لاحتوائه واستيلائه واستوائه اذ لا
زوال لملكه وسيأتی تفسير العرش والاستواء ان شاء الله تعالى والمتعالی
عن الخلق بلا تباعد منهم المتعالی مأخوذ من العلو مع زيادة مبالغة
فيه والعلو مشتق من العلو المقابل للسفل فهو فی الاصل موضوع
للمعنی الاضافی بالادراك البصری وذلك لمناسبة فهم العوام ثم ان الخواص

لما تنبهوا وجدوا بين المدركات ببصائرهم وبين مدركات ابصارهم الجود
حيث لم يتدرجوا من درجة الحس سوى زيادة استعاروا عنها الالفاظ المطلقة
فالعلی المطلق هو الله تعالى اذ لا يمكن قسمة الموجودات الى درجات متفاوتة
الا والحق سبحانه فی الدرجة العليا كما انقسم الموجودات الى سبب ومسبب
والله فوق الكل اذ هو مسبب الاسباب وكذا الى حی وميت والحی الى در الحاشر
المختلفة فالله حی بذاته لا بحيوة قائمة بالغير ذلك كذا ذكره بعض العلماء
فعلی هذا لما كان العلو قسمين علو مكان وعلو مكانة والله تعالى متعال
عن المكان لا عن المكانة فمعنی العبارة ان الله تعالى هو المتعالی من تعبير الخلق
بلا تباعد مكانا منهم بل هو تعالى لا يخلو عنه مكان مع انه ليس فی شیء وانا — من المكان
اقول النظر العرفانی يحكم بان كل عال الی درجات الاعلاء فانما علوه بالله
لانهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فلله العلو بذاته لا بغيره والعلو بذاته
يستلزم العلو الذاتی اذ ليس درجة من الدرجات الوجودية الا وقد احاط
بها وانه بكل شیء محيط فهو مع كل عال فی علوه ولذا العلو الاعلی فوق كل عال
فليس له العلو الاضافی الكل مستهلك بالنسبة اليه فكيف يتحقق الاضافة
فمعنی الكلام ان الله عز شانه متعال عن درجة خلقه بالقهر لها والاحاطة
بكلها من دون تباعد منهم بان يترتب الدرجات الی ان ينتهی اليه سبحانه
حتی يكون نسبة الاشياء اليه متفاوتة فی القرب والبعد بل هو سبحانه
محيط بجميع الاشياء ومستوی بالنسبة اليها فالعلو الذاتی هو ان يكون
العلی مع كونه فوق الكل يكون مع الكل واقرب الى الكل من انفسهم والى هذا
اشار عليه بقوله بلا تباعد منهم فافهم القريب منهم بلا ملامسة ومنهم الا
انما يتصل بعضها ببعض بالصنع الالهی ويقرب بعضها من بعض بالترتيب

الطبيعي لكن بعضها بالاتصال الحسي كما في ذوات الرحم او المزاجي بان يكون
من نوع واحد او عرض واحد وطائفة منها بالاتصال المقداري والمساس الحسي
حقيقيا او اضافيا وجملة منها بالاتصال العقلي والمساس المعنوي كما في
اتصال الاسباب بمسبباتها واتصال الجزئيات الى كلياتها واتصال الصورة
بموادها والعرض بموضوعها وبالعكس من ذلك كله والله تبارك وتعالى مقدس
عن جميع انحاء الاتصال المتعال عن كل هذه الاحوال لذواتها فاعليته تعالى
للاشياء كالامساك القيومي لان الله يمسك السموات والارض وهو قيوم
السموات والارض ومعيته عز وجل بالقرب الاحاطي وهو اقرب اليكم من حبل
الوريد وهو بكل شيء محيط واقرب اسباب الشيء ومقوماته هو الفاعل الحقيقي
الذي هو جاعل الحقائق والذوات وغاية الغايات لان به قوام الاثبات
وتذوت المهيات ومنه جميع الكمالات ليس له حد ينتهي الحد هو به
نهاية كل شيء سواء كان ذلك في النهايات المقدارية او الاجزاء الخارجية
والعقلية او العوارض والصفات القائمة او الاسباب والعلل المقومة
اذ كل ذلك نهاية لصاحبه ينتهي اليها محققه والباري تعالى شانه منزه عن جميع
ذلك فليس له حد حتى ينتهي هو سبحانه الى ذلك الحد فضيغة تنتهي على المعلوم
او ليس له حد حتى يكون به يمكن ان ينتهي المتفحصون عنه الى حده او ينتهي الامور
المنتهية الى صواحبها الى حده فالفعل مجهول او حملة ليس له حد ينتهي على
التقادير من قبيل ولا ارى المنصب بها يتحجر ولا له مثل فيعرف به المثل
في الاصطلاح الشايع هو المشارك للشيء في امر من الامور سواء كان ذلك
المشارك حقيقة من الحقائق كمماثلة زيد وعمر في الانسانية او صورة
وشبحا لما هو مثل له كما في الصور العقلية والاشباح الخيالية وسواء كان في ذلك

الامر المشترك فيه ذاتيا او عرضيا وظاهر ان الامور المماثلة بالمماثلة الذاتية
انما يعرف بامثالها بان يعرف ولو واحدا من المتماثلين بذلك الذاتي او العرضي
ثم يحكم بذلك في امثاله والله سبحانه بريء من مشاركة شيء معه في ذاتي او عرضي
او صفة من الصفات وحيثية من الحيثيات فلا له تعالى مثل فلا يعرف كما يعرف
الاشياء بالامثال وعندي في بيان العبارة طريقة اخرى اشرف واحرى وهي
ان مبادي المعرفة انما هي الحواس كما قيل من فقد حسا فقد علما وذلك لان الامور
المحسوسة انما هي اظلال وامثلة للامور العقلية كما في الخبر ولكل مثل مثال
فالسالك المعرفة الامور المفارقة انما يصل اليها من الامور المحسوسة ومنها
يكتسب الامور المفارقة فلا يعرف شيء من الامور المفارقة عن المادة الا وله
مثال يماثله في المادة يعرف ذلك من تدبر التشبيهات الحكمية وسلك به سبيل
الهداية والله عز شانه بريء عن اتخاذ المثل في عالم الحس والخيال او يكون
له في العقل مثال فلا له مثل فلا يعرف بالامثال بل هو المعروف بالايات و
الموصوف بالعلامات وتبارك الله رب العالمين ذلك من تجبر عنه وقد عرف
ان المتجبر هو الذي ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع ونفذت
مشيته فيما اراد وليس ذلك الا لله رب العالمين ولمن اذن الله له من رسله
واوليائه المكرمين فكل من ادعى ذلك من غير رضى الله سبحانه فقد افترى وذل
في الاخرة والاولى وقوله عليه السلام عنه متعلق بالتجاوز والمعنى ثبت الذلة
لمن ادعى التجبر متجاوزا عن اتباع الله وعن الاعتقاد بان السلطنة
لله وحده ولو كان ذلك لاحد فانما هو ايضا من نعم الله جل مجده ليميز
الخبيث من الطيب ولو اعجبك كثرته وفي بعض النسخ غيره بدل عنه فيكون غير
للاستثناء ومعناه واضح وبالجملة فذلة الدنيا والاخرة ثابتة لمن تجبر عنه

وعن رضاه انما خلق الدنيا فانه وان راى نفوذ مشيته في بعض امور
واتباع الخلق اياه فيغره ويسمع خفق النعال خلفه وكثرة الرجال
عن يمينه ويساره فانه قد يعجز عن دفاع ادنى بلية يصل اليه وقصير غرور
مما لا يخفى على احد وسينصرف الخلق عنه في اقل زمان كما يرى من تغير الدول
في الازمان واما في الآخرة فسيكشف له الغطاء فيرى انه ليس له من نفسه
سوى الفقر والمسكنة والعدم وفقدان النعمة وان الكل من نعم الله حيث
اسند حبرها ويرى ايضا براءة التابعين عن المتبوعين حيث حكم الله كلهم
بالنار وعذابها ومن البين انه كيف يجوز للمخلوق الذي لا يملك لنفسه
ضرا ولا نفعا ان يتجبر من دون الله وليس من يتجبر الا وفي زمانه وقبل او بعد
احد من هو فوقه بمراتب والحق ان يكون للمملوك الذي لا يقدر على شيء او نفعه
قدرته فيما يشاء وليس لاحد الا وله اعداء لا يقدر على دفعهم ولم يامن مكرهم
وانما المتجبر الحق للغني المطلق ولمن اذن الله له وامره باتباع طريقته الفاضلة
والاقتداء بسنته العادلة وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي وقال صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد ادم ولا فخر وصغر من تكبره دونه المتكبر من بعد الكل حقيرا صغيرا
بالاضافة الى نفسه ولا يرى العظمة والكبرياء لغيره فينظر اليهم نظر الملوك
الى العبيد فان كانت هذه الرؤية صادقة كان متكبرا حقا والا كان باطلا
مذموما ولا ينبغي ذلك الا لله تعالى لان الكل بالنسبة اليه عبيد خاضعون
فقراء حقيرون واما غيره سبحانه فهو عبد مملوك والمملوك لا يملك
شيئا ولا يقدر على شيء بالحقيقة اذ الكل نعماؤه والاولى والاخرة فليس يختص بها من يشاء من عباده ولما
العارف الزاهد فهو وان كان مستصغر الدنيا ذلك بالنسبة الى نفسه بل بالاضافة الى الله تعالى كيلا يشتغل به عن الحق جل

وعلو

وعلا فهو يتكبر على كل شيء سوى الحق والمعنى ثبت الصغر والحقارة لمن تكبر
سوى الله سبحانه اذ له الكبرياء في الارض والسموات ولا ينبغي لما سواه وتواضع
الاشياء لعظمته العظمة عبارة عن كمال الذات والصفات جميعا والتواضع
هو خفض الجناح واظهار الذلة فكل شيء ذليل خاضع له ولعظمته اما
باعتبار ذاته سبحانه فلان الكل ما هو الا سوى وجهه الكريم واما باعتبار صفاته
فان الكل مظاهر احكام صفاته تقلبه حيث شاء الله تعالى وانقادت
لسلطانه وعزته السلطان مصدر كالغفران بمعنى القهر والعزة هي الغلبة
وقهر الاشياء وسلطانه عليها هو كونها مسخرة تحت قدرته عاجزة في قبضته
بحيث ينفذ مشيته فيها ويتصرف فيها كيف يشاء وكلت عن ادراكه طرف العيون
كل عن العمل اذا عيي والطرف بالسكون تحريك الجفون في النظر ولما لم يكن — تحريك الجفون ه
سبحانه في جهة من الجهات فلا يدركه الابصار وان حدقت نحوه كيف او وهما
القلوب لا تصل اليها فانه ابصار العيون عن ذلك وعجزت دون بلوغ صفته
اوهام الخلائق لما ذكر عليه بانه تعالى لا يدركه الابصار اشار الى عدم ادراك
اوهام الخلائق القلوب اياه بابلغ وجه حيث نفي ادراك الاوهام لبلوغ
صفته فكيف عن الوصول الى جناب كبريائه فالخائضون في صفاته بانها
عين الذات او قائمة بها او بانفسها كلهم عادلون بالله وملحدون في اسمائه
وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته وانما التي وصف بها نفسه
عز شانه هي بالنسبة الينا صفات واما الصفات احاطة الاول قبل كل شيء
والاخر بعد كل شيء ولا بعد له شيء كل ما هو اول في الموجودات فانما ه
يكتسب الاولية من الله سبحانه وكذا الاخر اذ لو كان ذلك من نفسها
لاستغنت عنه تعالى فيها ولا يستغني عنه شيء في شيء بل الاولية .

بمعرفته شانه اذ الشيئية له مستفادة منه فلا يتقدم متقدم الا باقتضائه ولا يتأخر
متأخر الا به تعالى فالاولية والاخرية بالاطلاق هو لله سبحانه والبيان العرفاني
لذلك ان كل واحد من الاشياء فله طرفان اول واخر فالله هو الاول اذ هو مبدأ
الوجود وهو الاخر اذ هو معاد كل شيء فهو اول بعين ما هو اخر والا اختلفت
فيه الجهات وليست اولية بالنظر الى شيء هو اخر والا لكان بعد لشيء اذ
المتضايفات متعادلان فجملة لا بعد لشيء بعده كما الاولية والاخرية لذلك
التبيان فاحتفظ بذلك فانه من سحر البيان الظاهر على كل شيء بالقهر
الظاهر هنا بمعنى الغالب كما يشير اليه تعديته بعلى والقهر هنا عبارة عن افناء الكل
بالفناء السرمدي والحكم على الكل بالهلاك الذاتي والعدم الحقيقي والظهور
بهذا المعنى يستلزم الظهور بمعنى عدم الخفاء لانه اذا كان كل شيء هالكا
فالظاهر بالذات هو الله لا غير ولو لم يقهر كل شيء لما ظهر في كل شيء والمشاهد
لجميع الاماكن بلا انتقال اليها قد ورد في بعض الاخبار ان كل سافل من الكرات
الجسمانية بالنسبة الى العالي كحلقة في فلاة ويوافق ذلك ما ذكره علماء
الهيئة وكذلك نسبة جميع الكرات الجسمانية بالنسبة الى الكرات الروحانية
المعبر عنها بحجب النور وغير ذلك هي تلك النسبة بل اقل من ذلك بكثير واذا كانت
نسبتها الى امثالها كذلك فما ظنك برب العالمين الذي احاط بكل شيء
علما اذ هو بكل شيء محيط فالمكان والمكانيات بالنسبة الى افق جبروته
كنقطة سوداء في بياض صبح السماء وكذا الزمان والزمانيات بالنظر
الى بقاء ملكه كآن لا يتجزى فتبين انه لا يحتاج سبحانه في مشاهدة الاماكن
الى انتقال او زوال من حال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وهو
بكل شيء عليم ولا تلمسه لامسة ولا تحسه حاسة قد مضى تحقيق وجوه الملامسة
سر

وانها

وانها كلها عن الله منفية ونفى ادراك الحواس اياه على العموم لانها نكرة منفية
فكما انه لا يصل اليه الحواس الظاهرة فكذلك لا يدركه الباطنة ومن تلك الالات الادراك
هو الاحاطة بالشيء في الحقيقة ولا يحيطون بشيء من علمه هذا من جهة المدرك
واما من جهته سبحانه فهو ان المحسوس لا بد وان يكون جسمانيا وهو منزه عن الجسمية
ولوازمها وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم لعل الغرض
من الاية ان نسبته سبحانه الى الكل سواء فلا يتوهم ان اهل السماء لا يعبدونه
لقربهم من كرسي عظمته او لرفعة مكانهم بل هم يعبدونه ويتألهون اليه كما ان
اهل الارض يعبدونه ويتضرعون اليه وفي الخيرات الملا الاعلى يطلبونه
كما تطلبونه انتم والحكيم العليم الذي يعلم نظام الخير في الاشياء ويضعها على وجه
يؤديها الى اصلها وغايتها ويترتب على مجموعها الخير المحض والكمال المطلق
اتقن ما اراد خلقه من الاشياء كلها بلا مثال سبق اليه ولا لغوب دخل عليه
في خلق ما خلق لعله يمكن ان يكون هذه الجملة بيانا للحكيم وان يكون وصفا
برأسها كالامر في سوابقها واللغوب التعب ويظهر منها امور الاول ان فعل
الاحكام متقدم على الارادة اذ الارادة انما يتعلق بالمكونات وهي امثلة
للعقليات فيكون قبل الوجود الكوني والشهود الخلقي في عالم آخر فوق هذا
العالم الجسماني الثاني ان هذا الوجود المتقدم لا يختص بموجود دون
اخر كما زعم المتفلسفة بل لكل موجود من الموجودات وجود في عالم الاله تعالى
الثالث ان هذا الايجاد السابق ابداع محض بلا مثال سابق بحيث لا يتقدمه
موف
وجود آخر في عالم آخر فوقه اذ ليس الابداع الا لله المتفرد بالقدم بخلاف العوالم
فانها
التي بعد الابداع كلها امثلة لما في عالم فوقها هو مرتبة الابداع الرابع ان
هذا العالم اعلى العوالم واقربها بالنظر الى جوار الله حيث نصب نسب ذلك

الخلق الى ما لا يدبر وليس ذلك الا الوجود العقلى فى العالم الالهى فتبصر انشاء
ما اراد ابتداءه وانشاء ما اراد انشاءه على ما اراد من الثقلين الجن والانس
لفطرة على تخيير اى على النهج الذى اراد وقوله من الثقلين بيان لما فى قوله ما
اراد ابتداءه وما اراد انشاءه كما ان الجن والانس بيان له والابتداء والانشاء
متقاربان وهو جعل الشيء اولا مرة من دون ان يسبقه امر ويمكن ان يكون
الاول اشارة الى الوجود النفسى والعالم المتوسط المثالى بناء على ان يكون
المراد بالارادة هى المشية كما ورد فى بعض الاخبار والثانى الى الوجود الكونى
اذ الانشاء بمعنى الاظهار واعلم ان هذا المعنى بالنسبة الى كل موجود بعينه
كما فى الصحيفة السجادية كل نعمائه ابتداء وتحقيق ذلك من علم الراسخين ونشر
الى المعنى لمن كان اهله فاعلم ان الاشياء سواء كانت فى وجوداتها العقلية
او النفسية او الكونية فهى بالنظر الى جاعلها القيوم لا يتقدم شيء منها
على صاحبه بل كلها بالنظر اليه سبحانه سواسية ولولا لاختلفت نسبته
عز شانه اليها وذلك ممتنع على جل مجده وانما التقدم والتاخر والسابقية
والمسبوقية لها بالنظر الى انفسها بل العوالم الثلثة الشريفة بالنظر اليه جلت
الائه ليس واحد منها باقدم على الاخر بل كلها بالنظر اليه فى مرتبة سواء كما قال
عز من قائل الرحمن على العرش استوى وفى الخبر فى تفسيره استوى من كل شيء فلا
يقرب منه قريب ولا يبعد منه بعيد فاحتفظ بذلك والله المعين ليعرفوا بذلك
ربوبيته ويمكن فهم طواعيته هذا تعليل لارادة خلق الثقلين والفعلان
من باب التفعيل والطواعية الاطاعة كالكراهية بمعنى الكراهة وكلتاهما
بتخفيف الياء التحتانية اعلم ان التعريف انما هو ابانة الشيء وجعل ظاهرا
مكشوفا ولما كان عالم الربوبية عظيم الفسحة طويل الوسعة بحيث لا يحيط

بد

به مدرك من المدارك العالية والسافلة وكان فى حقايق الاسماء النورية
الواقعة فى افق ذلك العالم الشريف ان يفيض من نورها على ما فى حيطتها من
المظاهر الواقعة تحتها وتطلع من مطالعها ليستضيء ما يحاذيها من ارض عالم
الكون بانوارها وقع الامر الالهى باظهار ما استودع فيها من الانوار وابراز
ما يكمن فيها من الاسرار ليعلم كلهم انهم عباد مربوبون واذلاء داخرون وكلهم
لله مطيعون منقادون لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا حيوة ولا نشورا
وقد تكلم نطق بذلك الشتات اجزاء الوحى اعلام الهدى منها باسمك الذى 	الوحى ٢
خلقت به العرش والكرسى وباسمك الذى خلقت به السموات والارض ومنها
ما يحضرنى من دعاء يوم الاثنين باسمك الذى تجرى به الليل والنهار وجرت
به الشمس والقمر والنجوم وبه انشات السحاب والمطر والرياح والذى به
تنزل الغيث وتدر به المرعى وتحيى العظام وهى رميم والذى ترزق من فى البر
والبحر تكلوهم الى غيره لك من الادعية وبالجملة فتعريف الربوبية عبارة عن اظهار
اثارها من الحقايق واسرارها اذا الشيء الذى لا سبيل الى معرفة حقيقته انما
يعرف باثاره فاعرف ذلك فانه من اسرار علم الربوبية وكفى بما قلنا شهادة
وفى القدسيات كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف اشارة الى الاول وقوله
حكاية عن الخليل عليه السلام اسلمت لرب العالمين وقوله سبحانه وله اسلم من فى
السموات والارض طوعا اشارة الى الثانى الاسلام الانقياد والاطاعة و
بالجملة المعنى انه تعالى خلق الثقلين لابانة ما خفى من اسرار الربوبية و
اقتضى ظهور احكامها لا ما اشتهر بين العلماء من انه خلق الخلق لانه جواد
لان ذلك كلام من لم يشم رايحة التحقيق وكذلك خلقهم ليمكن فهم انهم مطيعون
منقادون هالكون ليس لهم من انفسهم الا العدم اذ روية هلاكهم غاية

الطاعتهم وانقيادهم كما ورد عن الائمة الطاهرين عليهم السلم في دعاء ليلة الخميس
والخلق مطيع لك خاشع من خوفك لا يرى فيه نور الا نورك ولا يسمع فيه صوت
الا صوتك فافهم نحمده بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها اى نصفه بجميع
صفاته الحسنى وكمالاته العليا التى وصف هو بها نفسه باظهار عجايب صنايعه
وغرايب بدائعه على جميع نعمائه التى هى ظهورات آثار تلك الصفات والاسماء
ومرايا انوارها بمعنى انا نحاذى ذلك المجموع بهذا المجموع على نسق الكل المجموعى
والمعنى نقر بان جميع نعمائه من لوازم جميع صفاته ومقتضيات اسمائه ويحتمل
ان يكون على سياق الكل الافرادى فى الجميع الثانى اذ لعظم النعماء المضاف اليها
الجميع مفردة والمعنى نحمده بجميع صفات الكمال ونعوت الجلال على كل واحد
من النعم التى هى آثارها بمعنى ان لكل صفة من صفاته الحسنى دخل فى ظهور تلك
النعم وهذه النعم مستبشرة عنها ونستهديه لمراشد امورنا المراشد جمع مرشد
وهو طريق الرشاد اى نسأله ان يهدينا طرق الرشاد ويوصلنا الى سبل السداد
ونعوذ به من سيئات اعمالنا لا بد فيه من تقدير مضاف اى نعوذ بالله من ارتكاب
الاعمال السيئة الصادرة عن ابناء نوعنا او من تبعات الاعمال السيئة الصادرة
منهم حتى لا تعم جميع الافراد عقوبة ما يصدر عن بعضهم ونستغفره للذنوب
التى سلفت منا هذا وما قبله بالنظر الى غيرهم كما فى آية المغفرة من سورة الفتح ٥
ونشهد ان لا اله الا الله قد سبق ما يليق بشرح تلك الكلمة الشريفة ولنا
فى تحقيق تلك الكلمة رسالة منفردة من اراد ذلك فليطلب منها وان محمدا عبده
ورسوله بعثه بالحق العبودية التامة هو الافتقار الكلى والخروج عن الكل
والمحاذاة بالقلب الصافى شطر نور الحق الغنى وسيجئ فى اواخر الكتاب تحقيق
معنى الرسول ومعنى بعثته صلى الله عليه وآله وهو كونه مأمورا من جانب الله باصلاح

هذا النوع بواسطة استجماعه للآداب الالهية وخصايص السفارة
الربانية من اوصاف كريمة يشملها خصايص ثلثة متعلقة بروحه ونفسه
وحسه اما الاول فلكونه متحققا بالعلوم الالهية عالما بحقايق
الاشياء والملكوت الاعلى وحقيقة النفس وكلتى نشأتيها واحوال الخلائق
فى تلك الدار ورجوع الكل الى الواحد القهار علما مستفادا من الهام الله
بالكشف الروحى والوحى النبوى لا بوسيلة التعلم البشرى والتعمل الفكرى
واما الثانية فكونه ذا قوة باطنة تتمثل له الحقايق بكسوة الاشباح
بل تسرى قوته الى الحس فهى تنجح له فى هذا العالم فيشاهد الملك عيانا
ويسمع كلام الله كفاحا ويطلع على المغيبات ويخبر عن الكائنات واما
الثالثة فكونه ذا قوة قوية وبسطة شديدة يقهر على الاعداء ويتسلط على
الخصماء وكونه ذا اقتدار على تجهيز الجيوش وتثبت فى الحروب ومصابرة
على الشدايد ففى الاول يكون بعقله ملكا بل فوقه وفى الثانية بمرآة نفسه
فلكا بل ارفع منه وفى الثالث ملكا بل اعظم من الملوك وذلك لان اصول
النشآت ثلثة نشأة الحس ونشأة النفس ونشأة الروح والعوالم ثلثة
عالم الدنيا والآخرة والربوبية والانسان بحسب غلبة كل نشأة داخل فى واحد
منها ولما النبى فله جامعية النشآت لكونه كامل القوى الحسية والخيالية
والعقلية فله السيادة العظمى والرياسة الكبرى والخلافة الالهية فى العوالم
كلها هكذا افاد بعض الاعلام دالا عليه وهاديا اليه فهدانا به من الضلالة
واستنقذنا به من الجهالة الفقرتان الاولتان لبيان فايدة البعثة
ونتيجة الرسالة والاخيرتان لبيان حصول تلك من بعثته صلى الله عليه وآله
فان الغرض من بعثة الرسول سياقة الخلق الى رضوان الله الاكبر وهدايتهم الى جوار الله

ومكتوبة الانور وذلك انما ينوط باصلاح الجزء العملي من الانسان بالتصفية
والتهذيب وهو المشار اليه في العبارة الاولى وتكميل الجزء العلمي بالتحقق
بالحقائق والمعارف الالهية والتقرب من الملأ الاعلى والملئكة القدسية
وهو المعبر عنه في العبارة الثانية وانما كمل ذلك التكمل بوجود سيد المرسلين
وخلافة وصيه امير المؤمنين فالدين من عهد آدم عليه السلم انما كان في التكامل
بسلوك الانبياء عليهم السلم سبيل الحق الى عهد نبينا صلى الله عليه وآله فسلك
هو عليه السلم جميع المسالك التي سلكها السابقون وتحقق بجميع المعارف
التي آخرها الاولون حتى تداركته العناية الازلية وبلغ في القرب الى المرتبة
الكمالية وهو مرتبة او ادنى فاستعد لسعادة الوصول الى الايمان العيانى وهو
سر فاوحى الى عبده ما اوحى ثم اودع ذلك كله في صاحب الخلافة الكبرى والامامة
العظمى فنزل اليوم اكملت لكم دينكم ومما يدل على ذلك كله في صاحب الخلافة
مشاهدة النبي صلى الله عليه وآله وقوف الانبياء في مقامات السموات بحسب
درجاتهم وصعوده عن مقاماتهم الى الغاية القصوى وكذا اقتداؤهم عليهم السلم
في الصلوة خلفه وكذا ما ورد في الخبر انه صلى الله عليه وآله قال مثلي ومثل الانبياء
من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنها واجملها واكملها الا موضع لبنة من زاوية
من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون الا
وضعت ههنا لبنة فيتم بناؤه فقال صلى الله عليه وآله فانا تلك اللبنة
من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ونال ثوابا كريما ومن يعص الله
ورسوله خسر خسرانا مبينا واستحق عذابا اليما اعلم ان الناس في الايمان
بالله واليوم الآخر ومعرفة الملائكة والكتب الالهية والدنيا والآخرة على
ثلث طبقات وذلك لانهم اما ان ينالوا الى ذلك بالهام الله ووحيه من غير

تعليم

تعليم بشري ام لا والثاني اما ان يصلوا الى المقام الاستفاضة من الله بحسب
التابعية من غير تعمل فكري او معه فالاولون هم الانبياء الاخيار والآخرون
بكلتي طبقتيهم الاولياء اولوا الابصار والاستبصار والحكماء والعلماء النظار البصائر
والطبقة الثالثة هم اهل التقليد من الجماهير والعوام من المسلمين ولما كان
نبينا صلى الله عليه وآله هو اول من قرع باب الوجود والايجاد كما قال اول ما
خلق الله نوري وانما استنار بنوره جميع من في الارض والسموات اما
لكونه اول الوجود او لكونه غاية الايجاد فكما اكتسى الكل نور الوجود بواسطته
كذلك اقتبس الاولون والآخرون نور العلم والمعرفة من مشكوته دل على ذلك
البراهين العقلية والآثار النقلية والمكاشفات الذوقية فالتخلق
باخلاقه والتادب بآدابه في اوامره ومناهيه مما يوجب استعداد القبول
المعارف الالهية الفائضة على قلبه صلى الله عليه وآله على سبيل الانعكاس على
قلب ذلك المؤمن به المطيع لله ولرسوله وكذا في الآخرة يستنير بشعاع
شفاعته ويسقى من حوضه وذلك هو الفوز العظيم والوصول الى النعيم
ومن لم يكن متادبا بآدابه ولا متخلقا باخلاقه ولا متقلدا احكامه ولا
متشبها بمن سلك على سبيل اتباعه فليس له الا الوحشة والعمى والظلمة و
الضلالة والخسران والوبال وعلى ذلك جرى القلم ونفذ حكم القضاء الحتم
فابخعوا بما يجب عليكم من السمع والطاعة صيغة الامر من البخع بتقديم الموحدة
على الخاء المعجمة وهو اما بمعنى القهر والاذلال قال في النهاية في الحديث اتاكم
اهل اليمن ارق قلوبا وابخع طاعة اي ابلغ وانصح من غيرهم كانهم بالغوا
في بخع انفسهم اي قهرها واذلالها انتهى فالمعنى على ذلك بالغوا في احتمال
ما يجب عليكم وينبغي لكم من سماع آيات الله واحكامه واوامره وزواجره وطاعة

الرسول فيما يأتيكم به من الله لكي تفوزوا بالسعادة وتصلوا الى نعيم الجنة واما
من نجع الحق نجوعا اذا اقربه والمعنى فاقروا واستسلموا للامور الواجبة
من المتابع عن الرسول وطاعته وطاعة اولى الامر بعده وغير ذلك مما ذكر
عقيبه واخلاص النصيحة وحسن الموازرة النصح خلاف الغش والخلاصة
مبالغة فيه والموازرة هي المعاونة سواء كان بالنفس او المال او القول
او غير ذلك واعينوا انفسكم بلزوم الطريقة المستقيمة وهجر الامور المكروهة
من اقسام الموازرة هي معاونة الاخوان بلزوم الطريقة المستقيمة وهدايتهم
اليها والطريقة المستقيمة هي الملة الحنيفية والشريعة السمحة التي هي العدالة
بين طرفي الامور في الاخلاق والاعمال وهجران الامور المكروهة من الميل
الى ذينك الطرفين وهو سبيل الانبياء والاولياء ولذلك ورد في تفسير
الطريقة انها ولاية علي عليه السلام وذلك لان الكل انما فازوا بالسعادة لاجل
سلوك منهاجه والاقرار به سواء في ذلك الاولون والآخرون وتعاطوا
الحق بينكم وتعاونوا عليه اي تناولوا الحق فيما بينكم بان تقولوا الحق وتنصروه
وتعملوا بالحق وتاخذوه وليعاون كل احد منكم صاحبه عليه وخذوا
على يدي الظالم السفيه اي امنعوه عن الظلم الذي يريده قال في النهاية
في الحديث وان اخذوا على ايديهم نجوا يقال اخذت بيدي فلان اذا منعته
عما يريد ان يفعل كأنك امسكت يديه ووصف الظالم بالسفيه لان العاقل
لا يرضى بالظلم ولا يجوزه اذ الظلم هو وضع الشيء غير موضعه وانما شان العقل
ان يضع الاشياء مواضعها لانه كلمة الله في العالمين ويحق الله الحق
بكلماته وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر المعروف الشيء الذي عرف من الشرع
العمل به والمنكر ما انكره الشارع وكرهه في مصباح الشريعة قال الصادق ع

من لم

من لم ينسلخ عن هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان
ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وامان عصمته لا يصلح للامر بالمعروف والنهي
عن المنكر انتهى ولذا ورد في تفسير قوله تعالى ولتكن منكم امة يامرون بالمعروف وينهون ولكن
عن المنكر ان المراد بتلك الامة الائمة عليهم السلام واعرفوا لذوي الفضل فضلهم معرفة فضلهم
هو تعظيمهم وتبجيلهم والتواضع لهم حسب مراتبهم وانما الفضل الاسنى ولا
للانبياء ثم لاوصيائهم فان الله مكنهم من خزائن لطفه ورحمته وعلمهم من مخزون
علمه واجتباهم لنفسه وجعلهم وسائل سائر الخلق اليه وجعل طاعتهم سبب
رضاه من يطع الرسول فقد اطاع الله وانكارهم سبب سخطه ثم لاصحابهم و
المؤمنين بهم المخلصين لهم فقد اختار الله لنبيه سيد المرسلين من اصحابه طائفة
اكرمهم باجل الكرامة وحلاهم بالاستقامة بصحبته على المحبوب والمكروه وانطق
لسان محمد صلى الله عليه وآله بفضائلهم ومناقبهم فاعتقد محبتهم واذكر فضلهم
ثم الفضل للعلماء من ورثة النبي صلى الله عليه وآله الذين اقتبسوا نور العلم والحكمة
من مشكوته وعملوا بما علموا ثم للوالدين ثم لكبراء المسلمين من لم يوقر كبيرنا
فليس منا ثم لذوي الدولات الظاهرة ولارباب الانعام والاعطاء وفي الخبر
من لم يشكر الناس لم يشكر الله وهكذا اعصمنا الله واياكم بالهدى اي جعل الله
هدايته لنا الى الحق سببا للعصمة من الباطل وثبتنا واياكم على التقوى تفسير
التقوى هو ان تترك ما ليس باخذه باس حذرا مما به باس وعن الصادق عليه السلام
في مصباح الشريعة التقوى هو ان تترك ما ليس باخذه باس وعن الصادق عليه السلام
في مصباح الشريعة التقوى على ثلاثة اوجه تقوى بالله في الله وهو ترك الحلال
فضلا عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص وتقوى من الله وهو ترك الشبهات
فضلا عن الحرام وهو تقوى الخاص وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك

الحرام وهو تقوى العام وفيه ايضا التقوى للطاعات كالماء للاشجار واستغفر الله
لي ولكم اقول عسى الله ان يغفر ذنوب شيعته بالحجة من طلب المغفرة لنفسه آمين رب
العالمين **الخطبة الثانية** وهو الخطبة الثانية الشريفة التي عجزت عن الاتيان بمثلها
غيرهم عليهم السلام ونعما قال استادنا الحكيم الالهي قدس سره العلي من انه يجب على كل مؤمن
شيعي ان يقراها مكان التعقيب في كل صبح يومه لما فيها من ذكر المعارف
والحقائق مما لا يصل اليه الحكماء الفاضلون والعرفاء الكاملون باسناده عن محمد بن
يحيى بن عمر بن علي بن ابي طالب عليه السلام قال سمعت ابا الحسن الرضا عليه السلام يتكلم بهذا
الكلام في التوحيد وباسناده ايضا عن القاسم بن ايوب العلوي ان المامون
لما اراد ان يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الامر من بعده يعني الخلافة وولاية العهد
جمع بني هاشم فقال اني اريد ان استعمل الرضا على هذا الامر من بعدي فحسده
بنو هاشم فقالوا اتولي رجلا ليس له بصيرة بتدبير الخلافة فابعث اليه ياتنا
فنرى من جهله ما نستدل به عليه وفي بعض النسخ ياتك وهو مجزوم لكونه بعد الامر
فنرى من باب الافعال على المتكلم وهو منصوب بتقدير ان وفي بعض النسخ فترى
على الخطاب من المجرد فبعث اليه فاتاه فقال له بنو هاشم يا ابا الحسن اصعد المنبر
وانصب لنا علما نعبد الله عليه فصعد عليه السلام فقعد مليا لا يتكلم مطرقا
المليّ بتشديد الياء من غير همز صفة استعملت استعمال الاسماء وهو الساعة الطويلة
وعن ابي علي الملي المتسع يقال انتظرته مليا من الدهر اي متسعا منه وبالجملة
التركيب دال على السعة والطول منه الملاءة المتسع من الارض والجم الغفير من القوم
ثم انتفض انتفاضة واستوى قائما الانتفاض بالفاء والضاد المعجمة معروف
وحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه واهل بيته ثم قال اول عبادة الله معرفته
اذ العبادة متوقفة على الايمان به سبحانه والايمان انما يتفرع على معرفته ثم

اذ الايمان

اذ الايمان هو الاقرار بوجوده وهو بعد العلم بالوجود لان التصور متقدم
على التصديق واول العبادة يمكن ان يكون من جملة العبادة بمعنى كونه
اول افرادها وعليه ورد افضل العبادة معرفة الله ويمكن ان يكون بمعنى
ما يتوقف هي عليه ويتقدم هو عليها فلا يكون من العبادة واصل معرفة الله
توحيده وذلك لان الله سبحانه ليس له مقوم الوجود ولا مقوم الماهية
لتقدسه عن المعلولية والتركيب فلا يعرف بهما فما يحصل به معرفته وبيان
برهويته ان يوحده مما سواه ويفرده مما عداه بان لا يحكم عليه بالتشريك
او التشبيه مع شيء من الاشياء انه لا شريك له ولا شيء يشبهه اذ الشركة
والشبه يستلزم الكثرة في حقيقته وصفاته وذلك ينتظم بان نفي الصفات
عنه تعالى عينا وزيادة بمعنى ان ليس في ذاته سبحانه مصداقا لتلك المفهومات
كما ان غيره كذلك بل صفاته جل سلطانه صفات اقرار لا صفات احاطة
وانتزاع والى هذا اشار عليه السلام بقوله ونظام توحيد الله نفي الصفات
عنه اي الذي ينتظم به التوحيد الحقيقي ويصير به العارف بالله موحدا
حقيقيا هو نفي الصفات عنه بمعنى ارجاع جميع صفاته الحسنى الى سلب
نقايضها ونفي مقابلاتها الا ان ههنا ذاتا وصفة قائمة بها او بدلها
او انها عين الذات بمعنى حيثية كونها ذاتا هي بعينها حيثية كونها
مصداقا لتلك الصفات بان يكون كما انها بنفسها فرد من الوجود كذلك
يكون فردا من العلم والقدرة وغيرها فردا عرضيا بشهادة العقول ان كل
صفة وموصوف مخلوق هذا ابطال القول بالصفات العينية والعارضة
اي العقل الصريح الغير المشوب بالشبهة والشكوك يحكم بمخلوقية الصفة
العينية والعارضة اي العقل والموصوف سواء كانت الصفة عينية او زائدة

قائمة بذاته تعالى بيان ذلك على القول بالزيادة ان تلك الصفات لمكانت
عارضة وكل عارض اما ان يكون واجبا او ممكنا ومن البين انه يمتنع وجوبه
لان الصفة حقيقتها الشيء المحتاج وذلك يناقض الوجوب الذاتي فتعين ان يكون
ممكنا وكل ممكن عارض لا بد له من علة لكونه ولعروضه فلا محالة يكون تلك
العلة هي الذات فالذات لا محالة علة لعروض تلك الصفة لنفسها فيكون
الصفة والموصوف كلاهما متعلق الجعل اما الصفة فظاهرة معلوليتها واما
الموصوف فلان كونه موضوعا لهذا العارض معلولية له وان كان من نفسه
وهذا معنى ما نقول يلزم كون الشيء فاعلا وقابلا فان قيل لعل علة
العروض نفس الصفة بمعنى انها بنفسها تقتضي العروض لتلك الذات فنقول
ننقل الكلام الى علة نفس الصفة فاما ان يكون هي الذات فيرجع الى ما قلنا
آنفا واما ان يكون غير الذات فيلزم معلولية الصفة والموصوف للغير
وهو الذي رددناه واما على القول بالعينية فبانه مع تسليم اتحاد حيثية
الذات والصفات لا شك من ان اعتبار كون تلك الحيثية حيثية الذات
متقدم على اعتبار كونها حيثية الصفات اعتبارا واقعيا نفس امريا لان
الذات متقدم بالذات على الصفات ومنع هذا مكابرة صريحة اذ الوصف
مفهومه الشيء المحتاج المتاخر عن الموصوف لامتناع كونه متقدما او معا
بديهة فاذا تحققت القبلية والبعدية الذاتيتين اتضحت العلية والمعلولية
بين الذات والصفة واذ فرضت العينية فالذات باعتبار علة وباعتبار
معلول وهذا واضح بحمد الله لكن من يضلل الله فما له من هاد وبوجه آخر
ان القائلين بالعينية يقولون ان الذات كما انها فرد عرضي للوجود كذلك
بنفس حيثيته انها ذات فرد عرضي للعلم والقدرة وغير ذلك فيلزمهم بناء

على

على ما هو المبرهن عليه عند اهل المعرفة من جعل الطبايع بالذات والحقيقة
ان جميع تلك الطبايع العرضية مجعولات الحقيقة فيلزم مجعولية الذات
والصفات بالبديهة اذ جعل الطبيعة انما يكون بجعل الافراد وان كان
ذلك للافراد بالعرض هذا كله مع قطع النظر عن استحالة العينية وامتناع
اتحاد الذات والصفة اذ الذات هو المحتاج اليه المستغني بذاته والصفة
هي المحتاج المفتقر الى الموصوف ومن البين امتناع اتحادهما للزوم كون
المحتاج محتاجا اليه وبالعكس المستلزم لاحتياج الشيء الى نفسه وشهادة
كل مخلوق ان له خالقا ليس بصفة ولا موصوف هذا كبرى القياس وصورة
القياس هكذا كل موصوف وصفة مخلوق وكل مخلوق فله خالق غير صفة
وموصوف اما بيان الصغرى فبما ذكرنا وبان الحكم بكون الشيء موصوفا
بصفة كذا انما يصدق بان يتعلق به العلم ويحصل المعرفة بان ذاته مقتضى
تلك الصفة بل يستدعي العلم بذاته اذ الكلام في الصفات الذاتية اي
التي يقتضيها الذات بذاتها من دون حيثية اخرى والعلم بالشيء انما
يكون بالاحاطة اذ ما لم تحط النفس بالشيء لم يتحقق العلم سواء كان العلم
بطريق الحصول او الحضور او الاتحاد كما لا يخفى وهذا معنى قولهم عليهم السلام
ان الوصف جهة الاحاطة كما يجيء والاحاطة بالشيء يستلزم معلوليته للعاقل
اذ النفس انما تعقل عند رجوعها الى ذاتها فما ليس له سنخ في ذات
النفس يمتنع تعقل النفس اياه وهذا من علم الراسخين ولا نخوض في
ذكره اكثر مما ذكرناه وبالجملة المحيط بالشيء وفوق الشيء فوقية عقلية فوق الشيء
لا محالة علة له بل لا معنى للعلية الا الفوقية العقلية والاحاطة الحقيقية
واما الكبرى فلان كل مخلوق لا بد له من خالق لتوقف الظاهر اذ وجود الحادث

طرفي الاضافة يستلزم وجود الطرف الاخر بالضرورة واما كون ذلك الخالق
غير صفة ولا موصوف فلانه لو كان كذلك لكان له اضافة الى ويتسلسل ولان
الموصوف عبارة عن الذات التي لها الصفة والذات بمحض الذات من دون اعتبار
صفة متقدمة على الذات مع الصفة على ما هو حكم الهليات ولان للموصوف
له اثنينية وان كانت اعتبارية فانما يتقدمها الوحدة الذاتية اذ الواحد
متقدم بالطبع على الاثنين ولان كل مركب فانما علته بسائطها وينتهي
ببرهان انتهاء العلل الى ما لا ابسط منه وهو الذات الاحدية الصرفة التي
لا شيء فوقها ولا يسع فيها اسم ولا رسم ولا نعت ولا وصف كما في حديث
عمران الصابي على ما في اخر الكتاب من انه سبحانه لم يزل واحدا لا شيء معه
فردا لا ثاني معه لا معلوما ولا مجهولا ولا محكما ولا متشابها ولا مذكورا
ولا منسيا ولا شيئا يقع عليه اسم شيء غيره انتهى فتبارك الله رب العالمين
فاحفظ البيان والله المنان وشهادة كل موصوف وصفة بالاقتران هذا
تعميم في البرهان ليشمل بطلان الصفات القائمة بذاتها وان كان الدليل
الاول جاريا فيه بادنى عناية ومعناه ظاهر وذلك لان كل صفة من حيث
هي صفة وكذا كل موصوف من حيث انه كذلك يلزم اقتران كل منهما لصاحبه
سواء في ذلك العينية وغيرها وهو صغرى القياس وشهادة الاقتران بالحدث
هذا كبرى الدليل اما دلالة الاقتران على حدوث نفسه فظاهرة لانه نسبة
بين الشيئين يتفرع على وجودهما واما حدوث الصفة فلانها فرع الذات
الموصوفة بها على ما هو مفاد الهليات سواء في ذلك الصفات العينية
وغيرها بالاعتبار الذي بينا واما حدوث الموصوف فلانه مما لا ينفك
عن الحادث حادث ولان لزوم وجود الملزوم بدون اللازم ولان محل الحوادث

لتغيره

لتغيره بها لا يكون قديما وشهادت الحدث بالامتناع من الازل الممتنع من الحدث
هذا واضح بحمد الله وحاصله ان الحدوث هو المسبوقية بالعدم مطلقا و
الازل هو اللامسبوقية فكل حادث يمتنع ان يكون ازليا وكل ازلي يمتنع
ان يكون حادثا بوجه من الوجوه ومن ذلك قيل ان افلاطون الالهي انكر وجود
حوادث لا الى نهاية للزوم التناقض الذي ذكرنا فافهم فليس لله عرف من عرف
بالتشبيه ذاته هذا تفريع على النتيجة التي هي رجوع الصفات الى سلب النقايض
لابطال من يدعي معرفته سبحانه بصفاته وذلك لانه يستلزم التشبيه اذ الوجود
المطلق والعلم المطلق وغير ذلك من الصفات انما يتحقق في غيره سبحانه على ما
يدعونه فاذا لو عرف شانه بصفة من هذه الصفات يلزم ان يشتركه والباري
القيوم لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء لمنافاته التوحيد الذي حققناه وسيجيء
زيادة بسط لذلك في فصل الصفات ولا اياه وحد من اكتنهه الاكتناه هو
البلوغ الى كنه الشيء اعلم ان الواحد الحقيقي هو الذي لا ثاني له ولا يمكن تكثره
بوجه من الوجوه لا في الخارج ولا في التعقل والتوهم فمن ادعى الوصول الى كنهه
سبحانه فقد تصوره وجعله متكثرا واثبت له ثانيا اذ كل شيء يصير معقولا
فانما هو باعتبار صورة له في التعقل لا محالة اما حادثة او ثابتة في ذات
العقل وذلك ينافي الوحدة المحضة الحقيقية فاعرف ولا حقيقته اصاب
من مثله اذ ليس له سبحانه مثال في العقل ولا في الخيال ولا مثال له في الخارج
حتى يعرف به فمن زعم انه عرفه بالمثل والمثال فلم يصب حقيقته على ان المعرفة
بالمثل لا يؤدي الى الحقيقة اذ المثل هو المماثل اما في الذات او في الاعراض
والصفات فلو كان له سبحانه مماثل في الماهية فمعرفة مثله وان امكن معرفته
جهته لكن لا يمكن معرفة حقيقته الخارجية وكذا لو كان لغيرشانه مماثل

فى الاعراض اذ معرفة الشيء بالعوارض لا يودى الى معرفة حقيقته وذاته
ولابه صدق من قال فهى تنهية يبلغ منتهاه وذلك لان التصديق
اليقينى والايمان الحقيقى باشجل مجده هو انه لا يبلغه العقول وانه لا نهاية
له سبحانه كما ورد لا منتهى لغايته فمن زعم انه وصل اليه فلم يصدق به وانما وصل
الى غيره ويحتمل ان يكون المعنى ليس التصديق بانه بلغ منتهاه تصديقا اذ يمتنع
حصول هذا التصديق لاحد غيره عز شانه ولا صمده من اشار اليه صمده بمعنى
قصده ولا يمكن ان يكون هو سبحانه مقصودا بالاشارة الحسية والعقلية
اما الحسية فظاهرة لاستلزامها الجسمية واما العقلية فلانها انما يمكن
اذا امكن تعقله ولا يدركه سبحانه وهم ولا عقل فهو جل شانه يمتنع ان يكون
مشارا اليه بالاشارة العقلية ولا مخبرا عنه بالاحكام الثبوتية وذلك لان
الاخبار عن الشيء اشارة اليه وهو سبحانه يمتنع ان يقصد بالاشارة هذا
هو التوحيد الحقيقى وليذهب الحس يمينا وشمالا فليس العلم الا ههنا
ولا اياه عنى من شبهه لان الله سبحانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء اذ
التشبيه فى الحقيقة يستلزم التركيب لوجوب ما به الامتياز وكذا فى الاعراض
والصفات اذ العرضى لا بد وان يستند الى الذاتى المشترك كما هو المبرهن
عليه فمن شبهه سبحانه بغيره فلم يعنى اياه اذ ما لا شبه له يمتنع تشبيهه ولا له
تذلل من تبعضه اى جعله ذا ابعاض واجزاء اعلم ان المبدا الاول الحق
الذات احدى المعنى والممكن زوج تركيبى وكل مزدوج الحقيقة متذلل
لما هو بسيط بالذات احدى الهوية والقائل بالابعاض والاجزاء فى الله
سبحانه انما جعله مثل نفسه فى التاليف والتركيب باى نحو كان فى الذات
او فى الصفات وذلك يعطى فى التذلل والخضوع لوجود المماثلة بينه وبين الله

سبحانه

سبحانه وايضا من قال بالابعاض فقد جعل ابعاضه اولى بالتذلل من المركب
منها لان البسيط هو الاصل فانه تذلل له من تبعضه ولا اياه اراد من توهمه
لانه سبحانه لا يدخل فى وهم ولا عقل اما الاول فلان الادراك الخيالى
كما قد ثبت فى مظانه انما يكون بالانتزاع من الحس وقد سبق معنى الانتزاع
وذلك يستلزم المادية والادراك العقلى اما للبسائط العامة فبالانتزاع
من الافراد وليس هو سبحانه بكلى ذى افراد واما الحقائق العقلية فمعرفتها
اما باجزائها او بعللها الذاتية او باعراضها اللازمة وكل ذلك مستحيل
عليه سبحانه على ما علمت غير مرة كل معروف بنفسه مصنوع هذا دليل على
استحالة توهمه سبحانه والتوهم فى اصطلاح الاخبار قد يطلق على التعقل
وقد يطلق على الادراك الباطنى مطلقا وهو برهان شريف واصل عظيم
فى تنزيه الله تعالى عما يقول الخائضون فى معرفته العادلون به بيان ذلك
ان كل ما يمكن ان يعرف نفسه فمعرفته انما هو بمعرفة اسبابه اذ العلم اليقينى
الضرورى مع علته بالوجوب ومع غيرها بالامكان فما لا علة له لا يمكن
معرفة نفسه بالضرورة بل ان كان فمن جهة آثاره وعلاماته او من طريق آخر
ستعرف انشاء الله بعيد ذلك وايضا قد عرفت ان كل ما هو معقول للشيء
فهو من جهة معلول له ومن هذا فليتحدس اللبيب ان هذا الوجود العام وكذا
العلم وغيرهما لا سبيل لها الى الحضرة الاحدية لانها كلها معلومات الحقيقة
معروفات الهوية فهى معلولات الذوات مخلوقات السمات فلا يليق بان يوصف
بها فاعل الحقائق والوجودات كل قائم فى سواه معلول ضمير سواه يرجع
الى القائم وذلك لان كل قائم بغيره انما يقوم بذلك الغير اما لذات ذلك
الغير او لغيره فحينئذ يكون معلولا فالوجود والعلم وغيرهما كلها قائمة بغيرها

اذ حقيقتها ذلك فلا يوصف بها اصلا نعتها فان الله لا يوصف بخلقه
ولم يخلق الخلق لنيل شرف او درجة لا يصل اليها الا به بصنع الله نستدل عليه
لما ظهر من الكلمات الشريفة السابقة انه يمتنع تعلق المعرفة به سبحانه من جهة
الذات والصفات بين عليه السلم بهذا الكلام وما بعده طرق العلم بالله تعالى والسلوك
اليه بقدم المعرفة فافاد ان لا استدلال الا بوجوده عز شانه بخصوصه لا استدلال
بمصنوعاته عليه سبحانه اذ كل موجود براسه لسان ناطق على ثبوت صانعه
وخالقه وعلى وحدته وسائر صفاته الحسنى عز وعلا والكل بلسان طباع
الامكان يدل عليه اذ الامكان هو الطبيعة الفاقرة الحقيقة والفقر الحقيقي
يستدعي الغنا الحقيقي والمحتاج لا بد له من محتاج اليه والقوة لا محالة
يحتاج الى شيء بالفعل المحض يخرجه عن قوته وبالعقول يعتقد معرفته ثم افاد
صلوات الله عليه ان ما يمكن البشر هو ان يعتقدوا بالعقول الاقرار بمعرفته
لا العلم به اذ لا يحيطون به علما ومعنى الكلام ان الله لا يعرف من طريق الحس
ولا الخيال بل من طريق العقل وهو ايضا لا بان يحيط به سبحانه العقول فانه
مستحيل كما بينا بل بان يحصل العقد العقلي القلبي من جهة الصنع على ان
لهذا العالم مبدا ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء وهذا هو حد معرفتهم بالله
وشاع في اصطلاح الاخبار ان يسموا ذلك بالمعرفة بطريق الاقرار ونحن نسميها
بالمعرفة بطريق القياس اي المعرفة بالله بالقياس الى طبيعة الامكان اذ لا يمكن
معرفتها من سبيل العقل الا بهذا الحد ومن رام غير ذلك فقد ركب شططا
نعم طريق اخر للخلص من المحمديين هم خصهم الله بذلك من بين سائر الامم
تفضلا منه لنبيه صلى الله عليه واله ولمن ابصر بنور ذلك وهو طور وراء هذه
الاطوار رزقنا الله واياكم مشاهدة نور الانوار وبالفطرة تثبت حجته لما ذكر

ان التصديق الاقراري بمعرفته سبحانه انما هو بالعقول اراد ان يبين
ان ذلك ليس بصنع من العقل بل هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ولو لم يكن
تلك الفطرة لما عرف احد خالقه اذ ما للتراب ورب الارباب ومعنى الفطرة
ان الله لما خلق الخلق من نوره وابدعهم على مقتضى علمه فبذلك النور الذي
اقتبس منه كل موجود على حسب مرتبته يعرف كل خالقه وبذلك العلم الذي
صدر كل شيء عن جاعله القيوم صدر التصديق عنهم بربوبيته لكن لما كان
الغرض والمقصد الاول من ذلك هو الانسان فله مزيد اختصاص بالعقل
والعلم والا فكل الموجودات شاعرون بالله يسبحون بحمد ربهم وان من شيء الا
يسبح بحمده ربهم وفي الادعية المأثورة ويسبحك وعظمتك بصر العالمون
ومن طريق الخاصة اعلم انه ما من خلق يوجد الا وقد تعلق المقصد الثاني منه بوجود
الانسان الذي هو الخليفة وانما قلنا المقصد الثاني اذ المقصد الاول
وهو معرفة الحق تعالى وعبادته التي خلق لها العالم وتلك الغاية اي المعرفة
انما يحصل من ذلك الخليفة ففطرته على المعرفة وللمعرفة وبالجملة فالمعرفة
فطرة لا صنع للعبد فيها كما في الاخبار خلق الله الخلق حجاب بينه وبينهم
يجب ان نعلم ان الموجودات انما خلقت وصدرت عن علم الله سبحانه ليس وعلمه
بطريق الحصول او الحضور لبطلانهما وقد بسطنا الكلام في ذلك في مقامه
بل بطريق اخر لا يعرفه كل احد وقد اشار الى معلم الحكمة ارسطو شكر الله سعيه بقوله لمعرفته
فذاته سبحانه مثال كل شيء والمثال لا يتمثل انتهى فالاشياء كانت عنده سبحانه
قبل الايجاد ليست من حيث انها اشياء اذ ليس في تلك المرتبة الا الذات
الاحدية الصرفة البسيطة من جميع الوجوه المقدسة عن قاطبة انحاء التركيب
الذي يتصور في المقال بل من حيث انها هي كذا الذوات فانية الهويات

ازلا وابداً فاذا صدرت عن جاعلها القيوم احتجبت عن الذات وبرزت
عن كون الهويات وجاعلها القيوم قايم مقامها نايب منابها ساد مسدها
بمعنى صارت محجوبة عن رب الارباب وضرب بينها وبين الذات حجاب
وامتازت بعضها عن بعض والكشف بالابرام والنقض فصح ان الحجاب نفس
الصدور والايجاد لان الله سبحانه يمكن ان يكون بينه وبين خلقه حجاب
اذ الحجاب ايضا خلقه واى حجاب يمنع نوره يقهر سلطانه عز شانه ولعمري ان
ما قلنا غاية ما يمكن ان يقال وفوق ذلك اسرار لا مجال فيها للمقال والله على
التوكل في جميع الاحوال ومباينته اياهم مغارقته اياهم بتقديم النون المشددة
على المثناة التحتانية وفي بعض النسخ بتوسط النون بين المثناتين التحتانيتين
والمعنى على الاول ان مباينة الله سبحانه من الخلق انما هو بكونه مغارقا
مقدسا عن صدق الوجود الصادق عليهم عليه ومنزها عن تطرق شركة
وجوداتهم بوجه من الوجوه اليه كما قال المعلم الثاني وجوده سبحانه خارج
عن وجودات ساير الاشياء ولو لم يكن كذلك لم يصدق انه مع كل شيء لا
بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة كما في نهج البلاغة وعلى الثاني معناه ان
مباينته سبحانه اياهم انما هو بتقدسه عن كونه ذا اين كما هم كذلك ولذلك لا يخلو
عنه مكان فان قيل يلزم من هذا مباينته عن الماديات دون المجردات قلنا
المكان العام يشمل المجردات العقلية ايضا لكن هذا غريب الظن لم نسمع مثله
من احد وذلك لان المكان هو الشيء المحيط سواء كان سطحا او غيره وكل
واحد من الامور العالية المرتبة في مقام معلوم انما يحيط بما تحته
وفي خطبة امير المؤمنين عليه السلام التي سيجيء ان كل شيء منها بشيء محيط والمحيط
بما احاط منها هو الله ونقل عن الشيخ اليوناني ان الفلك موضوع في وسط

النفس لكن لما كان الله سبحانه علته بطريق الامساك والقيومية فهو وان كان
محيطا بكل محيط لم يلزم من ذلك ان يكون هو ايضا جل شانه مكانا لها اذ هو
سبحانه خارج عن اجناسها متنزه عن اوصافها ومن طريق اخر ان الله خلق
اولا الجوهر المسمى بنفس الرحمن وبالعما ايضا وذلك هو الجوهر الموصل الذي
قبل جميع صور المجردة والمادية بالفيض الاقدس واول من قبل ذلك الجوهر
من الصور هو الحقيقة المحمدية المسماة بالعقل الاول لان تلك الحقيقة
لشدة نورانيتها يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار بخلاف ساير الصور
النورية فانها تحتاج الى ذلك الزيت في استنارتها وبالجملة هذا الجوهر واستضائتها
هو مكان الامكنة وهو البعد الذي قال به افلاطون الالهي ولم يفهم من تلامذته
الا المعلم الاول للحكمة حيث اودعه في سره فضنته انت ايضا من غير اهله
والله الهادي وله الحمد وابتدائه اياهم دليل على ان لا ابتداء له لعجز كل مبتدأ
عن ابتداء غيره هيهنا ثلث مقامات الاول انه كيف يكون ذلك دليلا الثاني
لم صار يعجز الشيء الذي له ابتداء عن ابتداء غيره الثالث كيف يجتمع هذا
مع القول بالاسباب والوسايط والعلل المتوسطة من المبادي العالية
والسافلة اما المقام الاول فالبرهان عليه هو المقام الثاني بيان ذلك
انه قد تحقق ببراهين اثبات المبدأ الاول جل شانه وتناهي العلل الى علة
فاعلية لا علة لها انه مبدأ المبادي وعلة العلل فنقول الابتداء هو ايجاد
الشيء الذي ليس له اثر في الوجود بوجه من الوجوه وان المبدأ الاول هو الذي
ابتدأت منه الوجود وانتهت اليه سلسلة المبتدآت وذلك لغني علم منه بها
وارادة دعت اليها وح لا يمكن ان يكون شيء مبتدأ من الموجودات سببا
لابتداء غيره اذ كلما فرض انه ابتدأ من هذا المبتدأ فله صورة في علم الاله

لان العلم بمعنى حصول الصورة اذ ما عند الله هى الحقايق المتاصلة الباقية
وكل ما فى الكون فهى اشباح وامثلة لتلك الصور العالية ما عندكم ينفد وما
عند الله باق فاذا كان كذلك ثم فرض انه سبقه من ذلك المبدا فليس ثمة
ولا ريب ان الموجودات لها ابتداء فكلها ابتدات من البارى تعالى نعم انما
المبادى العالية والعلل المتوسطة شانها الاعداد والاظهار ولها الابتداء
من الابداع مع ان الاعداد ايضا منه سبحانه على الحقيقة اذ الكل هالك دون
وجهه الكريم ولا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا حيوة ولا نشورا فكيف
لغيرهم وهو المبدئ والمعيد وفى هذا المقام قيل شىء بيديها الا شىء بيده
ومن ذلك ظهر تحقيق المقام الثالث وادوة اياهم دليل على ان لا اداة
فيه لشهادة الادوات بفاقة المتادين الادوة بفتح الهمزة وسكون الدال
وفتح الواو اسم للالة على مصدر الافعال وهى جعل الشىء ذا الادوة والمتادين
ذا الاداة والمتادين على المتدين بابا التفاعل من الاداة فى القاموس تادى
اخذ للدهر اداته والمعنى ان الله جعل الخلق بحيث لا يمكن ان يفعلوا ما يصدر
عنهم الا عن اداة واله لذلك الفعل واحتاجوا فى تمشية افعالهم الى الادوات
وذلك دليل على ان لا اداة فيه سبحانه اذ ذلك يستلزم الاحتياج وهو سبحانه
منزه عن الامكان الذى هو مبداء الاحتياج وايضا لو كان كل فعل له آلة واداة
لكان ايجاد الادوات يحتاج بادوات اخرى ويتسلسل وهو مستحيل او نقول
بتغاير اسماؤه التى تداولت فى الالسنة وكذا معانيها التى تناولها الاوهام
الدقيقة انما هى عبارات عن حقايق متاصلة وكلمات تامة يفعلون بامره
ما يومرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون كما فى الماثورات باسمك الذى
خلقت به كذا وكذا وقد سبق فيها معنى ومن ذلك قيل ان التى ههنا هى اسماء الاسماء

وافعاله

وافعاله تقسيم اذ الموجودات التى هى اثار الله وعلامات ربوبيته يوصل كل منها
الى العلم بوجود صانعها وصفاته الحسنى والدار الاخرى ولان السعادة التامة
هى معرفة الوجود على ما هو عليه وهى انما يحصل بان يعرف نظام الوجود المبتدئ
من الله سبحانه على ترتيب الاسباب والمسببات واتصال الكل واحد بصاحبه
واشتمال الكل بما فوق على الاحقر ولان العالم عبارة عن افعال الله تعالى وهى
انما يدل على اسمائه الحسنى وصفاته العليا لانها اثار تلك الاسماء والصفات
كما عرفت مرارا وكذا الاسماء يدل على مسمى واحد احدى الذات والمعنى ولان
هذا العالم الحسى انما هو مثال وصنم للعالم الاعلى العقلى والاستدلال
على ما هناك لا يكون الا بما ههنا ولهذا ورد عن الرضا عليه السلام فى مكالمة
عمران فى قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا يعنى اعمى عن الحقايق
الموجودة قيل المحسوسات اساس كل عطية صورة ومعنى اما الصورة فظاهر
واما المعنى فلانه لولا احساس النفس اولا بالمحسوسات لما اهتدت الى الاسماء
والصفات ولا احاطت بالعطايا المعنوية من المعارف الحقيقية ومن
ذلك قال معلم الحكمة من فقد حسا فقد علما وراس ذلك كله معرفة النفس
قال تعالى سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وعن
المسيح عليه السلام من لم يعرف نفسه ما دام فى جسده فلا سبيل له الى معرفتها
بعد مفارقته وذاته حقيقة اى ذاته هى الحقيقة الثابتة التى يتحقق بها سائر
الحقايق ويوتى منها كل ذى حق حقه وما سواه باطل هالك زائل ازلا وابدا وعن
النبى صلى الله عليه واله اصدق قيل قاله العرب قول لبيد الا كل شىء
ما خلا الله باطل ولكنهه تفريق بينه وبين خلقه لما امتنع ادراكه سبحانه
بطريق من طرق الادراك اذ الحس لا يناله والعقل لا يحيط به فمعرفة كنهه محال سبيل

فى الآخرة

لاحد اليه الا بما يمكن لهم هو كنه معرفته لا كنهه عز شانه فكنه معرفته ان يعرف
ان وجوده خارج عن سائر الموجودات وذاته مباين لجميع الذوات وانه
ليس في خلقه كما هم ليسوا فيه مع انه لا يعزب عنه شيء وهو بكل شيء محيط وفي
تحديد لما سواه التحديد بالمهملة جعل الشيء ذا حدة وفي بعض النسخ بالجيم
مع الضمير الثاني المعنى على النسخة الاولى فان الغيبوبة بالغين المعجمة ثم الموحدة
وان كان من الاضداد لانه بمعنى ذهب ومكث الا ان المراد هو الثاني حيث
قال الازهري المعروف الكثير ان الغابر بمعنى الباقي فيصير المعنى انه بغاؤه
سبحانه هو الذي يحدد وجود ما سواه ويجعل كل واحد في حد خيره ويعين
له مرتبة وجوده اذ ببقائه يستبقي كل شيء على حسب استعداده وبدوامه ما شاء
دامت السموات والارضون وفي الخبر لا يتقدم متقدم الا بالله ولا يتأخر الا
به وله المثال الحسنى لذلك وان كان هو مقدسا عن الامثال والاشباه المحيط
والممتد المحاذي كالمخروط لانه مثاليه فانه يعين درجات وجود كل واحد
من الخرادل والله سبحانه محيط بالاشياء وليس فيه عز شانه امتداد وانبساطه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا واما على النسخة الثانية فالمعنى ان بقاءه عبارة
من تجديده الخلق في كل آن لانه كل يوم في شان ولا يتكرر الشان بيان
ذلك ان العالم منذ ابتدائه من المبدا الاول فهو في الحركة الذاتية والسيلان
التجددي الى ان يستقر في جوار الله ويعود الى ما بدا منه الا الى الله تصير
الامور والتبيان العلمي لذلك ان العالم جهتين جهة الى نفسه وهو وطن
الهلاك والزوال ومبدا البطلان والاضمحلال وجهة الى جاعله القيوم
الذي منه استفاد كل موجود وبه ظهر الوجود فله في كل آن عدم من نفسه
ووجود من فاعله ولولا ذلك لاستغنى هو عن جاعله ولعمري ان اجزاء هذا

السيلان

السيلان في الجسمانيات ظاهر لكن يشكل الامر في الامور العالية الا ان يقال
بالحركة المعنوية وفهم ذلك عسير جدا ولهذا ترى اكثر ارباب النظر ينكرون
هذا فقد جهل الله من استوصفه لما بين عليه السلام في الجمل السابقة ان وصفه
سبحانه ينافي كمال التوحيد ذكر ان طالب وصفه جاهل به اذ ليس له وصف
حتى يمكن طلبه بل وصفه هو انه لا يمكن وصفه وانه ليس له وصف اذ جميع اوصافه
راجعة الى سلب نقايضها كما دريت ويحتمل ان يكون معنى استوصفه جعله
ذا وصف باثبات الاوصاف له كما قيل في حديث العقل استنطقه جعله
ذا نطق وقد تعداه من اشتمله او تجاوز عنه ولم يرده ومن جعله مشمولا
بشيء اذ الحركات الاول اشتمل على المحيط فمن انه الحاما وهو بكل شيء محيط ومن زعم
انه احاط به معرفة اذ لا يحيطون به علما وقد اخطاه من اكتنهه اخطا
ضد اصاب به اي من زعم انه بلغ كنهه فلم يصل اليه اصلا اذ ابلغ البلوغ الى
كنهه مستحيل الخلقه ومن قال كيف فقد شبهه اذ الكيفية من خواصها
ولوازمها التغير والتمييز التشبيه واللاتشبيه كما قال المعلم الاول في منطقه
وهي الخاصة منه عليه السلام تاييد لتلك المقدمة المنطقية ومن قال لم فقد علله
اي جعله ذا علة فان ذلك الكلام سؤال عن العلة الفاعلية او الغائية
كما انما سؤال عن علل القوام وهو سبحانه منزه عن جميعها اما عن العلة
الفاعلية فظاهر واما عن الثلثة الباقية فلانها انها الى العلة الفاعلية
كما ثبت في مباحث تناهي العلل واعلم انه كما لا يصح عليه جل مجده قوله لم
كذلك لا يصح على فعله سبحانه كما قال عز من قائل لا يسال عما يفعل وهم
يسالون وغيره من العلل يصح عليها ذلك السؤال اما انه لا يصح على فعله
فلان فعله عز شانه مقتضى ذاته بمعنى انه لا موجب له على فعله غير ذاته ولا شيء

يضطره الى فعله وقوله لم انما يصح على ما يكون فعله لايجاب شئ عليه او داع
يدعو اليه ولذلك لا يصح على فعله لهم واما غيره فلان افعالهم انما هى بامره
وفضله فهم يفعلون ما يؤمرون وذلك لانهم انما اظهروا ما يفعلهم ما اودع
الله سبحانه فى ذواتهم لان الكل من نعم الله عز شانه لامن انفسهم كما فى حديث
الدقيق الذى يجئ ان شاء الله عن الصادق ع حيث يقول فى الشمس والقمر
والليل والنهار اضطرا والله يا اخا اهل مصر الى دوامها فاعرف ومن قال
متى فقد وقته اى جعله ذا وقت لان متى سؤال عن الزمان وكان الله
ولم يكن معه شئ وذلك ثابت له ازلا وابدا فقول من قال الآن كما كان
قول شعرى اذ فهم من كان المعنى وذلك يخالف استعمال اهل اللسان فضلا
عن اهل العلم وقد وقع مثل ذلك فى القرآن المجيد كثيرا كما قال عز من قائل وكان
الله غفورا رحيما وكان الله عزيزا حكيما الى غير ذلك ومن قال فيم فقد ضمنه
اى جعله فى ضمن شئ بحيث يتضمنه ذلك الشئ وفيم سؤال عن المكان او الاوله
فيما وكلمة ما للاستفهام يعنى من سأل عن مكانه فقد اثبت له مكانا يتضمنه
اذ المكان سواء كان سطحا او بعدا فانه يجعل المتمكن فى ضمنه ويحيط بجميع
اقطاره ومن قال الى م فقد نهاه اى جعله ذا نهاية لان الى لانتهاء
الغاية وليس له سبحانه ابتداء حتى يكون له انتهاء فى الابد له لا نهاية
له وقد ثبت انه لا ابتداء له فكذا لا انتهاء له والا لزم وجود احد المتضايفين
بدون الآخر ومن قال حتى م فقد غياه اى نسبه الى الغاية كما ان فيقتضيه بمعنى
نسبته الى الفسق ولعل الفرق بين الى وحتى مراد النهاية فى الاولى هى
الشئ الخارج عن ذى النهاية فمعنى العبارة الاولى انه من قال الى اى شئ
ينتهى حتى يكون بعده ذلك الشئ فقد جعله ذا نهاية والغاية فى الثانى

هى

هى الامر الداخل كما هو معنى حتى فمعنى العبارة الثانية من قال ان وجوده
الى اى حد يتم وينتهى حتى يكون تمام وجوده فى ذلك الحد فقد نسبه الى ذلك
الحد والغاية وبذلك ظهر الفرق بين الغاية والنهاية ويحتمل ان يكون
الاولى
الثانية لنفى الانتهاء فى جهة الابد والثانية لابطال الانتهاء فى طرف
الازل وبالجملة قد عرفت انه تعالى لا تاتى له ذات الاشياء ليست معه بالوجود
بل بالهلاك والبطلان بل هو مع الاشياء وفوق ما بينهما فليس له
عز شانه نهاية ولا ينتهى وجوده الى الموجود شئ بعده او الى مرتبة وحد
يقف عنده بل هو سبحانه محيط بجميع الاشياء العالية والسافلة منزه عن
الحد والمرتبة ومن غياه فقد غاياه المفاعلة على اصلها اى من نسبه
الى الغاية فقد جعل نفسه فى حد فهو من الموجودات والبارى سبحانه
فى حد آخر فقد جعل الله تعالى ذا حدين اذ وجود احد الحدين يستلزم
وجود حد آخر كما قلنا ان البداية يستلزم تحقق النهاية وبالعكس
وذلك فى الاجسام ظاهر واما فى الحقائق العقلية فكل ما ابتدأ من علة
فقد انتهى اليها ايضا اذ العلة محيطة باول الشئ وآخره ولان معاد
كل معلول الى العلة الا الى الله تصير الامور فظهر ان وجود احد الحدين
والغاية مما يصح معه فرض شئ دون شئ وهو يستلزم وسطا وطرفا
لا محالة ومن جزاه فقد وصفه اى وصفه بصفة المخلوقين لان الممكن
مزدوج تركيبى والجزء جزئى او وصفه باوصاف مختلفة اذ كل جزء له
وصف يخصه ومن وصفه فقد الحد فيه الحد فى دين الله حاد عنه وعدل
اذ من وصف الله تعالى باختلاف صفة كما هو صفة المخلوقين فقد عدل
عن الله وهو سبحانه منزه عن ذلك ويعم هذا الحكم الوصف بالعينية والزيادة

من جزاه اى جعله ذا اجزاء ... فقد وصفه اى جعله ذا اجزاء ...

انقياد المخلوق

وغيرها اذ كل ذلك يستلزم في النظر الاولي دقة اختلاف في الصفة وقد تبينت
عليه فيما سبق لا يتغير ايضا بتغاير المخلوق في عبارة عن تغيره الذي لاحين
الخلق اذ الخروج الى الوجود حركة وذلك المعنى مستفاد من الاضافة الى صفة
المخلوق كما نظيره في التي بعد وهي قوله بتحديد المحدود ومعناه لا يحصل التغير
في عز شانه بخلقه المخلوق الذي هو تغير ذلك المخلوق وذلك لان كل فاعل
غيره سبحانه فانما يتغير بايجاد معلوله لانه لولا استفاضته عما فوقه
يستحيل افاضته على ما تحته والله سبحانه لما كان مبدأ المبادي وفوق الكل
فهو لا يستفيض وانما فاعليته بذاته فقط فلا تغير وايضا كل فاعل غير
الاول سبحانه ففاعليته بطريق الرشح واما هو سبحانه ففاعليته على سبيل
الانبساط والقيومية والاحاطة الحقيقية وظاهر ان الرشح يستلزم التغير
لا محالة وليس يخرج عن سلطانه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف يتحقق
هناك الرشح فلا يتغير فظهر من ذلك ان ما في بعض اقاويل العلماء من القول
بالرشح منه سبحانه قول شعري خارج عن الحق والتحقيق وان القول بانه سبحانه
فاعل بالايجاب على نفسه او بايجاب لغيره عليه يوجب التغير فتدبر كما لا يحد
بتحديد المحدود هذه الكاف هي التي في قوله كافضل ما صليت وليس
للتشبيه بل للبيان بثبوت مثل هذا الحكم ووقع نظير هذه الدعوى وهذا
هو التحقيق في معنى الكاف الواقعة في امثال هذه المقامات وتحديد المحدود
هو تعيين درجة وجوده وتخصيص اوله واخره وتقدير اجله ولكل اجل
كتاب والمعنى انه جل مجده لما كان هو المعين لدرجات كل موجود اذ به
يبتدئ الوجود واليه يصير بالكمال كل موجود وليس له ابتداء ولا انتهاء فلا حد
له بالله ولا يحد بذلك الحد ايضا لانه خارج عن اجناس المهيات وحقائق

الموجودات

الموجودات فلا يتصل بوجوده شيء وليس بتحديد الشيء بان يجعله في ثاني وليس بعده شيء كما لم يكن قبله شيء
وتعينه كما الامر في جميع العلل التي سواه ذلك حتى يحد بتحديد الشيء باني ذلك ص
بل هو محيط بكل شيء ولا يخرج عن ملكه شيء فكيف يكون له ثان احد لا بتأويل
عدد اي احديته ليست عددية بان يؤول ويرجع الى العدد ويصح فرض واحد
آخر معه اثنين اذ الاثنان من حيث هما اثنان لا بد ان يشتركا في ذاتي
او عرضي واقل ذلك صدق العدد العارض لهما والعرضي يجب ان يستند الى الذاتي
فيلزم كون البسيط فاعلا وقابلا الى الذاتي المشترك فيلزم التركيب وسر ذلك
ما قلنا مرارا من ان الكل بالنسبة اليه عز شانه مستهلك باطل فليس معه شيء حتى
يكون ثانيا فليست وحدته عددية تتألف منها الاعداد ويصح زيادة بسط
لذلك انشاء الله ظاهر لا بتأويل المباشرة لظهور الاشياء اما بالمباشرة
الحسية كما في الجسمانيات او بالمباشرة المعنوية كما في اتصال العلل الممكنة
الى معلولاتها فانها متصلة من حيث اشتراكها في الاجناس البعيدة او الاعراض
المشتركة ومن حيث ان فوق كل عالم فانما يتصل وينتهي الى عالم فوقه الى ان ينتهي
الى الافق المبين الذي في العالم الاعلى العقلي واما الباري سبحانه فلما كان
مباينا من جميع الجهات لكل ما سواه وليس بخارج ولا داخل في العالم فهو ظاهر
لا بمباشرة حسية او اتصال معنوي وانما ظهوره بان لا ظاهر غيره وكل شيء
ظاهر به سبحانه قال بعض اهل المعرفة اعلم ان الله ظاهر ما غاب قط والعالم
غيب ما ظهر قط والناس على عكس ذلك حيث يزعمون ان الله غيب والعالم
ظاهر متجلي لا باستهلال رؤية في النهاية اهل واستهل اذا ابصر
ولعل ههنا وقع التجريد في الكلمة عن بعض اجزاء المعنى والله سبحانه متجلي على خلقه
باشراق نوره كل ما في ظلمات الامكان وباضاءته كل ما في السموات والارض

من الملائكة والانس والجان لا بان يرى دونه عيانا او ينتهي البصر اليه
في مكان وفي الخبر ان الله تجلى لعباده من غير ان راوه بالحق لا بمنزلة المزايلة
المفارقة والمعنى انه جل جلاله باطن لا بمفارقة عن الظواهر ولا بجهة اخرى
غير انه ظاهر بل هو بالحق بعين ما هو ظاهر ولا الاختلاف فيه الجهات وتكثرت
فيه الحيثيات مباين لا بمسافة ومباينته سبحانه عن الخلق لا بمسافة وحدود
حسية ولا بمراتب ودرجات عقلية اذ كل ذلك يستلزم التحديد يعني كونه
سبحانه في حد والاشياء في حدودها بل مباينته بنفس قاهريته القيومية وبصفاته
الحسنى الالهية بمعنى انه لا شيء يشبهه في شيء ولا يشبه هو شيئا في شيء قريب
لا بمداناة قد عرفت ان قرب الاشياء بعضها من بعض اما بالاتصال الحسي
او العقلي والله سبحانه لا يقرب منه قريب ولا يبعد منه بعيد بل جميع العوالم
الوجودية المختلفة الدرجات في نفسها بالنسبة اليه سواسية في القرب
ونفى صيغة المفاعلة لبيان انه سبحانه قريب من الاشياء ودان منها لا انه
دان منها وهي ايضا دانية منه ولا يلزم تحديدها سبحانه بان يقاس هو الى شيء
ويقاس شيء اليه ويكون للاشياء ذوات دونه اذ المفاعلة انما يكون بين
الاثنين وقد عرفت وسيجيء انه لا يصير مع شيء من الاشياء معروضا للاثنينية
لطيف لا بتجسم سيجيء ان شاء الله في الخبر معنى اللطيف ونفي التجسم على ابلغ
وجه موجود لا بعد عدم اعلم ان طبيعة الموجود من حيث هو موجود يقتضي
المسبوقية بالعدم اذ تلك الطبيعة من حيث هي هي معلومة الحقيقة وقد مضى
ان كل معروف بنفسه مصنوع وكل مصنوع فقد سبقه عدم صريح لا محالة
فكل ما يصدق عليه تلك الطبيعة المعلومة الحقيقة فهو بعد عدم واقعي
بلا مرية فالله سبحانه موجود لا كالموجودات ولم يسبقه عدم بجهة من الجهات

فهو موجود لكن لا يدخل في حد النفي لكن لا بعد عدم كالموجودات وشيء
لا كالاشياء فاعل لا باضطرار اعلم ان كل علة من العلل العقلية والطبيعية
فانما يفعل بمقتضى حتم حكم عليه ووجوب سابق سبق من الله اليه وكذلك
جرت سنة الله التي لا تبديل لها ولن تجد لكلمات الله تحويلا وذلك لان الله
عز برهانه اودع في كل حقيقة من الحقائق ما لا يمكنه الا بان يظهر في الوجود
الا اثاره وان يتادى الامانة الى اهلها من الابرار والفجار واما الله عز شانه
فليس يفعل بما يجب عليه ولا بان يضطر في خلق ما خلق اليه وذلك لان
ذلك الوجوب اما ناش من ذاته سبحانه او من غيره واذ لا اثر للغير فلا معنى
لكون اللاشيء مؤثرا مع انه يلزم تاثره عز شانه عن الغير وكذا لا سبيل الى كون
الوجوب ناشيا من الذات والا لكان الواحد من جميع الجهات فاعلا وقابلا
اذ هو من حيث انه موجب على اسم الفاعل غيره من حيث انه موجب على اسم المفعول
فيتكثر الجهات وذلك ينافي الاحدية الذاتية وايضا الحق هو انه تعالى
لا يوجب شيئا ولا يقتضيه ولا يلزم شيئا ولا يلزمه شيء وذلك لان المقتضي
للشيء لا بد وان يكون مستكملا به ويكون المقتضى الى الغير نفسه فانه تعالى
الله عن ذلك وايضا لو كان وجب عليه شيء بنفس الذات لكانت المعلولات
في مرتبة الذات كيف ولا يجوزون ذلك اي كون شيء واجبا على شيء بنفس
الذات في سائر المهيات كما يقولون في المهية من حيث هي انها ليست الا
هي حتى كانت لوازمها في تلك المرتبة مقطوع النظر عنها واما جواز ذلك
في الواحد الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا انعم الاشياء انما تجب بذواتها
اذا حكم بوجودها وامر بشهودها اذ لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
وفرق ما بينهما ابعد مما بين الارض والسماء وكل شيء انما يجب عن الله تعالى

اذ الكل يصدر عن امره ولا يعجب عليه سبحانه شي بوجه من الوجوه وهذا من اسرار
علم الربوبية والناس في ذلك في حيرة ليس فوقها حيرة ولا تسمع بقول اولئك
المتفلسفة المختلفة الاهواء فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا واياك وان
تلتفت الى اهواء هؤلاء المبتدعة الاشرار ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار فقد لا يجول فكرة تقديره سبحانه للاشياء هو صدورها عنه بذوات
اقدار واجال ووجودها عنه لا بانتقال واحتمال لا ان ذلك يجول له
مقدرة فكرة او خيال او خواطر مضمرة مدبرة ولا بحركة المدبر هو الذي يصنع الامور يصنعها
بحيث ينتهي الى حسن عواقبها ويتفرع عليها الكمالات المتصورة في حقها
وكل مدبر غير الله فانما يحتاج في فعله وتدبيره الى حركة في نفسه حركة عقلية
او حسية اذ ترتيب الامور بحيث ينتج الخير هو معنى الحركة كما لا يخفى والله سبحانه
يدبر الاشياء بلا حركة منه سبحانه ولا بحركة من الاشياء بالنسبة اليه عز شانه
اذ الحركة عنده دفعي الوجود فكيف حال المتحركات واما قوله سبحانه يدبر الامر
من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة فمعناه ان الروح
اذ الروح من امر الله ومن عالم الامر وافق الربوبية او يبتدي الامر الذي هو الروح
بتدبير السماء الى ان ينتهي الى الارض ثم يعرج الى الله مرتها لا ينهما ينشاء والهمة
الهمة بالكسر ويفتح ما هم به من امر والمصدر الهموم والهمامة كذا في القاموس
والارادة الروية والقصد الى حصول مطلوب والمشية هي الميل والشوق
الى الشي مقصود ولا شك ان الثاني خاص وهذا هو وجه تقدم على
الاول اذ الميل الى الشي سابق على قصد حصوله لان الاول عام والثاني
خاص وهذا هو وجه تقديم المشية على الارادة حيث جاء في حديث الباب
الفعل انه شاء واراد ولذلك تنبه في هذه العبارة الهمامة التي هي القصد

الى الارادة

الى الارادة والهمة التي هي المقصود الى المشية وبالجملة هذا الميل وذلك
القصد في المخلوق عبارة عن الضمير وخطور المقصود بالبال والتفكر
لحصوله في المال واما في الله سبحانه فليست الارادة والهمة ولا المشية بالميل
الى المقصود بل الاولى عبارة عن نفس وجود الاشياء عنه مرادا والثانية
عبارة عن نفس صدورها عنه سبحانه من حيث لا ينافيه وسياتي ان شاء
الله في بيانهما تحقيق اخر خصنا الله بفهمه ولله الحمد مدرك لا بمجسة
سميع لا بالة بصير لا باداة ذكر عليه السلم الادراكات الثلثة احدها ادراك
الملموسات المعبر عنه بالادراك المطلق وذلك بقرينة ذكر المجسة
والثاني ادراك المبصرات والثالث ادراك المسموعات والمجسة
موضع الجس وهو اللمس باليد واللمس عبارة عن اتصال المجسة اي الشي
الذي فيه القوة اللامسة الى الملموس سواء كان مساسا حسيا او
معنويا والله سبحانه لا يتصل بشي ولا ينتهي الى حد فادراكه الملموسات
هو انه لا يغيب عنه منها شي ولا يعزب عنه شي وانه وهب تلك القوة لا انه ذاها
وكذا هو سميع بمعنى انه لا يخفى عليه الاصوات ويسمع دبيب النملة في
الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وانه وهب السمع للسامعين وبصير
بمعنى انه يرى ما في السموات العلى والارضين السفلى ولا يخفى عليه خافية
في الارض والسماء وانه وهب البصر والابصار للمبصرين لا انه مدرك للملموسات
بمجسة ولا انه سميع بالة او بصير باداة اذ قد دريت شهادة الادوات
بفاقة المتادين وانه متعال عن صفات خلقه اجمعين لا تصحبه
الاوقات معنى مصاحبة الشي للوقت هو انطباق وجوده على حصة
من الزمان ومحاذاته لها ولو في ان اعلم ان الزمان على طبقات ثلث

الاولى الزمان الكثيف وهو زمان الكاينات المادية ومنه الحركات
الحسية والثانية الزمان اللطيف وهو مدة حركات الروحانيات المدبرة
للعالم الجسماني المحركة للمواد بالتسخير السلطاني فيه حركة الملائكة بالوحي
والالهام والتصرف والانتقام وكذا حركات الجن والارواح المتعلقة بالاجسام
وظهور معجزات الانبياء والاولياء وعليه خرج قوله سبحانه في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون الثالثة الزمان الالطف وهو زمان الارواح العالية
والانوار اللطيفة وعليه يحمل قوله سبحانه تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة وفيه تمام امر الدنيا والاخرة ولعله الى هذه المراتب
اشيرنا في اصطلاح الحكمة القديمة من ان نسبة المتغير الى المتغير زمان والى
الثابت دهر ونسبة الثابت الى مثله سرمد وذلك لان اصول العوالم ثلثة
وكما ان كل عالم هو باطن الذي دونه ومن اللوازم انطباق الظاهر والباطن
فكل عالم مشتمل على جميع ما في العالم الذي تحته لكن بنحو الطف وجهة اعلى
واشرف فيجب من ذلك ان يكون الازمنة ثلثة على محاذاة العوالم على ما هو
مقتضى المضاهاة وفي الحديث النبوي عليه لكل مثل مثال وليس ههنا محل
شرح ذلك اكثر مما ذكرنا وبالجملة فالبارئ جل مجده منزه عن محاذاة الحقائق
الواقعة في العوالم الثلثة ومعنى ايجاد ذي وجوده مرتبة من المراتب العالية
والسافلة بل هو محيط بقاطبة العوالم الوجودية فلا يصحبه وقت من الاوقات
الثلثة فالزمان والزمانيات بالنظر الى ساحة جلال ملكه كنقطة
واحدة بل لا نسبة لها اليه سبحانه كما ثبت بالبرهان ولا تضمه الاماكن
الظاهر انها على التفعيل بحذف احد التائين وظاهر المكان يجري على التفعل م
محاذاة الزمان وقد سبق منا ما يليق بهذا البيان وسياتي زيادة توضيح

لذلك

لذلك في باب نفي الزمان والمكان ولا تاخذه السنات السنة حالة بين
النوم واليقظة وانما يعرض لمن يلحقه نوم او غفلة واعلم ان جميع
الموجودات انما ياخذه السنة والنوم ولذلك وقع في القرآن و
الادعية والخطب من تقديس الله تعالى عنهما اكثر من غيرهما اما نوم
الحيوان ففي الايام والليالي وكذا النبات ايام الشتاء ظاهر و
كذا المعادن على ما يراه ارباب المعرفة واما نوم النفوس فهو تعطيل
قواها العقلية وغفلتها عن عالم الانوار الالهية وانغمارها في
المحسوسات وقعودها عن القيام بوظايف العبادات واما نوم العقول
فانما هو بخفاء احكامها واستتار آثارها حين غلبة احكام
اخر من جنسه فان للاسماء الالهية ايضا لا انات عقلية وامتزاجات
احكامية يعرفها اهل المشارب الذوقية فاذا غلب سلطان بعضها
حسبما قدر الله برهة من الزمان اختفى آثار البعض الاخر في ذلك الاوان
الى ان يرجع الامارة اليه ويعود الامر الى ما عليه وهكذا جرت سنة الله
التي لا تبديل لها ولن تجد لسنة الله تبديلا والله عز شانه متعال
عن ان يشبه احدا من مخلوقاته او يجري عليه ما هو اجراه في غيره
فلا تاخذه سنة ولا نوم بل كل يوم هو في شان ولا يشغله شان
عن شان وهو القاهر فوق عباده وهو العزيز الحكيم ولا تحده
الصفات قد عرفت ان الوصف هو جهة الاحاطة وهي تستلزم التحديد
فليس لله عز شانه صفة حتى تحده الصفات وذلك لان الموصوف
من حيث هو موصوف غير الصفة من حيث هي صفة ولا المكان موصوف
ووصفه فاذا ثبت الغيرية وقيل بثبوت الصفة فقد صار الموصوف

في حدود الصفة في آخرية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولا تقيده الادوات
هي التي لها تأثير في فعل الفاعل ويتمكن من الفعل سواء كان آلة جسمانية الادوات
كآلات الصانعين او قوة جسمانية كقوى الحيوان والنبات والادميين
او ملكة راسخة كملكات الشعراء والكاتبين او حيثية ذاتية كالملائكة
المهيمين ولا ريب ان هذه الامور هي مؤثرات الفاعل بها حيث لا يقدر
كل واحد من هؤلاء الفواعل على فعل الا بها فهي ادوات كما ان الكاتب لا يقدر من جهة
ملكة الكتابة على الشعر ولا بالقوة الباصرة على ما هو شان القوى الاخر
ولا النجار على فعل الخياطة من حيث ملكة النجارة وهكذا الامر في سائر المبادي
بلا تفرقة والله سبحانه فاعل بالاطلاق وفعله مطلق بمعنى انه ليس فيه غيره شان
حيثية او جهة هي مصدر فعل دون آخر الا كان فيه جهة دون جهة وذلك
ممتنع لاستلزامه ذلك الاختلاف جهاته بالنسبة الى الاشياء بالقرب والبعد
والافتقار وعدمه تعالى جل سلطانه لا تقيده الادوات بهذا المعنى والظرف لك
ما سمعت بهذا التحقيق من عزة فليكن مما سبق الاوقات كونه كمالات
العوالم محيط بعضها ببعض والمحيط بما احاط منها هو الله تعالى كذلك
الازمنة التي هي مقادير حركات الموجودات التي في تلك العوالم ومدد اعمارها
وآجالها ونسب بعضها الى بعض وبالجملة تلك الازمنة الثلثة محيطة
سابقتها بتاليتها والابداع سابق الكل والله سبحانه سابق الابداع
ولم يزل كذلك وهو الان كما كان سابقاً على الكل فهذه العبارة كأنها دليل
على نفي مصاحبة الاوقات له عز شانه والعدم وجوده يمكن ان يكون
تلك العبارة دليلاً على نفي تضمن الاماكن اياه وذلك لان هذا الفضاء
الممتد الذي وسع جميع العوالم الوجودية المفارقة منها والمقارنة المسمى

في الشرع

في الشرع بالعماء وفي الحكمة القديمة بالبعد ويسمى بالعدم وهو العدم
السابق على وجود جميع ما سوى الله ويمكن ان يكون العدم على معناه المعروف
اذ الموجودات كلها مسبوقة بالعدم الصريح بل طبيعة هذا الوجود المنضم
اليها ما يلزمها سبق العدم المقابل لها اذ لا شك ان افرادها مسبوقة
بذلك العدم لما تقرر من حدوث ما سوى الله وكون وجود الباري خارجاً
من سنخ هذا الوجود فيكون الطبيعة حادثة اذ لا معنى لحدوث الافراد الا
حدوث الطبيعة متعينة في هذا الفرد وايضاً ان هذا الوجود على ما هو الحق
عندنا انما هو امر انضمامي في صقع الماهية متأخر عنها فيكون مسبوقاً بالعدم
الصرف فتفطن ولا ابتداء ازله هذا استدلال لقوله ولا تحده الصفات
وذلك لان الصفات انما ابتداؤها من موصوفها اذ لا صفة بلا موصوف
والموصوف من حيث هو هو متقدم على الصفة وعلى الموصوفية بتلك الصفة
ولا ازل هو الا مسبوقية بالغير والتقدم على كل شيء حتى على القبلية نفسها حتى ل
فلا مسبوقية من شانها متقدم على الابتداء والمبتدات والقبل والقبليات اذ القبل
انما يصير به جل جلاله قبلاً ولا ابتداء ابتداءً كما الاشياء كلها به صارت
اشياء فسبحان من هو قبل القبل بلا قبل وتبارك الله رب العالمين بتشعيره
المشاعر عرف ان لا مشعر له هنا وما بعدها من الفقرات انما يبتنى على
قاعدة شريفة واصل اصيل اما القاعدة فهي ان الفاعل المستغني بذاته عن كل
شيء لا يوصف بالشيء المعلول له اذ الوصف يدل على الكمال والوجود كما
في الخبر فيستكمل هو بخليقته وذلك ينافي الغنى الذاتي واما الاصل فهو ان
فاعل الشيء يجب ان لا يكون فيه شيء من معلوله بان يكون هو سنخاً له وذلك
لان الحق في الجعل انما هو جعل الطبائع كما هو صريح قوله بتشعيره المشاعر

اي يجعل المشاعر جعلا بسيطا حتى توجد مشاعر في امثال الطبيعة النوعية
انما يجعل جنسها متقيدا بالفصل اذ لا وجود له الا بذلك الفصل الا ان تعين
الجنس فاذا كان ذلك الجنس المعلول حاصلا في العلة يلزم عليته الشيء لنفسه
ولا مجال ههنا للقول بانه علة لذلك الجنس في ضمن هذا الفرد اذ قد قلنا ان المجعول
بالذات هو الطبيعة والفرد مجعول بالعرض ببراهين ليس هنا محل ذكرها وبالجملة
لو كان من المعلول سنخ في العلة لزم كون الشيء معلولا لنفسه وذلك ممتنع
فبتشعيره المشاعر وجعله اياها عرف العارفون بان لا مشعر له لا لجنسه
ولا سنخه فالعلة مباينة للمعلول بتمام ذاتها وحقيقتها وليذهب الحسن
يمينا وشمالا اي بتجويهره الجواهر عرف ان لا جوهر له اي بجعل الشيء جوهرا
وفي العبارة تجريد الكلمة عن بعض اجزاء المعنى اي بجعله الجواهر جعلا بسيطا
حتى توجد جواهر عرف ان لا جوهر له كما قلنا في بياننا السابق ومن ذلك ظهر
ان المبادي العالية والعلل المفارقة لا يجعل جواهر معلولاتها بل صورها
الجوهرية اي المنسوبة الى الجوهر الذي هو الموجود لا في موضوع وهو هو المعنى الكلي
للجوهر الاصل وفصولها وصدق ذلك المعنى على الكل صدق عرضي وهو لا
الذي كان محل صور العالم باسرها جواهرها واعراضها بخلاف الجوهر بمعنى
الموضوع لسائر المحمولات بحيث اذا انضمت اليه يجعل نوعا حقيقيا وبمضادته
بين الاشياء عرف ان لا ضد له اي جعل الله سبحانه لكل شيء مقابلا لنظيره او لا
لم يرد بالبياد المذكور لان فاعل المضادة لا يوصف بالضدية والمراد بالمضادة
هي المقابلة مطلقا فقابل الوجود العدم ومقابل الجوهر العرض ومقابل
العقل الجهل ومقابل النفوس الملكية هي النفوس الشريرة والشيطانية
والتضاد في الطبيعيات اظهر من ان يبين بالبيانات فان قيل فعلى هذه

التوسعة

التوسعة التي ذكرت في التقابل يمكن ان يقال العدم مقابل الموجود
فنقول ان العدم الذي نحن نذكره انما هو مقابل للوجود المعروف لنا وقد ثبت
ان وجوده سبحانه يسبق العدم المعقول لنا فلا عدم غير الذي نذكره حتى يكون
مقابلا لوجوده فتحفظ فان ذلك من علم الراسخين والحمد لله رب العالمين
وبمقارنته بين الامور عرف ان لا قرين له اي لانه قرن الوجود بالماهية والفصل
بالجنس والصورة بالمادة والمعلولات بعللها والنفوس بالاجسام في
المركبات ظاهر لا يخفى فدل ذلك على ان لا قرين له بالبينات المذكورة وكون
المقارنة يدل على الحدث الممتنع من الازل كما ذكرنا ولان كل شيء بالنسبة اليه
هالك فكيف يتحقق المقارنة وايضا هي يستلزم الاشتراك فلم لا محالة
وهو سبحانه لا يشارك شيئا في شيء ضاد النور بالظلمة والجلاية بالبهم
والجسو بالبلل والصرد بالحرور بيان لمضادته بين الاشياء بذكر امثلة
منها فالنور اعم من النور المعقول في المحسوس وكذا مقابله والجلاية الوضوح
والبهم ضدها والجسو الصلابة في القاموس جسى كرمى جسوا صلب فيكون
المراد بالبلل اللينة وفي نهج البلاغة والجمود بالبلل وقد عبر بالجمود عن
اليبوسة وبالبلل عن الرطوبة وهذا اظهر والصرد البرد وهو معرب مؤلف
بين متعاديات اي انها كالحرارة مع البرودة والرطوبة مع اليبوسة مفرق
بين متدانيات انها كتفريق الصور عن المواد والنفوس عن الابدان وتفريق
افراد الطبيعة بعضها عن بعض بالفصول والتشخصات والحصص عن الكل
باختلاف الاعراض الى غير ذلك مما لا يحصى دال بتقريبها على مفرقها و
بتاليفها على مؤلفها فيصل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هذه
الاشياء او النصب على الحالية واضافة التفريق الى الضمير وكذا التاليف

اضافة الصفة الى مفعولها اى هى دالة بتوفيق الله تعالى اياها على مفرقها
وكدلالة المتفرق على المفرق مثل دلالة المؤلف على المؤلف وذلك يفيد العلم
اليقيني كما حققه رئيس مشائية الاسلام في الشفاء ذلك قوله عز وجل ومن
كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ذلك اشارة الى دلالة المتفرق
على المفرق والمؤلف على المؤلف فالزوجان اعم من ان يكونا ضدين او كا
المتباينين من انحاء التشاكل او يكونا جنسا وفصلا ومهية ووجودا او
امكانا ووجوبا او قوة وفعلية او عقلا ونفسا او صورة ومادة او ذكرا
وانثى الى غير ذلك من الازدواجات الواقعة بين الاشياء الممكنة اذ الممكن
زوج تركيبي والتركيب مؤذن بالتفرق والله جعل الممكن كذلك ليتذكر
اولوا الالباب انه سبحانه منزه عن جميع انحاء التركيب مقدس عن اتخاذ
الصاحبة والشريك ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم ان لا قبل له ولا بعد
الباء اما للظرفية اى فرق في الاشياء بين قبل وبعد واما للسببية
اى بسببها لانها محل تحقق القبلية والبعدية والمعنى انه تعالى
بسبب ايجاده الموجودات ميز بين القبل والبعد اذ لو لم يوجد الاشيا
على الترتيب السببي والمسببي والنظم الطبيعي لم يتحقق القبلية والبعدية
فتحقق القبل والبعد انما يكون بوجود الاشياء واما هو سبحانه فهو
قبل القبل بلا قبل بمعنى انه موجد القبل في الاشياء فلا اثر للقبلية فيه
فلذلك ذكرت القبلية والبعدية انه سبحانه لا يوصف بها اذ فاعل
الشيء لا يوصف به فكما انه موجود لا كالموجودات وشيء لا كالاشياء
فهو قبل لا كالشيء الذي هو قبل وبعد لا كالذي هو بعد وكذلك في سائر
الاحكام وهذا هو التوحيد الحقيقي فافهم هذا الذي قلنا انما هو على ان يكون

قبل

قبل وبعد في المقامين بمعنى القبلية والبعدية وهو حق المعنى ويحتمل
ان يكون بمعنى الشيء ذي القبلية والبعدية فالمعنى انه فرق بين المتقدم
والمتاخر بان جعل الاول قبل الثاني والثاني بعد الاول فيعلم ان
لا شيء قبله ولا شيء بعده اذ لو كان كذلك لزم ان يكون اله للعلة
فان كانت العلة هو عز شانه فهو المتقدم هف وان كانت ذلك
المتقدم فهو اولى بالالوهية وان كانت ثالثا فكذلك مع انه ثبت
بالبراهين انتهاء العلل اليه سبحانه شاهدة بغرائزها ان لا غريزة
لمغرزها الغريزة الطبيعة وهي التي بها يصير الشيء ذا احكام مخصوصة
اعم من ان يكون مزاجا او غيره وكل شيء سواه جل برهانه فانما الشيء
بسببه يصير مبدا الاثار المختصة به واما الله سبحانه فانه الفاعل
المطلق وفعله مرسل لا يختص بشيء دون شيء اذ العالم بكليته صنعه
وهو خالق كل شيء ولا يعوزه شيء ولا يؤده حفظ شيء فالاشياء
بطبائعها الخاصة بها حيث لا يتجاوز عن الافاعيل المامورة بها
والمقامات المعلومة لها شاهدة على ان مغرزها اى جاعلها ذوات
غرائز ليس له سبحانه غريزة والا لاختص فعله بشيء دون شيء وليس
كذلك اذ العقل الذي هو اشرف اول شيء من افعاله سبحانه مشتمل على
كل شيء وهكذا الى ان ينتهي الامر الى ما اسفل منه فهو فعله وصنعه
وسياتي زيادة توضيح لذلك ان شاء الله دالة بتفاوتها ان لا تفاوت
لمفاوتها الفاعلة على معنى الجعل والتصيير كالتفعيل فيما سبق
من المغرز وفي بعض ما سياتي من المباين وغيره والمراد بالتفاوت
انما هو تفاوت الشيء الواحد بالنقص الى ان يستكمل وبالقوة الى ان يخرج

انتهاء

الى الفعل وبالضعف الى ان يشتد وبالنقصان الى ان يزيد لا يخلو
من واحد منها ممكن مفارقا او مقارنا واقل ذلك ان القوة لا محالة
يحتاج الى الذي يخرج الى الفعل لمنافاة الوجوب والله سبحانه هو المخرج اياها
من قوتها الى فعلها ومن نقصانها الى كمالها الى غير ذلك فلا يكون
بالتفاوت بالقاعدة المذكورة وايضا لو كان هو كذلك لاحتاج
الى مخرج اخر وهو محال اما للخلف لانه قد فرض ان جميع ما هو بالقوة
فانما يحتاج الى المخرج هو بالفعل من جميع الوجوه والا لكان هو من جملة
هذا المجموع واما لاستحالة التسلسل كما هو المشهور مخرجة بتوقيتها
ان لا وقت لموقتها اضافة التوقيت الى ضمير المفعول والموقت هو
الذي يعين وقت الشيء ومدة اجلها فاعلم ان الله جعل لكل صورة
اجلا ينتهي اليه في الدنيا والاخرة فان في الاخرة ايضا ترقيات
لا نهاية لها وذلك للتوسع الالهي والرحمة الواسعة كل شيء وكذا للمواد
القابلة للصور فانها وان خرجت بنفسها عن هذا الحكم لكونها
لا اجل لها الا ان لها باعتبار قبول تلك القوة اجلا ينتهي اليه الصور
فاذا وصل الاجل المعلوم عند الله الى هذا الارتباط انعدمت تلك
الصورة وحصلت صورة اخرى فكان لها ايضا اجل مسمى فالكل
يجري لاجل مسمى وقس على ما قلنا الامور العالية الفاعلة وغيرها
حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لا حجاب بينه وبينها غيرها قد سبق
ان الاشياء قبل صدورها عنه سبحانه لا على انها اشياء بل على انها
هالكة دون وجهه الكريم ولا شيء غيره عز شانه فاذا صدرت عنه
جل مجده في مرتبة العلم وقع الحجاب الذي هو كونها اشياء معقولة

لعقله

لعقله بذاته وهكذا احتجبوا الى ان يحصل سبع حجب ثم الى سبعين ثم
الى سبعين الف على ما ورد في الاخبار والحجاب الاول هو نبينا سيد
المرسلين صلى الله عليه وآله كما في الخبر وبعده الحجاب وفي خبر اخر نحن بيني وبين
الله حجاب الاحد وفي معناه اخبار كثيرة متضافرة هذا هو معنى كون الخلق
حجابا واما وجه الاستدلال في العبارة الشريفة فهو ان للخلق هويات
مختلفة بها احتجب بعضها عن بعض وامتاز كل واحد من الاخر ولم يمكن لاحد
ان يتعدى هويته او ينقلب الى غيره او يختلط ويشتبه الى ما سواه بل لكل
واحد مقام معلوم والكل يجري على قضاء محتوم ولا شك ان تعين الامور
العالية والصور المفارقة حتى المادة الاولى انما هو بفاعلها لا غير واما
الامور المادية فبفاعلها وقابلها كما حققنا ذلك بالبراهين القاطعة
ومن ذلك المظهر ان الله حجب بعضها عن بعض واما ان ذلك كيف يدل
على ان لا حجاب بينه وبينها فلانه اذا كان احتجاب الاشياء وامتياز
بعضها عن بعض بفاعلها القيوم بان يعين هو سبحانه لكل واحد منها درجة
معلومة ومرتبة محدودة فلو كان له حجاب غير نفس شيئية الاشياء لم يمكن
ان يكون تعينها به تعالى لان ما يحجب عن الشيء ويستتر عنه بواسطة او
وسائط كيف يتعين به الشيء وايضا هو سبحانه مبدأ التعين والاحتجاب
فكيف يوصف بما هو اجراه على خلقه وايضا الاحتجاب عن الشيء يستلزم
المحدودية بان يكون هو في مرتبة ودرجة وذلك الشيء في درجة اخرى المحدودية
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وايضا اي شيء يصير حجابا للنور وذلك
الحجاب ايضا من نوره وفي المقام اسرار لا يحصى طوبى لمن فاز بها وكان
في طي ما تلونا قد اشرنا الى لمعات منها فاقتبس ان كنت من اهلها لمعنى

الربوبية اذ لا مربوب وحقيقة الالهية اذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم
ومعنى الخالق ولا مخلوق وتأويل السمع ولا مسموع هذه الاحكام ليست
ثابتة لله عز وجل قبل حدوث الاشياء عنه كما قد توهم بل تلك ثابتة له ازلا
وابدا كما يشعر بذلك ايراده عليه السلام الجمل الاسمية الدالة على الثبوت الاستمراري
وكذا ايراد بعض تلك الاحكام بالواو الحالية مع الجملة الاسمية المنفية
بلا التبرئة وذلك لان الاشياء بالنظر الى جبروت شأنه وملكوت عزه
وسلطانه انما هي على الهلاك الذاتي والبطلان الحقيقي وليس في الوجود
الا نوره ولا شيء في الشهود يقابل ظهوره فالربوبية والالوهية ونظائرهما
جهتان معنى وحقيقة وصورة وظاهر فاذا نظر الى الحقيقة والمعنى
فلا مربوب ولا مألوه ولا مخلوق ولا مسموع بل هو الرب الاله العالم الخالق
السميع اي هو خالق الاشياء ومستحق لجميع الاسماء فما وقع اسم الا على ذي
الحق ولا تعينات ثابتة على اصلها لا استحقاق لها انما المسمى بكل اسم من
الاسماء الحسنى والموصوف بكل صفة من الصفات العليا والمنعوت بكل نعت
من النعوت العظمى هو الله وحده لا شريك له في الاسماء كما لا شريك له في الذات
والافعال فادعيته الدنيا لي والخلق خاضع لك خاشع ولا يرى نورا الا
نورك ولا يسمع صوتا الا صوتك وذلك لان الالوهية هو استجماعية الكمالات
العليا والصفات الحسنى وذلك له سبحانه بذاته في مرتبة علمه بذاته الذي
هو مبدأ كل شيء كما انه منتهى كل جلال وجمال وربوبيته هي مالكيته
وسلطانه وقهره كل شيء لديه عز شأنه ومالك الاشياء محيط بها وتفانيها
انما هو باقتداره على كل شيء وحصولها له بنفسه ذاته القيومية الحكمة
للسموات والارض وسامعيته بان الاسامع فوقه ولا يسمع الاقوال وخفيت

الاصوات

الاصوات لم تكتنفه جهة معه ما تضاف اليه او ينفعل بالشيء ما الذي واذا
نظر الى الصورة والظاهر فههنا ذات هو الرب وشيء هو المربوب لضرورة
لزوم الاضافة تحقق المتضايفين لكن شيئية ذلك المربوب وكل شؤونه محض
من الرب فالمربوب في نفسه لا شيء فاذا نظرت بكلتا العينين وجدت الربوبية
لا شيئا محضا وهو ما صرنا الاهوتية لا اله الا الله ولا وجود له الا الله ولا حول
ولا قوة الا بالله وبهذا النظر معنا قال الصادق جعفر بن محمد صلوات الله
عليه في مصباح الشريعة العبودية جوهرة كنهها الربوبية فاحتفظ بذلك
فان ذلك مما يختص بهذا الكتاب ليس منذ خلق استحق معنى الخالق ولا
باحداثه البرايا استفاد معنى البرائية قد عرفت ان معنى الخالق وحقيقة
هذا الاسم ثابت لله سبحانه وكذا معنى البرائية وهو حقيقة الاسم البارى
في عالم الالوهية وانما الخلق مظاهر لاحكام تلك الاسماء ومرايا لجهة الكمالات
فالوجه الحسن الجميل ثابت له الحسن والجمال وان لم يكن في الوجود مرآة فليس
هو سبحانه بخلقه الخلق استحق معنى الخالق ولا باحداثه البرايا استفاد
معنى البارى بل ذلك ثابت له ازلا وابدا للبس على معنى ان له سبحانه اضافة
واحدة هي كونه علة لجميع ما تقتضيه فان ذلك مما يقوله علماء الرسوم وليس
لذلك في التحقيق معلوم واما اهل الحق فانهم يقولون في كل صفة
من الصفات الاضافية انها ليست مستفادة من المخلوق ولا حاجة الى
رجوعها الى صفة واحدة كما سبقت نعم انما يصح عندنا اطلاق هذه
الاسماء عند احداثه البرايا اذ نحن انما علمنا ان له معنى الخالق حيث
وجدنا مخلوقا له لا انه استفاد ذلك المعنى بسبب خلقه فتلك النسب
والاضافات انما هي بالنظر الينا حيث استدللنا على كل صفة من صفاته

الحسي يظهر باحكام تلك الصفة وكذا يحدث تلك الاضافات بالنظر الى
الكلمات الفواعل والمدبرة باذن الله تعالى في مظاهرها واحكام هذه الحقايق
الاسمائية لا بالنظر اليه سبحانه اذ لم يسبق له حال حالا فيكون حالا قبل بعد
ان لم يكن حالا قبل ولانه سبحانه مقدس عن نسبة الزمان والزمانيات
فليس له نسبة الى ماض وحال واستقبال فخلق زيد الساعة لم يجعل
حالا فيه من ابتداء هذه اذ ليس هو في الزمان وليس فعله في الزمان بل
مخلوقه في الزمان ولا يتفاوت عنده الازمنة بل الزمان عنده كان فكون
مخلوقه زمانيا لا يصير سببا لكون فعله زمانيا اذ فعله اعانة لمخلوقه
الازل الى ارض الزمان وليس فيه ازل تقدم حالا على حال اخرى وسبق وجود
هذا وتاخر ذلك كما لا يخفى على من تجرد بعقله الى فضاء اللازمان وشاهد
ان وجود هذا العالم بعين العيان فان قيل اليس الخالق والباري من المضاف
ومن خواص المضافين انه لا يتقدم احدهما على الاخر من حيث هما مضافان
فكيف يوافق ذلك ما ذكرت وايضا قد تحقق في العلوم العقلية عند ... انه
ان اي واحد من المضافين يكون متحركا فانه السبب في حصول الاضافة
فعلى هذا يكون هو سبحانه مستفيدا من خلقه قلنا اما القول بالاضافة
فذلك افتراء اذ الاضافة من المقولات والله سبحانه لا يوصف بمقولة
فليس عنده اضافة ولا نسبة نعم قلنا ان تلك الصفات والنسب الينا
والى الكلمات الفواعل التي هي خاتم اسماء الله من الحقايق الموجودة في
سلسلة الاسباب واما القول بان المتحرك هو سبب الاضافة فهو ايضا
قول من غير علم نعم انما يصح ذلك في الاضافات التي ثبتت بين العلل
والمعلولات واما فيها فالعلة لما كانت سبب المعلول فهو ايضا سبب

بالنظر

لتلك

لتلك الاضافة اذ هو محرك هذا المتحرك المعلول فالمتحرك في المعلولية
لم يتحرك من قبل نفسه حتى يكون هو سببا للاضافة بل من اجل علته وبينها
فهي علة المعلول وعلة الاضافة الواقعة بينهما كيف ولا تعينه منذ غاية
جعل له غاية وكلمة منذ لابتداء الغاية اي لا يجعل كلمة منذ له سبحانه غاية
بمعنى انه يستحيل ان يعتقد له حال فيكون لها ابتداء حتى يصح ان يقال منذ
فعل كذا كان على صفة كذا وذلك استدلال على انه تعالى ليس منذ خلق
استحق معنى الخالق ووجه الاستدلال قد عرفت من انه لا يجري عليه
الازمنة والاحوال ولم يسبق له حال على حال اذ ليس عند ربك صباح
ولا مساء ولا يتغير بتغير الاشياء ولا تدنيه قد اي ادنا وقربه وكلمة قد
للتقريب او التوقع والمعنى لا يجعله كلمة قد قريبا من حال او صفة اي ليس
هو سبحانه يقرب من شيء ويبعد عن اخر حتى يصح ان يطلق عليه كلمة قد بان
يقال قد كان كذا فصار كذا ولا تحجبه لعل كلمة لعل للترجي الى جلب
محبوب او دفع مكروه والرجا انما يكون لمن وصل الى شيء لا محالة وذلك
انما يكون لوجود مانع عن الوصول اليه ايا ما كان فاطلاق الحجاب على كلمة لعل
من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب اي ليس له سبحانه حالة منتظرة حتى
يتوقع حصولها ويترجى وقوعها لكونها ممنوعا منه محجوبا عنه ولا توقته
متى ولا تشمله حين ولا تقارنه مع اي لا يصح عليه ان يجيبه قول القايل بان
يقال متى كان لبرائه عن الزمان فليس له وقت ولا هو في وقت حتى
يقال عليه متى وكذا لا يشمله حين بالبناء على الفتح اذ الاحيان انما
يحيط بالزمانيات ويشملها واما ما ليس وجوده في زمان فلا يشمله
حين ولا يقال عليه هو كذا حين كان كذا او يكون كذا والفرق بين متى وحين

ان متى لزمان الوجود وحين لزمان الوصف وكلمة مع للمقارنة ولا يقارنه
سبحانه شيء حتى يقارنه كلمة مع اي يجعله قرينا الشيء ويقرن تلك الكلمة
به سبحانه وبالجملة هو لا يوصف بالزمان والمكان ولا يلقى عليه الكلمات
الدالة على الزمان انما تحد الادوات انفسها وتشير الالة الى نظايرها
اللام في الادوات والالة للعهد اي هذه الحروف انما يستلزم التحديد
والاشارة لانها تجعل الشيء المقول عليه محدودا بالزمان او المكان
او المرتبة مشارا اليه بالاشارة الحسية او العقلية والله سبحانه يستحيل
عليه الحد والاشارة مطلقا فالادوات المذكورة انما تحد انفسها من
الاشياء المخلوقة وتشير تلك الالات الى نظايرها من الاشياء المحدثة
فتحكم عليها وتخبر عنها ويستعمل فيها واما الله سبحانه فهو متقدس عن ان يشير
اليه هذه الادوات ويستعمل فيه وفي الاشياء توجد فعالها اي في الاشياء
الممكنة المحدودة تحقق اثار تلك الادوات ويصح اطلاق هذه الالات
وليس لها في جبروت مجده سبحانه من سبيل ولا لها الى تلك الحضرة
من دليل منعتها منذ القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة
جملة منعتها للبيان اي تحقق اثار تلك الالات في الاشياء هو انها
منعتها اه وتانيث الافعال الثلثة لكون فواعلها الكلمات الثلث
وضمير مفاعيلها الاول يرجع الى الاشياء والقدمة والازلية والتكملة
مفعول لانها الثواني وجنبتها على صيغة التفعيل والتجنيب جعل الشيء في
جانب والمعنى نعت كلمة منذ اي اطلاقها عليها عن ان تكون الاشياء
قديمة اذ منذ تدل على الابتداء والتقديم ينافي الابتداء وحمتها اي دفعت
كلمة قد التقريبية الاشياء عن الازلية يعني ان اطلاق قد على الاشياء

ودفعها

دفعها عن مرتبة الازل اذ التقريب انما هو بالنسبة الى الزمان وجنبتها
اي جعلت الاشياء في جانب عن الكمال كلمة لولا التحضيضية اذ التحريض على
الشيء انما يكون لفاقده او كلمة لولا الامتناعية كان يطلق على الاشياء منا
لولا ذلك الصانع لم يحصل هذا الشيء الكامل وبالجملة لما صح اطلاق هذه
الادوات على الاشياء الممكنة اذا انتهاء العقول المراتب العالية من القدمة والازلية
والكمال والتمامية افترقت فدلت على مفرقتها وتباينت فاعربت عن
مباينتها اعربت اي افصحت والمباين على صيغة الفاعل وهو جاعل البينونة
وموجد المباينة كما سبق في المتفاوت وقد عرفت وجه تلك الدلالة وهذا
الايضاح بها تجلى صانعها للعقول اي بواسطة خلق الاشياء تجلى صانعها
للعقول حيث ترى العقول تلك الاشياء مظاهر صنع الله ومرايا نور جلاله
ظهور اسمائه وصفاته فتستدل بها على الله وصفاته واسمائه اذ بالاثار
والاعلام انما يستدل عليه تعالى وعلى اسمائه الحسنى وهذا القوم اشير اليهم
بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
واما العارفون بنور الله عز شانه الفايزون الى المحبوبية التامة فيقولون
كما ورد في دعاء عرفة عن سيد الشهداء عليه الف سلام وتحية وثناء كيف
يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس
لك حتى يكون هو المظهر لك فهؤلاء لم يروا في الوجود الا الله وما راوا شيئا
الا وراوا الله قبله اذ الاعيان انما هي في خفائها واستتارها وانما
المظهر لها والدليل عليها هو الله الذي هو نور السموات والارض وزين
السموات والارض وجمال السموات والارض وعماد السموات والارض
والى هؤلاء الطائفة صدر الخطاب بقوله او لم يكف بربك انه على كل شيء

شهيد ولذا غير الاسلوب عن الغيبة الى الخطاب فهو سبحانه شهيد بمعنى التجلي
في الظهور وليس في قوة العالم ان يدفع عن نفسه هذا الظاهر فيه كان يكون
مظهرا اذ هذا هو معنى الامكان على التحقيق التام فلو دفع لكان مسلوبا
عن نفسه ولو لم يكن حقيقة العالم الامكان لما قبل نور الوجود وظهور اثاره
وفي النسخ لما تجلى باللام الجارة وما المصدرية فيكون متعلقا بقوله ردّت
واعرب بنظ المعنى فتحجب عن الله لاجل تجليه بما نعها للعقول بواسطة هذه
الاشياء اذ هي مرايا ظهوره وبها احتجب عن الرؤية كما ان رحل جلاله
ظهر بالاشياء وفي الاشياء كذلك اختفى بها عنها وليس ذلك الاعيان
الاشياء ولذا قيل بطن بعين ما ظهر وعن امير المؤمنين عليه السلام لا يجنه البطون
عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون وعن بعض العرفاء العجب كل
العجب انه تعالى ما ظهر شيء من مظاهر افعاله الا وقد احتجب به فسبحان
من احتجب بنور ظهوره وظهر باسداله ستره وقيل في الشعر * بدت باحتجاب
واختفت بمظاهر * وقيل ايضا * لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على اكمه
لا يعرف القمرا * لكن بطنت بما اظهرت محتجبا * وكيف يعرف من بالعرف
استترا * هذا الذي قلنا انما هو على تقدير ان يكون الضمير في بها
راجعا الى الاشياء ويحتمل ان يكون راجعا الى العقول والمعنى انه
احتجب عن الرؤية بسبب العقول اذ ما دام الانسان يعقل نفسه ويثبت
وجودا وشيئية لذاته فهو بعيد عن رؤية الله بل عن رؤية ذكر الله كما قال
عز شانه واذكر ربك اذا نسيت واليها تحاكم الاوهام اي الله تحاكم الاوهام
وتنازعها انما ينتهي الى الاشياء ولا يصل الى الله سبحانه اذ الاوهام
انما تحكم على ما تتصوره من الاشياء المعروفة عندها والله اعظم من ان

بها فكل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود
اليكم فالقايل بالعينية مع اشتباهها في نفسها انما يحكم حسب ما يتصوره
وكذا القايل بالزيادة وانما يثبت لها ما يثبت لنفسه فتعالى الله عما يذكرونه
ويحتمل ان يعود الضمير الى العقول والمعنى ان تنازع الاوهام والمتخيلات
انما ينتهي الى العقول اذ الوهم انما يكون في حكم العقل وتحت سلطانه
فكل ما يدركه الوهم من الاشياء فانما يوصلها الى العقل والعقل عاجز
عن ادراكه سبحانه فكيف حال الوهم وفيها اثبت غيره اي في الاشياء
يدعي اثبات غيريته حيث يزعمون انها على شيء وليس يدرون انها لا شيء
محض واعدام صرفة وانما هي مظاهر انوار الوهيته ومجالي احكام ربوبيته
ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا حيوة ولا موتا ولا نشورا فاثبات
الغير هو اسناد وجود الامور الى شيء غير الله وغير حوله وقوته ولا حول
ولا قوة الا بالله ويحتمل ان يكون المراد انه في النظر الى الاشياء وتقلبات
احوالها وتطورات وضايعها اثبت انها غيره اذ خالقها منزه عن
اوصافها ولا يكون مثلها وهذه العبارة كنظايرها يحتمل ان يكون
ضميرها يرجع الى العقول فالمعنى انه في العقول اثبت غيريته وذلك يحتمل
وجهين احدهما ان كل ما يحصل في العقل ويتوهم انه هو الله فهو غير الله كما في الخبر
كل ما ميزتموه في اوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم والثاني انه
في العقول يثبت ان هيهنا اشياء غير الله ومخلوقاته ومنها انبط الدليل
في القاموس كل ما اظهر بعد خفاء فقد انبط واستنبط مجهولين انتهى
اي ومن الاشياء استخرج الدليل على وجوده سبحانه ووحدته وساير صفاته
الحسنى وتقدسه عما لا يليق بجناب الكبرياء * ففي كل شيء له شاهد يدل

على انه واحد قيل هذه الاية الشاهدة بأحدية كل موجود سواء كان واحدا
او كثيرا فان للكثير احدية الكثرة التي بها يمتاز عن غيره سواء كان ثمة ما به
الاشتراك اولا وهذه الاحدية عبارة عن تميز كون الشيء متعينا في علم الحق
ان لا فلما كشف للعبد بنور الايمان احدية كل موجود علم قطعا بان الله
تعالى له الاحدية مختصة لا كاحدية غيره بل احدية غير عددية كما سيقف انشاء الله
واذا كان ضمير منها يرجع الى العقول فالمعنى ان من العقول السليمة استخرج
الدليل على الله وصفاته الحسنى واسمائه العليا وبالجملة فكما ان بالعقول
يثبت غيره اي الاشياء كذلك من العقول يستخرج الدليل على ان لا الا غيره
ولا موجود في الحقيقة سواه وبها عرفه الاقرار وفي اكثر النسخ عرفها وكانه
من النساخ اي وبالاشياء عرف الله سبحانه عباده معرفة اقرار اسند
المعرفة الى الاقرار والمراد به العباد تنبيها على ان معرفتهم اقرارية ليس الا
فكانما يعرفه الاقرار والاقرار هو ان يقران للعالم مبدأ وللطبيعة
الممكنة التي هي بالقوة المحضة مخرجا الى الفعل لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء
قال بعض اهل المعرفة واما اثبات وجوده فيدرك بضرورة العقل الموجب
ترجيح الممكن باحد الوجهين واما احدية الذات فلا يعرف ها هنا حتى يحكم
عليها لانها لا تشبه شيئا من العالم ولا يشبهها شيء فلا يتعرض العاقل
الى الكلام في ذاته الا بخبر من عنده ومع اتيان اخباره فانا نجهل نسبة
ذلك الحكم اليه لجهلنا به بل نؤمن على ما قاله وعلى ما يعلمه هو فان الدليل
لا يقوم الا على نفي التشبيه شرعا وعقلا واما على نسخة الاصل فهو ظاهر
اذا كان الضمير في بها راجعا الى العقول كما هو احد احتمالي العبارة وضمير
عرفها الى الاشياء اي بالعقول يعرف الاشياء معرفة اقرار اسند المعرفة

الى الاقرار اشعارا بان غاية ما يتصور من معرفة حقايق الاشياء هو
الاقرار بان فيها اشياء ممكنة والا فالظاهر والباطن والاول والاخر
هو الله لا شيء غيره وبالعقول يعتقد التصديق بالله اي عقد التصديق
بالوهيته ووحدانيته واستجماعه الكمالات الذاتية والصفاتية انما هو
بالعقل حسب ما فطره الله عليه والتصديق هو ان يعتقد ان للعالم مبدأ
ولكل شيء مبدأ وهذا هو الاقرار به سبحانه كما اشار اليه بقوله عليه السلام ولا اقرار
يكمل الايمان به اي بذلك التصديق الذي قلنا انه الاقرار المحض المنافي
الصفة يحصل الايمان الكامل ويصير المعتقد بهذا الاقرار مؤمنا حقيقيا
كاملا في الايمان رزقنا الله الحصول اليه ولا ديانة الا بعد معرفة ولا معرفة
الا باخلاص مع التشبيه اي ان التصديق بدين الله لا يمكن الا بعد معرفته ولا اخلاص
سبحانه ولا يحصل المعرفة الكاملة الا بالاخلاص في التوحيد اي حصول التوحيد
الخالص المنزه عن شوائب الشرك والتركيب والتشبيه ولا يحصل التوحيد
الخالص الا بنفي التشبيه اذ التشبيه في معنى من المعاني انما هو تشريك الغير
مع الله وهو سبحانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه سبحانه شيء ولا نفي مع اثبات
الصفة للتشبيه يحتمل ان يكون للتشبيه متعلقا بالنفي وان يكون
للتعليل ومعمول النفي محذوف فعلى الاول معناه ولا نفي للتشبيه مع
اثبات الصفة وعلى الثاني لا نفي للتشبيه مع اثبات الصفة لوجود التشبيه
بالصفة الثبوتية فالحكم بثبوت الصفة له سبحانه سواء كان عينا او زائدة
يستلزم اذ التشبيه انما هو في المعاني حيث يصدق طبيعة تلك الصفة التشبيه
على الخالق والمخلوق فصفات الله تعالى كلها راجعة الى سلوب الاضداد
والنقايص لا انها معان ثبوتية له عينية او قائمة به فمسمة الصفات

بالثبوتية والسلبية انما هو باعتبار الالفاظ فقط فان بعضها الفاظ
ثبوتية كالعلم والقدرة وبعضها الفاظ سلبية كليس بجسم ولا جوهر ولا عرض
والا فالكل سلوب اما على انها سلوب انفسها كما في الصفات السلبية
او سلوب نقايضها كالصفات الثبوتية فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه
وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه هذا تفريع على ان اثبات الصفة تشبيه فكل
ما في الخلق من الامور الصادقة عليه اعتبارية كانت او خارجية لا يوجد
في خالقه اذ لو وجد فيه سبحانه لكان يشترك هو تعالى مع خلقه في كونه
مصداقا لذلك المفهوم وما به الاشتراك يستدعي ما به الامتياز وان كان
بالحيثيات فيتركب هو عز شانه وان كان بالجهات وايضا كل ما اشتركه
عرضي سواء كان اعتباريا او حقيقيا يستدعي مشتركا ذاتيا اذ كون الشيء
متكثرة مصداقا لحمل مفهوم واحد لا محالة يستلزم اشتراكها في ذاتي فكما
ان العرضي المختص يستدعي ذاتيا مختصا فكذا العرضي المشترك يستند الى الذاتي
المشترك والحكم بذلك قريب من البداهة فيتركب ذاته سبحانه وكذا الكل ما يمكن
في الخلق من الامور الممكنة له يمتنع من الصانع سبحانه لان كل ما يمكن في الخلق
يكون طبيعته ممكنة لانا نقول انها يمكن للمخلوق والواجب بذاته يستحيل
ان يمكن له شيء بذاته وايضا كل ما يمكن للخلق فحصوله يحتاج الى علة لان
الممكن لا بد له من علة فاذا ثبت ذلك الشيء للواجب جل مجده فعلته لا بد
وان يكون فاعلا وقابلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولعمري ان هذا الحكم يشمل
الوجود العام وغيره من الاحكام لا يجري عليه الحركة والسكون وكيف يجري
عليه ما هو اجراه او يعود اليه ما هو ابتداه حقيقة الحركة هو التغير والسكون
عدمه عما من شانه ذلك واستعمال الجريان الذي هو بمعنى السيلان مع الحركة من كمال

البلاغة واستدل على ذلك بوجوه الاول انه سبحانه فاعل الحركة ومجريها اذ الحركة
لا بد لها من محرك وقد ثبت انتهاء الحركات الى محرك لا متحرك هو الله فكيف
يجري عليه الحركة لاستلزام كون شيء واحد بسيط فاعلا وقابلا والى هذا اشار عز شانه
بخلقه الثاني انه قد ثبت ان الحركة ابتدائت منه سبحانه فهو مبدء الحركة وهي مما
لا بد لها من موضوع يقوم به ومن غاية ينتهي اليها فالموضوع بمنزلة
الوسط لصورة الحركة فلو عادت اليه الحركة بان يصير موضوعا لها لكان لا يتميز
المبدء من الوسط وهو ممتنع اذ التفاوت ذاتي ولتجزي كنهه هذا اشارة
الى الدليل الثالث والرابع بيان الثالث ان الحركة هو التغير والسيلان
والمتحرك لا بد وان يتغير من حال الى حال فيختلف عليه الاحوال فيتفاوت
الذات بحسب تفاوت الصفات وبيان الرابع ان المتحرك لا بد ان يكون بالفعل
من جهة وبالقوة من جهة اخرى اذ الحركة كمال اول لما بالقوة من جهة ما بالقوة
فيلزم التجزي من شيء بالفعل ومن شيء بالقوة ولامتنع من الازل معناه هذا
هو الدليل الخامس وتقريره ان الحركة هو التغير والتجدد وذلك يستلزمه
الحدوث اذ الحركة لا بد لها من فاعل وموضوع فهي مسبوقة بهما والحدوث
هو المسبوقية بالغير ولما كان للباري معنى غير الباري وهذا هو الدليل السادس
وتقريره ان المخلوق هو المتحرك اذ هو الذي خرج من قوة الامكان الى
فعلية الوجوب ومن فقر النقصان الى غنى الكمال فلو كان الله سبحانه
يجري عليه الحركة بوجه من الوجوه لما كان فرق بينه وبين المخلوق ولو حد
لزواله اذا حد له امام ولو التمس له التمام اذ لزمه النقصان يمكن ان يكون
هاتان الفقرتان من وجوه التنزيه والتقديس وان يكونا اشارتين الى
الدليل السابع والثامن لنفي الحركة عنه هذا اظهر تقرير الاول ان المتحرك لا بد

لة في حركة من ان يتخلف وراءه شيئا او يتوجه الى ما هو امامه ومفقود في كل
ما يوجد لوراء يجب ان يوجد لاحد الاخر هو امامه ولا لزم وجود احد المتقابلين
بدون الاخر والله تعالى منزه عن الحدود اذ الحد يستلزم التركيب المشعر بالامكان
وتقرير الثاني ان الحركة انما هي لتحصيل كمال او طلب منزلة لا يصل اليها
الا بالحركة وكل طالب كمال يلزمه النقصان عن ذلك الكمال الذي يطلبه
ويلتمس بالحركة والنقصان من لوازم الامكان كيف يستحق الازل من لا يمتنع
من الحدث هذا وما بعده تاكيدات لما قبلها لانه قد ظهر ان الحركة تستلزم الحدوث
فكيف يكون الشيء الذي لا يأبى من الحدوث مستحقا للازلية اذ الحدوث
والازلية مما لا يجتمعان لانهما نقيضان اذ الحدوث هو المسبوقية بالغير
والازل هو اللامسبوقية وكيف ينشئ الاشياء من لا يمتنع من الانشاء اي من
انشاء الغير اياه لان الحركة بالمعنى الاعم اي باصطلاح الالهيات هي الخروج
من القوة الى الفعل سواء كان من العدم الى الوجود او من نقص الى كمال انما
يكون بانشاء الغير لامتناع اتحاد مبدا الحركة وموضوعها فالانشاء
ايضا اعم من الانشاء الابتدائي والانشاء الثانوي كما في قوله تعالى ثم
انشأناه خلقا آخر والذي يجري عليه الحركة لا يأبى عن الانشاء مطلقا
فكيف هو ينشئ الاشياء وذلك لانه انما انشأ تذوته وقوامه ووجوده
من غيره فكل ما يفعل فهو انما يفعله بذاته او بصنعة فيه وكله من غيره فكيف هو ينشئ
شيئا وبالجملة فالمعلول انما هو كله من علته على ما هو الحق في معنى العلية
فلو فعل شيئا او اقتضى امرا فانما ذلك من جهة قوته وعلته التي هي محيطة
به وتقوم ذاته وهذا هو معنى توحيد الافعال اذا لقامت فيه آية المصنوع
ولتحول دليلا بعد ما كان مدلولا عليه اي لو كان لا يمتنع من انشاء الغير

اياه

اياه ولوجد فيه لقامت فيه علامة المصنوع فيصير دليلا على صانع وقد فرض
انه مدلول عليه بكل دليل لانتهاء العلل اليه وانتهاء الاسباب لديه
ليس في مجال القول حجة والمجال محل الجولان والحجة والمحجة جادة الطريق
واضافة المجال الى القول اما لامية فيكون المراد به اللسان او بيانية
فيكون المراد ان القول هو محل جولان المعاني والمجال مصدر ميمي اي ليس
في جولان القول طريقة يوصل الى التسبيحات اذ القول انما ينبئ عن المعنى
الذي هو في النفس ولا يسع سبحانه في عقل ولا نفس حتى يمكن ان يعبر عنه بحال
ولا في المسألة عنه جواب فقد عرفت ان السؤال عنه بكيف ولم وامثالها الى
التشبيه والتعليل وغيرهما واما السؤال بما الحقيقية فهو سؤال عن ذات
الشيء وذاتياته والله سبحانه لا ذاتي له ولا يوصل الى ذاته فكيف يجاب
عنه فالجواب عنه انما هو بصفاته كما سلك الخليل والكليم على نبينا وآله
وعليهما السلام حيث قال الخليل عليه السلام حين سئل عن ربه الذي يحيي ويميت
فان الله يأتي بالشمس من المشرق وقال الكليم عليه السلام حين سأل عنه فرعون
وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
تعقلون قيل ان فرعون كان عارفا بالمنطق فلما سئل عن الحقيقة واجيب
بالافعال حكم بالجنون لعدم مطابقة الجواب للسؤال على زعمه وغفل
ان موسى عليه السلام انما نبه بذلك على ان لا وصول الى معرفته ولا مطمع
للعقول الى معرفته سوى انه رب العالمين ومبدأ الخلائق اجمعين ولا في معنا
له تعظيم اي لو قيل فيه كل قول شريف عظيم المرام واجيب عنه بكل جلي

لطيف يليق بالكرام فليس في معنى هذا القول ولا في مغزى ذلك الجواب تعظيم
اذ هو سبحانه اعظم من كل ما يتصور بلا نهاية واجل من ان يحيط به العقول الا انه
ولا في ابانته عن الخلق ضيم الا بامتناع الازلي ان يثنى وان يكمل ان يبدى الضيم
الظلم وضامه حقه فنقصه كذا في القاموس اى ليس في ابانته سبحانه عن الخلق
بكونه ازليا ظلم من الله سبحانه على خلقه وتنقيص اياه عن حقه اذ الظلم انما
يمكن لو قبل طباع الامكان الازلية وذلك مستحيل اذ الامكان هو القوة
على قبول الانوار الالهية وذلك يستلزم المسبوقية وايضا نفس الازلية تابى
عن الاثنوة والواحد متقدم بالطبع على الاثنين هذا من جانب الممكن ادا
وطرف الازل واما من جهته سبحانه فهو ايضا لا يمكن ان يكون في مرتبة الخلق
بان لا يكون ازليا فليس في تلك الابانة بان صار هو ازليا لا شيء معه
في ديمومته وصار الخلق حادثا مسبوقا بعدم نفسه وقع ظلم وايقاع
للشيء في غير موضعه وليس ذلك الا بامتناع الازلية عن التثنية ولاجل ان الله
الذي لا بدء له يمتنع ان يكون له مبدء فالاستثناء مفرغ وقوله لا بدء عطف
على الازلي اى بامتناع الشيء الذي لا بدء له ان يبدى وفي بعض النسخ بدله
لا لفظة لما فيكون يبدى بمعنى يصير مبدءا وفيه اشارة الى ان الممكن الذي
له بدء يمتنع ان يكون مبدءا ليس له ابتداء انطباع الامكان كما قلنا يأبى
عن المبدئية والازلية وظني ان لما المجرورة ينبغي ان يكون بفتح جميع
لا فتدبر لا اله الا الله العلي العظيم كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا
بعيدا وخسروا خسرانا مبينا وصلى الله على محمد النبي وآله الطاهرين لما ذكر
الدليل على تقدس الاحدية عن اتخاذ الشريك والتسهيم في شيء من الاشياء
ناسب ذلك التهليل ثم اشار الى ان حق معرفة الله هو ما افاده عليه السلام في تلك

اذ قد فرض انه مبدء المبادى ولا بدء له فكيف يمكن ان يكون هو في مرتبة الخلق ع

الخطبة الرفيعة وكل من عدل عن ذلك فهو عادل بالله رب العالمين وكان من
الظالمين الخاسرين والحمد لله على انعامه والشكر على اكرامه

الخطبة الثالثة

باسناده عن الحصين بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي عبد الله عن ابيه عن جده عليهم السلام
ان امير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معوية في المرة الثانية
فلما حشد الناس قام خطيبا استنهضته لامر كذا اذا امرته بالنهوض
وهو القيام وحشد لما حشدوه بالكسر اى اجتمعوا فقال الحمد لله
الواحد الاحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان
سيجيء معنى الاسماء الثلثة الاول في تفسير سورة التوحيد ان شاء الله اما المتفرد
فهو الذي استخلص الفردانية الحقيقية لنفسه واستأثرها اذ كل ما سواه
فردوج تركيبي وهو عز شانه لا ثاني له ولا كفو يشابهه ويجانسه ولا من شيء
كان اذ هو بديع الاشياء والبديع من حيث هو بديع يمتنع ان يبدى اى يصير مبتدأ
والا لما كان بديعا وكذا لا من شيء خلق ما كان اذ لو كان نخلق الشيء من شيء
لما كان ينتهي الشيء ولا يمكن ان يخلق من لا شيء اذ العدم الصرف لا يصلح
لكونه مادة لشيء اذ كلمة من للعلل المادية كما يقول خلق من الماء كذا ومن الارض
كذا وسياتي بيان ذلك مفصلا ان شاء الله فبقي ان يكون لا من شيء خلق
ما كان وهو المطلوب قدرته بان بها من الاشياء وبانت الاشياء منه
في الكافي قدرة بدون الضمير فيكون نصبا على التميز او رفعا على الخبرية
اى هذه قدرة بدون الضمير واما على نسخة الكتاب فيحتمل ان يكون مبتدأ
والجملة الفعلية خبرها او زيادة مستجرها اى قدرته صفة بان بها
من الاشياء اذ هو سبحانه بقدرته التي هو انه خلق الشيء لا من شيء وكل صانع
سواه فانما يصنع من شيء فبان من الاشياء وبانت الاشياء منه وقولنا

قدسية ذاته لشأنه تعالى اي قدسية عين ذاته بل يعني انها ذات محض
لا يعزب عنها شيء لانها مصداق لمفهوم الشدة فافهم فليست له صفة
تنال ولا حد فتضرب له الامثال اي ليست له صفة حتى تنال اذ كل ما هو
مصداق مفهوم فيمكن ان ينال اليه وان كان باعتبار ذلك المفهوم
ولا له حد حتى يضرب له الامثال لان كل ما له حد وان كان اكبر فيمكن
ان يضرب له المثل فيقال هو اكبر من ذلك الشيء او من جميع الاشياء باضعاف
آلاف وما لا حد له فلا يمكن ان يضرب له المثل كل دون صفاته تعبير
اللغات كل اي عيي اي لا يقدر العبارات باية لغة كانت على ان يصفه
بوصف اذ كل ما يعبر به عن وصفه فهو اعظم من ذلك وضل هنالك
تصاريف الصفات اي ما اهتدى الى انه صرف الصفات واقسامها
كما ان تصريف الفعل هو امثلته واقسامه او المراد بتصاريف الصفات
هو تغايرها اذ هي مفهومات متغايرة متفرقة ومعان متشتتة
مختلفة اي لا يصدق عليه تلك المفهومات المختلفة بان يكون الذات
الاحدية مصداقا لتلك التصاريف المتفاوتة وحار في ملكوته عميقات
مذاهب التفكير حار من الحيرة والملكوت اما عبارة عن شدة السلطنة
والمنعة بحيث لا يصل اليه شيء واضافة العميقات الى المذاهب من
اضافة الصفة الى الموصوف اي الطرق العميقة والمعنى حار في شدة
سلطانه وكبريائه ولم تصل اليه الطرق العميقة التي للفكر بمعنى انه
لا يصل اليه الفكر مع طرقه العميقة للوصول الى الاشياء كالقوة
المتخيلة والقوة العاقلة لم يعزب عنها شيء من الاشياء ولا يعجزها
اذ كل شيء من الامور الممكنة فيما لا يمكن ان يوصل اليه بطريق من طرق الفكر

باغراضه

باغراضه او ذاتياته واما لانه لا شيء يخرج من سلطان العقل ولا يخرج
من تسلط الوهم والخيال واما ان يكون الملكوت عبارة عن الملكوت الاعلى
وهو عالم الالوهية ولا يصل الى منتهاه الفكر ولذا قيل ان حد الالوهية
لا يمكن لان معرفته موقوفة على معرفة العالم بجميع اجزائه اذ العالم ملك الله
والملكوت الاعلى هو باطن هذا العالم فتبصر والمعنى انه اذا لم يصل الفكر
الى ملكوته الاعلى فكيف له ان يصل اليه تعالى هيهات هيهات ضل هنالك
تصاريف الصفات وانقطع دونه الرسوخ في علمه جوامع التفسير دون
ظرف بمعنى امام ووراء وفوق والمراد هنا الاول وجوامع التفسير مثل جوامع
الكلم اي الكلام الموجز الجامع لفنون المعاني فجوامع التفسير هي التفسيرات
الجامعة لفنون البيان والعبارات المحتملة الورود في تفسير اي شيء كان
من اللغة العربية وغيرها وكالايجاز او الاطناب وما سواهما والكناية
والتصريح والحقيقة والمجاز والاستعارة والتشبيه ونظائرها وبالجملة
التفاسير المحتوية على جميع اقسام البيان يعجز عند الرسوخ في بيان علمه
وينقطع امام الوصول الى تفسيره فالقائل بالعينية وان ترقى كلامه
بابلغ وجوه البلاغة وادق بيانا واكمل دقة بان يقول ان حيثية الذات هي
حيثية الصفات وان قيام المشتق لا يوجب قيام مبدء الاشتقاق
وان ههنا ذاتا يترتب عليها ما يترتب على الذوات الموصوفة بالصفات
فقد ابعد عن الطريق وهوى الى مكان سحيق والقائل بالزيادة يجيء
هذيانا وجاء ظلما وزورا وبهتانا وحال دون غيبه المكنون حجب
من الغيوب تاهت في ادنى ادانيها طامحات العقول في لطيفات
الامور حال ضد رحب لانها تمنع من وصول الشيء اليه دون بمعنى امام والغيب

المكنون هو المسمى بغيب الغيب وهي المرتبة الاحدية المحضة الغايبة عن العقول
والحجب الغيبية هي مراتب المفارقات العقلية وقد عرفت وجه تسميتها بالحجب
وتناهت اي حارت وادنى الادا الى منزل الدنو بما لغة في القرب اي وقرب ذلك
الحجب الخلق المحجوب وطمح بصره الى الشيء ارتفع وايضا طمح اي ابعد في
الطلب وابعد اي تناهى في البعد والمراد ههنا المعنى الثاني بقرينة تعديته
بفي والاضافة اللطيفات الى الامور من اضافة الصفة الى الموصوف اي وقع
تلك الحجب الغيبية مانعا امام مرتبة غيب الغيب المتاثر من امره سبحانه
عن وصول العقل اليه عز شانه وتلك الحجب هي التي حارت في معرفة اقربها
الى الخلايق العقول البعيدة الغور في الامور اللطيفة فكيف بالوصول
الى معرفته جل جلاله ومن ذلك قيل ان حقيقة الحق مجهولة فليس هو سبحانه
من حيث الاطلاق الذاتي مثبتا انه مبدا او واحد او فياض للوجود
بل نفيه الوحدة وساير الامور بالنسبة الى ذلك الاطلاق على السوي كما قال
الرضا عليه السلام لا محكما ولا متشابها ولا معلوما ولا منسيا الى غير ذلك
فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن يعني لا تصل
اليه الهمم البعيدة في طلب الاشياء الرفيعة ولا يناله الفطن الغايصة
في الامور الغامضة ونعم ما قيل العجز عن درك الادراك ادراك وليس ذلك
البحر شان كل احد بل الغايصون في معرفته يحسبون انهم على شيء ويحسبون
انهم يحسنون صنعا وتعالى الله الذي ليس له وقت معدود ولا اجل
ممدود ولا نعت محدود اي ليس له سبحانه وقت حتى يعدد له الوقت
اذ الوقت هو حصة من الزمان والزمان معدود المتقدم والمتاخر
من الحركة كما في الحكمة القديمة واذا عد وقت صار هو ايضا معدودا اذ الوقت

ليس

ليس الا ظرف بقاء وجود الشيء والمراد انه ليس له عز شانه وقت
ولا كان هو معدودا اذ الزمان انما يعد الزمانيات و
يسلكها في سلك العدة كذلك ليس له جل مجده اجل حتى
يكون ممدودا اذ الاجل هو مدة بقاء الشيء فيكون ممتدا ولا له
نعت يثبت له حتى يصير محدودا بذلك النعت محاطا به اذ وصف
الشيء انما يحيط به سواء كان عينا او قائما به سبحان الذي
ليس له اول مبتدا ولا غاية منتهى ولا آخر يفنى اول الشيء
هو ابتداء وجوده كما ان الغاية هو انتهاؤه والآخر هو الذي
يتم به وجوده ولا يكون بعده وليس له عز شانه اول حتى يكون له
مبتدا وابتداء وجود اذ كل ما يبتدى وجوده فله مبدا ولا له
سبحانه غاية حتى ينتهي اليه اذ كل ما له انتهاء فله ابتداء ولا له جل
برهانه آخر حتى يكون بعده ويفنى عنده اذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه
ولا بمعنى ان ههنا شيئا هو آخر بالنسبة اليه عز شانه اذ لا يعزب
عنه شيء ولا يفوته شيء سبحانه هو كما وصف نفسه والواصفون
لا يبلغون نعته لما ذكر عليه السلام ان الله جل جلاله لا يوصف
بوصف ولا ينعت بنعت نزه عليه السلام عن وصف الخلق اياه
تاكيدا للحكم وتشديدا للامر ثم ذكر انه كما وصف به نفسه من
الصفات الحسنى ونعوت الكبرياء اذ هو عالم بنفسه ولا يعلم ما هو
الا هو واما اللايق بنا الاقرار بما حكم به على نفسه ووصف به
ذاته لا انه يمكننا ان نبلغ حقيقة ذلك النعت الذي نعت به نفسه
والى ذلك اشار بقوله والواصفون لا يبلغون نعته كما نقلنا عن بعض

اهل المعرفة حيث يقول صح اتيان اخباره فانا نجهل ان نثبت ذلك
الحكم الذي جهلنا بل نؤمن على ما اكره وعلى ما يعلمه هو فيا ايها الخاص
في التوحيد هل بعد ذلك يسع لاحد ان يقول انه وصفه غير ذاته
او زايد عليها لا هو ولا غيره او غير ذلك فنعوذ بالله من زلات عقولنا
ووسوسات نفوسنا حدّ الاشياء كلها عند خلقه ايّاها ابانةً
لها من شبهه وابانةً له من شبهها اي جعل للاشياء كلها
مفارقاتها ومباينتها عند خلقه ايّاها حدودا اما لان الخلق
هو الابتداء عن شيء حدّا ولانه عند خلقه جعل لكل منها حدّا
لا يتجاوزه فان العقل مثلا لا يصير نفسا بل المرتبة العقلية
حدّ ابتداء من الله وانتهى الى المرتبة النفسية وهكذا الى منتهى
درجات الوجود وما منا الا له مقام معلوم وفي الاخبار منهم
ركع ومنهم ساجدون ومنهم قائمون وقوله ابانة مفعول له
والتشبه بالحركات المتشابهة اي لابانتها عن شبهه وابانته سبحانه
عن شبهها او الاحد لاجل سلطانه وهذا الذي قلنا هو احد وجوه
التحديد ومنها تحديده الاشياء باجناسها وفصولها وبالجملة
باجزائها وذاتياتها واعراضها ولوازمها الى غير ذلك فكم يحل فيها
فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها باين
ولم يخل منها فيقال له اين كلمة فيقال في المواضع بالنصب فاني
بمعنى بعد ثم الفقرة الاولى للرد على النصارى ومن تشبه بهم
من متصوفة العامة لما حسبوا ان الله تعالى حل في هياكل الكمل
من اهل المعرفة والحنابلة حيث اعتقدوا ان الله ياتي في كل ليلة

جمعة

جمعة على صورة امرد وساير نحاة فانهم في ذلك والاشاعرة حيث زعموا
ان الانسان بمنزلة الكم لله سبحانه والثانية للرد على الذين
زعموا ان الله فوق السموات والمتفلسفة الذين اعتقدوا
ان الازل والسرمد ظرف لوجوده والدهر والزمان لوجود ما
سواه والثالثة للرد على المعتزلة واليهود الذين اخرجوا الله عن
ملكه وسلطانه وان الله قد فرغ من الامر ولبطلان الحلول وجوه
كثيرة اجودها ما اشار عليه السلام اليه بقوله فيقال هو فيها كائن
وبيانه ان الحال في الشيء اما ان يقتضي بنفسه الحلول او يقتضي
اللاحلول او لا يقتضي شيئا منهما والاخيران يقتضي التخلف اما
اولهما فلما فرض من الحلول واما الثاني فلانه اذا لم يكن يقتضي شيئا
فكل منهما يكون بعلة وقد فرض انه لا علة له فبقي الشق الاول
وهو يستلزم ان يكون كائنا في المحل والكائن في المحل تبع لوجود
المحل لان الحلول هو ان يكون وجود الشيء في نفسه هو وجوده في
محله وايضا كل كائن بذاته في شيء هو مسبوق الوجود بالمحل وايضا
كل كائن لابد ان يكون فاسدا واقل ذلك فيما نحن فيه ان يكون نفسا
محله ولبطلان الثاني ايضا طرق اشرفها ما افاده عليه السلام بقوله
فيقال هو منها باين اذ حقيقة قولنا هو من ذلك الشيء باين وبعيد
هو ان يكون ذلك في حد وهذا في حد آخر وان لذلك ذاتا تقابل
هذا وان هذا غير محيط بذلك وان هذا يعزب عن ذلك والله سبحانه
ليس في حد والاشياء في حد آخر وانه لا يفوته شيء وانه بكل شيء محيط
وانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وان الكل هالك عنده وجهه الكريم

وخضعت الوجوه للحى القيوم واما بطلان الثالث فبما اشار عليه السلام
بقوله فيقال له اين وتقريره ان كونه سبحانه خاليًا من الاشياء صحيح
من وجه وغير صحيح من وجه اخر اما الوجه الصحيح فهو انه خال من الاشيا
بمعنى انه ليست الاشياء فيه اذ كون الشيء فى الشيء حلول وهو يستلزم
القبول والاستعداد لا محالة ولذلك قد ورد فى الاخبار ان الله
خلو من خلقه وخلقه خلو منه واما الوجه الغير الصحيح فلان الخلق
انما صدر عنه وصدور الشيء وعلته محيط بالشيء ولذا قيل فى الحكمة
القديمة ما لك كل الاشياء هو الاشياء كلها لا انه الاشياء فيه ولا انه
متبعض بالاشياء بل على انه محيط بها علمًا وقدرة وهذا مراد من قال
من ارباب المعرفة ان البسيط عنه وفيه شيء بمعنى قول فيه فى المقول بل انما
هو معنى عنه فى المقول على الا انه يصح عليه المقولات فالخبر اى ما ورد
عنهم عليهم السلام من انه تعالى خلو من الاشياء وما ورد هنا انه لم يخل منها
لا تنافى فانهم ولنرجع الى بيان العبارة فنقول لو كان هو سبحانه
خاليًا من الاشياء لكان يصح ان يقال هو باين منها اذ قد ثبت انه مع
الاشياء فلو كان خاليًا عنها غير محيط بها لكان يصح ان ينسب الى
الاشياء بانه باين منها اما اذا كان محيطا بها غير فاقد اياها
وظاهرًا فى الاشياء وباطنًا فيها وان الكل عنده هالك وليس شيء
فى الحقيقة الا هو فلا يمكن ان يقال هو باين منها اذ ليس بالنسبة
اليه شيء الا هالكة الحقيقة باطلة الذات والهوية لكنه سبحانه
احاط بها علمه واتقنها صنعه واحصاها حفظه ولم تعزب
عنه خفيات غيوب الهواء ولا غوامض مكنون الدجى ولا ما فى السموات

العلى والارضين السفلى هذه الفقرات بعد ابطال الحلول وقرانيه
بيان لاربعة وجوه من الاحاطة فالاولى للاحاطة العلمية والثانية وهى
قوله واتقنها صنعه للاحاطة العلية والثالثة وهى قوله واحصاها حفظه
للاحاطة القيومية الامساكية والرابعة وهى قوله لم يعزب عنه للاحاطة
النورية الالهية وعلى هذا يمكن ان يكون استدراكا للسوابق على الاجمال
وان يكون للاولى استدراكا بالجملة لم يحلل فيها او الثانية والثالثة
بالجملة لم ينا عنها والرابعة بالجملة لم يخل منها فحاصل الجملة الاستدراكية
والمستدرك منها هو ان الله تعالى مع كل شيء لا بمقارنة الحلول او اتحاد
او ان يكون سنخا للاشياء حتى يكون فى كل شيء جزء منه كما يقولون ان فى
آدم عليه السلام جزء من الالوهية على ما يزعم العادلون بالله بل معيته للاشياء
انما هو بكونه محيطا بها علمًا لانه احاط بكل شيء علمًا وكذا هو سبحانه بعيد
عن الاشياء لانه احكم صنعها وخلقها وهو علة كل شيء واى شيء اقرب
الى الشيء من علته اذ هو مذوت ذاته فهو اقرب الى الذات من الذات ولانه
احصى كل شيء بقيوميته وامسكه بحفظه حيث قامت به السموات الى الارضين
السابعة وبقائه بقيت الذات الوجودية فمعنى احصاها حفظه اما
ما قلنا لان الحافظ للشيء وقيومه لا محالة يكون محصيا له واما ان يكون
احصاها بعلمه لانه احصى كل شيء عددا او بعلمه احصى كل شيء كما هو طريقة
الفيثاغورسيين فى علم الله تعالى اذ هم يقولون اصل الموجودات هى الاعداد
فالمعدود الذى فيه اثنينية هو العقل بجهة نفسه وبارئه والذى فيه ثلاثية
هو النفس والذى فيه اربعية هو الطبيعة والبارى تعالى عالم بجميع المعلومات
على طريق الاحاطة بالاسباب التى هى الاعداد وكذا هو سبحانه لا يخلو من الاشياء

بالمعنى الذي قلنا لانه لم تعزب عنه اي عن نوره خفيات غيوب الهواء واضافة
الخفيات الى الغيوب للمبالغة اي التي في غاية الخفاء في فضاء العالم وهو
البعد الذي كان قبل صورة العالم باسرها مفارقاتها وماديّاتها وفيه
نفس الرحمن ومنه هبّت هذه الريح التي هي تموّج ذلك الهواء المسمّى لقوله
صلى الله عليه وآله لا تذمّوا الريح فانه من نفس الرحمن ولم تعزب عنه تعالى ه
الغوامض المكنونة في ظلم الدجى وهي ظلمة المواد القابلة للصور اذ المادة
كل شيء بالقوة فكل شيء فهو في المادة باغمض وجه ولا يعلم ذلك
الا الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة ولم يغب عنه جلّ وعلا كل ما في السموات
العلى والارضين السفلى اذ هو بكل شيء محيط والى هذه العلة اشار عز وجل
بقوله لكل شيء منها حافظ رقيب وكل شيء منها بشيء محيط والمحيط بما احاط
منها الله الواحد الاحد الصمد في بعض النسخ ورقيب بالواو ولا يلزم
منه تغاير الحافظ والرقيب وقوله والمحيط مبتدأ والله خبر اي المحيط ه
بالمحيط منها بكلها هو الله تعالى اعلم ان لكل شيء في عالم الملك ملكوتا
يخصه ويدبّر امره ولذلك الملكوت جبروت تابعة ويحيط به وبطريق
آخر ان لكل شيء حقيقة وذاتا ولتلك الحقيقة صورة عقلية ومن وجه
آخر ان لكل شيء مثالا ولكل مثال اصلا وحقيقة صرفة نورية وذلك
لان اصول النشآت ثلثة عالم الحس وعالم النفس وعالم العقل وبعبارة
اخرى الشهادة والغيب وغيب الغيب كما قال تعالى عالم الغيب والشهادة
لا يعزب عن علمه مثقال ذرة وبالشرع عالم الخلق والامر والالوهية كما قال
تعالى له الخلق والامر بل لله الامر جميعا ولله غيب السموات والارض وبعبارة
عالم الملك وعالم الربوبية وعالم الالوهية بيان ذلك ان صورة هذا العالم

انما

انما يصدر عن النفس وهي انما يصدر عن العقل والعقل انما يصدر عن الله
لقوله عليه السلم اول ما خلق الله العقل وبوجه آخر كل ما في هذا العالم فانما
يصدر عن اسم الحي وللاسماء الالهية خدم واعوان وجميع الاسماء انما ينفعل
بحكم اسم واحد هو الملك لمة الاسماء كما سيجيء في الخبر ان الله خلق اسما بالحروف
غير مصوّت فالاسم الواحد يتشعب الى تلك الاسماء ولهذه الاسماء خدم واعوان
ولهؤلاء الاعوان آثار وافعال وبالجملة لكل شيء كلمة الهية وامر ربّاني
يحفظه ويقوم بشأنه ويوصله الى كماله كما اشار اليه سبحانه بقوله له معقّبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قوله من امر الله بيان للمعقّبات
وتلك الكلمة هي الرقيب والشاهد على الخلق كما قال ويوم نبعث من كل امة
شهيدا من انفسهم وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والشهيد من وجه
آخر هو نبي تلك الامة كما ورد في الاخبار وذلك لان النبي هو كمال عقول
امته وجامع متفرقات حقائق من في حيطته والحاصل ان تلك الكلمة
التي مع الخلق هي من وجه باطنه الذي هو حقيقته ومن وجه علته التي منها
جميع اموره والباطن انما يحيط بالظاهر والعلة مع المعلول حيثما كان
وحافظه ورقيبه وكل علة فلها علة اخرى فوقها يحيط بها وتشتمل عليها
والمحيط بكل هذه العلل المحيطة هو الله المحيط بكل شيء الواحد الاحد
الذي لا شيء معه ولا شيء فوقه والصمد الذي هو فوق التمام ولا يعزب عنه
ما دونه الذي لم تغيّره صروف الازمان ولم يتكاءده صنع شيء
كان انما قال لما شاء ان يكون كن فكان قد سبق معنى العبارة الاولى
وسيجيء ايضا ان شاء الله وفي القاموس تكاءده الامر وتكادني بتشديد
الهمزة وتخفيفها مع الف قبلها شقّ على تجانه ان يكون مفعول المشبّهة

وكن معقول القول والاتيان بصيغة الماضي في قوله فكان مع مجيئه في القرآن
بصيغة المضارع لرعاية السجع وللدلالة على عدم التراخي بين القول
والكون الى حد لا يمكن ان يكون ذلك الكون مستقبلاً بالنسبة الى القول
بل للتنبيه على ان القول هو نفس كون الشيء المراد وجوده على ما هو التحقيق
في معنى كلمة كن ومما ينبغي ذكره في هذا المقام قول لبعض اهل المعرفة وهو ما
ملخصه ان المبداء الاول لما اعطى الحقائق وجعل ايجاد العالم عن نفسه
وارادته التي هي نسبة التوجه بالتخصيص لتكوين امر وقوله الذي هو مباشرة
الامر الايجادي يعني كلمة كن اذ النتيجة لا يكون الا عن فرد ذي ثلث
اوله الافراد والعين واحدة والنسب مختلفة فانها من حيث يتبعها الوصف
اللاحق ذات وباعتبار التوجه بهذا التخصيص مريد وباعتبار مباشرة
للايجاد بكلمة كن قائل ولذلك صارت حدود القياس ثلثة الاصغر
والاكبر والاوسط فالتثليث معتبر في الانتاج والعالم نتيجة بلا شك ه
ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب وكل صانع شيء فمن شيء
صنع والله لا من شيء صنع ما خلق الابداع والابتداع بمعنى وهو
ايجاد الشيء لا عن مثال سابق ولا في مادة وموضوع كما قال ابو الحسن
الرضا عليه السلم في حديث عمران ثم خلق خلقاً مبتدعاً باعراض وحدود
مختلفة لا في شيء اقامه ولا في شيء حده ولا على شيء حذاه ومثله الى
الحديث وبالجملة المعنى انه سبحانه ابدع اولا بلا مثال سابق كل ما خلق
ثانيا اي ان المخلوقات التي ههنا انما لها كلها وجود ابداعي في العالم
الالهي المسمى بالعالم العقلي النوري من دون تعب حاصل بالحركة
او نصب واصل لانتظارها الترتيم انه عليه السلم بعد ما ذكر الابتداع اشار

بيان الاختراع وهو الايجاد لا من اصول ازلية وبذلك نفي القول بالاعيان
الثابتة وثبوت المعدومات والصور العلمية وما يضاهيها فقال وكل
صانع شيء فمن شيء صنع اما العقل فانه اوجد صورة النفس والهيولى
في الهوية الصادرة عن الباري واما النفس فانها اوجدت الطبيعة
في المادة الصادرة من العقل واما الطبيعة التي هي سنة الله في خلقه فلانها
يفعل الاشياء المادية مع استعداد وحركة المادة واما القواعل المزاجية
والقوى النفسانية وكذا الملائكة المدبرة للعوالم الجسمانية وكذا
اهل الصنايع المعروفة فظاهر من امرها انها يصنع الشيء من مادة كما تكون
النطفة من الغذاء والخشبة من البذر والسحاب والمطر وغيرها من النجار
والسرير من الخشب الى غير ذلك واما الله سبحانه فهو لا من شيء صنع ما خلق
لانه لو كان صنعه من شيء لما انقطع الشيء وتكون معه في قدمه وازليته
شيء بل نقول كل مصنوع يصدر من الصانعين بامره اذا انتسب الى الله فهو
مصنوع لا من شيء واذا انتسب الى تلك الواسطة فهو من شيء وهذا عجيب
ولا تعجب من ذلك فان امر الله كله عجيب وذلك لما قلنا انه يمتنع ان يكون
للاشياء بالنسبة اليه تقدم او تاخر او سبق او لحوق والا لما استوى نسبته
الى كل شيء بل انما ذلك بالنظر الى انفسها فتبصر واما ما ورد في الآيات
من قوله خلقكم من نفس وخلق من الماء بشرا الى غير ذلك فان ذلك بالنسبة
الى امره والمدبر باذنه وسياتي ان شاء الله تحقيقه ذلك الانتساب وكل
عالم فمن بعد جهل تعلم والله تعالى لم يجهل ولم يتعلم احاط بالاشياء
علما قبل كونها فلم يزدد بكونها علما علمه بها قبل ان يكونها
كعلمه بعد تكوينها فقد علمت ان علمه تعالى ليس على ان لهذه الصفة عينا

كانت او زايدة لازمة للموصوف من حيث انه موصوف غير الصفة وكل عالم
غيره سبحانه فانه لامحالة موصوف بالعلم وصفته غيره من حيث هو موصوف
هو في مرتبة ذاته جاهل اذ الجهل ليس الا عدم العلم وقد قلنا ان الصفة
من حيث هي صفة يمتنع ان يكون في مرتبة الموصوف ففي تلك المرتبة ثبت
الجهل هذا حال العالم الذي يلزمه صفة العلم لذاته كالعقول وهذا
معنى قول ارسطاطاليس في اثولوجيا انه لما ابتدعت الهوية الاولى
من الواحد الحق وقفت والقت بصرها على الواحد لتراه فصارت حينئذ عقلا
انتهى اقول وهذا هو التعلم الانفعالي هو كالاكتساب من الغير سواء كان دفعة
كما في هذه الصورة او تدريجا كما للنفوس الانسانية وبالجملة فكل مخلوق
فعلمه لا محالة بعد جهل سواء كان عقلا او نفسا والله سبحانه لما كان عالما
بذاته لا بصفة قائمة به او عينه فمعنى كونه عالما انه لم يجهل ولم يتعلم
بل افاض العلم على العالمين ووهب ذلك الكمال للمتعلمين واحاط بالاشياء
علما قبل وجودها لا بان يتمثل في ذاته بل لان ذاته كانت مثالا لكل شيء
والمثال لا يتمثل ويحتمل ان يكون المعنى انه احاط بالاشياء علما اي في
العالم العقلي الالهي قبل كونها اي وجودها الخلقي في العالم الحسي
فلم يزد علمه بسبب وجودها اذ ليس علمه بصورة او شبح حتى يزداد ذلك
بسبب وجود ذي الصورة حين كانت الصورة مطابقة له او باضافة
اشراقية نورية او غيرها حتى يختص بوجود المضاف اليه فوجود الاشياء
هو صورها معقولات له فكيف يزداد علمه بسبب وجودها فعلمه بها قبل
كونها كعلمه بها بعد كونها اذ ذاته علم وكله علم فكيف يختلف علمه
والكون في قوله بكونها تامة وعلما تميز للازدياد وقوله علمه مبتداء خبره قوله

كعلمه

كعلمه بعد تكوينها لم يشدّد سلطانه ولا خوف من زوال ولا نقصان
ولا استعانة على ضد مثاور ولا ند مكاثر ولا شريك مكابر لكن
خلائق مربوبون وعباد داخرون ثاوره واثبه من الثور وهو الهيجان
والوثوب وكاثره غالبه وكابده بالموحدة قاساه اي اشتد عليه وجعله
في ضيق وغم والند بالكسر مثل الشيء الذي يضاده في اموره ويناده
اي يخالفه والدخور الذلة والخضوع اعلم انه عليه السلام نفى بقوله لم يشدد
سلطان ان يكون فعله سبحانه بطريق اللزوم بان يكون افعاله الاشرفية عن
شانه لوازم ذاته المقدسة كما زعمه المتفلسفة اذ الملزوم انما يتقوى
شانه باللوازم وكانه بها يتم وابطل بقوله ولا خوف من زوال ان يكون
فعله لغاية يعود اليه جل مجده اذ الغرض الذي بحسب الذات في نفسها
يكون لخوف زوال الذات في وجودها والذي بحسب كمال الذات في نقصها
انما يكون لكمالاتها فذاته ناقصة دونها وكذا لو كان بحسب شيء آخر
فان كان كون ذلك الشيء المعلول او لا كونه بالنظر الى الفاعل على
السواء ولم يكن له داع يدعوه الى ذلك فليس هو مصدر الشيء عن علة
وغرض وان لم يكن كذلك فيكون الاولى بهذا الفاعل على القاصد
ان يكون مفيضا على غيره لانه اولى به من عدم الافاضة ويرجع آخر الامر
الى الاستكمال كما نص بذلك رئيس مشائية الاسلام في الشفاء والاشارات
وبالجملة عليته تعالى ليست كعلية العقول العالية والاسماء الحسنى الالهية
فان افعالها انما هي مقتضيات ذواتها لما اودع الله تعالى فيها
ما يلزمها اعطاؤه لما هو لها وبذلك الاتاد للوازم سداد
سلطانها شديدا قويا وكفى بذلك شهيدا حديث العقل وقايسه

تعالى اياه بالجنود وفي اثولوجيا ونقول ان الاشياء العقلية ملزم
للاشياء الحسية والباري الاول لا يلزم للاشياء العقلية والحسية بل هو
ممسك لجميع الاشياء انتهى وكذلك ليست علية حمل الجسد كعلية النفوس
لانها انما تفعل لنقصان في ذواتها حتى يستكمل بافعالها ولحوقها
من انه لو لم تكن مفيضة على ما تحتها لما افاض عليها العقل الذي
هو فوقها وقد اشار الى ذلك ارسطو حيث قال في الميمر السابع من كتاب
اثولوجيا وذلك انها اي النفس استفادت من هذا العالم معرفة الشيء
وعلمت ما طبيعته بعد ان فرغت عليه قواها ثم قال ان الفعل انما هو
اعلان القوة الخفية بظهورها ولو خفيت قوة النفس ولم تظهر لفسدت
ولكانت كانها لم تكن البتة انتهى وليست فاعلية كفاعلية الطبيعة
لان فاعليتها انما يكون للاستعانة على دفع الاضداد ولئلا تغلب عليها
الانداد ولئلا يستقر تلك الطبيعة مثلا بالقهر شركاؤها من الطبايع الاخر
اذ عالم الطبيعة هو عالم الاضداد والانداد فكما ان ذاته سبحانه لا يشبه
شيئا كذلك فاعليته لا يشبه فاعلية القوابل باموره اصلا وقوله عليه السلام
بل خلايق مربوبون آه لبيان الاستدلال على ذلك والعدول من التانيث
الى الجمع اما للتغليب ولكونهم كما حققنا قبل عارفون بربهم يسبحون
بحمده كما وقع نظير ذلك في التنزيل بقوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم حيث اتى بضمير الجمع لذوي العقول بعد ذكر الشيء
اي كيف يتاتى منهم تقوية سلطانه او امانه من خوف زوال ونقصان
او اعانته على دفع الانداد والشركاء وهم مخلوقون مربوبون انما اوجدهم
عن عدم بعد العدم الصرف والليس القصيح ويربهم خالقهم فكيف يعودون

ويربون هذا الخالق ومن المحال ان يكون الشيء الذي نفس حقيقته
هي المربوبية بمعنى ان له حيثية واحدة هي كونه مربوبا يعود ويصير ربا لربه
بان يقوي سلطانه ويامنه من خوفه ويعينه في اموره وايضا انما هم عباد
داخرون وقد عرفت ان العبودية هي الافتقار الذاتي المستدعي للاستغناء
الذاتي فكيف هو يغني من شيء وبيده خلقه وهم داخرون اذلاء خاضعون
والخضوع هو الهلاك الحقيقي والبطلان الاولي والهالك الباطل من اين
له الاعانة والامان فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدا ولا تدبير
ما برا ولا من عجز ولا من فترة بما خلق اكتفى كل ما يكون فعله بالحركات
والالات كالنفوس والطبايع فانه لا محالة يلحقه كلال واعياء ويثقل
ذلك عليه والله سبحانه فاعل لا بحركة واداة فلا يؤوده خلق ما ابدعه
وابتداه ولا يثقل عليه تدبير ما براه هكذا قيل في بيان قوله عز شانه
ولا يؤوده حفظهما ثم اعتذر عن فاعلية العقل بانه لما كان كلمة الله
واسمه وانما هو عبد الله فهو مثله انما هو فعل الله واقول هذا الحكم جار
في جميع الموجودات الفواعل لان الكل خاضع لديه وانما افعالها بامره
واذنه فالوجه ان يقال كل ما يكون فعله بعد ما لم يكن فانما يؤوده ذلك
وبالجملة كل فاعل لا يفعل بذاته وبذاته فقط فانه يثقل عليه ذلك الفعل
لان الذي لا يفعل بنفس ذاته فانما يفعل بصفة في ذاته والصفة مطلقا
محمول والحمل يستلزم الثقل لست اعني انها يثقل ثقل الاوزان والاحمال
بل انما نعني بذلك انها زائدة والزيادة ثقل وحمل وايضا قد عرفت
ان ما سوى الاول عز شانه انما فاعليته بالاضطرار بمعنى انه يفعل بامر الله
واذنه ولا اراده لامره وكل مضطر على الاطلاق فالافعال الصادرة عنه

انما يشتغل عليه وان كان في كمال الطوع والرغبة ونهاية الشوق والمحبة
وذلك لان الشوق ايضا من غيره وعلى ما حققنا يدخل جميع العلل الفواعل
سواء كان عقلا او نفسا او غيرهما فتبصره وسياتيك معنى قوله تعالى
ولا يؤده حفظهما في مقام مناسب انشاء الله ولما قوله عليه السلام ولا من عجز
فهو معطوف على قوله لا يؤده وكلمة لا لتاكيد النفي والجملة حالية والظرف
فالظرف متعلقان بالكتفي قدرنا لرعاية التسجيع والتقدير ولا اكتفى سبحانه
بما خلق من اجل عجز يعرضه او فتور واعياء يلحقه ويحتمل ان يكون الباقي قوله
بما خلق للسببية ولعله اراد ذلك الرد على ما يمكن ان يقول احد فاذا كان
لا يؤده شيء فلم لم يخلق اضعاف ما خلق فقال عليه السلام وانما اكتفى بما خلق
لا من العجز والفتور بل بسبب اخر وهو ما افاده عليه السلام بقوله علم ما خلق
وخلق ما علم لا بالتفكير ولا بعلم حادث اصاب ما خلق ولا شبهة
دخلت عليه فيما لم يخلق بل قضاء مبرم وعلم محكم وامر متقن
فقوله علم ما خلق وخلق ما علم بيان لوجه الاكتفاء وقوله لا بالتفكير
ولا بعلم حادث اصاب ما خلق بيان لكيفية العلم بحيث ظهر وجه السببية
للاكتفاء وقوله لا شبهة اه بيان لما يمكن ان يقال ويذكر احتمال اخر
غير العجز والفتور وهو دخول الشبهة في علمه تعالى وقوله بل قضاء مبرم اه
جواب لهذا السؤال بيان ذلك كله انه عليه السلام لما نفى العجز والفتور اه
عن كونهما سببا للاكتفاء بهذا المخلوق بين ان الاكتفاء بانه جل مجده
علم الذي خلق اي ان المخلوق انما صدر عن علمه لانه لما تعقل ذاته
وذاته انما هي مبدء الكل فصدور الاشياء انما عنه هو كونها معقولات
له وهي تعقله ذاته لان الكل انما هو بنسبة علية هي تعقله سبحانه ذاته التي

في

هي علة الهيات ومبدئها ومالك الاشياء ومصدرها ثم خلق في المرتبة
النفسية والطبيعية كل الذي علم اي صدر عن علمه في المرتبة العقلية الالهية
فالاشياء انما هي صور علمه تعالى وليس في قوة الطبيعة الامكانية الا
وقد علمه الله وكلما علمه الله فقد خلقه فليس الاكتفاء به الا من نقصان
القوة الامكانية ومع ذلك فلا يحيط بهذا القدر مدرك من المدارك الخلقية
ولا يحصيه نوع من القوى الانسانية ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
ولذلك قيل انحد الا وهيته لا يمكن اذ ذلك موقوف على الاحاطة بجميع صور
العالم وليس ذلك في وسع احد ثم انه عليه السلام افاد ان هذا العلم ليس بتفكير
على ان يكون هناك صور من ذاته في ذاته كما يزعمه المحجوبون او صور حاضرة
من الاشياء بان يكون هيهنا اعيان ثابتة او معدومات ثابتة او نحو ذلك
لانه يلزم على الاول كون البسيط فاعلا وقابلا وعلى الثاني يلزم حدوث
علمه سبحانه اذ هو حينئذ يتوقف على حضور هذه الاعيان فيتاخر عنها ثم
انه عليه السلام دفع من تشكك انه يحتمل ان يكون اشتبه عليه ما لم يخلق
حين صدر عنه ما خلق بعلمه فاكتفى بما تحقق علمه وثبت عنده فقال ه
لا يليق ذلك بجنابه اذ لا يخفى عليه شيء في ظلمات عالم الامكان ولم يسبق
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قبل الكون والمكان بل ذلك القضاء مبرم
اي محكم حيث حكم على نفسه بان يعطي كل مستحق ما يستحقه ويخرج كل ذي قوة
الى فعليته التي يطلبها ولاجل علمه بنظام الكل علما محكما لا شبهة فيه بان الجملة
الامكانية لا تسع اكثر من ذلك ولاجل امره المتقن حيث امر بوجود كل ما علم
امكانه وقضى بفعليته فحصل ما امره في عالم الشهود وتحقق علمه وقضائه
وهذا الذي قلنا انما هي في كليات الاشياء وطبايعها واما الاشخاص ه

فلا حصر لها ولا ينتهي كونها في النشأة الاولى ولا الدار الاخرى بل التكوين
كما يستمر في الدار الدنيا كذلك لا ينقطع في الدار الاخرة الاترى ان ما اكل
اهل الجنة وما شربوا يخلف مكانه في ساعته ولا ينقطع عنهم وقال سبحانه لهم
فيها ما يشاؤون ولدينا مزيد وقال جل جلاله وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة توحد بالربوبية وخص نفسه بالوحدانية واستخلص
المجد والثناء تمجد بالتمجيد وتحمد بالتحميد وعلا عن اتخاذ
الابناء وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء وعز وجل عن مجاورة الشركاء
ذكر عليه السلام ثلث صفات ثم ذكر نتايجها على غير ترتيب اللف فقوله تمجد الى قوله
نتيجة لقوله توحد وبيان ذلك انه توحد بالربوبية اي جعلها لنفسه خاصة
من دون ان يجاوره فيها الشريك بان يكون معه رب سواه او يكون معه آله
غيره بل الالهة المعبودة دونه انما هي الكذب والزور والارباب التي سواها
هالكة وباطلة وخص نفسه بالوحدانية بان لا يجانسه غيره ولا يماثله
احد ولا يشابهه شيء فهو متعال عن اتخاذ الابناء اذ البنون مماثل للاباء
ومشابهها وكذا المرأة مما يجانس النساء وفي استعمال لفظ العلو للتنزيه
عن البنين والتطهر والتقديس عن النساء من البلاغة ما لا يخفى اذ الاب
اعلى من الابن والتطهر عن ملامسة النساء مما يلزمه وكذا استخلص المجد والثناء
اي جعل كل الثناء على اي شيء كان وجعل عواقبها راجعة اليه تعالى
وصيرها خالصة من كدورة شوايب الانتساب الى الغير فتمجد بالتمجيد
اي اختص نفسه برجوع كل التمجيد اليه وتحمد اي اشار لنفسه الحمد والثناء
برجوع عواقب الثناء اليه فليس له فيما خلق ضد ولا فيما ملك ند
ولم يشركه في ملكه احد هذه نتايج اخرى لتلك النتايج على ترتيب اللف

ما التحميد

استخلص
وقوله وعلا الى قوله وملامسة النساء تمجيد لقوله
وخص وقوله وعز الى الاخر
نتيجة لقوله
صح

لانه

لانه اذا اختص نفسه برجوع التمجيد اليه وجعل عواقب الثناء راجعة اليه
فليس له ضد فيما بين خلقه وضد له من الغير اذ ليس غيره موجودا حقيقيا يمنع
عن وصول بعضها اليه تعالى ويبطل رجوعها اليه عز وعلا ويتفرد ذلك
الضد المخلوق بهذا المجد الممنوع اذ الضد انما يبطل حكم الضد واذا
تطهر عن ملامسة النساء ومجانستها فليس له ند فيما ملك اذ الند هو المثل
المخالف وشأن النساء انما هي المخالفة وطبعها الشقاق والمنازعة
مع كونها مماثلة للرجل ولا يخفى ان النساء لها حكم المماليك والد
فالنساء مما ملك وكذا اذا جل عن مجاورة الشركاء ومساهمة الاكفاء فلم
يشركه في ملكه وسلطنته احد اذ الشريك انما يكون في السلطنة
المطلقة فقوله في ملكه بضم الميم الواحد الاحد الصمد المبيد للابد
والوارث للامد سيجيء انشاء الله تفسير الاسماء الثلثة والمبيد
يحتمل ان يكون بتقديم الموحدة على المثناة التحتانية من الابادة
بمعنى الاهلاك اي هو الذي ابادها ابدا واهلكها بان كان آخر كل شيء
ولا يبقى من جملة الاشياء كما انه كان قبل كل شيء ومن تلك الجملة الازل ويحتمل
ان يكون بتقديم المهملة على الموحدة وان لم يساعده رسم الخط من التأييد
اي هو الذي ايد الابد وجعله ابدا والامد الغاية ولما كان الله عز شانه
منتهى النهايات وغاية الغايات بمعنى انه لا ينتهي شيء الى غاية الا وينتهي
تلك الغاية الى الله ولا يتراخى متراخ عنه كما ان الاوزان الكامل ينتهي
اليه جل مجده الا الى الله تصير الامور فهو سبحانه الوارث لجنس الابد
وهو ميراث السموات والارض الذي لم يزل ولا يزال وحدانيا
ازليا قبل بدو الدهور وبعد صروف الامور كما انه عز برهانه لم يزل

وحدانيا غير مسبوق بشيء اصلا كذلك لا يزال بعد خلق الاشياء
وحدانيا لا ثاني له من خلقه ولم يبطل وحدانيته باحداث بريته
وقوله قبل بدء الدهور متعلق بلم يزل كما ان قوله بعد صروف الامور
متعلق بلا يزال اي كما كان وحدانيا ازليا قبل بدء الدهور كذلك
لا يزال كذلك بعد صروف الامور وتقلبها من حال الى حال ووجودها
بعدما لم تكن وجمعية الدهور اما باعتبار حصص الازمنة او باعتبار
تكرر عمارة العالم الارضي وخرابه ام باعتبار تعدد الاوعية للاشياء
من الزمان والدهر والسرمد الذي لا يبيد ولا ينفد بذلك اصف
ربي اي لا يهلك ولا يجري عليه الهلاك كما ان جميع الاشياء ومن الامور
العالية والسافلة فانها الكل دون وجهه الكريم اذ لا شيء يغني بقوله لا علة
له فكل شيء له علة فهو هالك في علته فان عن جميع شؤونه وكذا الانفاد
له تعالى ولا يتم الحد ينتهي اليه كيف ولا انفاد لكلماته كما قال
عز شانه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر وفي بعض النسخ
لا ينفد بصيغة المجهول فاما عطف تفسير لقوله لا يبيد او بمعنى
انه ليس مفقودا في شيء ولا يخلو منه شيء بذلك اي بما ذكرت في
هذه الخطبة اصف ربي لانه وصف بها نفسه فلا اله الا الله من عظيم
ما اعظمه وجليل ما اجله وعزيز ما اعزه وتعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا قد شاع قبل كلمة التعجب استعمال العظمة
التسبيح للتنزيه والتقديس لكن اورد عليه السلام مقامها كلمة التهليل
ولانه يدل على التنزيه من الانداد والشركاء والتقديس عما لا يليق
بجنابه تعالى وايراد فعل التعجب لبيان انه سبحانه في كمال العظمة

ونهاية الجلال وغاية العزة بحيث صار كل عظيم عنده صغيرا وكل جليل
سواه حقيرا وكل عزيز غيره ذليلا وانما اكتسبت العظماء والاجلاء والاعزاء
منه العظمة والجلال والعزة ثم ان الشيخ رضي الله عنه ذكر هذه الخطبة الشريفة
بسند اخر عن الحسين بن عبد الله عن ابيه عن ابي عبد الله عن ابائه عليهم السلام
الحديث الرابع باسناده عن اسحق بن غالب عن ابي عبد الله عليه السلام عن ابيه
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في بعض خطبه الحمد لله الذي
كان في اوليته وحدانيا وفي ازليته متعظما بالالهية متكبرا بكبريائه
وجبروته اي توحد بالاولية واستاثرها لنفسه وكان في كمال العظمة
بسبب استجماعه للاسماء الحسنى والصفات العليا في ازليته ولما كانت
العظمة هي كمال الذات علمها بالالوهية التي هي مرتبة الاسماء والصفات
وكبريائه سبحانه بنفسه انه لا تصفه قائمة به فمعنى المتكبر بالكبرياء هو
المتكبر بذاته والجبروت فعلوت من الجبر وهو القهر والغلبة والاقتدار
بحيث يتصرف في الاشياء حيث ما يشاء ابتدا ما ابتدع وانشا
ما خلق على غير مثال سبق لشيء مما خلق اعلم انا قد اسلفنا
لك ان التحقيق هو ان للاشياء وجودا ابداعيا في عالم الامر ثم لها وجودا
خلقيا في عالم الشهادة وقلنا ان قول بعض العرفاء انها شؤون
يبديها لا شؤون يبتديها لا يصح على الاطلاق بل انما يصح في
الموجودات الكونية اذا دريت ذلك فاعلم ان قوله صلى الله عليه واله
ابتدا ما ابتدع اشارة الى الوجود العقلي في العالم الالهي لان كل ما ابتدع
في ذلك العالم الشريف فهو ابتدائي وقوله انشا ما خلق اشارة الى الوجود
الكوني في العالم الجسماني اذ الانشاء انما هو الاظهار والابداء ثم بين

ان هذا الابداع والخلق وليس على اله للاشياء مثالا قبل الوجود الابدى
كما يقوله اهل الجهل من ثبوت المعدومات او الاعيان الثابتة والصور
العلمية اذ على هذه الاقوال يلزم ان يكون مع الله شيء في ازليته وقد سبق
انه متوحد بالازلية فتعالى الله عما يشركون ربنا القديم بلطفه ربوبيته
ويعلم خبره فتق وباحكام قدرته خلق جميع ما خلق وبنور الاصباح
فلق قوله صلى الله عليه وآله ربنا مبتدأ وجملة فتق خبره وبلطفه ربوبيته
متعلق بها وكذا في نظايرها ويمكن ان يكون الجملة الاولى لبيان الوجود العقلي
والثانية للوجود النفسي والثالثة للوجود الحسي والخبرة بالضم اما بمعنى
العظمة كما في بعض كتب اللغة او الخبير بمعنى العظيم فيكون المعنى بعلمه
العظيم على ان يكون المصدر بمعنى الفاعل واما بمعنى العلم فيكون المعنى
بعلمه العليم كليل اليل وفي بعض النسخ بالجيم بمعنى الاحكام والمعنى بعلمه
المحكم والفتق بمعنى الشق اي بربوبيته اللطيفة الخالقة للاشياء
اللطيفة وبعلمه المحكم فتق العدم الصريح والليس الصرف واخرج الاشيا
من القوة الامكانية الى حضرة العلم وفعلية العقل وبقدرته المحكمة خلقها
في العالم النفسي فجميع الجواهر العقلية لما سلك العقل سبيل الشوق
الى اظهارها صارت في المرتبة النفسية وحلت بها النفس وصارت
كالمخاض ثم بنور اصباح الوجود في عالم الشهود فلق باطن النفس واخرج
المهيات من ظلمة رحم الامهات كما فلق الصبح عن ظلمة الليل وانارها
بشعاع شمس الوجود الكوني واظهرها في نهار الشهود الحسي ليكتسبوا
ما يعيشون به في دار القرار ومحل الابرار وبئس كالانعام خلق للنار حطبا
من الاشرار وعلى هذا لا يخفى فصاحة الفتق والخلق والفلق وكذا بلاغة

التعبير

التعبير بالعلم عن العالم العقلي وبالقدرة عن العالم النفسي وبنور الاصباح
المنبلج من سنا النور الحسي بقرينة الاصباح اذ ليس عند ربك صباح ولا مسا
فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصنعه ولا معقب لحكمه ولا راد لامره ولا
مستراح من دعوته ولا انقطاع لمدته المستراح بالراء المعجمة
والحاء المهملة اسم مكان من الاستفعال ماخوذ من الروح مصدر
زاح عن مكانه اذا تنحى والمعنى ليس مكان خاليا عنه حتى يمكن التنحي
الى ذلك المكان والتخلص عن دعوته فالعبارات الستة نشر للاحكام
الثلثة بغير ترتيب اللف فلذا فرعها عليها فقوله لا مبدل لخلقه
ولا مغير لصنعه تفريع على قوله وبنور الاصباح فلق كما قلنا انه
اشارة الى الوجود الكوني اذ لا تبديل لخلق الله ولا تغيير لصنعه
لانه خلق حسبما يعلمه من اقتضاء ذلك الشيء هذا النحو من الحصول
ولا يلزم انقلاب الماهية وقوله ولا معقب لحكمه ولا راد لامره
تعقيب لقوله وباحكام قدرته خلق جميع ما خلق وقد حققنا
للثانية ذلك اشارة الى الوجود النفسي الذي هو عالم القدرة
والحكم فلا شيء يقابل قدرته ويقهر سلطانه اذ الكل خاضع لديه
وخشعت الاصوات للرحمن وقوله لا مستراح من دعوته ولا انقطاع
لمدته متعلق بقوله بلطف ربوبيته ويعلم خبره فتق وقد علمت انه
اشارة الى الوجود العقلي في العالم الالهي المعبر عنه بلطف الربوبية
اذ الالوهية لطف واشرف مرتبة الربوبية في لطف الربوبية فافهم
وظاهر انه في هذا العالم يدعو الله تعالى الاشياء القابلة
للظهور الى الوجود في ذلك العالم فكل ما من شانه ان يظهر في عالم

الشهود فقد تنظر اولاً في تلك المرتبة ما حجاب هذه الدعوة ولا انقطاع
لمدة هذا العالم اذ ليس في زمان بل هو خارج عن الاكوان فتبصر وهو
الكينونة اولاً والديمومة ابداً هذا دليل على قوله لا انقطاع لمدته اذ
الكاين اولاً قبل الاولية وقبل كل اول لعلكه الدايم ابداً بعد كل شيء
حتى بعد الاخرية لا انقطاع لمدته اما بمعنى لا انقطاع لبقائه
اذ قد قلنا ان المراد بها مرتبة الالوهية وهي باقية ببقاء الذات
الاحدية واما بمعنى لا مدة له حتى ينقطع كما قلنا في لا احد لوصفه
والمحتجب بنوره دون خلقه في الافق الطامح والعز الشامخ و
الملك الباذخ فقد سبق ان لا حجاب بين الله وبين خلقه غير خلقه
وههنا ذكر عليه السلام انه المحتجب بنوره لا بخلقه فالتوفيق بينهما ان الاول
بالنظر الحسير العارف او باعتبار معنى الجعل والايجاد وهذا بالنظر
الى الواقع ومنتهى سير السالكين وذلك لانك عرفت مراراً ان الاشيا
على عدمها الاصلي والليس الحقيقي وان الظاهر باثاره وآياته والموجود
الحقيقي باسمائه وصفاته هو ليس الا غيره والعدم المحض واللاشيء الصرف
كيف يكون ساتر الشيء فضلاً عن ان يستر الظاهر الذي لا ظاهر فوقه
ومع ذلك فهو سبحانه باطن خفي محجوب عن كل شيء فلا محالة يكون
احتجابه بنفسه ظهوره بنوره حيث كان فظهوره في الافق الطامح اي
الرفيع او البعيد الذي لا يصل اليه ادراك الابصار والعز الشامخ اي
العالي الذي لا يدركه النفوس والملك الباذخ الشريف الاعلى الذي
لا يحيط به العقول وبالجملة فهو من كمال ظهوره صار خفياً ومن غاية
شروق نوره صار مخفياً كما في الادعية يا خفياً من فرط الظهور

وفي دعاء

وفي دعاء عرفة لسيد الشهداء الهي علمت من تنقلات الاطوار واختلاف
الاحوال ان مرادك مني ان تتعرف الي في كل شيء حتى لا اجهلك في شيء وقال
عليه السلام ايضاً تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء انه في الظاهر هو بعين
ما بطن وهو الباطن بعين ما ظهر فيا من لا هو الا هو وكل شيء هالك الا
وجهه فوق كل شيء علاؤه ومن كل شيء دنوه فتجلى لخلقه من غير ان يكون
يرى وهو بالمنظر الاعلى علوه تعالى فوق كل شيء هو كونه ظاهراً في كل
شيء بحيث لا يرى الا نوره وعلى كل شيء بحيث استهلاك الكل دونه ودنوه
من كل شيء هو انه بطن كل شيء بعلمه وكان اقرب من الشيء الى نفسه والقاء
في فتجلى فصح اي ان علوه ودنوه هو انه تجلى في مرايا خلقه واظهر آياته
من غير ان يرى بعينه عياناً بل انما يرى مرايا اسمائه وصفاته التي هي افعاله
لان ذاته بالمنظر الاعلى فلا تراه النواظر الا انها فيهم بل هو بعيد عن ادراك النواظر
والابصار الخلقية فلا يرى الله غير الله بمعنى انه لا يرى ذاته بذاته الا هو واما
نحن فنرى من خلقه اثاره وصفاته تعالى لا غير واما قبل الخلق فانه واعلم
ذاته فلا يختلج انه يرى ذاته بمعنى انه لا شيء يدعوه الى ذلك كما ورد في الخبر
هذا الذي قلنا من معنى كونه تعالى بالمنظر الاعلى انما مفاده العلمية
لكونه سبحانه لا يرى ويخطر بالبال معنى اخر لكونه تعالى بالمنظر الاعلى فيكون
ح تلك الجملة قيد الجملة الاولى وهو ان معنى كونه تعالى بالمنظر الاعلى
هو انه لا يرى شيء من الاشياء الا ويرى هو تعالى قبل ذلك الشيء ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ومن هذا ورد ما رايت شيئاً الا ورايت الله قبله
وهذا معنى لطيف شريف ما رايت احداً تفطن به فمعنى العبارة انه سبحانه
تجلى لخلقه من غير ان يراه الخلق بحيث يعلمون انه اي شيء يرونه مع كونه جل برهانه

علاه

منظورا بالنظر الاول لا الاعلى بالنسبة الى الاشياء لاستهلاك الكل لانه
تعالى قد احتجب بالاختصاص بالتوحيد اذ احتجب بنوره وهو سبحانه في علوه
واستتر عن خلقه اي ان هذا الاحتجاب بنور الظهور وعلوه فوق خلقه
وبطونه واستتاره عن خلقه بحيث صار هو الظاهر وبكل شيء محيط انما
هو لكونه تعالى احتجب لاختصاص بالتوحيد حتى لا يظهر غيره ولا يكون
اثر في الوجود لما سواه اذ التوحيد الخالص هو ان يكون لا شيئية لشيء الا به
ولا ظهور لامر الا بنوره ولا عين لاحد سواه ولا اثر لما عداه تعالى الله
عما يشركون اذ لو كان شيء وهو يرد دون الله تعالى لكان يحجبه عن بعض الاشياء
واقله ان يكون معه غير ظاهر في ذلك الغير وبعث الرسل ليكونوا له الحجة البالغة
على خلقه ويكون رسله اليهم شهداء ذكر صلى الله عليه وآله للرسالة
فايدتين احديهما اتمام الحجة على الخلق والغير حجتهم داحضة والثانية
ان الرسل صلوات الله عليهم شهداء على اممهم بيان ذلك انك ستعرف
ان شاء الله ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد بالفي عام على ما ورد
في الخبر وقد كانت النفوس في عالمها النوري كلها امنت بالله ورسله
وخلفائه اقتضت طبيعة ذلك العالم من العلم بالله وطاعة المقربين
لحضرته وقد اخذ الله عليهم الميثاق على ذلك واشهدهم على انفسهم حيث
جعل في كل طبقة من الامم اماما من جنسهم ليشهد عليهم بذلك الميثاق
وهذا الامام هو الذي اجاب اولا تلك الدعوة اي قول الله تعالى الم الست
بربكم فاول من صدق بذلك من الاوائل هو نبينا سيد المرسلين وامام
العالمين فلذلك صار هو الشهيد على الكل كما قال عز من قائل ويوم نبعث
من كل امة شهيدا من انفسهم وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فكما ان هؤلاء

شهداء على اممهم ورسولنا صلى الله عليه وآله شهيد عليهم بما اقروا في ذلك
العالم الربوبي كذلك يكونون شهداء عليهم يوم القيمة بما فعلوا في هذا
العالم الجسماني لان اممهم لم يعرضوا على رسلهم ولكن يعرض على رسولنا في كل اسبوع
ومن ذلك ان كل رسول فانما يحيط علما بمن كان من رعيته وجعله
تحت سلطانه حتى كان المجموع انواع انسان واحد وفي الرسول بمنزلة
القلب منه وكانهم اعضاؤه وذلك الانسان وقلبه ولا شك ان كل ما تفعله
الجوارح فانما يصل الى القلب وهو كانهم اعضاؤه وذلك الانسان جزء من جميع
البرية وبالجملة فلما اقتضت العناية الالهية ان تصير النفوس الى هذا العالم
الجسماني ليمتحنوا ويميز الله الخبيث من الطيب لانه كانت في باطن بعض النفوس
دواعي لا يعلمها الا الله ولم يكن في ذلك العالم الربوبي موضع بروز هذا الكامن
في جبلة هذه الطائفة من النفوس حسب ما اقتضت طينتهم فلذلك عرض
بالمصير الى هذا العالم لانه دار ابتلاء ولان كل عالم اسفل فهو ظهور ما في باطن
العالم الفوقاني بناء على ما هو الحق من ان المعلول هو باطن العلة التي ظهره
ولا محالة هذا العالم السفلي هو مظهر دواعي النفوس من الخيرات والشرور
كما ان عالم الاخرة هو محل بروز مكامن ما في هذه النشاة الدنيا وتبروزها
يجب ان تعلم ان النفس حقيقتها هي انها اذا توجهت شطر شيء فكانها صارت
ذلك الشيء وهكذا خلقها وجبلتها فلما فارقت العالم النوري وصارت
الى هذا العالم الظلماني وزينت ظواهر الاجسام بانواع الزينة وزخرف
ذلك البيت الخراب بامثال الجواهر العقلية وعرضت هذه النشاة احسن
عمارة وبني فيه قصور مشيدة وتنعمت فيها بالفواكه الطيبة والارايح
البهية والحسان الجميلة الى غير ذلك من النعم الشهية اطمأنت بالحيوة الدنيا

وركنت اليها وصارت كانها رهنت نفسها ونسيت عالمها فوجب
في الحكمة الالهية ارسال ذلك الامام الشهيد عليهم في الميثاق بان يجيء اليهم
ويذكرهم ايام الله وشدة الوثاق فيقول لهم يا عباد الله اني رسول الله اليكم
اذكروا ايام الله لعلكم تذكرون واهديكم سبل الرشاد لعلكم تهتدون
واوصلكم الى عالم الانوار والى ما كنتم عليه من نعيم دار القرار وادعوكم الى الملك
الغفار واخلصكم من ظلمة هذه الدار فبذلك الرسول يتنبه من افراد ابناء
نشاة هذه الامة من الخلاص عن هذه الغربة فمن تداركته العناية الالهية
اطاع واجاب وجاهد في استخلاص نفسه ويفوز بحسن المآب ومن لم يجب عمي
ولم يطع رسول الله فقد خسر خسرانا مبينا وثبت الحجة البالغة حيث بشرهم
وانذرهم بلسان المرسلين وذكرهم بالمواثيق في ذرياته ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة والى ذلك اشار صلى الله عليه وآله بقوله وابعث فيه
النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة لانه بعد ارسال الرسل واراءة الطرق فلا يبقى لاحد ان يحتج
على الله ويكون له عذر فيما جنى ثم انه صلى الله عليه وآله ذكر فائدة ثانية لبعثة
الانبياء وهو ما اشار اليه بقوله صلى الله عليه وآله وليعقل العباد عن ربهم
ما جهلوه فيعرفوه بربوبيته بعدما انكروه ويوحدوه بالالوهية بعد
ما اضدوه وذلك لان النفوس لما صارت في عالم الطبيعة وركنت
اليها بحيث صارت طبيعة نسيت ما الفت به من عالم النور والتجرد الى ان
انكرت وجود امر خارج عن الطبيعة فلذا اكثر النفوس لم ترتاض بالعلم
ترى انها تجحد وجود الانوار المفارقة والامور العالية عن المادة حتى ان حكم
بعضهم بان كل موجود فهو محسوس فالانبياء صلوات الله عليهم يعرفون الخلق

اولا

اولا مرتبة الربوبية حتى يعرف الخلق خالقهم بربوبيته وذلك لان
مرتبة الربوبية من عالم افعال الله وصنعه وايجاده الكل بالوجود الخلقي
في العالم الجسماني بان يستدل الانبياء عليهم السلام باختلاف الاحوال و
تنقلات الاثار ووجود هذه الاشياء المعلولة سيما انفسهم بعد العدم
واختلاف الليل والنهار ومجرى الشمس والقمر الى غير ذلك من الافعال
المحكمات على وجود فاعل لهذا الخلق وانه تعالى قادر على ايجادها واعدامها
واصناف التغيير ثم اذا تنبهت بعض النفوس بذلك الايقاظ والتفطن
بعض الايقاظ يعرفون احدية الالوهية وهي فوق الربوبية اذ هي مرتبة
الاسماء والصفات التي هي مبداء تلك الافاعيل التي في مرتبة الربوبية حتى
يوحدوه بالالوهية بعدما اضدوها اي بعد انقطاعهم عن ذلك العالم
وعن المعرفة به بان يدلوهم على ان هذا الرب الذي عرفت نسبته بربوبية
الخلق اليه وبتلك النسبة امكنت للخلق معرفته والا فلا نسبة لهم الى الذات
ولا معرفة لهم فيها بجهة من الجهات اذ لا جهة هنا ولا تقتضي الهوية الاحدية
نسبة الى ما سواها وما لم يكن نسبة وارتباط لم يتحقق معرفة وبالجملة
فالنبي عليه السلام يعرف الخلق نعت ذاته الغنية عن العالمين بالالوهية وما
يتبعها من الاسماء والصفات واجتماع قاطبة الكمالات ويوقفهم على سر
التضايف وارتباط المالوه بالاله المنبئة على توقف كل واحد من
المتضايفين على الاخر وان كان احدهما علة من حيث ذاته والاخر معلولا
ويريهم ايضا ان هذا الاله الخالق له الاسماء الحسنى والصفات العليا
بان يدلهم بظهور كل صفة من الصفات كالعلم والقدرة واللطف والقهر
وغيرها على ان هذه الكمالات مستند بعضها واليها فيها المرتبة ثم

يعرفونهم احدية كل موجود ان كانت احدية كثرة كما قد اشرنا الى ذلك في
الغالب في كل زمان على نفس هذا الشخص صفة واحدة من صفاته وحقيقة
واحدة من الحقايق التي تركب منها اما في الظاهر فكغلبة احدى الكيفيات
الاربع في مزاجه على الباقية واما في الباطن فلان الارادة من كل مريد في كل
زمان لا يكون لها الا متعلق واحد والقلب في الان الواحد لا يسع الا امرا
واحدا وان كان في قوته ان يسع كل شيء فاذا كان النبي عليه السلام عرف ذلك
اياهم وتدارك بتمام العناية حيث كان لهم الى ذلك العالم الشريف من النسبة المذكورة
قبلوا وايقنوا فيوحدون الله بالالوهية واستجماع الاسماء الحسنى والكمالات
العليا بالحقيقة بعدما عضدوا وقطعوا ذلك السبب عن نفوسهم وهذا
الوصول عن نياتهم فلله الحمد على انعامه علينا بالرسل المكرمين والائمة
المهتدين صلوات الله عليهم اجمعين الحديث الخامس باسناده عن محمد بن احمد بن
يحيى عن بعض اصحابنا رفعه قال جاء رجل الى الحسن بن علي عليهما السلام فقال له
يا بن رسول الله صف لي ربك حتى كاني انظر اليه فاطرق الحسن بن علي عليهما السلام
مليا ثم رفع راسه فقال الحمد لله الذي لم يكن له اول معلوم ولا اخر
متناهي ولا قبل مدرك ولا بعد محدود ولا امد بحتى ولا شخص
يتجزى ولا اختلاف صفة فيتناهى لما سال الرجل ان يعرف الامام عليه السلام
اياه المبدا الاول تعالى بالصفات وليست له تعالى صفة فيتناهى
لما سال الرجل ان يعرف الامام عليه السلام اياه المبدا الاول تعالى بالصفات
وليست له تعالى صفة تنالها العقول فضلا عن ان تصير واسطة المعرفة
الموصوف بها فلذلك بدا بالتمجيد متعقبا بالتنزيه عن الصفات
والتقديس عن الجهات والحيثيات منبها على انه تعالى مع ما هو عليه من استجماع

جميع الصفات فلا سبيل للخلق الى معرفة صفته سوى ما اقر به الجاحد
ووصف الله نفسه بجميعها ثم لا سبيل لتلك الصفات للعقل المعلومة حقايقها
وكنهها الى حضرة الذات حتى يكون هي المعرفة للذات والدليل عليها كما اشار
الى ذلك سيد الشهداء عليه السلام على ما نقلنا قبل من قوله كيف يستدل عليك
بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون
هو المظهر لك فقال عليه السلام الحمد لله الذي لم يكن له اول معلوم اي ليس له
سبحانه اول حتى يعلم لان كل ما له اول فيمكن ان يحيط به العلم اما لان الاولية
معلومة الحقيقة فكل ما صدق عليه هذه المهية يتعلق به المعرفة وان كان شيء
من هذه الجهة واما لان كل ما له اول فهو معلول وكل معلول فهو معلوم وان كان
لعلته فهو سبحانه اول الاوايل التي يتحملها الاولية فكيف له اول او اولية
وكذا ليس له تعالى اخر متناهي اي ليس له اخرية تناهي بل هو اخر كل شيء
واليه ينتهي غاية كل شيء ولا ينتهي هو الى غاية وذلك لان كل ما له اخر
يجب ان يكون له اول واذ ليس له اول فليس له اخر وكذا ليس له قبل اي قبلية
حتى يدرك بجهة القبلية ويصير قبليته مدركة لان طبيعة القبلية
معلومة الحقيقة لكل احد والله سبحانه قبل بلا قبلية تقوم به بل بنفس ذاته
ويحتمل ان يكون المعنى ليس شيء قبله حتى يكون له قبل لانه لو كان له قبل
لكان هو سبحانه يدل عليه كما هو شان الدليل الواضح بالنظر الى المدلول وكذا
ليس له بعدية اذ يكون حينئذ محدودا او لا شيء بعده حتى يكون له بعد يتحدد
هو به وذلك الذي بعده بالبيان الذي قلنا في القبلية ونظايرها وكذا
ليس له تعالى امد مثل حتى التي تستعمل في الغاية اي ليس له عز شانه
امد وغاية حتى تلتبس وتستعمل فيه كلمة حتى بان يقال هو تعالى ثابت موجود

حتى يكون كذا هذا على تقدير ان يكون الكلمة بالباء التي للملابسة
داخلة على اللفظة حتى ويحتمل بعيدا من حيث اللفظ وقريبا من حيث
المعنى باعتبار القراين ان يكون بالباء الفوقانية المضمومة وبالخاء
المهملة ثم التاء الفوقانية المشددة على صيغة المجهول المضارع من
التفعيل على ان يكون مشتقا من حتى الجارة اشتقاقا جعليا اي ليس
له امد حتى يقال عليه سبحانه موجود حتى يكون كذا او الى ذلك نظائر
منها ما يحضرني من قول الحماسي لولا و فعلت بالتفعيل اذا قال
لولا مع ان كلمة نعم من الجوامد الغير المتصرفة فيها ولا يخفى ان ذلك
انسب لمراعاة التطبيق في قوله ولا شخص فيتجزى وكذا ليس له عز شانه
شخص اي تجسم مثلا حتى يتجزى اذ التجسم والمثال انما يلزم التجزية
والامتياز في الجهة كالفوق والتحت وغيرهما والابتداء والانتهاء ونظائرها
كما لا يخفى وكذا ليس له تعالى اختلاف في صفة اما بمعنى توارد الصفات
المختلفة بان يتلبس بصفة ثم باخرى وهكذا واما بمعنى ان يكون
بعضه هذه الصفة وبعضه تلك الصفة واما بمعنى ان الصفات
غيره تعالى ويختلف بالجهات والاعتبارات مع كون المصداق
احدي الذات فان كل ذلك يستلزم التناهي والحد وغيره اما
المعنى الاول فلان التناهي من وجوه اولها ان توارد الصفة لا يكون
الا بالحركة باي نحو كان والحركة لا بد لها من نهاية اذ هي كمال اول
لما بالقوة فينتهي الى الكمال الاخير بالضرورة وثانيها انه قد ثبت
في الطبيعي ان جميع المتحركات لا بد وان ينتهي الى محرك لا محرك له
وثالثها ان الصفة هي نهاية الموصوف اذ بها ينتهي وجوده الذي

له بنفسه سيما الصفات المتواردة الدالة على حدوث انفسها
المستلزم لحدوث موصوفها وكل حادث فله اول واخر هما نهايتا
واما المعنى الثاني فلان ذوات الابعاض انما يلزمها الحد وحيث
يمتاز ذلك البعض عن الاخر وايضا يلزمها ان ينتهي وجودها الى
الابعاض حيث يتركب منها واما المعنى الثالث فلان المعنى البسيط
لا يكون مصداقا لامور مختلفة الا بان يكون فيه جهة والا لكان المفهوم
من قولنا انه عالم عين المفهوم من قولنا انه قادر وهذا شنيع جدا و
اذا ثبت الجهة لزمت النهاية اذ الجهة نهاية حيث ينتهي بها الذات
الموصوفة ولا تسمع الى قول من يقول ان حيثية الصفات هي بعينها
حيثية الذات فانهم كما عرفت انما يقولون خطلا من القول وزورا
وما يعدهم الشيطان الا غرورا فلا تدركه العقول واوهامها
ولا الفكر وخطراتها ولا الالباب واذهانها حقيقة لفظة العقول
والفكر والالباب ومعطوفاتها فاعل تدركه وصفة مفعوله
والمراد باوهام العقول تصوراتها وبخطرات الفكر ما يخطر بالبال
وباذهان الالباب فطنتها والتفريع بالفاء لبيان ان الذي
لا يدركه القبل ولا البعد وامده ليس بشيء ومثاله ليس فيه الجهة و
اختلاف صفة فلا تدركه العقول لصفة لان هذه هي جهات تدرك
العقول فاذا لم يكن له سبحانه هذه الاحكام فلا يصل اليه العقول
والافهام فيقول الحق ولا يرى تماما ولا ظاهرا على ما ولا باطن
فيما ولا تارك فهذه قوله فيقول على الاستفهام وكلمة لا هي المشبهة
بليس والبدع كالبديع بمعنى المخلوق وما في المقامات الثلثة

موصوفة بمعنى شيء واوصافها محدودة والمعنى انقول في الله متى هو
وكيف تقول هذا في الله تعالى وانما يصح قول متى في الشيء الذي له ابتدا
وظهور بعد خفاء او بطون عقيب ظهور او ترك الشيء والتفات الى آخر
والحال انه سبحانه لا يبتدى من شيء هو مبدأه ولا ظاهر على شيء هو مظهره
بل انما هو ظاهر بذاته لا بغيره ولا باطن في شيء هو يخفيه ويحويه بل بطونه
بعين ظهوره وظهوره من حيث بطونه ولا انه سبحانه تارك شيئا حتى
يقال هل انزل فيتحقق له زمان ترك فليس يصح عليه قول متى بجهة من
الجهات خلق الخلق وكان بديئا بديعا يحتمل ان يكون ضمير كان يرجع
الى الخلق فيكون البدئ والبديع بمعنى المفعول اى المخلوق وان يكون
راجعا الى الله سبحانه فيكون بمعنى الفاعل اى المبدئ والمبدع والاول
انسب بالنسبة الى الحكم السابق والغرض ان الخلق يصح عليه ان يكون
مبتدأ منه مبتدعا والله سبحانه لا يبتدى ولا يبتدع من شيء وعلى
الاحتمالين يكون ردا على من زعم انه تعالى لما خلق الخلق فيصح عليه قول متى
بان يقال متى خلق وتحقيق الجواب على الاحتمال الاول هو ان يكون فعله
تعالى ليس في زمان لسنا نقول ذلك في المفارقات بل في جميع الموجودات
اذ الفاعل الذي ليس في زمان فضلا ايضا ليس في زمان انما صنعه
زماني وذلك لانه لو كان صنعه في زمان وايجاده في زمان لكان
هو ايضا في زمان اذ هو فاعل بذاته فايجاده الخلق يجعل الخلق بديئا
بديعا اى ذا ابتداء وعلى الاحتمال الثاني هو ان ايجاده سبحانه
الخلق لا يستفيد له سبحانه ظهورا او بطونا او تركا او وصولا بل انما
هو اظهار لما خفى من العالم وابداء لما يكمن في الغيب ظهورا انتهى والله اعلم

والحكم

والحكم ابتدأ ما ابتدع وابتدع ما ابتدأ فعل ما اراد واراد ما استزاد
ذلكم الله رب العالمين هذا القول لرد ما يمكن ان يتوهم من الرد السابق
وهو ان هذه الاشياء مشتركة بينهما كما ذهب اليه كثير المتصوفة بيان ذلك — لا شئون يتقابلهما
كما حققنا سابقا هو ان ذلك الحكم انما يصح في بعض المراتب اللواحق
كالوجود في عالم الكون بالنظر الى العالم المتوسط النفسي وكالوجود
النفسي بالقياس الى العالم العقلي في العالم الالهي فهو موجود ابتدائي الا انه — ولما الوجود العقلي
فقوله ابتدأ اشارة الى العالم العقلي والابتداع انما هو في العالم النفسي
والفعل في العالم الكوني كما يدل عليه نسبة الارادة اذ الارادة من صفات
الفعل كما هو الحق عند اهل الله والمعنى ابتدأ في العالم الالهي الاشياء التي اظهرها
وابتدعها في العالم الربوبي واوجد في العالم الربوبي كلما ابتدأه في العالم
الالهي بحيث لا يشذ منها شيء وفعل واظهر في عالم الشهادة كل شيء اراد
في عالم الطبيعة التي هي سنة الله في الخليقة واراد جميع ما استزاد من نعم الدنيا
والآخرة والانفاد لكلمات الله شيء والاستزادة انما هي في الجزئيات الخليقة
والاشخاص الكونية ذلك الذي رب العوالم على النهج السببي والمسببي
والاتصال العلي والمعلولي والترتيب الالهي هو رب العالمين الذي هو رب
الارباب ومسبب الاسباب فتبارك الله رب العالمين **الحديث السادس**
باسناده عن سعيد قال سالت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال هو — طريف
الذي انتم عليه **شرح** اى هو الذي اقتضته فطرتكم التي فطركم عليها من توحيده
والوهيته وربوبيته وقد سبق معنى الفطرة على التوحيد او ما انتم عليه
يا معشر المسلمين من ان صانع العالم واحد ليس كمثله شيء **الحديث السابع**
باسناده عن زرارة عن ابي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول في قوله عز وجل

وله اسلم من فی السموات والارض طوعا وكرها قال هو توحيدهم لله
عز وجل ضمير هو يرجع الى الاسلام المفهوم من قوله تعالى اسلم قيل
فی اعدلوا هو اقرب للتقوی فالمعنی على ما قال الامام عليه السلم وحده واقر
بتوحيده وانقاد لوحدانيته كل من فی السموات والارض اعلم ان الاسلام
هو الانقياد التام وذلك بان يری الكل من الله وان لا حول ولا قوة الا بالله
وهذا هو اسلام نبينا ابرهيم عليه السلم اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين فالمسلم الحقيقی هو من يجمع ما لنفسه من انعم على الله تعالى
وما له عز شانه عليه طايعا راضيا واليه يرجع الامر كله وليس ذلك الا بان يری الكون
اسماءه ونعوته تعالى وان الكل هالك دون وجهه الكريم وهذا هو التوحيد
الخالص فظهر تفسير الاسلام بالتوحيد واما معنی الطوع والكره ففی رواية
انه اكره اقوام على الاسلام وجاء اخرون طايعين اقول فاهل السموات من
الملائكة مختصون بالطوع واما اهل الارض فانقسموا الى كارهين بعض وطايعين
ثم انه يمكن ان يحمل الطوع على الاستعداد الذاتی من بعضهم للانقياد و
الاقرار بالوحدانية وعلى الكره على عدم الاستعداد والقبول لذلك من بعض اخر
لكن الكل اسلم واقر بالتوحيد اما الاولون فبالطوع واما الاخرون
فبالكره اما فی الذر حيث قال لهم الست بربكم قالوا بلى فبعضهم
قلبا ولسانا وبعضهم باللسان فقط كما ورد فی الخبر حيث كان من لوازم
الرجوع فی تلك المرتبة هذا الاقرار حيث رأوا معاينة آثار الله سبحانه
عن المتوحد بالربوبية واما الكره فی النشأة الدنيا فانه لئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله واما فی الاخرة فانهم يرون ان الامر
كله لله فيقولون امنا به لكن لم يك ينفعهم ايمانهم يومئذ الحديث الثامن

باسناده

باسناده عن ابی بصير قال اخرج ابو عبد الله عليه السلم حقا فاخرج منه ورقة
فاذا فيها سبحان الواحد الذی لا اله غيره القديم المبدی الذی
لا بدء له الدائم الذی لا نفاد له الحی الذی لا يموت الخالق ما يری
وما لا يری العالم كل شیء بغير تعليم ذلك الله لا شريك له
شرح الحق بالضم والحقة واحد والموصولات الاربعة بعد الاسماء الاربعة
اشارة الى معانی تلك الاسماء بان يدل على انها ليست بمعان ثبوتية
له تعالى بل انما يرجع بسلب نقايضها فالواحد هو الذی لا اله غيره
والقديم المبدی هو الذی لا ابتداء لوجوده والدائم هو الذی لا نهاية
ولا هلاك لعرضه ولا افناد لحقه والحی هو الذی لا يصيبه الموت والفناء
والخالق ما يری اشارة الى الامور المحسوسة وما لا يری اشارة الى الامور
الغايبة عنا من الصور النفسية والجواهر العقلية وقوله بغير تعليم ای تعليم
الغير اياه صريح فی ابطال العلم الحصولی والحضوری وان علمه تعالى فوق
الحصولی والحضوری وذلك لان التعليم هو افادة العلم سواء كان ذلك بحصول
صورة من الشیء او بحضوره فان ذلك تعليم وافادة من ذلك الشیء لهذا
العالم وسواء كان بطريق الالقاء والاسماع او الكتابة او بكونه منظورا
اليه او منكشفا لديه فكل ما هو عالم لذاته فهو عالم بغير تعليم وما سوى
ذلك بای نحو كان فانما يكون بتعليم الحديث التاسع باسناده عن
يوسف بن محمد بن زياد وعلی بن محمد بن سيار عن ابويهما عن الحسن بن علی بن
محمد بن علی الرضا عن ابيه عن جده عليهم السلم قال قام رجل الى الرضا عليه السلم
فقال له يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله صف لنا ربك فان من قبلنا
قد اختلفوا علينا ای وقع الخلاف بيننا بان وصفوا الله بالصورة و

وبغير ما وصف به نفسه وبالجملة حكموا في الله بآرائهم الفاسدة وعقولهم
الكاسدة فقال الرضا عليه السلام من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر
في الالتباس مائلا عن المنهاج ظاعنا في الاعوجاج ضالا عن السبيل
قائلا غير الجميل لا سبيل للعقول الى ساحة كبريائه ولا طريق لها الى
سرادقات جلاله فكلما تصفه العقول فلا يليق ذلك بجنابه وكلما يقولون
فيه فانما هو حري بهم لا به فمن يصف ربه بقياس العقول وانتاج الفروع
من الاصول فلا يزال دائما في الالتباس ولا يخرج عن الشبهة والوسواس
لان العقول يناقض بعضها بعضا ويرى كل ما يتصوره لايقا به تعالى
ولعل النمل الصغار تزعم ان لله زبانيتين كما لها والله سبحانه يخالف ما
يتصوره العقول وغيرها يصفه اهل الفضول فيميلون عن المنهاج السوي
بسبب وصفهم اياه ويظعنون ويسيرون في الاعوجاج والطريق الغير
المستوي بسبب افترائهم على الله فيضلون عن السبيل القويم والصراط المستقيم
ويقولون في الله غير الجميل مما يناسب ذواتهم من الصغير والجليل اعرّفه
بما عرّف به نفسه من غير رؤية واصفه بما وصف به نفسه من غير صورة
لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بغير تشبيه ومتدان
في بعده لا بنظير لا يمثل بخليقته ولا يجور في قضيته الانبياء والاولياء
انما يقصرون في معرفة الله تعالى وتعريفهم اياه للعباد بالتعريف الالهي
ولا يتجاوزون في وصف الله عز شانه عما وصف هو به نفسه من الوصف
الجمالي والجلالي وذلك لان كل تعريف يبتدئ من الخلق لا يليق بالمعرف بذلك
التعريف من رؤية عيانية او خيالية او عقلية كما لا يخفى على المتدرب في
العلوم الحقيقية وكذا كل توصيف ابتدأ من الخلق فلا بد ان يستلزم الصورة

للموصوف

للموصوف اذ الصفة مطلقا جهة الاحاطة والحد وذلك يستلزم
الصورة في المحاط والمحدود سواء كان صورة حسية او غيرها والصورة
المعنوية اتم في الصورية لانها ثابتة لا تزول فلا محيص الا بان يقتصروا
على التعريف الالهي والتوصيف الربوبي وذلك ايضا بالاقرار المحض
والتعبد الخالص والله يحكم لا معقب لحكمه وجملة لا يدرك مع معطوفاتها
للبيان ولذا لم يدخلها العاطف اي التعريف الالهي هو انه لا يدرك
بالحواس اذ المدرك بها لا يكون الا اعراضا وهو سبحانه متعال عن الجوهرية
والعرضية ولا يقاس بالناس اذ المقايسة انما يكون بين شيئين يشتركان
في ذاتي او عرضي وهو عز شانه مباين لما سواه من جميع الجهات والا يلزم
التركيب المشعر عن الفقر والاحتياج تعالى عن ذلك علوا كبيرا معروف
بغير تشبيه اي الوجه الذي يمكن ان يصير معروفا ويصح ان يتعلق به المعرفة
هو انه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء فكل من وصله بذلك عن ايقان قلبي
واعتقاد برهاني فهو العارف باكمال العرفان وقل من تيقن بهذا
حق الايقان وان كان الاكثر ينطقون به في اللسان والفقرة في قوله
متدان في بعده تحتمل السببية كما في قوله صلى الله عليه وآله ان امرأة
دخلت النار في هرة او دنوه من كل شيء انما هو ببعده منه وذلك لانه لما
كان عز شانه مباينا عن الموجودات بجميع الجهات فلا اختصاص له
بشيء دون شيء فنسبته الى الكل نسبة واحدة متساوية فيكون قريبا من كل
شيء اذ لو كان بعيدا في بعده لكان هو في حد والاشياء في آخر فيلزم التحديد
الممتنع عليه تعالى وتحتمل المصاحبة كما في قوله تعالى ادخلوا في امم وقال
فخرج الى قومه في زينته اي قريب من كل شيء مع بعده عن الاشياء بعين قربه

منها والا لكان فيه تعالى جهة دون جهة وقوله لا ينظر في موضع الحال
كما كان قوله لا يرقبه ولا يصونه كذلك اي كون هذا الدنو معللا بالبعد
او كون دنوه بعينه بعده مختص به تعالى شانه لا نظير له في ذلك لا في المعنى
ولا في الاسم بخلاف اكثر صفاته فانها مشتركة مع الخلق في اللفظ دون المعنى
ولا تمثيل بخليقته اي ليس له مثل في خلقه حتى يمكن تشبيهه بالخلق ولا امثال
له حتى يعرف بذلك المثال بل لله المثل الاعلى في السموات والارض بان كل
ما يؤخذ ويتصور مثالا او مثلا بالتحريك فهو اعلى اذ كل ما ميزتموه في ادق
معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم والجور خلاف القصد والقضية
بمعنى ما يقتضي ويحكم به وعدم الجور في حكمه وقضائه لكونهما بعلمه وعلمه
انما هو بالنظام الاتم والامر الاصلح ولانه سبحانه حق محض فكل ما يحكم به
ويقضي فهو صواب وحق ولانه سبحانه حكيم والحكمة هي وضع الاشياء بحيث تترتب
عليها الكمالات الممكنة لها وذلك هو القصد وعلى الله قصد السبيل ولانه
تعالى رب الارباب والرب هو الذي يربي الشيء او يملكه ويتصرف فيه الى
ان يوصله الى منتهى كماله المقصود في حقه وذلك هو الصراط المستقيم وان
ربك على صراط مستقيم الخلق الى ما علم منقادون وعلى ما سطر في المكنون
من كتابه ماضون لا يتعدون بخلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون
اعلم ان العلم عبارة عن الانكشاف والامتياز وذلك يستلزم وجود
المعلوم اذ انكشاف الشيء فرع تحقق الشيء واذ ليس علمه تعالى بطريق
الحصول والحضور لاستحالتهما على الله تعالى كما نبهنا عليه سابقا وسيجيء
البرهان على ذلك لاحقا فلها كلياتها وجزئياتها عن حصول له تعالى
لا يعلمه الا الراسخون في العلم ولا رخصة في اظهاره لنا الذي يسلم فالاشياء

في هذه المرتبة البطونية الغيبية من الحصول على محاذاة ما في المرتبة
الظهورية العينية من الخيرية والشرية ومعالجة الصناعات ومزاولة
المعاصي والطاعات وبالجملة في جميع الحركات والسكنات فتعلق العلم
الازلي بها كما كانت في حدود ذواتها ويكون في مراتب شهودها وظهورها
لا تقتضيها فصار العلم تابعا للمعلوم الموجود في مرتبة الاجمال الذاتي
ثم انها بعد حصولها الاجمالي ثم وجودها العلمي في حضرة الاله تعالى
وكونها مسطورة في الكتاب المكنون الذي لا يمسه الا المطهرون
وجدت في عالم الكون والشهود والمرتبة الثالثة من الوجود طبقا
كما في ذلك الكتاب وعلى هذا ما تعلق العلم من رب الارباب فصارت
في مرتبة التفصيل للعلم منقادون وعلى ما سطر في هذا الكتاب
المستطاب ماضون ولا يضر هذا التبعية بتبعية نفسه للمرتبة الاجمالية
وبهذا التحقيق يتضح المرام من كلام الامام عليه السلم والى ما اشار بعض العرفاء
في النظم الفارسي حيث قال   بود متبوع صورت اجمال   وقت تفصيل
منعكس شد حال   والله اعلم والحكم فهو قريب غير ملتزق وبعيد
غير منفصل تقصى بلغ الغاية وتقصيتها صرت في اقصاها وعلوتها
والقصو البعد والاقصى الابعد والتقصي الناحية هذه نتيجة لقوله عليه السلم
متدان في بعده اي اذ كان دنوه بسبب مباينته للاشياء او بعينه
مباعدته لها فهو قريب من غير التصاق وامتزاج واشتراك في شيء
وبعيد لا منه بانه تقصى وجعل نفسه في قصى وبعد لانه كما قلنا يلزم
الحدقة من البس بالتصاق للذوات اذ الكل مستهلك لديه وبعده
ليس بتقصي مكان وبعد مرتبة بل بانه مباين للاشياء بجميع جهاتها

وبانه اقرب الى الاشياء من انفسها سبحانه وتعالى محقق ولا يمثل وجوده
ولا يبعض الجملة الاولى لبيان وجوده والثانية لوحدته الذاتية تقرير الاول
انه تعالى ثابت محقق لا بالوجود الصادق على الممكنات ولا الكائنات امثاله
عز شانه في مصداقية هذا الوجود اذ المثل في الاصطلاح العام هو المشارك
للشيء في الفرد سواء كان ذاتيا او عرضيا فهو سبحانه موجود لا بالوجود كما انه
عالم لا بالعلم قادر لا بالقدرة وبيان الثاني انه جل مجده واحد لا كالاحاد
الممكنات التي لا يخلو واحد منها من تركيب اذ الممكن زوج تركيبي فوحدته عز
شانه وحدة ذاتية حقيقية بمعنى انه لا ينقسم بوجه من الوجوه ولا بجهة
من الجهات ولا يقابله كثرة ولا ينافيه تعدد والنقل الى صيغة التفعيل
في الفعلين للمبالغة اي هو لاحق بالتحقيق والوحدانية يعرف بالآيات و
يثبت بالعلامات لما ذكر عليه السلام انه لا يعرف الله الا بما عرف به نفسه بين
تعريفه بالوجه الذي عرف هو نفسه واثباته بالطريق الذي ينبغي له اما التعريف
الالهي فاعلم ان التعريف هو الكشف عن الشيء والاظهار له والله سبحانه كان كنزا
مخفيا فاحب ان يعرف نفسه لخلقه حتى يعرفوه بالوهيته وربوبيته
فيعرف فجعل الخلق مظاهر لنور جماله ومرايا لكماله فمخلوقاته آياته الظاهرة
منه الكاشفة عن نور جلاله وجماله وذلك لانا لما رأينا الاشياء موجودة
لا بانفسها علمنا ان ثمة معطيا للوجود ولما رأينا ههنا علما مستفادا
علمنا ان له واهبا هو اهل الجود ولما رأينا قدرة زائلة علمنا ان ثمة من وهب
القدرة فعرفنا لذلك قلنا انه الموجود العالم القادر الى غير ذلك من الصفات
والى ذلك اشير بما ورد في اخبار اهل بيت العصمة انه هو عالم قادر لا انه
وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين فعرفنا الله بالآيات هي النظر في المخلوقات

التي

التي هي آيات سلطانه واركان دلائله وبرهانه لا من حيث انها خلائق وممكنات
لان ذلك معرفة طائفة من قصرها الانظار بل انها مظاهر كمالاته ومجالي
انواره بحيث يكون الظاهر في كل شيء هو الله تعالى باسمائه وليس في الوجود
الا الله المتوحد بصفاته فهو الظاهر من حيث انه في كل خلق ظهورا خاصا
هو بمعرفة ذلك الشيء به سبحانه ومعرفة اهل النظر له كى ذلك الشيء به عرفناه
كما ورد في دعاء عرفة لسيد الشهداء تعرفت الى كل شيء فما جهلك شيء
فالتعريف الالهي هو ظهوره بآياته وبذلك عرف نفسه لخلقه حيث قال
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهو الباطن
من كل مبهم الا هو فهم من عرفان العالم هو مظهر الله فهو الاسم الظاهر كما انه
المستتر بمنزلة الروح ما ظهر فهو الاسم الباطن وان ليس للظهور الا انطباع
بحكم الاسم الظاهر فيه وانتهاء اي المظاهر على عددها الى الاصلي وما وقع اسم كالاسما
الحسنى الالهي ينتفي الاشتراك بين الظاهر والمظهر الذي هو الا بمجرد اللفظ
اذ لو كان في المعنى لكان المظهر قد استغنى عن الظاهر فيه والعجب من بعض
الاعلام حيث جعل الاشتراك بينهما معنويا واستدل عليه بانه لو لم يكن
كذلك لم يكن هذه الصورة بعجائبها دالا بل وشواهد على اسمائه الحسنى فتأمل
واقول لو كان كما يقول لما صح الاستدلال لان الاتحاد في المعنى المشترك
يأبى عن الدلالة لان ذلك المعنى كما انه بالذات للظاهر كذلك يكون على
زعمه للمظهر فاي ترجيح لان يكون هذا دليلا لا مدلولا وانما اذا كان الاشتراك
بمجرد اللفظ واطلاق المعنى على المظهر من حيث ظهوره فيه لا من حيث ان
ذلك له فلا محالة يكون المظهر دالا على الظاهر فيه وذلك لان تلك الحقيقة
وهذا الاسم ليس له اصلا وانما ظهر فيه فهو مثلا عالم بانه مظهر للعلم لا بانه

قام به العلم فهو اول دليل على العلم الظاهر فيه حيث يكون بذاته ليس له
تلك الصفة وانما ظهرت فيه فقد يعرف ان المبدا تعالى انما يكون بالنظر الى
الآيات ليتوصل بها الى مبدء الموجودات وهذه طريقة غريبة قل من العلماء
من يتفطن بذلك في معرفة الله واما طريق الاثبات فهو ايضا انما يكون
بالعلامات الدالة على ان نسبته المبادي والآيات التي هي الصراط السوي
والطريق في آيات الوهيته وعلامات ربوبيته السموات والارض جعلها
سبع طرائق طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وفي الخبر ما ملخصه
ان السماء الدنيا فوق هذه الارض قبة عليها والارض الثانية فوق
السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والارض الثالثة فوق السماء
الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة وهكذا الى السابعة من كل من الارض
والسماء وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وما تحتنا الا ارض واحدة
وان الست هي فوقنا فالامر كما يتنزل بين السموات والارضين متدليا
من الله تعالى الى ان ينتهي الى الارض السابعة كذلك يعرج الملائكة اي الى
المهيمنون الذين يحملون علم آل محمد والروح التي هي قوام بعض النفس الناطقة
الالهية صاعدا الى السماء ثم الى اخرى الى ان يعود الى ما بدا منه وكذلك خلق
السماء بلا عمد من تحتها يمنعها من السقوط ولا علاقة من فوقها يحبسها
من الوقوع ثم ما في السموات من الشمس المنيرة في النهار لانتشار في طلب
المعاش ومن القمر المضيء في الليل ليبصر في ظلماتها ومن الليل والنهار
المتتابعين الكارين بالعجائب التي يحدثها الرب تعالى في عالمه
من سعداء واشقياء واعزة واذلاء واغنياء وافقار وصيف وشتاء
وخريف وربيع وخصب وخوف وامن وجعل واحد منهما سكنا ليسكن وجدب

فيه

فيه لاستراحة النفوس من الكد الذي ينهك الابدان والاخر مبصرا فالشمس
في هذا العالم علامة رسول الله حيث وضح الله به للناس دينهم وعلمهم
والقمر لامير المؤمنين حيث تلا رسول الله ونفث النبي في صدره العلم نفثا كما كانت
الشمس تنفث في القمر من نوره والليل ائمة الجور الذين استبدوا بالامر
دون الرسول وجلسوا مجلسا كان الرسول وآله اولى به منهم فغشوا
دين الله بالظلم والجور والنهار الامام من ذرية فاطمة عليها السلام حيث سئل
عن بن مسعود رسول الله فضيلته لمن يسأل هكذا ورد في تفسير سورة الشمس
وفي على هذه الآية سائر الآيات من خلق النجوم للاهتداء وجعلها في السماء
بروجا ومد الارض وبث الدواب فيها للاكل والركوب والانبات
من كل شيء موزون من الذهب والفضة والجواهر المعدنية وفيها معايش
من المطاعم والملابس ومن البحر والجوار المنشآت فيها وارزاق البر وفيها
للمسافر وطعاما للمقيم وارسال الرياح مبشرات ولواقح وانزال الماء
من السماء واحياء الارض وان ذلك لمحيي الموتى الى غير ذلك من الآيات قال
تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون فاي آيات
الله تنكرون ولا اله غيره الكبير المتعال عن شبه خلقه وشبههم
به وقد شاع حذف حرف العلة عن المتعال في القرآن والاخبار للتخفيف
ثم قال عليه السلام بعد كلام آخر تكلم به حدثني ابي عن ابيه عن جده
عن ابيه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ما عرف الله
من شبهه بخلقه ولا وصفه بالعدل من نسب اليه ذنوب عباده
والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة وقد اخرجته بتمامه في تفسير القرآن
هذا النقل منه عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله للاستشهاد على ان المستحيل

هو بتوصيف الله بغير ما وصف به نفسه وقد عرفت ان معنى ذلك
هو ان يعتقد تلك الاوصاف اعتقادا اقراريا لا اثباتها بالمعنى الذى نعرفه
من هذه الاوصاف فما ابعد عن الحق قول من قال ان الاشتراك معنوى
ولعمرى اى تشبيه اعظم من هذا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
والعجب من بعض المتكلمين المتقشفين انهم يابون عن وجود المجردات
العقلية زعما منهم ان ذلك يستلزم التشبيه مع ان التجرد من الامور السلبية
ولا يتحاشون عن القول بالاشتراك فى جميع الصفات الثبوتية وهل هذا
الا عمى لم تعامى على قلوب اقفالها بل طبع الله عليها فلا يؤمنون
الا قليلا **الحديث العاشر** باسناده عن على بن مهزيار قال كتب ابو جعفر
عليه السلم الى رجل بخطه وقرأته فى دعاء كتب به ان يقول يا ذا الذى
كان قبل كل شىء ثم خلق كل شىء ثم يبقى ويفنى كل شىء
ويا ذا الذى ليس فى السموات العلى ولا فى الارضين السفلى
ولا فوقهن ولا بينهن ولا تحتهن اله يعبد غيره **شرح** كلمة
كان ليست للمضى بل للربط فقط ولفظة ثم ليست لتراخى المرتبة
والا لكان بعد الله شىء وهو كفر بل لتراخى الحكم فالاحكام الثلثة ثابتة
فى الله الواحد فى مرتبة واحدة الا ان هذا الحكم قبل ذلك وذلك بعد
هذا فيستفاد منه ان عدم معبود غيره فى السموات وفوقها وفى الارض
وتحتها وفيما بينهما انما هو بالحقيقة لان كل ما يعبد سواه فانما
يعبد لنفع خير من ايصال الى محبوب او دفع مكروه او من حيث
هو خير فقط ولا ريب ان كل خير فهو من الله فى اى شىء كان وهو الضار
النافع ولا حول ولا قوة الا به فذلك العابد لما سوى الله انما كفر فى

الحقيقة حيث ما زعم ان الكل العبادة الحقة اليه تعالى واليه ترجع
عواقب الثناء وقد قال جل وعلا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه
الحديث الحادى عشر باسناده عن المفضل بن عمر قال سمعت ابا عبد الله ع
يقول الحمد لله الذى لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك **شرح**
لم يلد اى ليس له ولد حتى يرث ولده نوع وجوده وبسطة سلطانه
اذ الولد لا محالة من نوع ابيه وكذا هو حق بسلطنة ابيه كما مر فى اول
الباب من قول امير المؤمنين عليه السلم لم يلد فيكون فى العز مشاركا ويحتمل
ان يكون المعنى لم يلد حتى يصح عليه الموت فيرث ولده جميع ما له من نعوت
الكمال وسمات الجلال بعده وذلك لان الولد انما يكون من نوع
الوالد وكل ما يكون نوعه متكثر الافراد يجب ان يكون ماديا وكل
صورة مخصوصة فى مادة مشتركة فانما يصح عليها الزوال وهو
المراد بالموت وكذا لم يولد من اب ولم يحصل من سبب والا لكان
ذلك الاب مشاركا له فى العز وفى الكمالات التابعة للشيخ بل هو
اولى بذلك اذ الفضل للمتقدم فيكون اولى بالالوهية وسيجى
تفصيل ذلك فى تفسير سورة التوحيد ان شاء الله تعالى **الحديث الثانى عشر**
باسناده عن مسعدة بن صدقة قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم
يقول بينا امير المؤمنين عليه السلم يخطب على المنبر بالكوفة
اذ قام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى
لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب امير المؤمنين عليه السلم ونادى
الصلوة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله
ثم قام متغير اللون هذا الرجل زعم ايضا انه يمكن ان يوصف الله

سبحانه باوصاف المخلوقين ومعاينتهم التي يوجد فيهم فطلب منه عليه السلم
ذلك لمزيد معرفته بالله فيزداد حبًّا ولذلك اغضبه قوله امير المؤمنين
والصلوة منصوب اما على الاغراء او مفعول له احضروا او وقع الجامعة
حال والغص ان ينشب اللقمة في الحلق وضاق بها وغص المسجد او المجلس
على صيغة المجهول كناية عن الكثرة والازدحام بحيث ضاق عن دخول
احد او حركته وهذه الخطبة الشريفة مشهورة بخطبة الاشباح لان فيها
ذكر الاشباح النورية الغير المادية كما هو صريح قوله عليه السلم بديًّا يا خلايق احكم
صنعها فقال الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء اذ كل
معط منتقص سواه اى لا يصير منعه العطايا للسايلين سببًا لتغيّر
حاله فيه بان يزيد في ملائه وملكه وفي نهج البلاغة لا يفره المنع بالفاء
على وزن يعد من الوفور وهو الصحيح وقد صحّف في نسخ التوحيد والمعنى
لا يجعل المنع ما له من النعم موفورًا كثيرًا ويكديه من باب الافعال اى ولا
تنقصه الاعطاء ولا يجعل خيره قليلا ولا يصيره بخيلا وقوله اذ كل معط
منتقص سواه دليل على ذلك المدعى بيانه ان كل ما يعطيه الغير فانما
يعطيه بان يخرجه من ملكه ويجعله في ملك آخر كما هو المشاهد وذلك
لان ذلك المعطي ليس له شيء من نفسه وانما هو من غيره الى ان ينتهي الى الله
جل مجده واما الله سبحانه فالملك ملكه والخلايق عبيده ولا يخرج
من ملكه شيء بل الخلق انفسهم عطاياه ومواهبه والعبد لا يملك
شيئا ولا يقدر على شيء وانما هذه الاسامي نسب واعتبارات و
الملك لله الواحد القهار فاي منع يزيد في ملكه واي اعطاء ينقص
ما عنده المليء بفوائد النعم وعوائد المزيد بجوده ضمن عيال الخلق

قال

قال في النهاية الملي بالهمزة الثقة الغني وقد اولع الناس فيه بترك
الهمزة وتشديد الياء قال في المغرب والملي الغني المقتدر وقد ملؤ
ملاءة ومنه قول شريح اختر املأكم اى اقدركم وفي الاساس هو ملي
بكذا اى مضطلع به كما تنهى وبالجملة هو من ملأ الاناء بملائه وملاءة
فلان عاونه واصل ذلك العون في الملاء ثم عمم كما في المغرب والعوائد
جمع عائدة وهي العطية التي تعود الى الغير فايدتها او ما يكون بعد نعمة
اولى تعود اخرى والفوائد والعوائد بالهمزة لان حرف العلة كالشفة
الالف من حاشيتها تنقلب التي بعدها الالف همزة وان كانت اصلية
كما في عوائق وبوائع واضافة الفوايد والعوايد بيانية ويظهر ان
الفايدة في الامور الضرورية والعايدة في النعم التفضلية والزايدة
على القدر الضروري والجود افادة ما ينبغي لا لعوض وان كان محمدة
وثناء والعيال اسم ما يعول الرجل اهله من طعام وكسوة والمعنى
ضمن بمحض جوده ان يرزق الخلق لانهم الفقراء وهو اهل الجود
والغناء فانهج سبيل الطلب للراغبين اليه فليس بما سئل اجود
منه بما لم يسئل النهج الطريق الواضح وانهج اى اوضح والفاء الاولى
للتعقيب والثانية للتفريع اى ضمن اقوات الخلايق ارزاق العباد كما قال
وفي السماء رزقكم ثم اوضح للخلق سبيل الراغبين اليه رزقه حيث يطلب
كل محتاج ما يحتاج اليه منه وهو الموصل اليهم ما يحتاجون اليه من الطرق
التي شرعها لهم فامطر من سحاب الرحمة ماء غدقا فاحيى به الارض
بعد موتها ثم انبت به زرعا ثم سيقيه انعاما فيجعل الكل للانسان
غذاء بايدي خدام طبيعية وقوى مسخرة فاذا كان جوده بذاته

لا بسبب موجب ولا افتقار من الاشياء على شرع سواء فليس هو باعطا
لما سئل اجود منه باعطاء ما لم يسأل بان يعطي السائل اكثر مما يعطي
غير السائل اذ لو كان كذلك لاختلفت نسبته ولم يكن جوادا بذاته
بل بسبب يدعوه الى الجود ولكان غير السائل مستغنيا عنه وقد قلنا
ان الفاقة المحوجة مشتركة في الكل في كل آن وزمان لا محالة وما اختلف
عليه دهر فيختلف منه الحال هذا دليل آخر على عدم التفاوت في جوده
تعالى هنا غرض المدعي كما ان قوله على كل فانه دليل سابق عليه
بيان ذلك ان كل من يقع في الزمان فانما يختلف حاله في الغناء و
الثروة والاحتياج والفاقة ورغد العيش وضيقه الى غير ذلك من
الاحوال وذلك لتصادم الاسباب الفلكية وتناظر الاوضاع السماوية
والشيء الذي ليس في زمان لا يختلف عليه حال اذ كل ما يمكن له فانما هو ثابت
له بالفعل وليس له حالة منتظرة فاذا كان جوادا فلا يختلف جوده لانه
ذلك له بنفسه لا باعتبار شيء سواه فهو جواد ازلا وابدا والله سبحانه متعال
عن الزمان متقدس عن الكون والمكان فلا يختلف عليه حال كيكون فيه
جوادا ثم يكون في حال اخرى بخيلا او اقل جودا ولو وهب ما تنفست
عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين
وسبائك العقيان ونضائد المرجان لبعض عبيده لما اثر ذلك في
جوده ولا انفد سعة ما عنده التنفس مستعار اما من تنفس الصبح
اذا تبلج اي واخرج منه ما اظهرته المعادن التي في الجبال او من تنفس
الرجل لانها حاصلة من تنفس الجبال وهو البخار المحتبس فيها
المستحيلة الى هذه الاشياء ونسبة الضحك الى الاصداف حيث يجيبها

اللآلي

اللآلي المشبهة بها اسنان الملح من ابلغ التعبير والفلز بكسر الفاء واللام
وتشديد الزاء من الجواهر المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والرصاص
وهو قيل هو ما ينفيه الكور من كل ما يذاب منها وفي النهاية وفيه حديث
علي عليه السلام من فلز اللجين انتهى والمراد ههنا الخالص من الفضة
والسبيكة هو ما يخرج من الخلاص وسبائك العقيان عبارة عن
الذهب الخالص والنضائد جمع نضيدة بمعنى المنضود اي المرتب بعضه
فوق بعض ترتيبا اي ما اثر فيه قوله لما بالتخفيف جواب لو والمعنى ظ
ولكان عنده من ذخائر الافضال ما لا تنفده مطالب السؤال
ولا تخطر لكثرته على بال لانه الجواد الذي لا تنقصه المواهب
ولا يبخله الحاح الملحين وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون السؤال بتشديد الهمزة جمع سائل كطلاب جمع
طالب ولا يبخله على صيغة التفعيل يقال ابخلته اذا نسبته الى البخل
والمعنى هو الجواد الحقيقي وانما جوده بنفس ذاته على حسب ما يقتضيه
المصلحة من الامر النافع الضروري ويستدعيه لسان النظام الكلي
والجزئي وخزائنه عز شأنه هو قول كن فلا ينقص المواهب اذا اعطى
ولا ينسب الى البخل الحاح الملحين حين لم يعطهم بعد لان جوده
انما يكون لما ينبغي لا لما يسأل كل احد بلسانه والله سبحانه لا يرتضي
كما قال جل جلاله عسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته
وطول ولههم اليه وتعظيم جلال عزته وقربهم من غيب ملكوته
ان يعلموا من امره الا ما اعلمهم قيل الملائكة ماخوذة من الالوكة

وهي الرسالة والواحد مألك بالهمز اسم مكان كمقرأ وأكثر ثم جعلت اللام
موضع الهمزة على القلب المكاني وحذفت الهمزة في المفرد للتخفيف
فقيل ملك وعادت في الجمع فقيل ملائكة والعقول يظهر من الاخبار سيما
ما روي في تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي المحدث انها ماخوذة من الملك
بالكسر بمعنى المملكة سموا ملائكة لانهم يملكون علم آل محمد صلوات الله
عليهم ولانهم يملكون امور الكون ويتصرفون في الملك والملكوت
باذن الله سبحانه فعلى هذا يمكن ان يكون الملك بالحركات ثم جنس الملائكة
جمع مليكة على وزن فعيلة لا جمع ملك ويحتمل ان يكون اصل الملك
بالفتحتين مالك بالالف على اسم الفاعل بعد القلب المكاني جمع على ملائك
وفي الواحد حذف الالف للتخفيف والله اعلم ولفظة على في قوله على قربهم
اما متعلق بالاشتغال اي مشتغلين على قربهم مشرفين عليه واما بمعنى
مع اي مع قربهم والوله بالتحريك التحير وزوال العقل من شدة الوجد
وتعظيم جلال عزه معطوف على الوله من اضافة المصدر على المفعول
اي تعظيمهم جلال عزه وقوله ان يعلموا معمول عجزت اي عجزت الملائكة
مع اتصافهم بهذه الصفات عن ان يعلموا الا ما علمهم الله ثم بين علمهم
ان الذي علمهم الله هو العجز عن المعرفة وان لا علم لهم الا ما علمهم سبحانه
بقوله عليه السلام وهم من ملكوت القدس بحيثهم ومن معرفته على ما فطرهم
عليه ان قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم
الحكيم فما ظنك ايها السائل بمن هو هكذا سبحانه وبحمده
الجملة حالية وكلمة ان لتفسير ما الموصولة في قوله ما فطرهم اي الحال
انهم من ملكوت التقديس والتنزه عن العوائق الموجبة للجهل بحيثهم

من الشان

من الشان الذي لا يخفى على احد فضلهم وكمال تقدسهم عن الشوائب
وهم من معرفة الله على الذي فطرهم الله من العجز والتكلان على الله بان قالوا
لا علم لنا الا ما علمتنا ولا معرفة لنا باياتك الا ما عرفتنا ولا نقدر
على التجاوز من درجتنا ومرتبتنا ومعرفتنا وكمالنا الا حد قوتنا وانت الله
العليم الحكيم ولا علم لنا الا ما انت واهبه ولا حكمة لنا الا ما انت صانعه
ونحن على الجهل الذي هو حقيقتنا والفقر الذي هو مقتضى ذواتنا كما قال
تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني ثم خاطب عليه السلام
السائل فقال فاذا كانت الملائكة الذين هم اقرب الخلق الى الله سبحانه
اسراره وسفرته وحججه في مقام العجز فما ظنك ايها السائل بالله الذي
يعجز عن معرفته المقدسون من الملائكة والمقربون الى حضرته هل يمكن
لاحد معرفته الا بالعجز عن معرفته او وصفه بغير ما وصف نفسه به سبحانه
وبحمده اقدس عن ان يحيط بوصفه علم العلماء وانزه عن ان يشير
اليه اشارة ما حين اصفه بجميع محامده التي وصف نفسه بها لم يحدث
فيكون فيه التغير ولا الانتقال ولم يتصرف في ذاته بكرور الاحوال
ولم يختلف عليه حقب الليالي والايام الحقب بالضم وبضمتين
الدهر وهو الزمان والجملة الاولى لنفي الحركة في جوهر ذاته والثانية
لنفيها في صفاته والثالثة لنفي الزمان عنه وعن صفاته بيان الاولى
ان التغير في الذات عبارة عن الكون والفساد وذلك لا يكون الا في
الشيء الحادث الكائن اذ ما ثبت قدمه يمتنع عدمه وبيان الثاني
ان التغير وتكرر الاحوال وتواردها انما هو بوساطة وهي تستلزم
المادة الموضوعة للاعراض الواردة وهو سبحانه منزه عن المادة ولواحقها

وبيان الثالث انه سبحانه فاعل الزمان فلا يحيط به الزمان وايضاً
الشيء الزماني لا بد ان يكون مادياً اذ الزمان وعاء الماديات وهو عز
شانه مجرد عن الزمان والمكان بل الزمان بالنظر اليه بمنزلة آن كما ان المكان
والمكانيات بالقياس اليه كنقطة واحدة وبالحقيقة لا نسبة لشيء اليه
سبحانه الا بالهلاك والفناء سبحانه وتعالى وقد اشار عليه السلام الى الادلة
في المواضع الثلثة حيث ذكر في الاول المتغير الذي هو من امارات الحدوث وفي
الثاني المتصرف الذي يكون في المادة المتصرف فيها وفي الثالث الاعتماد الذي هو من لوازم استعداد المادة
الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه
من معبود كان قبله ابطل عليه السلام بالجملة الاولى مذهب اكثر المتفلسفة
القائلين بحصول الصور والمثل في ذاته تعالى في صقع من الربوبية
وطريقة المتصوفين القائلين بالاعيان الثابتة وانها لوازم غير
مجعولة للباري عز شانه وزعم المتكلمين الذاهبين الى المعدومات
الثابتة والجملة الثانية تاكيد للاولى مع اشتمالها على البرهان على ذلك
المدعى بيان ذلك ان هذا المثال وذلك المقدار اما ان يكون مجعولاً
او غير مجعول لا سبيل الى الثاني اذ الشيء الذي ليس ثبوته من ذاته لا بد
له من علة ولو كان ثبوته من ذاته كان واجب الوجود فبقي الاول وهو
ان يكون مجعولاً واذ قد تقرر ان الله امتثله واحتذى مثاله وفعل بذلك
الذي هو فعله الاول محاذياً على ذلك المثال فليس ذلك المثال فعله الحقا
والا لزم الخلف فثبت انه لو كان ابتداعه تعالى على محاذاة مثال لكان
ذلك المثال مجعولاً لمعبود هو قبل هذا المعبود تعالى شانه ولما حط
بين الصفات فيكون باذكرها اياه بالحدود متناهياً وما زال الليس

كمثله

كمثله شيء عن صفة المخلوقين متعالياً قوله بالحدود متعلق بقوله
متناهياً كما ان قوله عن صفة المخلوقين متعلق بمتعالياً وجملة ليس كمثله
شيء وقع اعتراضاً للمدح بل للتعليل والحاصل ان الصفة مقصودة بها وحملها
سواء كان بالعينية او الزيادة اذ المحمول لا بد ان يكون اعم مفهوماً كما تقرر
في علم الميزان وجملة ما زال المحمول متعالياً دليل ثان على الجملة الاولى
والدليل الاول قوله فيكون آه اي لم تصدق ولم تحمل عليه تعالى الصفات
اذ لو صدقت عليه لكون عز شانه بسبب ذلك الصفات اياه وصدقها
عليه متناهياً بالحدود ولان الذات من حيث هي هي متقدمة على الصفة
سواء كانت عينية او زائدة فينتهي الذات الى الصفة بان يكون الصفة
بعد الذات وذلك هو التحديد وايضاً الحاطة الصفات انما في المخلوق
وهو سبحانه متعال عن صفاتهم اذ ليس كمثله شيء فلو صدقت عليه
الصفات المشتركة المفهوم بينه وبين خلقه لشارك الخلق اياه ومماثله
في ذلك المفهوم ولم تخسر الابصار عن ان تناله فيكون بالعيان
موصوفاً وبالذات التي لا يعلمها الا هو عند خلقه معروفاً حسر
وانحسر كل ولما كان هذا الكلام في قوة ان يقال لا تناله الابصار
ولا تدركه فرع قوله فيكون بالنصب على المنفي اي فلو ادركته الابصار
لكان بالعيان موصوفاً وحاصل البرهان انه تعالى لا تدركه الابصار
لانه لو ادركته لكان الله سبحانه موصوفاً بالعيان اي كان يدركه الاشياء
معاينة ولو وصف بالعيان كان معروفاً لذاته اي تعلقت المعرفة
بذاته تعالى وذلك لان المدرك بالعيان هي الاعيان الخارجية
والشيء المدرك الخارجي اذا كان محفوفاً بالعوارض فالمدرك بالبصر منه

هو النور المحفوف فيه الظاهرة منزها ان يكون مكتنفا بالعوارض وكان
مدركا بالبصر فلا محالة ان يكون ذاته مدركة فيتعلق المعرفة به ثم توصيف
الذات بقوله التي لا يعلمها الا هو للمبالغة وبيان انه يمتنع ذلك ويمكن
التعميم في الابصار ليشمل ابصار القلوب وفات لعلوه على ان الاشيا
مواقع وهم المتوهمين الموقع هو محل وقوع الطير وقد سبق بيان النكتة
لايراد لفظ الوقوع في الخطبة الاولى وقوله لعلوه تعليل للفوات عن محل
وقوع الوهم عليه والمعنى انه سبحانه محيط بالاشياء عال عليها فلو وقع
عليه الوهم كان محاطا به والحرف الاول للمحيط دون المحاط وارتفع
عن ان تحوي كنه عظمته فهاهة رويات المتفكرين يقال الفهه
الرجل فهاهة بالفتح اذا جاء منه سقطة من العي وغيره واضافة الفهاهة
الى الرويات من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها والمراد الرويات
العيية الناقصة وهي من الصفات الكاشفة وفي هذا الكلام اشارة الى
الادراك بلزوم الاحاطة والحواية والحاصل ان الافكار الخلقية عاجزة
عن ادراك عظمته فليس له مثل فيكون ما يخلق به مشبها وما زال
عند اهل المعرفة به عن الاشباه والاضداد منزها الفا الاولى
تفريع على عدم ادراك الابصار اياه وعدم وقوع الوهم عليه وعدم
احاطة الافكار به وحواية العقول اياه والثانية تفريع على الاول
بيان ذلك انه تعالى لما لم يقع عليه الادراكات الثلثة كان بلا مثل
اذ لو كان له مثل لكان يعرف بذلك المثل وقد فرض انه سبحانه لا يدرك
بمدرك من المدارك ولما كان ههنا مظنة ان يقال انه لا يجوز ان يكون
له مثل في الواقع لكنه لا يمكن معرفة ذلك المثل ايضا قال فيكون ما يخلقه

مشبها

مشبها اي فيكون ما يخلقه الله تعالى مشبها به جل وعلا ردا لذلك
الظن اي لو كان له مثل فاما ان يكون ذلك المثل مخلوقا له تعالى او غير
مخلوق لا سبيل الى الثاني لبرهان التوحيد فبقي ان يكون
مخلوقا له تعالى والمخلوق يجب ان يكون مباينا لخالقه من جميع الوجوه
لما ذكرنا مرارا ثم لما ابطل المثل الذي هو المشارك في النوع مطلقا
اراد ان يبطل الشبه الذي هو المماثل الخاص اشار اليه بقوله وما زال
الى اخر كلامه والغرض ان قوله الشبيه انما هو من خواص الكيف وهو انما
يقبل التضاد فلو كان له شبيه لكان يمكن ان يكون له ضد وهو عند
اهل المعرفة منزه عن الاشباه والاضداد اذ الشبيهان مشتركان
في المقولة وهو يستلزم التركيب والتضاد فرع الاشتداد والضعف
وهما الحركة في الشدة والضعف وانه سبحانه متعال عن الحركة وايضا
التضاد انما يستلزم امكان التضاد لم يمكن التعاقب وهو ممتنع عليه
تعالى كذب العادلون بالله اذ شبهوه بمثل اصنافهم وحلّوه
حلية المخلوقين باوهامهم لما ذكر عليه انه لا مثل له ولا شي
يعادله حكم بكذب الجائرين عن سبيل الحق بسبب وصفهم اياه سبحانه
بغير ما وصف به نفسه اذ شبهوه جل مجده بمثل ما طواهم من المخلوقات
وحلوه حلية المخلوقين اي وصفوه بصفة المخلوقين والحلية بالكسر
الصفة وذلك بمحض اوهامهم الباطلة وعقولهم الناقصة من دون
ان ياخذوا علم ذلك من الله وممن ياخذ من لدنه فتاهوا وخسروا
الدنيا والاخرة وذلك هو الخسران المبين وجزؤوه تبعيد به منحرج
من خواطر همهم وقدروه على الخلق المختلفة القوى بقرائح عقولهم

التجزئة بالهمزة جعل الشيء ذا اجزاء والتقدير اما بمعنى جعل الشيء ذا مقدار
فالمنع على صيغة المفعول واما بمعنى الفرض وحكم العقل فهو على صيغة
الفاعل وكلمة من على الاول لابتداء الغاية وعلى الثاني للبيان والمعنى
على الاول انه صيروه سبحانه ذا اجزاء وابعاض بسبب جعلهم اياه ذا تعدد
وتقديرهم انما هو نتيجة انتجت مبتدأة من خواطرهم التي تحيط ببالهم
وتسويلات اوهامهم وعلى الثاني جعلوه ذا اجزاء بفرض عقولهم و
خواطرهم في تصورهم حيث انتج ذلك الفرض هذه التجزئة وقدروه
اى جعلوه مقدارا على مثال الخلق المختلفة القوى فجعلوه قوى
مختلفة وادوات متعددة على مثال ما في الخلق وذلك باستنباطات
عقولهم ونتائج افكارهم والقريحة اول ما يستنبط من البئر ومن الانسان
طبيعته وكيف يكون من لا يتقيد قدره مقدرا في رويات الاوهام
وقد ضلت في ادراك كنهه هواجس الاحلام ابطل عليهم زعمهم فقال
وكيف يكون الذي لا يوصف بحق وصفه ولا يمكن توصيفه مقدرا
اى مفروضا داخلا في رويات الاوهام وافكار العقول والحال انه
ضلت في ادراك كنهه هواجس العقول وخواطرها ولا تصل اليه
الاحلام وما هجس فيها او ما خطر لها تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقد مضت
البراهين على هذا المدعى لانه اجل من ان تحده الباب البشر او تحيط
به الملائكة على قربهم من ملكوت عزته بتقدير دليل على عدم
اهتداء العقول اليه سبحانه وقوله بالتفكير متعلق بتحده كما ان قوله
بتقدير متعلق بتحيط وقد مضى ان كلمة على تحتمل معنيين وبيان ان
وصول العقول اليه يستلزم التحديد وادراك الملائكة قدر عظمته

بالتفكير

يستلزم الاحاطة ولو كانت الباء في بتقدير للملابسة او السببية
ويكون التقدير بمعنى جعل الشيء ذا قدر معقولا كان او محسوسا لعم
اذ التقدير بهذا المعنى ملزوم للاحاطة وبالجملة الوصول العلمي تاما
يلزمه محدودية المعلوم واحاطة العالم به كما بينا مرارا والجملة
الثانية لبيان ان ذلك ليس مختصا بالبشر بل الملائكة ايضا على طبقتهم
كما تطلبون انتم تعالى عن ان يكون له كفو فيشبه به الكفو هو
المشارك للشيء الذي يكون مع ذلك الشيء وفي العبارة اشارة الى هذين
القيدين حيث اشار الى المشارك بقوله فيشبه به والى المعية بالتفريع
المعبر بالعلو والمدعى ان المبدأ الاول لا مكافي له في الوجود والدليل
على ذلك ما اشار اليه بقوله لانه اللطيف الى قوله فكيف يشبه بغيره مثاله
وحاصل البرهان مطابقا لما قاله الامام عليه السلام ان المكافي له اما
من خلقه او من غير خلقه وايا ما كان فاما في ذاته او في صفاته او في
افعاله لا سبيل الى الاقسام الثلاثة اذ الحكم على الشيء سيما بمشاركة
شيء اياه انما يكون بعد تصور ذاته او كيفيته او حقيقة افعاله والكل صفاته
ممتنع على الله تعالى اما امتناع العلم بذاته وصفاته فقد مضى في
تضاعيف ما تلونا عليك واما امتناع العلم بمعرفة كيفية ايجاده فلانه
فاعلية بذاته جل شانه فاذا لم يعرف ذاته فلا يمكن معرفة تلك الكيفية
فلا مكافي له تعالى البتة واشار الى نفي المشارك في الذات بقوله
لانه اللطيف الذي اذا ارادت الاوهام ان تقع عليه في عميقات
غيوب ملكه وحاولت الفكر المبرأة من خطر الوساوس ادراك
علم ذاته اضافة العميقات الى الغيوب من اضافة الصفة الى الموصوف

والمراد بالمبالغة في الغيب وذكرها للتوطئة بمكن الجزاء وهو قوله ردعت
وتفريعه على الشرط للاشارة الى تعليل الردع اذ الشيء الذي في كمال الخفاء
والاستتار لا يمكن الوصول اليه والفكر كعبر جمع فكرة والخطرات بالتسكين
مصدر خطر ببالي خطر المراد بها الفكر المنزه عن شوائب خطرات
الوساوس حيث لا يخطى عما لنا واشار الى ابطال المشاركة في الصفات
بقوله وتولهت القلوب اليه لتجرى منه مكيفا في صفاته المراد بالوله
هنا شدة التحير وكمال التوجه الى الشيء بحيث لا يشعر بما سواه وقوله مكيفا
حال من ضمير منه والمعنى اذا توجهت القلوب لاجل ان يحيط به سبحانه وكيفية
صفاته وعز شأنه ردعت ورجعت ولم يصل اليه لانه لا كيف له ولا لصفاته
جل مجده واشار الى نفي المشاركة في الافعال بقوله وغمضت مداخل
العقول من حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم الوهيته غمض الشيء
غموضا اذا دق ومداخل العقول الطرق التي يمكن للعقول الدخول
منها الى الشيء والوجوه الخفية التي يصل اليها العقول والمراد ادخل
العقول من الطرق الغامضة الدقيقة التي قيل ان لا يمكن يصل الى الشيء
لان تتناول علم الوهيته وافعاله رجعت ولا تصل اليه سبحانه وقوله
من حيث بيان للمداخل اي الطرق التي هي غير الصفات التي لا تبلغه
اذ قد ثبت انه لا يحيط به الصفات وطريق الصفات غير مطمع في الوصول
اليه بل من طريق اخر بحسب العقول اولا وصلة انه يمكن الوصول منه
اليه عز شأنه واراد بقوله من حيث لا تبلغه الصفات لبيان علة الرجوع
وعدم الوصول لانه اذا لم تبلغه الصفات لبيان علة الرجوع وعدم
الوصول فكيف تبلغه العقول ردعت خاسئة وهي تجوب مهاوي سدف

الغيوب متخلصة اليه سبحانه وردعه كمنعه كفه ورده وخسئ الكلب بعد وخسئ البصر
كل والجوب قطع البلاد والسير فيها والمهاوي جمع مهواة وهي الجو عمق
الشيء وما بين الجبلين والسدف جمع سدفة بالفتح وهي اختلاط
الظلام وجملة وهي تجوب حالية وقوله متخلصة حال من الضمير المرفوع
في تجوب اي اذا ارادت العقول علم ذاته او معرفة صفاته والوهيته
ردت عن ذلك المنظر العالي كليلة الابصار وسقطت عن هذا الموقع
الشامخ بعيدة عن الوصول الى العزيز الجبار حين تجوب وتقطع
في السقوط ما بين جبال اشعة نور الانوار الفائضة على الاعيان
وحجب الظلمة هي كل عالم الامكان من الموجودات الغائبة عن
الحواس من العقول والنفوس ولا يصل عقله اليها وراء ذلك حين
يطلب التخلص من هذه الظلمة منقطعة عن الكل متوجهة الى الله مقبلة
اليه بان يرى الكل نوره ولا يرى غيره وهذا غاية سير السالكين الى الله
بقدم المعرفة والحاصل ان المتمكن للعقول بعد تدقيق الانظار
وتدقيق الافكار هو ذلك المقام دون ان تصل الى ذاته وصفاته
تعالى رجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف
كنه معرفته ولا تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال
عزته جبهه كمنعه وضربه ضرب جبهته ورده والاعتساف الاخذ
على غير الطريق اي رجوع العقول عن الوصول اليه سبحانه حين ردت
عن ذلك المرام اعترافا كانت على اعتراف منها بانه لا يمكن الوصول
الى كنه معرفته لانه لا سبيل عن قصد السبيل فالباء في قوله بجور الاعتساف
ليست صلة لينال ولا يخطر ببال اولي الافكار خاطرة اي شيء يخطر

بالبال من تقدير جلال عزته بان يقدر احد الممكن تعقله تعالى
عن ذلك كله لبعده من ان يكون فى قوى المحدودين لانه خلاف خلقه تعليل
لعدم الوصول وذلك لانه تعالى غير محدود بحد معين والادراك يستلزم
التحديد اذ ما يدخل فى القوى المحدودة فهو محدود لاحاطة القوى به
والقوى اعم من المدارك العالية والمشاعر السافلة وهذا البرهان الذى
ذكرناه هو من نفس المدعى حيث قيد القوى بالمحدودية والبرهان الاخر
هو ما اشار اليه بقوله عليه السلام لانه خلاف خلقه وبيانه بعد تذكر ما تلونا
عليك فى السوالف فى تحقيق تعقل النفس المعقولات من ان تعقل
الشيء لا يمكن الا بان يكون فى العاقل سنخ من ذلك الشيء المعقول وهذا
هو المراد باتحاد العقل والعاقل والمعقول الموروث عن الاقدمين
والدليل الاجمالى على ذلك هو ان الشيء اذا كان عاقلا بذاته فلا محة
يكون معقولا بذاته لا لشيء آخر والا لم يكن عاقلا بذاته وقد فرض كذلك
واذا كان تعقله بنفس ذاته فمعقوله يكون معقولا بنفس الذات العاقلة
فذلك المعقول يكون معقولا للعاقل بنفس ذات العاقل وقد كان
هو بنفسه معقولا بنفس ذاته فكان ان عاقليته ومعقوليته لنفسه
متحدان بالذات متغايران بالاعتبار وكذلك معقوليته لنفسه ومعقوليته
غيره لم يجب ان يتحدا بالذات ويتغايرا بالاعتبار اذا تقرر هذا
فنقول ان كل ما يمكن ان يعقل فانما يجب ان يكون له سنخ فى ذات
العاقل والشيء الذى هو مباين لجميع ما سواه من جميع الجهات ليس
مشاركة فى السنخ مع شيء فلا يمكن لشيء ادراكه والمبدأ الاول جل مجده
كذلك لانه خلاف خلقه من كل الوجوه فلا يمكن الخلق ادراكه بجهة من الجهات

فتبصر واما علمه تعالى بالاشياء فكما ان ذاته خارجة من ذوات
الاشياء فعلمه تعالى ايضا اعلى واشرف من علوم العلماء ولا كيف له اصلا
فلا شبه له فى المخلوقين هذا احدى النتيجتين من البرهان السابق
وهو ان يكون المكافى سبحانه من خلقه والنتيجة الثانية هى ما اشار
اليها بقوله وانما يشبه الشيء بعديله فاما ما لا عديل له فكيف يشبه
بغيره مثاله اى ليس له فى خلقه شبه اذ الشيء انما يشبه بما يعادله ويجانسه
ويماثله وبالجملة بما يشاركه فى ذاتى او عرضى وما لا مشارك له فى وجه من
الوجوه فكيف يشبه بغيره بما يماثله والى هنا تم البرهان بمقدماته ونتيجته
وهو المبدئ الذى لم يكن شيء قبله والاخر الذى ليس شيء بعده
قد سبق ما يصلح شرحا لهذا وسيأتى ان شاء الله تعالى لا تناله الابصار
فى مجد جبروته اذ حجبها بحجب لا تنفذ فى ثخن كثافته ولا تخرق
الى ذى العرش متانة خصائص ستراته الحجب بالتسكين اما صفة
كالضخم والفخم واما مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالكثافة الضخامة
وضمير لا تنفذ يعود الى الابصار والضمير المجرور فى كثافته وستراته
الى الحجاب والمتانة الشدة يقال متن الشيء بالضم متانة اذا اصلب ولعل
المراد بالحجاب الثخين الغليظ هو الجسم الطبيعى بقرينة ذى العرش اذ
العرش كما سيأتى هو الجسم من وجه وبخصائص السترات اى السترات الخاصة
بذلك الحجاب هى الابعاد التعليمية والمعنى انه سبحانه لا تناله
الابصار فى مرتبة مجد جبروته الذى هو عالم الامر من العقول المقدسة
والنفوس الشريفة وكيف لا يرى تعالى لانه حجب الابصار بحجاب مانع
هو الجسمية الطبيعية بحيث لا تنفذ فى ثخن كثافة ذلك الحجاب فى بعض

النسخ من مجد جبروته لا تنالها الابصار من اجل عظم جبروته ولا تخرق
هذه الابصار باشعة انوارها متوجهة الى ذي العرش صلابة سرادقات ذلك
الحجاب الحصينة اذ البصر انما يرى ظاهر الجسم من الاعراض المكتنفة
به دون ان ينفذ الى اعماقه فضلا عن علله الباطنة فيه وفي قوله
لا تخرق اشارة الى مذهب الشعاع كما يقول الرياضيون والاشراقيون
لان خروج النور مما يبطله البرهان بل على ما قلنا سابقا من ان الابصار
هو توجه النفس التي من عالم النور الى الظاهر ويستعار لذلك النفوذ
والخروج وقد سبق ذلك فليتذكر والذي عندت الامور عن مشيته
صدور الاشياء عن المشية هو وجودها عن النفس الكلية الالهية في عالم
الطبيعة اذ النفس الكلية هي مظهر تلك الصفة وذلك لان المشية بعد
العلم والوجود العلمي للاشياء انما هو في العالم العقلي ثم اذا تصور
العقل شوقا ما ظهرت منه النفس في مرتبة المشية كما العقل في مرتبة العلم
وتصاغرت عزة المتجبرين دون جلال عظمته وخضعت له الرقاب
وعنت له الوجوه من مخافته الصغير صفة النفوس لان اصلها من عالم
الجبروت والرقاب انما هي للابدان التي من عالم الطبيعة والوجوه انما
هي للعقول لانها وجه من جميع وجوهها ففي الفقرات الثلث اشارة الى
خضوع العوالم الثلثة وفنائها في انفسها عنده تعالى وانقيادها
له بالطاعة فرقاب الطبايع خاضعة والنفوس المتجبرة وهي متصاغرة
دون عظمة العقول القادسة وهي مستهلكة من مخافته عز شانه
او كل ما الحق للخاضع للعالي والكل هالك بالنظر الى الله المتعالي
وظهرت في بدايع الذي احدثها اثار حكمته الحكمة عبارة عن الفضايل

الشريفة والافاعيل الكريمة العجيبة على نهج العدل والصواب بحيث
يترتب عليه بدايع الاثار وعجايب الاطوار فالحكم الصناعية اثار الحكمة
الطبيعية فان كل ما في الصناعة فانما هي ماخوذة من الطبيعة بالهام
الهي ووحي رباني لذوي النفوس القدسية اما ترى ان كل صنعة
فانما ينسب الى نبي او حكيم والحكم الطبيعية اثار الحكمة النفسية
لان النفس هي التي القت الفضايل البهية والمواهب السنية الى
الطبيعة والحكم النفسية هي اثار الانوار العقلية والمحامد الالهية والحكم
العقلية انما انبعثت من الحكيم العليم جل شانه فظهرت اثار حكمته عز شانه
في بدايع الشيء الذي احدث بدايعه وهذا الشيء المشتمل على جميع البدايع
الالهية هو العقل الاول الصادر منه المعبر عنه بالنور المحمدي والقلم الاعلى
وفي بعض النسخ وظهرت في البدايع التي احدثها اثار حكمته وعلى هذا يشتمل
جميع العوالم الوجودية والمدرجات العلوية والسفلية وهذه النسخة
اصوب فصار كل شيء خلقه حجة له ومنتسبا اليه فان كان خلقا
صامتا فحجته بالتدبير ناطقة فيه وكما ان البدايع المحدثة مظاهر اثار
حكمته جل شانه صار كل مخلوق دليلا من الله عليه وعلى صفاته الحسنى و
اسمائه العليا اذ الاشياء مظاهر اثار تلك الاسماء والمظهر لا محالة
يدل على الظاهر فيه وكذلك صار كل شيء من المخلوقات منتسبا الى
جاعل الذوات والحكم للمظهر لا لما ينسب الى ما ظهر فيه وقد دريت ان
تقوم الاشياء انما يكون بفاعلها القيوم فهي بالنسبة الى جاعلها
شيء وبالنظر الى انفسها لا شيء فكلية الاشياء منتسبة اليه تعالى
والخلق الصامت عبارة عن الجسم والصورة الطبيعية فان حقايقها

الموجودة في غاية التدبير حجة ناطقة على وجود مدبرها والآثار التي
فيها ادلة ناطقة على حكمته واتصافه بجميع الصفات الحسنى فقدّر
ما خلق فاحكم تقديرها وصنع كل شي بلطف تدبيره وصنعه
ووجهه بحجة هذه الفناء للنفس وبيان النطق بالتدبير ذكر عليه
في هذه الجمل الثلثة لوازم الجسم وهي المقدار والمكان والحركة وبيان
ذلك انه جل برهانه قدر الذي خلق من الاجسام اي جعلها
ذوات مقدار بعليم فاحكم تقديره اي جعل ذلك المقدار محكما
لازما للجسم بحيث لا ينفك جسم ما من مقدار معين متناهي الحدود
ووضع كل جسم من الاجسام وضعه حيث يطلب كل جسم بعد تقدره
بالمقدار الذي يخصه مكانا خاصا جعله الباري من حيث طبيعته
طالبا له بان خلق اولا ارضا قائمة في الوسط ثم بعد ذلك ماء فوقها
ثم هواء فوقه نارا ثم خلق سماء جعلها فوق الكل ومحيطا بالجميع ثم
خلق من تحريك السماء الموجب لاختلاف استعدادات السفليات
مركبات لا يحصى عددها ووجهه بجهته بالتنوين والظاهر فيه
الضمير اي جعل الكل بعد تقدره وتمكنه متوجها ومتحركا بحركة نحو
جهة خاصة اما في الكم او الكيف او الاين اذ الحركة بعد التقدير بالمقدار
والتمكن في المكان فلم يتعد شي حدود منزلته ولم يقصر
دون الانتهاء الى مشيئته ولم يستصعب اذا امره بالمضي الى
ارادته كل واحد من هذه الفقرات متفرعة على كل من الامور الثلثة
السابقة على خلاف الترتيب وفي نهج البلاغة فلم يتعد بدل فلم تبلغ
وهو الظاهر اي لم يتجاوز شي من هذا الخلق من المرتبة المحدودة له والمكان

الطبيعي المعين له ولم يقصر عن الوصول الى ما شاءه من المقدار المحدود
والمتناهي الذي عينه ولم يستصعب اي لم يكن عليه صعبا او لم يكن
هو نفسه صعبا ذا امتناع اذا امره الله بالمضي والحركة الى جهة ما اراده
الله عز وجل بل اطاع وانقاد لذلك حيث امر بحركة الافلاك لاختلاط
الاركان واستعدادات المواد لقبول صورها كان وبحركة الاسطقسات
لحصول المزاج والممتزجات لحصول انواع النبات والحيوان الى ان وصل
الدور الى الانسان ثم ترقى حتى وصل الى ما لا يبلغه منه تم الحالة
عشرون فتبارك الله رب العالمين بلا معاناة للغوب ولا مكابرة
لمخالف له على امره متعلق بالافعال الثلثة السابقة من التقدير
والوضع والتوجيه اي فعل ذلك من دون ان يحصل عناء من عياء ه
وكلال من تعب لان امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ولا ايضا
بمقاساة شدة او عدم اطاعة لمخالف له من هذه الاشياء على امره ه
اذ الكل خاضع لديه وعنت الوجوه للحي القيوم فتم خلقه واذعن
لطاعته ووافى الوقت الذي اخرجه اليه اجابة لم يعترض دونها
ريث المبطي ولا اناءة المتلكي اذ عن انقاد والريث الابطاء والاناة
السكون والمتلكي بالهمزة المتوقف فاقام من الاشياء اودها
ونهج معالم حدودها ولاءم بقدرته بين متضاداتها ووصل
اسباب قرائنها وخالف بين الوانها وفرقها اجناسا ه
مختلفات في الاقدار والغرائز والهيئات الاود بالتحريك العوج
ونهج تنهيجا بلغ ومعالم الحدود فواصلها التي يعلم بها هذا الحد من ذلك
ولاءم على فاعل بالهمزة وافق وجمع واقامة عوج الاشياء كانها كناية

مكابدة اصل

والمتباطي

عن كونها على صراط مستقيم حيث يطلب كل جزء كليته على الخط المستقيم
ويهتدي كل متحرك الى جهة مقصده وكمال النشو بالمنهج القويم والوصول
الى بغيته الى ان ينتهي الامر الى الانسان الذي خلق في احسن تقويم
وتمهيد معالم الحدود عبارة عن ابلاغه تعالى الشيء منتهى مقاصدها
والمراد بالملائمة هي التركيبات الواقعة في عالم التضاد وقوله وصل
اسبابا بقرائنها اما على التجريد فالمعنى جعل اسباب مقارنات الاشياء
في كونه من جميع الوجوه وفرق بينها بان جعلها اصنافا واقساما ه
مختلفة في الاقدار والطبايع والهيئات متصلة بعضها ببعض
واما على التفعيل من الوصلة وهي ما يتوصل به الى الشيء اي جعل لها
اسبابا يتوصل بها الى اقتران بعضها ببعض وخالف بين الوانها
حيث لم يشبه بشيء شيئا البدايا خلائق احكم صنعها وفطرها
على ما اراد اذا ابتدعها انتظم علمه صنوف ذرءها او ادرك تدابير
حسن تقديرها البدايا جمع بديئة بالياء المشددة في الاصل لكونها
صفة الخليقة اما بمعنى العجيبة او الظاهرة وهي خبر مبتدا اي هذه
الموجودات المتضادة الملائمة والكائنة الفاسدة عجايب مخلوقات
حيث احكم صنعها في الوجود المتقدم على وجودها العنصري وهو
الوجود النفسي في عالم الربوبية بعد ما فطرها حين ابتداها وابتدعها
في العالم العقلي الالهي على النهج الذي هي مخلوقة في عالم الطبيعة
التي هي سنة الله وارادته اذ الطبيعة انما تفعل بارادة الله فالاشياء
التي في عالمنا هذا هي اشباح وانموذج لما في العالمين السابقين
المعبر عنهما في الاخبار بعالم الامر والتقدير والمعنى ان هذه الموجودات

هي امثلة ظاهرة لمخلوقات احكم الله صنعها في عالم التقدير اذ خلقها
للدوام وفطرها اذ ابتدعها في عالم الامر لا عن مادة وواصل على النهج الذي
اراد من كونها مثالا لهذه البديعة الحادثة مستجنة له جل وعلا وقوله انتظم
بيان لجملة احكم وفطرها على خلاف النشر والمعنى ان بيان الفطر و
الابتداع هو انه عز شانه انتظم علمه صنوف ذرؤها اي صدرت المبدعات
عنه جل برهانه بمحض علمه بنظام الخير في الكل فلذلك صارت عقولا
قادسة واسماء الهية وبيان الاحكام هو انه وصل تدبيره جل مجده
الى حسن التقدير الذي لها في عالم القدرة والربوبية فلذلك صارت
ارواحا مدبرة وواسطة في الافاضة اذ التدبيرات الواقعة في العالم
الحسي انما هي من اجل تقديرات حسن تلك الوسايط النورية والله اعلم واحكم
ايها السائل الذي من شبه ربنا الجليل بتباين اعضاء خلقه
وبتلاحم احقاق مفاصلهم المحتجبة بتدبير حكمته انه لم يعقد
غيب ضميره على معرفته ولم يشاهد قلبه اليقين بانه لا ند له
التلاحم التلاصق والاحقاق جمع حقة وهي في الاصل وعاء من خشب
شبه بها العظم الفاصل بين عظمين وقوله انه لم يعقد خبر لقوله ان
من شبه وتكرار ان للتاكيد وبعد الخبر عن المبتدا والمعنى ان من شبه
ربنا الذي جل عن التشبيه بالاعضاء المتباينة التي تكون لخلقه
وبحقوق المفاصل المتلاصقة التي لهم المستترة بانواع التدبير واصناف
التشريح
الحكمة بحيث يعجز ارباب التشريح عن ذكر شرذمة منها فبالتحقيق لم يعقد
عقله على معرفة الله تعالى اذ حق معرفته انه لا يشبه شيئا ولا يشبهه
شيء وكذلك لم يشاهد ذلك المشبه ببصيرة قلبه ولم يصل الى اليقين

بان الله لا ند له يشبهه وانه الواحد المتوحد الذي لا شيء يماثله
ولا شريك له في الخلق والقدرة وكانه لم يسمع تبري التابعين من المتبوعين
وهم يقولون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين صدق الله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اين ما كنتم
تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم
والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون
وتفسيره على مطابقة هذا الخبر والاخبار الاخر ظهرت الجحيم مكشوفة بحيث
يتحسر الغاوون بانهم المسوقون اليها او هم قوم وصفوا علا بالسنتهم
ثم خالفوه الى غيره وضمير كبكبوا للآلهة والغاوون عبدتهم والكبكبة
تكرير الكب لتكرير معناه كان الملقى الى النار ينكب مرة بعد اخرى
حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس ذريته من الشياطين قالوا
اي الغاوون العابدون للآلهة المعبودة من دون الله وهم يختصمون
مع هؤلاء الآلهة تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
جعلنا الله مساويا لكم ومشابها اياكم في اثبات الاعضاء المباينة
واحقاق المفاصل المتلاصقة فالكلام من قبيل التغليب والاصل
اذ نسوي الله بكم او للاشارة الى انه لو جازت التسوية لناسب
ان نسوي الاشياء برب العالمين اذ هو الاصل في الافاضة وهو
منبع كل خير وكل صفة ولو كان الوصف بالاعضاء والادوات كما
كان هو اولى به فعلى هذا معنى اذ نسويكم برب العالمين هو انهم
ساووا الله بالاشياء من دون عجز وغلبة وعلى ان التسوية هي الحكم

بالتساوي وهو من الجانبين فتسويتهم الهتهم الآلهة الباطلة بالله الحق
انما هي باطاعتهم اياهم كما اطاعوا الله تعالى وتسويتهم الله بالآلهة بان جعلوه
سبحانه ذا مفاصل واعضاء ووصفوه بالاوصاف التي تتجه لما سواه وما
اضلنا الا المجرمون يقول التابعون وما اضلنا الا المشركون الذين
اقتدينا بهم واتبعناهم على زعمكم وفي الخبر قوم من امة محمد صلى الله عليه وآله
ليس فيهم من اليهود والنصارى احد ممن ساوى ربنا بشيء فقد عدل
به والعادل به كافر بما نزلت به محكمات آياته ونطقت به شواهد
حجج بيناته هذا الكلام مؤيد لما قلنا من ان المراد بقولهم اذ نسويكم برب
العالمين هو تسويتهم الله بخلقه فمن ساوى بشيء فقد جعل له عديلا وعدل
عن الحق بسبب التسوية والعادل به كافر بمحكمات آياته حيث قال عز شانه
في محكم كتابه ليس كمثله شيء وقد حكم الله تعالى بكفر العادلين به فقال عز وجل
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وكذا العادل به كافر بما نطقت به
انبياؤه واولياؤه وعقول اهل المعرفة الذين هم شواهد ربوبيته وادلة
بيناته حيث ورد عنهم ان الله لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا فاضافة الشواهد
الى الحجج بيانية ويحتمل ان يكون لامية بان يكون المراد بالشواهد الآثار المنقولة
والاخبار الماثورة عنهم عليهم السلام لانه الذي لم يتناه في العقول فيكون
في مهب فكرها مكيفا وفي حواصل رويات همم النفوس محدودا مصرفا
هذا بيان الشواهد والمورد منه عن الحجج عليهم السلام وقد مضى من الاصول برهانها
لم يتناه في العقول اي ليس من شانها حتى يحيط العقول بنهاياتها اذ التعقل
انما يكون بالاحاطة العقلية والتناهي في مرتبة من المراتب الوجودية وكون
المعلول من سنخ العالم ويكون هو سبحانه في محل يهب عليه افكار العقول

مكيفا بكيفية المعلومية اذ العلم من الكيفيات شبه افكار العقول بالرياح

لان الفكر عبارة عن حركة العقل وتوجهه نحو الشيء حركة عقلية شبه السكون

حتى يكون هو تعالى المحدود اى ذا حد وصرفا اى مما يتصرف فيه بالتجريد ونحوه

في حواصل روايات النفوس التي تقصد تصور الشيء اذا دعا اليه الحاجة حيث نسب

التناهي والتكيف الى العقول والتصرف والمحدودية الى النفوس لان الادراك

العقلي ليس الا بتوجه العقل نحو الشيء المعقول لحركة عقلية يحصل المعقول التناهي

وكيفية المعقولية واما في ادراك النفوس فلا يمكن الا بالتجريد عن العوارض التي

تحصل في المعاني نتصرف وتعتبر مع المحدودية اللازمة للتصور العقلي وكذا

نسب الفكر الى العقل لانه انما ينشأ من ذوات العقل والروية الى النفس لانها

اهم من ان يتمثل من خارج او يبدو من داخل المنشئ اصناف الاشياء

بلا روية احتاج اليها ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها

من مر حوادث الدهور ولا شريك اعانه على ابتداع عجائب الامور اى

هو الذي انشأ جميع انواع الاشياء جميع انواع الاشياء من غير ان يروى اولا

ويفكر في نفسه انه كيف ينبغي ان يخلق العالم حتى تصور الاشياء في ذهنه

وروى في اتقان صنعه ثم شرع في خلق الخلائق واحدا بعد واحد كما روي

ويفكر اولا تعالى عن ذلك اذ الروية اما ان يكون نفسه تعالى فالروية

لا يروى فيلزم التسلسل او غيره فاما لا من شيء فيكون من الاوائل والبارى

سبحانه اول الاوائل فكيف يحتاج الى ما خلق واما ان يكون من شيء خلقه الله

سبحانه قبل ذلك الشيء وقبل الروية التي اخذت من ذلك الشيء وكذا

انشاء الاشياء وابتداؤها بلا قريحة غريزة اى بلا استنباط طبيعة

اضمر على ذلك الاستنباط وشرع بضميره تعالى اذ الاستنباط انما يكون

بالقضايا

بالقضايا او النتايج والاول في الفكر الثاني في الحدس وكل ذلك

انما يكون في الامور الماخوذة من الحواس وبالجملة الفكر والروية

قبل الفعل انما يكون لضعف قوة الفاعل على ان يرى الشيء قبل

كونه فيحتاج الى ان يراه قبل الفعل خوفا من ان يكون الشيء على خلاف

ما ينبغي ان يكون والبارى تعالى فاعل بالاية وبنفسه التي هو نور

الانوار فلا يحتاج الى ان يستوفي علمه وحكمته انه كيف ينبغي ان يكون

لانه تام وفوق التمام والصادر من الشيء الذي فوق التمام في غاية

التمامية ثم اعلم انه ابطل عليه السلام بذلك الكلام القول بالعلم الاجمالي

والعلم بالصور وما يشبه ذلك وكذلك لم ينشئ الاشياء المحكمة

المتقنة في غاية الاحكام والاتقان من تجربة استفادها من مر الحوادث

الزمانية فانه اما ان يكون تلك الحوادث بلا اول وفي ذلك خروج الشيء

عن مقتضى ذاته لان الحادث من حيث هو حادث متناهيا كان او غيره

يقتضي محدثا واما ان ينتهي الى اول فاما ان يكون البارى تعالى

هو ذلك الاول فاما ان يكون استفاد منها الاتقان على ان رآها

غير متقنة ففعل بخلافها فجاء بها محكمة فيلزم ان يستكمل هو سبحانه

بخلقه وان يكون الفاعل الذي هو فوق التمام الذي يفعل بذاته

قد اتى بالشيء الناقص ثم اتى بالشيء التام الكامل هذا شنيع

بل ممتنع بشناعة الامكان الاشرف او على ان رآها متقنة فجاء

بعد ذلك بمثلها والكلام فيها كالذي فيما نحن فيه على انه المقصود واما

ان يكون ذلك الاول غير البارى تعالى فاما ان يكون هو من جملة

خلقه سبحانه فيلزم الاشكال او ليس من خلقه فهو واجب بالالوهية

حيث يبتدي بالافعال المحكمة من غير تجربة واستفادة وكذلك خالق
الاشياء باعانة شريك على ابتداع الامور العجيبة والفضايل الكريمة
اذ بوجود الشريك المعاون يبطل الابتداع لانه ايجاد الشي لا من شي قط
والى هذا اشار عليهم بقوله على ابتداع عجايب الامور ويبحث ابطال الشريك
مطلقا في ابرا التي لما شبهه العادلون بالخلق المتبعض المحدد
في صفاته ذي الاقطار والنواحي المختلفة في طبقاته وكان عز
وجل الموجود بنفسه لا باداته انتفى ان يكون قدروه حق قدره
اعلم ان الشي ذا الابعاض والقوى المتجزية وصاحب الاقطار والنواحي
المختلفة انما يدل تلك الادوات والقوى على صفات متعددة في ذاته
وان كانت متاحدة ومبسوطة نحو اتحاد وبساطة عجيب وجود
ارفع من ذلك الوجود ومرتبة ارفع من مرتبة الشهود وكذا يوصل هذه
الاقطار والنواحي الجهات في ذاته والاختلاف في طبقاته بيان ذلك
ان النفس خلقها الله تعالى ذات قوة على افاعيل كثيرة وجعل فيها
صفات متعددة غير مختلفة وانما يختلف قولها بحسب اختلاف
هيئة الاعضاء واستعدادها والنفس انما يهيئ العضو بالهيئة التي
تريد ان يظهر فعلها منه وليضيق درجة الجسم استعد ان يكون اماكن في الوجود
مختلفة لظهور اثار النفس فلذلك اختلف اماكن قوى النفس وللنفس
قوة واحدة بسيطة في ذاته لكن لما اعطت القوى للابدان مع الاقطار
التي ذكرنا بسبب تميز تلك القوى اليها لا انها علتها وصفا
للمعلول احرى بان ينسب الى العلة سيما الصفات الشريفة وكذلك
حدد هذا الجسم ذي الاقطار انما هي مثلة للصفات المتعددة

والجهات

والجهات المتكثرة التي في الجسم المرسل الذي هو روح هذا الجسم المعبر
عنه بعرش الحق حيث ورد ان العرش له اربعة اركان وانه على هيئة
المكعب فتبصر ان كنت اذ ربيت ذلك فوجود هذا الصنم العيني الذي هو مثال
الامر الروحي انما يقوم بهذا الروح الذي هو الاصل ورب نوع هذا المثل
فلو كان الله ذا ابعاض اي ادوات وقوى مختلفة لكان له اصل هو ربه
ومدبره ينتهي صفات ذلك الرب اليه ويتحد بتحديد هذا المتبعض هذا
احد معاني الصفات المحدودة وعلى هذا القياس لو كان له نواحي
مختلفة وقوله وكان عز وجل جلاله حاليترائ لما شبهه العادلون
بالابعاض والنواحي المستلزمة لان يكون قوام وجوده بها اذ الشي
ذو الادوات والنواحي انما وجوده بها وهو عز وجل موجود بنفسه
لا بالادوات وفي اكثر النسخ لا باداته ومعناه قريبة من الادوات
اذ الادوات ايات وعلامات لصفات ذوي الادوات كما عرفته
في مثال النفس انتفى ان يكونوا وصفوا الله حق وصفه وقوله انتفى
جواب لما فقال لا تنزيها لنفسه عن مشاركة الانداد وارتفاعا
عن قياس المقدرين بالحدود من كفرة العباد وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون لما كان اثبات الابعاض
والنواحي مما يستلزم مشاركة الانداد له تعالى وان يقدر هو تعالى
بالحدود والاقطار نزه نفسه تعالى وارتفع عن هذا فقال وما
قدروا الله حق قدره اي وما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه
حيث وصفوه بما لا يليق به اذ ما عرفوه حق معرفته حين وصفوه

بغير ما وصف به نفسه اذ قالوا ان الارض جميعا اى مقبوضة بيده يوم القيمة
وان السموات مطويات بيمينه فاثبتوا له اليد واليمين واليسار وهو
جل جلاله منزه عن اليد المحدود ومتعال عن اليمين والشمال التى يوجب
الشركا وشى فى خلقه هذا اذا قلنا ان الواو فى قوله ولا تضع بمعنى اذ كما ذكره
الثعالبى فى قوله تعالى وطايفة قد اهمتهم ان الواو بمعنى اذ ثم يقدر قالوا
فى نظم الكلام بقرينة قوله عز شانه فى سورة الانعام وما قدروا الله حق قدره
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء ويجىء هذا المعنى لهذه الاية فى باب
معقود لتفسيرها من الائمة الطاهرة عليهم السلم وهذا هو المناسب لذلك
المقام كما لا يخفى وسياتى ايضا تفسير اخرها ان شاء الله تعالى فما دلك
القران عليه من صفته فاتبعه ليوصل بينك وبين معرفته وائتم
به واستضئ بنور هدايته فانها نعمة وحكمة اوتيتها فخذ
ما اوتيت وكن من الشاكرين وما دلك الشيطان عليه مما ليس فى
القران عليك فرضه ولا فى سنة الرسول وائمة الهدى اثره
فكل علمه الى الله عز وجل فان ذلك منتهى حق الله عليك الضمير
المنسوب فى فاتبعه يعود الى الموصول وكذا ضمير يوصل والمجرور فى به
وهدايته وكذا ضمير فانها ووجه التذكير فى السوابق رجوع الضمير
الى لفظ الموصول واما التانيث فباعتبار كون المراد من الموصول هى الصفة
كما ذكر فى بيان الموصول ولفظ الكلام من تكلف ومحصله ان الوصف هو
ما وصف الله به نفسه فلا تتجاوز انت عنه وانظر الى القران الذى هو
كلامه وبيان محامده واحكامه فما دلك القران من صفته وبيان معنى
صفته فاتبع ما يدلك القران عليه ليوصلك الى معرفة الله واجعله اماما لك

ومقتداك واستضئ بنور ما فهمته ليهديك الى انوار المعرفة فان
ذلك نعمة عظيمة وبيان وفضيلة اعطاكها الله فخذ ما اوتيت
على يقين اذ لعا مندتك الاخبار وايدتك عقول اولى الابصار
واشكر الله على ذلك حيث ابدك بنعمه واشارك بمعرفته وما دلك
الشيطان اى المضلات الداخلة والخارجة من القول بان الصفات
عين او زايدة قائمة بانفسها او غير قائمة وذلك من جملة الامور التى ليس
فى القران فرضه عليك ولا فى سنة الرسول وخلفائه اثره لذلك ولم يعاضده
عقل غير مشوب بالوساوس الشيطانية والشبهات وتقليد الاسلاف
واولى الرياسات فكل علمه الى الله عز وجل فان ذلك نهاية اداء الحق
الذى لله عليك واعلم ان الراسخين فى العلم هم الذين اغناهم الله
تعالى عن الاقتحام فى السدد المضروبة دون الغيوب فلزموا
الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا امنا به
كل من عند ربنا الراسخون هم الذين ثبتوا وتمكنوا فيه والاقتحام
الغرس فى الماء ودخوله فيه من غير ارسال والسدد جمع سدة بالضم وفى النهاية
فى الحديث قيل له هذا على وفاطمة قائمين بالسدة فاذن لهما السدة
كالظلة على الباب لتقى المطر والمراد بها الحجب المضروبة عند الاشياء
الغائبة عن العقول بحيث لا يهتدى اليها الا بنور من الله ووحى منه وفى الخبر
ان الله جل ذكره لسعة رحمته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبدلون من
تغيير كلامه قسم كلامه ثلثة اقسام فجعل قسما منه يعرفه العالم والجاهل
وقسما لا يعرفه الا من صفى ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه ممن شرح الله
صدره وقسما لا يعرفه الا الله وانبياؤه والراسخون فى العلم وانما فعل

ذلك لئلا يدعي اهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله
علم الكتاب بان الله جعله لهم وليقودهم الاضطرار الى الايتمار عن ولاة امرهم
اقول الظاهر من عبارة الخطبة ان الراسخين هم الصنف الثاني من الاصناف
الثلثة المذكورة في هذا الخبر حيث قال فلا يعلمون منها الا افراد بجملة ما جهلوا
تفسيره اذ القسم الثالث لا يجهل الحكم اصلا وقد ورد في روايات ان الراسخ
في العلم من لا يختلف علمه فعلى هذا يكون الوقف في الا الله بموضع وقف ×
فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما
وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه منهم رسوخا اعترافهم
بالعجز عن تناول العلم الذي لم يمكنهم الاحاطة به هو قولهم آمنا به كل
من عند ربنا اي آمنا بالمتشابه والمحكم بان كلا من المحكم والمتشابه
من عند ربنا والمتشابه مصلحة لا نعرفها فما يمكننا ان نرد المتشابه
الى المحكم نفعله كما امرنا بذلك وما لم يمكننا ذلك نفوضه ونكل علمه الى الله
وانبيائه وامنائه الراسخين المتمكنين منا الذين هم من الصنف الثالث
فالرسوخ على ما قاله عليه السلام هنا هو ترك التعمق في الشيء الذي لم يكلف
بالبحث عنه فالمراد بالراسخين كما قلنا هم الصنف الثاني وقوله منهم
متعلق بالترك اي الترك الصادر منهم فاقتصر على ذلك ولا تقدر
عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين لان الله اعظم من ان
يحيط به عقل او يحوي على صفته وهم كيف ولا يحيط العقول بعظمة
مخلوقاته من السموات وما فيهما من انواع الملائكة وما فوقهما من الحجب
وسرادقات العظمة وسيجي اخبار في بيان عظمة الله في هذا الكتاب ان شاء
الله تعالى الحديث الثالث عشر باسناده عن جعفر بن محمد الاشعري

عن فتح

قد ورد وجملة والراسخون ابتداء كلام وقد جاءتهم عليهم السلام انهم الراسخون في العلم وانهم يعرفون تاويله فيكون الراسخون هم الصنف الثالث فعلى هذا ليس الا الله م

عن فتح بن يزيد الجرجاني قال كتبت الى ابي الحسن الرضا عليه السلام
اسأله عن شيء من التوحيد فكتب الي بخطه قال جعفر وان فتحا
اخرج الي الكتاب فقرأته بخط ابي الحسن عليه السلام الحمد لله الملهم عباده
الحمد اذ نسب الحمد الى الله فمعناه اظهار المحامد والكمالات وافاضة
الخيرات بايجاد المبدعات والكائنات وانشاء عالم الاولى والآخرة
كما في الخطبة عن امير المؤمنين عليه السلام حيث قال شكر نفسه
بنفسه باظهار عجائب صنائعه وغرائب بدائعه واذا نسب الى العبد
فمعناه رؤية النعم كلها من الله وان لما في السموات وما في الارض وفي
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى
اشكرني حق الشكر قال موسى ومن يقدر على ذلك قال اذا رأيت
النعمة مني فقد شكرتني حق الشكر والهام العبد الحمد للعباد هو ان
ركب في عقولهم ما يدعوهم الى اسناد الكل الى الله كما قال تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وعرفهم نفسه
بتعريف الهي حيث فطرهم على انه رب العالمين واراهم صنعه
حيث حكم العقول بان كل مصنوع فله صانع بل ذلك ليس مختصا
بالعباد بل ان من شيء الا يسبح بحمده تسبيحا واقعيا حسب درجته
من الوجود وحظه من الشهود وفاطرهم على معرفة ربوبيته فطرهم
حين اخذ ميثاقهم على معرفة انه ربهم حيث قال لهم الست بربكم وفيه
المؤمن والكافر واراهم نفسه معاينة والاشخاص النورانية التي هي
مظاهر ربوبيته كما ورد في رواية انا لنقطة هي لا اله الا الله محمد
رسول الله وعلي ولي الله الى هاهنا التوحيد ولولا ذلك لم يعرفوا من ربهم

ولا ان رفعهم وقد سبق منا تحقيق الفطرة على التوحيد ونقول هنا ان الانسان
اذا وادع سفر الجهة لوح نفسه عن جميع نقوش المعلومات بطلب الرزق
من اى شئ كان سواء كان امرا او غير ذلك ثم اذا تفكر قليلا يعرف ان الرازق و
المربي والكافل اليه ان ترعرع كبيرا فيثبت لكل موجود مربيا وكافلا حفيظا
محافظا ولا نصيرا ولا انتفاع في ذلك المؤمن والكافر ولاستيان الارزاق
في الحقيقة هو الذي يرزقكم في بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وكان الله
على كل شئ كفيلا وهو الذي يكلاكم في الليل والنهار وبالجملة من هذا العباد
يظهر ان معرفة جمهور العباد انما يتعلق بمرتبة الربوبية وعليها فطرتهم
واما مرتبة الالوهية فانما حصول المعرفة بها للرسل المكرمين والانبياء
والاولياء المقربين والمؤمنين الممتحنين واما مرتبة الاحدية الذاتية
الصرفة فمعزل عن العباد والملائكة اجمعين اذ لا وصف ولا صفة الدال
على وجوده بخلقه وبحدوث خلقه على الالوهية وباشتباههم على ان لا
له قد سبق ما يصلح شرحا لهذه الفقرات وبالجملة تحقق المخلوقات متناهيا
كان او غير متناه يستلزم وجود الخالق والا لتحقق احد المتضايفين
بدون الاخر فان قيل لم لا يجوز ان يكون ههنا امور غير متناهية لا اول
لها يكون كل واحد منها خالقا ومخلوقا فلا يلزم ذلك قلنا ننقل
الكلام الى طبايع تلك الامور فاما ان يكون طبيعة مخلوقة فيقتضي
طبيعة خالقة لا محالة وان كانت مركبة من الطبيعتين فالمطلوب ثابت
ايضا في احد الجزئين الا ان يتبين ان الخالق يمتنع عليه التركيب مع غيره
ام لا وكذلك حدوث الخلق يدل على ازلية الخالق اذ لو كان الخالق حادثا
لاحتاج الى محدث ايضا اذ وجود الحادث يستدعي لا محالة مرجحا خارجا

في تلك الحضرة ولا رسم ولا
اسم لهذه المرتبة ولا يتعلق
بها معرفة عارف ولا يحوم
حولها وصف ٣٣

اذ الداخلي

اذ الداخلي تنبسط الى جميع الاوقات متساوية ولو كانت الحوادث
غير متناهية يلزم خروج الشئ عن ذاته مع اجتماع النقيضين اذ الحادث
ما له اول وغير المتناهي يستلزم الازلية اذ الازلي هو ما لا اول له واجتماع
ما له اول وما لا اول له تناقض كما ورد في الاخبار وسياتي ايضا
وقد اشار اليه المعلم الاول الحكمة المتعالية ومن ذلك يبطل القول بعدم
تناهي الحوادث وبالجملة كلما لم يثبت موجبا للحكم بعدم تناهيه مما
يبطله العقل الصريح ولا معنى لقول من يقول ان المبدأ ليس من آحاد
هذا الغير المتناهي ليلزم الحصر بين الحاصرين نعم اطلاق غير المتناهي
على الحوادث يمكن بمعنى انه لا يمكن ان يعين العقل لها حدا بل كلما جعل
له عددا فانه يزيد عليه وهذا غير عدم التناهي المستحيل وكذلك اشتباه
الخلق اى كون البعض مشابها في الذات او العرض للبعض الآخر دليل
على ان لا اشباه له تعالى بالبيان الذي قلنا مرارا وفي بعض النسخ و
باشباههم بدون تاء الافتعال فيكون افعالا من الشبه ومفعوله محذوف
اى بان يشبه بعضهم بعضا المستشهد اياه على قدرته بان جعلها
دالة على قدرته وعلامة لاقتداره اذ الآيات كما تدل على وجوده كذلك
تدل على جميع صفاته الحسنى وكمالاته العليا بل عند اهل النظر الادق ما
ادلة بالذات على صفاته اذ المعلولات انما هي آثار صفات العلة ثم
الصفات تدل على الذات المستجمعة لقاطبة تلك الصفات الممتنع
من الصفات ذاته لما ظهر من العبارة السابقة دلالة الآيات على الصفات
وليس الاوصاف هي عينها كما يقوله المحجوبون والا انها زائدة على الذات
كما يزعم العادلون وبالجملة ليس بقيام مبدأ الاشتقاق في الذات سوى

كان ذلك المبدأ نفس الذات او قائما بها بل بمعنى انه تعالى منزه عن
مباديها للمتصفين بها والموجد حقائقها لمستحقيها قال بعد ذلك
اشارة الى ما حققنا الممتنع من الصفات ذاته اى الذى امتنع بذاته
من مقارنة الصفات وثبوتها له عينية كانت او زائدة ولعل قائلا
يقول ان المراد انه امتنع ذاته من الصفات الزائدة العارضة فنقول
اما اولا فالجمع المحلى باللام يفيد العموم والاستغراق والادلة العقلية
المختصة لكلها مدخولة كما اومأنا اليه فيما سلف واما ثانيا فعلى
زعمهم يكون اتصاف الذات بالخالقية والرازقية وغيرهما من الصفات
الزائدة بالاتفاق ممتنعا وهذا قبيح واما ثالثا فلان امتناع الذات
من الصفات ليس الا انه فى مرتبة الذات لا يصح ان يثبت وصف ما واما فى
اذ الصفات التى بعد الذات ليست بممتنعة للذات باتفاق من العقل
والنقل مع قطع النظر عن العرض ومعنى اخر اذ لا يقول عاقل ولا نقل
من العقلاء نفى الصفات مطلقا فتعين ان يكون المراد امتناع الصفات
العينية كما لا يخفى على المتدرب فى اساليب الكلام وعن الابصار رؤيته
ومن الاوهام الاحاطة به قد سبق تفسيرهما فيما مضى لا امد لكونه ولا غاية
لبقائه هاتان الجملتان للرد على علماء الزور من ائمة الغرور حيث
زعموا ان الزمان الوهمى قبل وجود العالم محدود الطرفين ينتهى فى
الواحد الى الله وينقطع الطرف الاخر عند وجود العالم وان الزمان الذى
هو مقدار الزمانيات وغاية حدودها منتزع من بقاء الله عز شانه
وكلا القولين كفر باتحاد محدود اما الاول فللزوم كونه تعالى محدودا
وهو عز شانه ليس بمحدود فى وهم ولا عقل اذ الحد يوجب التركيب وانتهاء

الوجوب

الوجوب عند ذلك الحد تعالى عن ذلك واما الثانى فلان منشأ الانتزاع
للمقدار المتغير المتناهى لا بد ان يكون متقدرا وان كان وهما والا لم يكن
اختصاص بذلك الانتزاع دون غيره وان يكون شيئا لا ذا بحتة
وتقضى كما يحكم به العقل الغير المشوب بشبهات الاوهام لا تشمله
المشاعر ولا تحجبه الحجاب فالحجاب بينه وبين خلقه خلقه اياهم
جواب لسؤال مقدر وفاى اذ لم يحجبه الحجاب كذا والخلق الثانى بالمعنى
المصدرى وفى الكافى خلقه اياهم بذكر المفعول به اعلم ان الحجاب هو
لازم الفارق بين الشيئين كما ورد فى الخبر فى شان الخلق انه تعالى
حجب بعضهم عن بعض ولما كان الخلق انما يشترك لا محالة فى امر ذاتى
او عرضى فلا محالة يشتمل على فارق به يمتاز عن الاخر واما الله سبحانه
فلا اشتراك له مع شىء اصلا كما قام البرهان عليه وهو مع ذلك مع
كل شىء لا بمقارنة وغير كل شىء لا بمزايلة فلا فارق بينه وبين الخلق
الا خلقه تعالى اياهم وصدورهم عنه لا غير والى هذا البرهان اشار
عليه السلام بقوله لامتناعه مما يمكن فى ذواتهم ولامكان ذواتهم مما يمتنع
عليه حيث صرح بان الذى يمكن للخلق يمتنع على الله وما يمتنع عليه يمكن
لذواتهم فلا يشبه هو شيئا ولا يشبهه شىء وفى هذا الكلام برهان
على الاشتراك الاسمى بينه تعالى وبين خلقه فى جميع الصفات حتى
فى الوجود فتبصر اذ من البين ان الوجود العام لخلقه مما يمكن فيهم
فيمتنع على خالقهم واكد ذلك بقوله ولافتراق الصانع والمصنوع
والرب والمربوب والحاد والمحدود اشارة الى الدليل عليه وقد
ذكرنا مرارا وحاصله ان الصانع والمصنوع يجب ان يفترقان فى الذاتيات

فالحجاب

والعرضيات وهذه مسئلة شريفة غريبة قل من يتفطن بها وهي اصل عظيم
في الالهيات سيما في مسئلة الصدور وبناء التفضيل الى ان الفاعل على
نحوين فاعل بجوهر الذات وبذوات الماهيات وفاعل صور الاشياء و
محمولاتها المقومة لها والاعراض المفارقة عنها ثم اعلم ان الجوهر قد يطلق
ويراد به المعنى الصادق على الاجناس الجوهرية وفصولها وهو الموجود الذي
لا في موضوع اي الماهية التي من شانها اذا وجد في الخارج ان يكون لا في
موضوع والموضوع محل لا يحتاج في تمام ذاته ووجوده الى الحال الا يحصل
من انضمامها حقيقة نوعية وهذا المعنى الجوهر ليس بجنس لها لعدم صدقه
على الفصول الجوهرية ولكونه متصورة الماهية بطريق النسبة الى الموضوع
المسلوب عنه فهو عرض عام ولوجوه اخر وقد يطلق الجوهر على معنى اخص وهو
الماهية التي من شانها وفي قوتها بحسب ابهامها الذاتي ان يتعين
بجميع المحمولات المتقومة الجوهرية بالمعنى الاول وبالجملة الموضوع لجميع
المحمولات والموضوع ههنا غير الموضوع في الاول وهذا المعنى هو الجنس للانواع
الجوهرية ولا يصدق على فصولها ولا اشبه مأخوذة في معناه اذ المراد به
الذات المتاصلة التي يكون جميع ما بعدها متقومها ومحمولا عليها وهي
المراد بها الهيولى في الاخبار الكائنة والمادة العقلية ومن الصورة محمولاتها
مطلقا في كلام رؤساء الحكمة شكر الله مساعيهم ومما يجب ان تعلم ايضا
هو ان الجنس الذي احد الذاتيات على قسمين جنس بالذات وهو الذي
يكون جنسيته لا بسبب شيء غير نفس ذاته وجنس بالعرض وهو الذي
جنسيته بذاته لا بشيء غير نفس حقيقته ومثال الثاني الاجناس التي
تحت الجوهر الخاص من الاجناس القريبة والمتوسطة فان جنسيتها

بسبب شيء اخر ومثال الاول هو
الجوهر بالمعنى الاخص الذي
قلنا فان جنسيته

لامن ذاتها بل بسبب وجود الجوهر الذي قلنا فيها اذ الحيوان من حيث
حيوان صورة من الصور الجوهرية ومحمول من المحمولات الذاتية الا ترى انك
تقول هذا الجوهر صار جسما ثم صار نباتا ثم حيوانا ثم من المستبين ان
الجاعل انما يجعل الطبيعة بالذات والفصول والافراد مجعولات بالعرض
لان جاعل الحيوان ناطقا اما ان يجعل الحيوان بالذات والناطق
بالذات والمجموع لا سبيل الى الاخير وكذا الاستغنى الجنس عن الجعل في
الاول والجنس والفصل في الثاني اذ جاعل المجموع انما جعل الهيئة
الاجتماعية فيلزم ما قلنا او كليهما وذلك ينافي وحدة الجاعل اذ فرض
واحدا ولو كان مركبا فيجب ان يتقدم جعل الجنس على الفصل اذ هو انما
يتقوم بالجنس وفيه وذلك هو الاصل ولا معنى لتقدم الفرع على الاصل
الذي للتاثير ما قاله اساطين الحكمة من ان المجعول للطبيعة بالذات
والافراد بالعرض اذا تحققت هذه الامور وعرفت الخوض للقول الزور
فنقول اما الفاعل الذي هو فاعل بجوهر الذات فيجب ان يباين ذات
الجوهر وجميع الامور التي بعده من المحمولات التي يكون له والا لكان جاعلا
لنفسه بناء على جعل الطبايع والذوات والفاعل بالمعنى الثاني يجب
ان يباين مجعولها من الصور المحمولة والماهيات المجعولة في الجنس القريب
اي لا يكون جنس قريب يجمع الجاعل والمجعول والا لكان الجاعل يجعل
نفسه والمبدا الاول تعالى مجده لما كان جاعل ذوات الاشياء
وصورها جميعا فيجب ان يفارق الكل من جميع الجهات وكذا العقل
يجب ان يباين النفس في الجنس القريب اذ هو فاعل صورة النفس التي هي
الجنس القريب لها وهي جنس بالعرض للنفوس لا فاعل ذواتها اذ الذات

الناطق ظ

مجعولات للباري تعالى وهذا التحقيق مما يجب ان يضن به كل الضنة
والله يؤتي من يشاء الحكمة احد لا بتأويل عدد قد سبق ان احديته عز
برهانه احدية ذاتية حقيقية لا ينثلم بالكثرات العددية ولا يحصل
بانضمامها الى شيء كان عدد من الاعداد الحقيقية والثاني تفعيل
من آل يؤول اذا رجع ومعنى عدم الرجوع الى العدد هو ان لا يتألف من تلك
الوحدة ووحدة اخرى عدد يجمعها فهو تعالى رابع ثلثة وسادس خمسة
لا انها ثالث ثلثة لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة الخالق
لا بمعنى حركة قد سبق ان كل فاعل غير الله فانما يفعل بحركة البتة اما العقل
فانه يفعل بحركته نحو ذاته حركة معنوية شبيه السكون وان كان هو
ومعقوله شيئا واحدا واما النفس فهي العقل المتحرك وفعلها
التحريك فقط فانها تفعل بحركتها مبتدئة نحو علتها الى ان تنتهي الى
معلولها ومن ذلك ان النفس هو العقل المقترن بصورة الشوق والحركة
من لوازم الشوق واما الطبيعة فهي سافلة لانها لا انبعاث لها من الشوق
النفسي ولقصورها عن درجة المفارقات ما لم يحل المادة لاستعداد
صورة لا يمكن ان تفعل فعلها والله سبحانه فاعل لا بان يكون في فعله
حركة او يسبق فعله حركة اذ فعله الابداع وهو خلق ساكن كما في حديث
عمران الذي يجيء في اخر الكتاب ان شاء الله السميع لا باداة البصير لا بتفرقة
آلة المشاهد لا بمماسة تفريق الآلة كناية عن توجيه النفس بواسطة القوة
البصرية نحو الشيء المرئي وفيه ابطال للانطباع وذكر المشاهد بعد
السمع والبصر والتقييد بعدم المماسة يدل على ان المراد به ادراك الملموسات
والادراكات الثلثة الباقية بعد السمع والبصر اذ في كل منها يتحقق التماس

بين

بين المدارك والمدركات البائن لا بتراخي مسافة المضبوط في
نسخ الكتاب في لفظ التراخي بدون الياء التحتانية لكن في الكافي فيهما
وهو الاصوب ولعل الوجه في اسقاط الياء هو ما في اسقاطها في لفظ
المتعالي في فواصل الآي حتى جرى في غيرها كما ورد في الادعية وفي بعض
النسخ لا ببراح بالموحدة بين الجارة والاصلية والحاء المهملة ولعله
تصحيف ويمكن بعيدا على تقدير ان يكون البراح الارض الواسعة وكنى
به البعد والمسافة المفازة قيل هي من السوف بالفتح بمعنى الشم لان الدليل
كان يسوف التراب اي يشمه ليعلم اهو على قصد السبيل ام لا الباطن لا
باجتنان قد سبق ان بطونه انما هو لكمال ظهوره لا باجتنان واستتار
اذ لا يستره شيء من الاشياء الظاهر الذي قد حسرت دون كنهه
نوافذ الابصار وقمع وجوده جوائل الاوهام يعني هو الظاهر لا بان تراه
الابصار بل لانه قد كلت عن بلوغ كنهه الابصار الناظرة في دقائق الاشياء
والتقييد بالكنه لاجل انها لم يكن موشى بالصفات ظهور آثاره للابصار
كانت تدرك كنهه ولا ايضا ظاهر بان يحيط به العقول اذ وجوده
اقمع رؤس الاوهام الجائلة للوصول الى حقائق الاشياء فلا تصل اليه
تعالى ولا يحيط به علما بل بمعنى انه الظاهر على كل شيء بالقهر له ولا كر
ولا يخلو منه شيء في ارضه وسمائه وفي الخبر سئل عن الله اين هو فقال الله
هو ههنا وههنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا اول الديانة معرفته
وكمال المعرفة توحيده وكمال التوحيد نفي الصفات عنه وقد سبق نظير
هذه العبارة مع تفسيرها لكنه ذكر هنا اول الديانة موضع اول عبادة الله
وكذا كمال المعرفة ونظام التوحيد في الخطبة والكمال بمعنى ما يكمل به الشيء

التقدم
وكمال التوحيد مكان اصل معرفته

ويتمّ ذاته ولولاه لما يتمّ تلك الذات فلا يكون هى هذه الذات فهو كامل
والنظام والحد ويمكن ان يكون الكمال بمعنى الفضيلة وان زيادة اى المعرفة
الكاملة والتوحيد الكامل الذى فى المرتبة العالية والفضيلة والزيادة
هو نفى الصفات العينية والزائدة اذا اثبتناها مطلقا لا يخ من شائبة
شرك خفى فيكون الحاصل هناك بمعنى الاصل فيقرب من معنى الكمال الثانى
ليتوافق الخبران لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة الموصوف
انه غير الصفة قد سبق معناها وبالجملة الغرض انه اذا قلت ههنا صفة
وموصوف فقد قلت بالغيرية اذ الصفة من حيث انها صفة ومحتاجة
الى ما تقوم به بحسب مفهومها وحقيقتها غير الموصوف وبالعكس فلو قلت
بعد ذلك بالعينية واحتلت فى ذلك كل الحيلة فقد ناقضت نفسك
واحتلت قولك والله على ما تقول شهيد بشهادتهما جميعا على انفسهما
بالتثنية الممتنع منها الازل العجب كل العجب من بعض علماء الاخباريين
اهل هذا الزمان حيث صحّح كلمة التثنية التى بالثاء المثلثة من
الاثنوة بمعنى الاثنينية على البنية بالموحدة ثم النون والياء التحتانية البنية
وذكر فى معناها ما لا ينبغى ان يكتب ولا الى احد ينسب ثم ان بعض المنتحلين
للعلم زاد فى الطنبور نغمة فصحّحها بالنبيّة بتقديم النون ثم الياء فصححها
التحتانية المشددة على النون وقال فى معناها ما هو اسخف من الاول
ولنرجع ونقول الغرض منه ابطال الصفات وبيان ان الصفة والموصوف
مطلقا يدلان على الغيرية فهما يشهدان بمجموعهما على انهما اثنان
والاثنان يمتنع ان يكونا ازليين لان الواحد متقدم بالطبع على
الاخر فالازلى اذ الازلى غير مسبوق بشيء اصلا فيكون الصفة حادثة

وكل

وكل حادث يحتاج الى المحدث وليس ههنا الا الذات فيكون فاعلة وقابلة
من جهة واحدة اذ الجهات هى الصفات وقد فرض انها حادثات فمن وصف
الله فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد ابطل ازله
هذا برهان اخر دال على انه لو كان تعالى وصف هو عينه لبطل
ذلك ازليته تعالى والبرهان السابق انما يدل على عدم ازلية الواحد
من الصفة والموصوف وهو الصفة اذ هى الفرع والتابع وتقرير هذا
البرهان انك قد عرفت مرارا ان الصفة هى جهة الاحاطة وعلامة
التحديد لانك تقول ههنا ذات متصفة بهذه الاوصاف فقد حكمت
بذات ثم قدرت بعدها صفات عينية فقد حددته اذا اثبتّ بعده
صفاته كانك قلت هذه الذات ينتهى الى هذه الصفات فهى حدود تلك
الذات بها ينتهى مرتبة هذه الذات فاذا حددته فقد عددته وجعلته
فى عداد المعدودات حيث حكمت بعينية الاثنين واتحادهما سواء قلت
باتحاد المصداق او الحقيقتين او كون الذات فردا حقيقيا لتلك
المفهومات المتغايرة فقد جعلتها معروضة للاثنينية التى هى اولى
مراتب الاعداد اذ قد فرض انه تعالى وصفاته شيء واحد فثبت ان الذات
التى هى عين الصفات لاجل كونها معروضة للاثنينية مسبوقة بالواحد
الحقيقى ومن ذلك يبطل ازله ومع ذلك معروض الاثنينية فهو مسبوق
بالواحد الحقيقى ومن ذلك يبطل ازله ومع ذلك الذى ليس فيه اثنينية
اصلا اذ الواحد الحقيقى متقدم على كل اثنين سواء كان التركيب
اتحاديا او غيره فتبصّر فان ذلك من غرائب البيان ومن قال كيف
فقد استوصفه ومن قال على م فقد حمّله ومن قال اين فقد اخلى

مثله ومن قال الم فقد وقته كيف سؤال عن عوارض الشيء والعارض وصف
فالسؤال بالكيف ممتنع على الله اذ هو طلب الوصف وقد ثبت انه لا وصف في
الحضرة الاحدية والسؤال بعلى سؤال عن المكان العام عند الجمهور والمعتمد وهو
عليه وهو حال للمتمكن فمن سأل عن المكان المعتمد عليه للباري عز شانه فقد جعله
محمولا والسؤال باين سؤال عن نسبة المكان ولما كان انه سبحانه استوى نسبته
من كل شيء فمن قال الى اين اعني الى اي مكان فقد اخلى منه اي جعل الامكنة الباقية
خالية عن نسبته تعالى او من جعل المكان نسبته المرضية جعل ذلك المكان
خاليا من احاطته اذ يكون مصاحبا لظاهر ذلك المكان اذ المكان هو
السطح فيكون باطن ذلك المكان او المكان خاليا منه ولا يعزب عنه شيء في ارضه
وسمائه ومن قال الى وجوده الى اي زمان ينتهي اوله الى اي زمان ينتهي فقد جعل
له وقتا ولفظه ثم مخفف ما بمعنى اي شيء وقد شاع تخفيفها اذا اتصل
بها الكلمات ونظايرها عالم اذ لا معلوم وخالق اذ لا مخلوق
ورب اذ لا مربوب واله اذ لا ماله قد سبق تفاسير هذه الفقرات
وذكر الصفات الذاتية والفعلية لبيان انه لا تفاوت بينهما في عدم
استدعاء الطرف الاخر كما هو سبيل الامور الاضافية وقد سبق ان تحقق
هذا المحل لا يحيط به الا كابر بل صادفه في الاوايل اذ العالم
والمعلوم يقتضي الاثنينية ولا ثاني له تعالى لا من خلقه ولا من غير
خلقه بالبراهين التي ذكرناها فهو دال على ان هذه الاشياء لا اوايل من دون
ان يحتاج في ذلك الى احد سواه تعالى الملك القيوم حيث كان الكل
هالك عند وجهه الكريم وتحت هذا اسرار لا ينبغي افشاؤها والحالة
المشتكى وكذلك الله ربنا يصف ربنا وهو فوق ما يصفه الواصفون وكذلك

يوصف

يوصف ربنا في الابد كما وصف به في الازل فاتى عليهم صيغة المضارع
ليدل على الاستمرار وفوق ما يصفه الواصفون من اثبات الصفات العينية
والزايدة واختلاف الشركاء والالهة المعبودة دونه تعالى عما يصفه الواصفون
وتنزه عما يقول العادلون **الحديث الرابع عشر** باسناده عن حماد بن عمرو
النصيبي قال سألت جعفر بن محمد عليهما السلام عن التوحيد فقال واحد صمد
ازلي صمدي لا ظل له يمسكه وهو يمسك الاشياء باظلتها قد سبق
وسيجيء ايضا معنى الواحد والصمد والازلي واما الصمدي فبمعنى الدائمي
بقرينة الازلي وسيأتي ان احد معاني الصمد هو الدائم وقال الاستاد
دام فيضه في معنى لا ظل له يمسكه ان المراد بالظل الجسم لما في حديث ابن
عباس لكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله اي جسمه انتهى اقول ويؤيده
ما في خبر اخر حيث ورد ان ظل المؤمن يسجد طوعا وظل الكافر يسجد كرها
وهو جسمهم وحركتهم وزيادتهم ونقصانهم لكن قد ورد في تفسير علي بن ابرهيم
القمي جزاه الله عنهم عليهم السلم في قول الله تعالى ولله يسجد من في السموات
والارض وظلالهم بالغدو والاصال انه ما من شيء الا وله ظل يتحرك بحركته
وتحوله سجوده لله الحديث ويظهر منه ان الظل يكون لكل موجود كما هو صريح
قوله ما من شيء فعلى هذا يحتمل ان يكون المراد بالظل هو المثال الروحي لكل
شيء اذ ما من شيء في عالم الشهادة الا وله مثال في عالم الله تعالى كما في
حديث المعراج ولكل شيء مثال او التعبير بالظل لانه من عالم الاظلة كما ورد
في الخبر حيث عبر عن موجودات عالم الامر بالاظلة والاشباح لانها اظلة
نور الله واشعة جماله تعالى ومن المستبين ان موجودات عالم الخلق
انما يقومون بالاظلة النورية والامثلة العرشية وتلك الامثلة هي المدبرة

لها اذ بان الله والمسكة وجودها من ان تهلك وتفنى والمرتبة الهادية
الموصلة اياها الى كمالاتها واليها مرجعها ومنتهاها ثم الى الله تحشرون
فلكل شيء مدبر باذن الله بما هو ممسكه ومقومه ومدبره الى ان ينتهي الى
رب الارباب جل جلاله وليس وراء الله منتهى فلا رب فوقه حتى يمسكه و
يحتمل ان يكون الظل بمعنى الحجاب كما ذكره صاحب مجمل اللغة والحجاب لكل
شيء هي العلة الممسكة ولكل علة علة هي ممسكه والله ممسك الاشياء
بعلله المتوسطة باذنه تعالى عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل
المعرفة قد يجيء بمعنى العلم وقد اصطلح الملائكة على الله والنكتة في ذلك الاطلاق
مناسبة المعروف في الجملة الثانية اي عالم بالذي جهله الخلق من حقايق
الاشياء التي علمها عنده ومفاتح الغيب التي لا يعلمها الا هو معروف عند
كل جاهل حيث يحكم كل عقل بالفطرة التي فطر عليها ان لكل مصنوع صانعا وكل
بدعو الله في الشدة ويطلبه في المهلكة كما قال الصادق عليه السلام للسايل
هل ركبت سفينة الى اخر الخبر فرداني لا خلقه فيه ولا هو في خلقه الفرد
الحقيقي هو الذي لا يجانسه شيء ولا يصاحبه فرداً فهو سبحانه هو الفرد الذي
ليس خلقه فيه كما زعمه اكثر المتفلسفة من ان اصول الاشياء حاصلة
فيه وكذا المتصوفة من ان الخلق من عوارض الوجود الذي هو الله سبحانه
ولا هو في خلقه كما يحسبه الجاهلون من النصارى وكذا بعض المتصوفة
من القائلين بالحلول والاتحاد غير محسوس ولا مجسوس لا تدركه الابصار
لعل المحسوس بالحاء المهملة انما اختص في هذا الخبر بالمدرك بالسمع
والشم والذوق والمجسوس بالجيم اللمس من جسسنا الشيء بيدي حسا
ولا تدركه الابصار بالبصر ويمكن ان يكون الاول على عمومه والمجسوس ما بالعين

كما وقع

كما وقع في شعرهم فاعصوصبوا ثم جسوا باعينهم فيكون لا تدركه بيانا
وكذا لم يدخله العاطف ويمكن ان يكون من جسست الاخبار اذا تفحصتها
اي لا يطلعون عليه بالاخبار اذا تجسسوا عنه فيكون على الاحتمالين الاخرين
ذكر الفقرتين من ذكر الخاص بعد العام لكمال العناية به علا فقرب ودنى
فبعد اي ان علوه هو سبب قربه كما ان دنوه سبب بعده كما يستفاد
من وجود الفاء وقد مضى البرهان على ذلك وعصي فغفر واطيع فشكر
لا شك في ان الفاء في الفقرتين الاولتين للسببية فكذا في الاخيرتين
والا اختل النظم فيتبع الجاء الله تعالى بخلق ذنبوب فيغفرلهم وذلك لان
الغفار من اسمائه وهو يقتضي الظهور ولكون اسمائه تعالى كلها طالبة للظهور
وبذلك جرت سنة الله وكذا الطاعة موجب لان يشكر الله عباده بجزائهم
احسن ما عملوا وبقيهم الفضل مبتدئا ومعيدا وله الحمد في الاخرة والاولى
لا تحويه ارضه ولا تقله سمواته وانه حامل الاشياء بقدرته
فكله واقل حامل والحامل بمعنى الممسك والقيوم كما قال عز شانه
ان الله يمسك السموات والارض والباء في بقدرته للملابسة لا غير اي باقتداره
سبحانه تعالى عليها ديمومي ازلي لا ينسى ولا يلهو ولا يغلط ولا يلعب
النسيان والغلط انما يعرضان للعلم المكتسب والادراك المستفاد من الغير
واللهو واللعب واحد وهو ما ينشأ من غلبة البطلان والله سبحانه
علمه بذاته وبالاشياء من ذاته وهو عز شانه حق محض لا بطلان فيه فلا ينسى
ولا يسهو ولا يلعب ولا يلهو ايضا لو كان خلقه السموات والارض لعبا
ولهوا لما كان اول خلقه من دونه ان يربط الاجسام بالارواح والارواح
بالاسماء الالهية والعقول القادسة وهذا النظم المحكم والارتباط الاتم يدل

تفحصتها

فيكون المعنى ان عصيانهم
موجب لمغفرتهم وفي الخبر
ما حاصله ان هذا الخلق لو لم

على عدم صدورهما عن بطلان من اللهو واللعب اذ اللهو واللعب مما
لا اصل لهما ولا ثبات فيهما ولا يختلج في تحاذيهما الى هذا الربط الذي
للسفليات الى العلويات وللماديات الى المفارقات قال الله
جل من قائل ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ولا الارادة الحتمية فصل الاضافة
الى الضمير يعني الذات المراد بالارادة الحتمية لانتهاء امن الله من دون
شائبة نسبة الخلقة والمعنى انه لا ينفصل شيء بين ارادته خلق شيء
وايجاده طيا مما بين ذلك الشيء اذ كلما شاء الله كان وفيه دلالة على
امتناع تخلف المعلول عن الفاعل المختار بعد الارادة الحتمية
واما البدا فانما يقع في الارادة العزمية وسيجيء تحقيقه ان شاء الله
وفضله جزاء وامره واقع اي جزاؤه فضل وهو اشارة الى قوله وبفصل
بينهم يوم القيمة الا انه يجزى كلا بما يستحقه فالمحقون في نعيم
وجنات والمبطلون الى جحيم ودركات وكذا ينفصل بين الطينات
الممتزجة واعمالها الحسنة والسيئة ويرجع كل الى اصله كما قال سبحانه
يومئذ تتفرقون وامره بعد الارادة واقع لا يرد لانما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون ولا يمكنه ان لا يكون لم يلد فيورث
ولم يولد فيشارك ولم يكن له كفوا احد ممكن ان يعتبر
الفعلان المعطوفان الاولان على المجهول فانهما من المجرد او على المعلوم
فهو من المزيد افعالا كان او تفعيلا وقد سبق شرحهما مستقصى ٥

المعطوفان

الحديث الخامس عشر باسناده عن الحسين بن سعيد الخزاز عن رجاله
عن ابي عبد الله عليه السلام قال الله غاية من غياه والمغيى غير الغاية علم

هذا الخبر

هذا الخبر لبيان ان الاسم مغاير للمسمى كما يدل عليه حديث جابر بن يزيد
الذي سيأتي في باب صفات الذات والافعال حيث صرح فيه هذا
المدعى بقوله عليه السلام اسم الله غير الله وقد صعب فهم هذا الخبر ونظيره على
اكثر اهل العلم والنظر وقد نبانا الله بحله وله الشكر فنقول المراد
بقوله الله هي حقيقة الاسم الالهي الجامع لكافة الاسماء الالهية وهي حقيقة
من الحقائق الوجودية عند اهل الرشاد واول من قرع باب الوجود والايجاد
ومنها ظهرت العوالم الوجودية من المادية والمفارقة وعيناه على التفعيل
لنسبة المفعول الى الحدث والضمير في غياه مرفوع يعود الى الموصول و
منصوب الى الذات الاحدية المسماة بهذا الاسم في تلك المرتبة والمغيى على
صيغة المفعول اي المنسوب الى الغاية والمجعول كالغاية والغرض ان الذات
الاحدية الصرفة لا حد لها ولا غاية لها بل المرتبة الالوهية هي غاية
معرفة العارفين ونهاية سير السالكين واضافة الغاية الى الموصول للافادة
ان الغاية الى ~~الموصول بالاضافة~~ ان الغاية انما هي بالنظر الينا بالنسبة
الى الله فتلك الحضرة المقدسة الالهية هي غاية ترقيات الخلق في سيرهم
الى الله بقدم المعرفة والسلوك وهي غاية الغايات ونهاية المطالب و
الحركات ولا شك للعقول السليمة عن امراض الشك والشبهة في ان
المنسوب الى الغاية وبالجملة فهو والغاية بعينه يغاير الغاية اذ الحد خارج
عن الشيء المحدود سواء في ذلك الحدود والمقدارية والمعنوية بل
المغايرة في المعاني اظهر واوضح فاشار الى الذات الاحدية المسماة
بالاسم الالهي بهذا الاسم توحده بالربوبية ووصف نفسه بغير
محدودية الجملة الاولى لبيان مغايرة الغاية وذي الغاية وبيان انه لو كان

الغاية التي هو الاسم غير المعنى الذي هو المسمى لكان عينه فيكون لا فرق
في ان يعبد الاسم وان يعبد المسمى فلم يكن متوحدا بالربوبية اذ يكون
له شركاء من اسمائه في الالوهية وان كان في زعم القايل بالعينية
واحدا كما ورد من عبد الاسم والمعنى فقد اشرك وايضا لو لم يكن
الغاية مغايرة لا معنى للعينية لبطلانها بالضرورة وطامة
هنا ولانك تقول هذه غاية ذلك الشيء فلا محالة يكون غيره
فاذا ثبت المغايرة لزم ان يكون غير ذلك الشيء بتمام الغيرية اذ لو كان
جزءه كان منافيا للوحدة الحقيقية وهو تعالى متوحد بالربوبية
واما الجملة الثانية فلا استدلال الا على ما يستفاد من فحوى اضافة
الغاية الى الموصول وهو انه اي الله بمعنى الحقيقة الالهية التي هو اسم
الله غاية للعباد لا له تعالى اذ وصف نفسه بانه لا يحد فليس له حد
وغاية هذا على تقدير ان يكون قوله بغير محدودية متعلقا بالوصف
ويحتمل ان يكون ظرفا مستقرا في مقام الحال اي وصف نفسه
تعالى باوصاف من غير ان يلزم منها المحدودية والمال في المعنيين
واحد فالذاكر الله غير الله والله غير اسمائه هذا نتيجة ه
لما تقدم مع الاشارة الى دليل اخر والمراد بالذاكر الاسم لانه وسيلة
لذكر المسمى ولانه يذكر صفات الذات اذ الاسم هو الذي دل على ذات
ماخوذة مع صفاتها ولانه مظهر من مظاهرها به يظهر آثارها
ولا نعني بالذاكر الا ما يجعل الذات مذكورة سواء كان بالنطق
او باظهار انه انها الجملتان بمنزلة قوله فاسماء الله غيره والله
غير اسمائه اذ الاسماء يذكر الذات والذاكر من حيث هو ذاكر غير المذكور

من حيث

من حيث انه مذكور وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه مخلوق
هذا دليل اخر على المغايرة وهو انه لا شك في انه يصح اطلاق الاشياء
على تلك الحقايق الاسمائية وكل ما وقع عليه لفظ الشيء سوى الله تعالى
لانه شيء بحقيقة الشيئية فهو مخلوق اذ لو كان شيء شيئيته لا بغيره
فهو مستغن في ذلك عن غيره وكل ما يستغني في تذوته وشيئيته عن غيره
فهو المبدأ الاول تعالى شانه اذ المبدأ الاول ما يكون ذاته لا عن غيره
فيلزم التعدد والتركب لان المفروض انها اشيا مختلفة وفي هذا
الكلام دلالة صريحة على ان شيئية الاشيا من الفاعل لا وجوده
فقط الا ترى الى قوله العزة لله العظمة لله وقال ولله الاسماء
الحسنى فادعوه بها وقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى فالاسماء مضافة اليه وهو التوحيد الخالص
هذا دليل رابع على مغايرة الاسم والمسمى تقريره انه اتفقت العصابة
على ان اسماء الله توقيفية يجب اخذها من الله ومن اهله وقد اخبرنا باسمائه
اضافها الى نفسه والاضافة تستلزم المغايرة اذ الشيء لا يضاف الى
نفسه بيان الاضافة انه تعالى اضاف الصفة فقد قال العزة لله
العظمة لله فاضاف صفة العزة والعظمة بواسطة اللام الى نفسه
غيره تعالى وفي الاية الاخيرة دليل على ان كلا من اسم الله واسم الرحمن ه
هو الجامع لجميع الاسماء لان الله اسم للمرتبة الجامعة والرحمن لوجودها
ثم قال عليه السلام وصية للسائل بان يعتقد المغايرة في الاسم والمسمى والصفة
والموصوف وهو التوحيد الخالص اي المنزه عن شركة الاسماء والصفات
معه تعالى والمقدس عن ان يكون هي عين الذات او منها اوزائدا بل هي خلقه

يكون م

[illegible]

وهو اشد في المغايرة واما انه م
الاسما فقال ولله الاسماء
الحسنى فاضاف الا
سما ايضا بواسطة
اللام الى نفسه
صح

تعالى خلقها وسيلة بينه وبين خلقه ليدعوه بها ويتوصلون الى
معرفته من طريقها **الحديث السادس عشر** باسناده عن عبد الله بن جعفر عن
جعفر بن محمد عليهما السلام انه كان يقول الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس
ولا يمس ولا يدرك بالحواس الخمس ولا يقع عليه الوهم ولا تصفه الالسن
فكل شيء حسته الحواس او جسته الجواس او لمسته الايدي فهو
مخلوق ينبغي ان يكون يحس بالمهملتين من الاحساس بمعنى مطلق
العلم كما في قوله تعالى هل تحس منهم من احد لان الحس بمعنى المدرك بالحواس
والجس بالجيم بمعنى الادراك البصري كما قلنا فيما سبق فيكون ذكر الحواس الخمس
بعد البصر واللمس من عطف العام على الخاص لبيان اجراء الحكم في الافراد
الاخر وبالجملة نفى عليه السلام عنه تعالى ادراك العقل اياه بالجملة الاولى فلا
يحيطون به علما وادراك المشاعر الظاهرة بالجمل الثلث وادراك المشاعر
الباطنة بقوله ولا يقع عليه الوهم ثم نفى وصفه بالالسن سواء كانت الالسن
الابدان او الاذهان وسواء كانت ناطقة او غالية وقد سبق بيان ذلك
كله مشروحا واعلم ان تعقيب الحمد بهذه الاوصاف ثم تفريع قوله فكل شيء
آه عليها يشعر بان الحمد انما يليق بما يتصف بها وان من يوصف بنقائضها
فهو مخلوق لا ينبغي له الحمد وان الحمد على الكمال الذي للمخلوق انما هو
بالحقيقة للخالق فالحاصل ان كل ما يتعلق به الاحساس او يحيط به العقل
او يقع عليه الوهم فهو مخلوق وكل ما في المعلول من الحسن والبهاء فهو
من العلة فله الحمد في الاولى والاخرة والله هو العلي حيث ما ينبغي
يوجد هذا الكلام الذي صدر عن منبع الولاية فقصم ظهور من انكر
لقاء الله في الاولى والاخرة ومن زعم ان مع الله الها اخرى او يوجد معه

شيء

شيء من الاشياء فواحسرتاه للمتكلم حيث لا يرى الله في الدنيا ومن كان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ويا عجبا للفلسفي حيث
يرى لله شركاء من الارباب فليته تفوه في الاسباب واعمى الله عين الحلولي
الحولاء وفض الله فاه لانه اثبت شيئا مع الله ويرفع الله الذين امنوا
فوقهم درجات وكيف يرتفع الذين ظلموا بعد دينهم هيهات هيهات وبالجملة
هذا هو التوحيد الحقيقي الخالص عن شبهة وجود او وجدان الى شيء سوى الله لان
الامام عليه السلام حكم في هذا المقام بانه تعالى حيث ما ينبغي ويطلب يوجد
فاذا طلبته فوق وتحت وعن يمين وشمال وقدام وخلف وفي سماء وارض
وفي كل ذرة من ذرات الوجود وفي اية مرتبة من مراتب الشهود وعلى اي حال
من الاحوال وفي اي طور من الاطوار فانه سبحانه يوجد هناك فسبحان
الذي لا يخلو منه شيء وهو غير كل شيء فتبارك الله رب العالمين واعلم ان التقييد
باسم العلي لافادة ما قد عرفت سابقا من ان العلو الحقيقي هو ان يكون الكل
مستهلكا لديه متلاشيا عنده فتبصر والحمد لله الذي كان قبل ان يكون
كان لفظة كان الاولى فعل والثانية بالتنوين مصدر كالكون وجميع
الصيغ الثلث تامة غير ناقصة والغرض من هذا الكلام تقدم الباري تعالى
على هذا الوجود العام الذي هو عبارة عن كون الشيء وتحققه وانه متقدس
عن الاتصاف بهذا الوجود المفهوم المعلول بكليته وعن افراده العرضية وحصصه
الذاتية فلا يصح ان يقال انه تعالى موجود بالوجود العام اي انه يصدق
عليه هذا الوجود ويكون هو تعالى مصداقا له كما يقول علماء الزور من
المتسمين بالتحقيق والمتسمين بالتاله والتدقيق كما لا يصح بالاعتبار
والبرهان ان يقال انه عالم بعلم وقادر بقدرة باي معنى كان وبالجملة الحكم

الكاسد بل لهذا التعبير اللازم منه اثبتهم لمفاسد للذات والصفات
سواسية في ان القائل به على حد الشرك بالله كما اشار اليه الامام
عليه السلام بقوله ولا يوجد لوصفيه كان على المصدرية بل الصفات
الثبوتية كلها راجعة الى سلب نقايضها ونفي الاضداد كما مر النقايض ل
وسيجيء انشاء الله والبيان في الاول ان طبيعة هذا الوجود المعلوم
يلزمها المجعولية والله تعالى لا يوصف بخلقه وبيان الثاني قد
عرض مرة بل كان اولا كاينا لم يكونه مكون قد دريت ان طبيعة
الوجود مجعولة فلما ذكر عليه السلام سبقه تعالى عليها نفى عنه ثانيا ما يتوهم
من اتصافه بتلك الطبيعة وهو ان يكون مجعولا او مع الاتصاف بالطبيعة
المجعولة يستلزم الجعل في الموصوف بها بل ذلك الاتصاف هو عين
مجعولية الموصوف فقال بل كان اولا كاينا اي هو ثابت بذاته موجود
بنفسه لا بوجود يصدق عليه ولا بثبوت يحكم عليه اذ لو كان كذلك كان
تكوينه من مكون وليس هو سبحانه مما يكونه مكون بل كون الاشياء
قبل كونها فكانت كما كونها اراد عليه السلام ان يذكر ان طبيعة الوجود
مما يتاخر عن ذوات الاشياء وماهياتها فقال بل كون الله تعالى ماهيات
الاشياء وحقايقها قبل وجودها اذ الجعل انما يتعلق اولا وبالذات
الى المهية ثم الى الوجود اللازم لها فكانت اي وجدت واتصفت
بالوجود كما كونها اي كون ذواتها اي صارت وجوداتها تابعة
لجعل ماهياتها فافهم علم ما كان وما هو كاين اي علم المبدعات
والكاينات على نحو الوحدة كان اذ لم يكن شيء ولم ينطق فيه
ناطق فكان اذ لا كان لفظة كان الاخيرة اسم مبني على الفتح لكونها

اسم

اسم لا لنفي الجنس والتفريع يشعر بان هذا دليل اخر على تقدمه عز
شانه على الوجود الذي هو الكون بيانه انه تعالى متقدم على الاشياء
جميعا بنفس ذاته المقدسة عن مجانسة الامور ومقارنة المواد فكان
هو تعالى اذ لم يكن شيء من الاشياء فاذا لم يكن شيء لم يكن وجود اذهما
متساوقان مثلا زمان واما الباري تعالى فهو شيء بحقيقة الشيئية
لا كالاشياء فهو خارج عن حكم الشيء المتصور المعلوم الذي يساوقه
الوجود وايضا اذا كان هو سبحانه متقدما على كل شيء فهو سابق
على جميع الصفات التي هي المحمولات لان الناطقات عن حال الموضوع
فلم ينطق فيه ناطق اي لم يحمل عليه محمول في مرتبة الذات والا لم يكن
سابقا على الكل ولا شك ان الوجود من المحمولات فيكون متاخرا
عنه جل مجده واعلم ان ما استفدنا من صريح كلامه عليه السلام هو البرهان
الناطق القاطع على تقدمه تعالى على هذا الوجود وامتناع حمله
عليه تعالى ولكن من لم يؤمن بايات الله يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السماء **الحديث السابع عشر** باسناده عن فتح بن
يزيد الجرجاني قال لقيته عليه السلام على الطريق عند منصرفي من مكة
الى خراسان وهو سائر الى العراق هذا الخبر مختصر في طريق الصدوق
لكن المراد منه ابو الحسن الرضا عليه السلام كما سيصرح به في باب اسماء الله
فسمعته يقول من اتقى الله يتقى ومن اطاع الله يطاع فتلطفت
في الوصول اليه فوصلت وسلمت فرد علي السلام التلطف في
الوصول عبارة عن الوصول في خفاء ودقة والتقوى هنا عبارة عن
كمال الخوف الذي ينشاء من العلم الحق بالله وبكتبه ورسله وملئكته

واليوم الاخر ويعبر عنه بالخشية كما قال الله جل مجده انما يخشى الله من عباده
العلماء وهو المراد في الخبر المروي من خاف الله خافه كل شيء والمراد بالطاعة
هي الاطاعة التامة التي تحقق من اتيان الفرايض والنوافل المؤدية اليه
المنتجة للمغفرة الكاملة والمحبوبية التامة ومن الانتهاء عن اقتراف
الحرام والشبهة بل عن اكتساب الحلال خوفا من الحساب واما تسببية
خوف الله لمخافة كل شيء من العبد فان علامة الخوف هي الهرب من كل شيء و
الالتجاء الى حرم كبرياء الله كما في مصباح الشريعة فاذا هرب العبد مما سوى الله
والتجأ الى حرم كبريائه تخلى من كل شيء فلم يبق معه شيء سوى الله حتى نفسه فانها
اعدى عدوه فهو في حرم كبريائه لا خوف ولا حزن يعتريه ولا شك ان كل
شيء فانما يخاف الله ويصعق لخيفته ويخضع له فكذا يخاف من هذا العبد
الذي فني عن نفسه وعن كل شيء وبقي مع الله سبحانه واما تسببية الطاعة
لله لاطاعة كل شيء له فلان ثمرة الاطاعة ونتيجة قرب الفرايض والنوافل
هي المحبوبية التامة التي بها يكون الله سمع العبد وبصره ويده ورجله وجميع
قواه فيفعل ذلك العبد كل افعاله بالله تعالى وقوته وسلطانه فيكون
كل شيء مطيعا له كما كان مطيعا لله وفي الوحي القديم يا ابن ادم اطعني
اجعلك مثلي اذا قلت للشيء كن فيكون فمن الاولى ترى اولياء الله
تستانس معهم الوحوش في الصحارى ويجعلون مطاياهم السباع الضواري
ومن الثانية تراهم يتصرفون في العالم بانواع خوارق العادات ومنها
المعجزات ثم قال يا فتح من ارضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق ومن
اسخط الخالق فقمين ان يسلط عليه سخط المخلوق ارضاء الخالق
وهو العمل بمقتضى رضاه وفي الخبر ان موسى على نبينا واله وعليه الصلوة والسلام

قال

قال رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله اليه ان رضاي في
كرهك وانت لا تصبر على ما تكره فقال يا رب دلني عليه قال رضاي عنك
في رضاك بقضائي انتهى والرضا بقضاء الله هو ترك الاعتراض والسخط
وهذا للطائفة وفي وجه اخر هو سرور القلوب بالمحبوب والمكروه فاذا كان
العبد راضيا بقضاء الله وراضيا ومسرورا بكل ما اتاه الله ويرى الكل من الله
فكيف يبالي بسخط المخلوق لان ذلك ينافي رضاه بقضاء الخالق
وايضا اذا رضي الله من عبد يصغر عنده سخط المخلوق فكيف يبالي
فانه في رضوان الله يتقلب ويتنعم ورضوان من الله اكبر واما من سخط
الخالق ولم يرض بقضائه ولم يعمل بمقتضى رضاه بان يعمل بما يرضى
عنه المخلوق وافاد ذلك رضى نفسه الامارة بالسوء فحقيق ان يسلط
الله عليه سخط المخلوق كما انه قد عمل بما يرضيه لا بما يرضى الله عنه وذلك
لان من اسخط الخالق استوجب سخطه ومن جملة سخطه ان يسلط
عليه سخط المخلوق الذي في قبضته ليعلم ان لا نافع ولا ضار الا الله و
ان لا فايدة في رضا المخلوق عنه وربما يسلط عليه سخط ذلك المخلوق
الذي قد ارضاه وعمل بمقتضى رضاه ليبين لهم انهم لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا وهذه المكافاة واقعة لزوما في الطبيعة من حكمة الله
سبحانه كما لا يخفى على المتتبع لاخبار السابقين واللاحقين وان
الخالق لا يوصف الا بما وصف به نفسه ثم شرع عليه السلام في بيان
واحد من الاحوال التي يوجب رضا الخلق وهو انه سبحانه لا يوصف الا الخالق لـ
بما وصف به نفسه وصدر الجملة بكلمة التاكيد واتى بالجملة الاسمية
ثم باداة الحصر لعلمه عليه السلم بكمال انكار المخاطبين كما ترى تذكر المتقلين

لطريقتهم عليهم السلام يقول بعضهم بعينية الصفات وطايفة بزيادتها
وفي الشريان لا هو ولا غيره ولم يعلموا ان هذا الحكم ايضا من وصف الله
بما لا يوصف نفسه به كيف وقد دريت من اول هذا الباب وستعلم في
الابواب الاخر انهم عليهم السلام ينادون باعلى صوتهم باختلاف المعنى واشتراك
الاسم سيما في هذا الخبر الذي يخاطب فيه فتح بن يزيد القوم بانهم اولوا كل ذلك
بمقتضى هوساتهم وبما يوافق اصول اعتقاداتهم اعاذنا الله من سوء
العقيدة ومما يخاطب الخالق البرية وانت الذي تعجز الحواس
أن تدركك والاوهام أن تنالك والخطرات أن تحدك والابصار
من الاحاطة به جل عما وصفه الواصفون وتعالى عما ينعته
الناعتون ذكر الابصار بعد الحواس لكمال الغاية حيث ذهب فرق
كثيرة بان الله يمكن ان يرى ولعل المراد بالاوهام العقول بقرينة النيل
لان العقل ينال الشيء ويصل اليه والمراد بالخطرات الادراكات النفسية
المشوبة بلوازم المادة بقرينة التحديد وبالجملة ففي هذا الكلام دلالة
صريحة على ان الموصوف يجب ان يدرك باحد المشاعر او الباطنة او العقل الظاهرة
الصريح والله سبحانه لا تدركه الحواس ولا تحده النفوس ولا تناله العقول
وقد مر بيان ذلك مرارا اي فهو في بعده قريب وفي قربه بعيد كلمة في في نأيه فهو في نأيه قريب صح
يحتمل السببية في المواضع الاربعة فيكون المعنى انه تعالى بعيد
بسبب قربه كما انه قريب بسبب بعده فهو بسبب بعده عن مجانسة الاشياء
قريب منها واقرب اليها من انفسها وبسبب قربه القريب منها بعيد عنها
ويحتمل ان يكون بمعنى مع اي انه بعيد مع قربه وقريب مع بعده ويحتمل
الظرفية اي ان بعده حاصل في قربه كما ان قربه ثابت في بعده ويحتمل

ان يكون

ان يكون الاولتين للظرفية والاخريين للسببية لينتج الفرعين وقد مر
ما يصلح شرحا لذلك كيف الكيف فلا يقال له كيف واين الاين فلا يقال
له اين اذ هو مبدع الكيفوفية والاينونية التفعيل في التكييف
والتأيين بمعنى الجعل والتصيير والمراد هنا هو الجعل البسيط اذ المركب
ممتنع ضرورة ففي الكلام تجريد اي انه تعالى جعل الكيف والاين جعلا بسيطا
ويظهر منه ان الحق في الجعل هو جعل الماهية حيث نسب تعلق الجعل الى نفس
الكيف والاين وحاصل الاستدلال ان الفاعل للشيء لا يوصف بذلك
الشيء والا يلزم استكمال الكامل بالناقص كما مر سابقا من ان الله لا يوصف
بخلقه وهذه ضابطة برهانية شريفة لها فوايد كثيرة لطيفة في معرفة
الله واسمائه وصفاته يا فتح كل جسم مغذى بغذاء الا الخالق الرزاق
فانه جسم الاجسام وهو ليس بجسم ولا صورة لم يتجزأ ولم يتناه
ولم يتزايد ولم يتناقص الاستثناء منفصل كما صرح بذلك الفقها
عليهم وهو ليس بجسم والتقييد بوصف الخالقية والرازقية يشعر بالعلية
فلعل ذلك ذكره ليدل على علة عدم تغذيه تعالى احدهما ما يستفاد من
الوصفين والاخر ما ذكره بقوله فانه جسم الاجسام فههنا مباحث ثلثة
المبحث الاول في ان كل جسم فهو مغذى اي ذو غذاء وذلك كما نشاهد
من ان السحاب يتغذى بالماء فيقطر من رحمة الله فيصير المطر غذاء للارض
بعد موتها فتحيى به الارض بعد موتها فيخرج الله منها النبات رزقا
للعباد والانعام فيصير كل ذلك غذاء للانسان فما غلظ منها لبدنه
وما صفى ولطف لروحه ثم الانسان يصير غذاء للموت والملك الموكل به
فان كان من الاشقياء فيصير غذاء للنار وان كان من السعداء واسعد

لانه لج ملكوت السماء يصعد بروحه الى العالم الاعلى فيرتفع الى السماء الدنيا
فاذا لطف ونوّر ترقى الى سماء فسماء الى ما فوقها ثم الى ما شاء الله تعالى
كما قال عز من قائل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق
غافلين وقد سمعت خبر صعود الاعمال الى السموات فقس عليه ذلك النفس
العاملة ان شاء الله وفي ذلك اسرار لا ينبغي اظهارها اكثر مما قلنا المبحث
الثاني في بيان الدليل الاول على ان الله تعالى شانه ليس له غذاء ولا يكمل
بشيء من الاشياء اعلم ان الغذاء على نحوين غذاء الاجسام وهو كما ترى
والثاني غذاء الارواح وفي الخبر في تفسير قوله عز شانه وفاكهة مما يتخيرون
ولحم طير مما يشتهون قال انما هو العلم لهم وما يخرج منه العلم وكما ان لطيف
الاغذية يصير جزءا للمتغذي ويكمل به ويسمن من اجله كذلك العلم يصير
جزءا للنفس تقوى به وتتكامل بسببه الى ان يصير الحد بحيث لو كانت
السموات والارض في زاوية من زوايا قلب العارف ما احس به وهكذا
لتمتلئ النفس بالمعارف وتتقوى بالعلوم واللطائف ويزداد جوعه
وعطشه الى ان ياخذ من الله غذاءها فح تشبع وتروى ريا لا ظمأ
بعده وينقل عن ارسطو انه قال في الرمز لو ازداد الشرب فازداد عطشا الى
ان شرب من الله فروي اذا عرفت ذلك فكل متغذي فانما هو قابل لوصول
الغذاء اليه فلا بد له من فاعل ولا يمكن وحدتهما لامتناع كون شيء واحد
فاعلا وقابلا فينتهي لاستحالة سلسلة الفواعل الى الله سبحانه فالله هو
الرازق الغاذي وفي دعاء الاستسقاء الحمد لله الحافظ المؤدي فالاول
اشارة الى انتهاء الغاذية اليه تعالى والى اسم الحافظ والمغيث والرزق
والثاني الى انتهاء الدافعة الى اسم الدافع ويعود الكل الى القابض الباسط

فهو

فهو سبحانه خلق العقل ثم افاض عليه من انواره واذاقه حلاوة النظر الى
جماله ورواه من عين لقائه ثم خلق النفس وغذاها بالصور العقلية الفائضة
من العقل واطعمها من مائدة كرامته وشربها من عين الحيوة العقلية ومن
الانهار الاربعة الشريفة ثم خلق الهباء الذي هي المادة الكلية وغذاها
بالصور الطبيعية وهكذا جرت سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فهو
سبحانه اجل من ان يتغذى بشيء ويستكمل به اذ التغذية التي هي نحو من
القابلية من لوازم الامكان ومن سمات النقص والفقدان بل هو خلاق
الرزاق الفياض على المواد الامكانية ما يقتضيها من الاحكام لا انه الذاتية
ويتغذى بها من الصور المفارقة والمادية المبحث الثالث في ذكر الدليل
الثاني على ان الله جل جلاله ليس له غذاء ولا يكمل بشيء من الاشياء
اعلم ان سر اختصاص الجسم بالغذاء مع انه ظهر في المبحث الثاني ان لكل شيء
فله غذاء يرزقه الله برحمته هو ان كلية الجسم هي عرش الله العظيم وما من
سورة من الصور العالية والانوار العقلية الا وقد ظهر في هذا الجسم ظهورا
يعرفه اهل الاذواق فوق العرش مثال كل شيء وللكل مثل هنا الا يا
مسكين اذا نظرت في هذا الجسم بعين التدبر والتدرب وجدته في كل
ما انت تطلب قال الله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم
وقال ان في السموات والارض لآيات للموقنين وقد ورد في الخبر ان حملة
العرش اربعة من الملائكة واحد على صورة الانسان يسترزق الله
لبني آدم وواحد على صورة الثور يسترزق الله للبهائم وواحد على صورة
الاسد يسترزق الله للسباع والرابع على صورة الديك يسترزق الله
للبهائم للطيور فالجسم لا بد له من غذاء ولا ريب ان الجسم يلزمه التغذية

والتناهي في الزيادة والنقصان اما التحيز والتأليف فيدل على مؤلف
لامحالة واما التناهي وقبول الزيادة والنقصان فيحتاج الى محدد اياه
وجاعل بعضها اكبر وبعضها اصغر وكلها على هذا الحد والله سبحانه مجسم
الاجسام وجاعلها جعلا بسيطا ومحددها حدا معينا وهو الذي افاض
عليها الصور النوعية المقارنة في كسوة الامور الطبيعية وغيرها بتلك الصور
الشريفة وليس فوقه سبحانه شيء حتى يجعله ويفيض عليه نوره ويحده
بعد ما يطلبه وليس هو بمجزى حتى يحتاج الى مؤلف يجمع اجزاءه ولا بجسم
حتى يحتاج الى مجسم يجسمه ويجعله ولا بذي صورة حتى يفيض عليه
تلك الصورة غيره تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا مبرأ من ذات ما ركب
في ذات من جسمه هذا نفي لكونه تعالى صورة لشيء كما ان الاول ابطال
لكونه جسما ومادة لشيء وقوله ذات ما يمكن ان يقرأ على الاضافة فيكون
كلمة ما موصولة ويمكن ان يقرأ الذات على التنوين فيكون ما مبهمة وقوله
في ذات من جسمه على الاضافة لا غير وكلمة من موصولة وجسمه على صيغة
الماضي من التفعيل والمعنى انه سبحانه مقدس من ذات شيء هي الصورة التي
ركبت وجعلت مركبة في ذات من جعله الله تعالى جسما اي هو منزه
من ان يكون له ذات كذات الصورة حتى يحل في جسم مركب منها ومن المادة
كما يقول النصارى انه حل في المسيح وكما نقل عن جماعة من عوام المتصوفة
انه تعالى يحل في هياكل اوليائه وكما يقول اكثر المنتسبين الى التوحيد
من ان الوجود العام او الخاص الساري على هياكل الموجودات تعالى عما
يقول الظالمون علوا كبيرا اما البرهان على امتناع كونه عز مجده مركبا
مع غيره فهو ان التركيب الحقيقي انما يتحقق بين امور يفتقر كل واحد منها

للماركب

الى ما ركب معه ولا يكون بمحض الاعتبار كالحجر الموضوع بجنب الانسان
والاحتياج ينافي الغنى الذاتي وايضا قد ثبت ان التركيب اما من المادة
والصورة او من الجنس والفصل او النوع والاعراض فلو كان الواجب مركبا
مع غيره يكون واحدا من الامور المذكورة وذلك مستحيل عليه تعالى اما
كونه مادة فظاهر اذ ليس لها الا القبول فقط وقد برهن على انتهاء
سلسلة الفاعل اليه تعالى واما كونه جنسا فلان الجنس مبهم لا وجود له
الا بما يحصله نوعا فيحتاج الى العلة وهو المحال وكذلك النوع لا وجود له
الا مع التشخص فيحتاج الى مشخص واما الصورة والفصل والعرض فلان
كل واحد منها حال ومن المستحيل ان يكون هو سبحانه حالا في شيء والدليل
العام على ذلك ان الشيء الحال اما ان يقتضي لذاته الحلول او اللاحلول
او لا يقتضي شيئا منهما فالاول يبطل ولبيته تعالى اذ المحل متقدم
بالذات على الحال وينافي استغناءه ووجوبه الذاتيين اذ الحال لذاته
محتاج في ذاته ووجوده الى المحل والثاني خلاف الفرض مع انه المطلوب
واما الثالث فان الشيء الذي لا يقتضي شيئا من المتقابلين فانما
يتصف باحدهما من علة غير ذاته فيعلل وهو ممتنع على الله عز وجل وهو
اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الاحد الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد منشئ الاشياء ومجسم الاجسام ومصور
الصور المنشئ بالنون مهموزا على ما في النسخ والظاهر ان المشيء بالميم
والشين ثم الياء التحتانية المشددة قبل الهمزة بقرينة نظايرها كما
يجيء في العبارة التالية فرق بين من جسمه وصوره وشيأه
اي هو الذي جعل الشيء بالجعل البسيط ولو كان كما تقول المشبهة

لم يعرف الخالق من المخلوق ولا الرازق من المرزوق ولا المنشئ من المنشأ
لكنه المنشئ فرق بين من جسمه وصوره وشيأه وبينه اذ كان لا يشبهه
شيء اي لو كان الله تعالى ولو كان الامر في وصف الله عز وجل كما يقول
المشبهة حيث تقول فرقة بالجسمية وطائفة بالصورة وجماعة كثيرة باشتراك
المعاني الثبوتية كما اشير بذلك الاخير سؤال السائل بعد ذلك حيث توهم
الاشتراك المعنوي في الصفة لزم ان لا يكون فرق بين الخالق والمخلوق ولا
الرازق والمرزوق ولا الجاعل الشيء والشيء لكنه تعالى هو المنشئ والموجد من
الواجب ان يكون فرق بينه وبين الذي جعله الله جسما وجعله ذا صورة وجعله
شيئا اذ كان لا يشبهه شيء فلو كان يشبهه شيء في صفة من الصفات لزم
ان يشتركا في ذلك لوجوب استناد العرضي المشترك الى الذاتي ولم فرق يمكن
قرائته على الفعل الماضي فيكون الفاعل هو الله او على الاسمية والتنكير للنوعية
اي فرق كبير فتخصص فيصلح للابتداء قلت فالله واحد والانسان واحد
فليس قد تشابهت الوحدانية هذا هو السؤال الذي لزم من نفيه عليه السلام
للتشبيه مطلقا غرابته والفاء في فالله لتفريع كلام المتكلم على المخاطب
اي لو كان الامر كما تقول فالله واحد الخ وقوله فليس على الاستفهام وتقرير
السؤال انك قلت انه يجب الفرق بين الشيء وشبيهه لانه لا يشبه شيئا وقد وقع
بالاتفاق اطلاق الواحد على الله وعلى خلقه فقد وقع التشبيه اذ صدق
المعنى الواحد على امور مختلفة يقتضي اشتراكها بالضرورة في ذلك المعنى امرا
حقيقيا او غيره على تقدير صحة الامور الاعتبارية قال احلت ثبتك الله
انما التشبيه في المعاني واما في الاسماء فهي واحدة وهي دالة على
المسمى هذا هو الجواب قوله احلت اي جئت بالمحال وتكلمت بما هو الممتنع من المقال

وتقرير

وتقرير الجواب ان التشبيه انما يتحقق اذا كان هنالك اشتراك في المعاني
واما الاشتراك في الاسماء والالفاظ فذلك ليس بممتنع بل هي واحدة
وقد يجمع الاسم الواحد معاني مختلفة لا اشتراك فيها اصلا وقوله وهي دالة
على صيغة المصدر والمعنى ان الاسماء انما هي نفس الدلالة والمعنى ان المتكلم
انما يدل بها على المسمى وهو اشارة الى صحة اشتراك الاسم الواحد لمسميات
مختلفة وجواز دلالة اللفظ الواحد على المعاني المتباينة وذلك لان
الاسماء والالفاظ عبارة عن امور دالة على المعاني لا انه لا بد لها على معنى
اخر غير الذي للمعنى الاول بل دلالة اللفظ على المعنى انما هي بالوضع والارادة
جميعا كما هو الحق والمرتضى عند علمائهم بعد ذلك وان قيل واحد فانه
يخبر ان الاخبار انما يكون بالارادة فالدال على الحقيقة هو المخبر والالفاظ
دلالات كما صرح عليه السلام بذلك في قوله وهي دالة على المعنى والاصل فيه
بذلك قول ابي الحسن الرضا عليه السلام في الخطبة السابقة انما تحد الادوات
انفسها وتشير الالات الى نظائرها لكن يجب ان تعلم ان المراد بالوضع ليس
الوضع الاتفاقي او الجزافي بل ذلك وضع معقول الهي وقع في المناسبات
الحروفية فان للحروف حقائق علمية هي اصول لكل شيء ودلائل على كل
مدرك من منطوق وفي وهي تفرق كل شيء من اسم حق وباطل او فعل او مفعول
او معنى وغير معنى وهي بعد ابداع الله تعالى النور والا كما انتضى بذلك
خبر عمران الاتي في اخر الكتاب ان شاء الله والمراد بالارادة هي انك
اذا الفت الحروف وجعلت منها احرفا وجعلتها اسما وصفة لمعنى
ما طلبت ووجه ما عنيت وارادته كانت دليلة على معانيها
داعية الى الموصوف بها وذلك كالانسان وان قيل الاحد فانه خبر بانه

واللفظ لا بد له ان يدل على المعنى حتى لا يصح ان يكون دالا على معنى من المعاني منه

جثة واحدة وليس باثنين والانسان نفسه ليس بواحد
لان اعضاءه مختلفة والوانه مختلفة غير واحدة وهو اجزاء
لحمية ليس بواحد سواء دمه غير لحمه ولحمه غير دمه وعروقه
غير عصبه وشعره غير بشره وسواده غير بياضه وكذلك
ساير جميع الخلق فالانسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى والجثة
جثة الانسان اذا كان قاعدا او قائما قال بعضهم ويكون ذلك
معتما وقال ابن دريد واحسب ان جثة الرجل من الجث بالضم وهو
ما ارتفع من الارض كالاكمة وذلك اشارة الى عدم التشبيه والاشتراك
في معاني صفة الخالق والخلايق فان القايل بان هذا الانسان واحد
يخبر بانه جثة واحدة وشخص واحد ليس بشخصين وذلك الانسان ليس
بواحد حقيقي اذ هو مركب من اعضاء مختلفة والوان متخالفة وكل واحد
من تلك الاعضاء والالوان ليس بواحد حقيقي ايضا اذ هي مركبة
من اصول مختلفة وتالفت من اجزاء متباينة الى ان ينتهي الى البسايط
ليست هي بواحدة اذ الممكن مزدوج الحقيقة مركب الذات والهوية وليس
ذلك الانسان سواء اي متساويا اعضائه واجزاؤه في الحقيقة اذ
حقيقة الدم غير حقيقة اللحم وكذا العصب غير العروق وكذا لون سواده
غير حقيقة لون بياضه وقس على الانسان ساير الخلق جميعا فان كل
ما يقال عليه انه واحد فانما ذلك لاجل اجتماع اشياء من اجسام واعراض
او مادة وصورة او جنس وفصل او ماهية ووجود فالانسان واحد
في اللفظ اي فانك اذا اطلقت على امور متكثرة توحدت في نوع
ترجح لفظ الواحد لاجل ان تحكم عليها بما يخصه ويمتاز في الاشارة

عن غيره

عن غيره لا في المعنى اي ليس بواحد في الحقيقة والذات اذ ليس له معنى
واحد بل اجتمعت فيه معان متعددة كما بينا واذا عرفت الحال في الوحدة
الشخصية فاعرف حال الوحدة الاتصالية والنوعية والجنسية اذ الكل
انما يقال على ما يتالف من امور مختلفة وبالجملة فاطلاق لفظ الواحد
عليها ليس بالحقيقة بل بمحض اللفظ فان قيل نحن انما عنينا بالواحد
ما لا ينقسم من جهة انه واحد فاطلاقه عليها يكون بالحقيقة فلم حكمتم بان
اطلاق الواحد عليها بمحض اللفظ والاسم دون المعنى فنقول فرق بين
اطلاق الواحد على اقسامه واطلاقه على الاشياء وكذلك فرق بين
ان يكون معنى الواحد متحققا في الشيء وبين ان يكون معنى الشيء واحدا
في نفسه ولو سلمنا ان صدق الواحد على اقسامه وعلى الاشياء يكون
بتحقق معناه فيها فلا نسلم ان صدقه على الاشياء باعتبار كونها
احدى المعنى وتفصيل ذلك ان الواحد الصادق على الاشياء
انما وضع في اصل اللغة للابانة عن كون الشيء واحدا من الاعداد
معروضا مع غيره للكمية المعينة من مراتب الكميات العددية
ولا شك ان هذا الوضع لا يدل على حقيقة شيء من الاشياء ولا معنى
من معانيها بل ولا على ان المسمى به حقيقة من الحقايق واي مسمى
من المسميات ثم ان هذا المعنى للواحد يضاف الى الامر الذي يراد
ان يعد ذلك الشيء الواحد من جملته كما يقال واحد من الاشياء
او من الموجودات او واحد من الاجناس ومن الانواع او واحد من
الاشخاص ومع ذلك فانما دل لفظ الواحد على معناه الاصلي
المحقق في تلك المضافات لاغراض المراد واحد من عداد الاشياء

او لاجناس او لانواع او لاشخاص وذلك المجموع المركب ايضا لم يدل
على معنى من قولنا الاشياء الصادق هو عليها كما لا يخفى على المتدرب في
اللغة والمتتبع لفنون الحكمة فظهر من ذلك صحة قولنا ان الانسان
واحد في اللفظ والاسم دون المعنى فتبصر والله جل جلاله واحد لا واحد
غيره لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان اى ولا له
معنى آخر مباين للمعنى الاول بدون شركة في معنى من المعاني لان المعنى الاول
هو كون الشيء واحدا من الاعداد ويلزمه ان يكون مع غيره سواء كان في
مرتبة ذاته كالواحد بالنوع والواحد بالجنس او متقدما عليها كالمفارق
بالنظر الى المادي او متأخرا عنها كالعكس من ذلك حتى يصح ان يقال هو
واحد من هذه الجملة وان يكون معروضا للعدد بان يصير مع انضمام الغير
او لا اعتبار مصداقا لمرتبة من مراتب الاعداد كالاثنين والثلاثة وغيرهما
والواحد الذي يصح ان يقال على شيء انما هو بمعنى انه واحد لا واحد سواه
حتى يصير بانضمامه معروضا لمرتبة معينة من العدد ولا انقسام فيه
بوجه من الوجوه حتى يختلف من جهة اخرى اذ ليس فيه اختلاف صفة حتى
يتكثر من جهة الصفات ولا تفاوت في ذاته حتى يتجزأ بالذاتيات ولا يقبل
الزيادة والنقصان حتى يتوارد عليه الكمالات فيتكثر من هذه الحيثيات
بل بمعنى انه واحد احدي الذات والمعنى لا ينقسم في عقل ولا وهم ولا يتخيل
في حس ولا فهم وقد عرفت فيما سبق انه تعالى واحد سواه وانه ليس واحدا لا واحد م
لا شيء معه ولا يزال كذلك ولو لم يكن كذلك لكان معروضا للعدد
فيكون قابلا وذلك ينافي بساطته فاما الانسان المخلوق المصنوع
فمن اجزاء مختلفة وجواهر شتى غير انه بالاجتماع شيء واحد

التقييد

التقييد بالوصفين اى المخلوقية والمصنوعية للاشعار بان التجزي
سواء كان في الذات او الجهات من لوازم المخلوقية والمصنوعية وذلك
لان كل مجعول فله جهة الى ذاته وجهة الى علته فمتركب من الجهات وكذا
لا بد له من ماهية ووجود يقبله اما على الدوام او لا على الدوام فمتركب
حقيقته وكذا لا بد له من مشارك في ذاته يحتاج الى المميز فمتركب من الذاتيات
هذا باعتبار الصفة الاولى واما الصفة الثانية اى المصنوعية فالتكثر
والتجزي يكون اكثر اذ الصنع انما هو في المادة فبعد التركب من الامور
المذكورة يلزم التركب من المادة والصورة قلت فقولك اللطيف
فسره لي فاني اعلم ان لطفه خلاف لطف غيره للفصل غير اني احب
ان تشرح لي ما افهم السائل من القاعدة الملقاة عليه في الوحدة ان
جميع صفات الله انما هي باشتراك الاسم دون المعنى لكن لم يدر خصوص
المعاني المختلفة في صفة صفة سأل عن صفة اللطيف الذي ذكرها عليه السلام
في تمجيد الله سبحانه بقوله تعالى وهو اللطيف الخبير السميع البصير
فقال يا فتح انما قلت اللطيف للخلق اللطيف ولعلمه بالشيء
عوض خ اللطيف اللام في قوله للخلق بالمعنى المتعدي عن الفاعل المضاف اليه
واللطيف الذي بعده مفعول له وصفته لموصوف مقدر اى لخلقه الخلق
اللطيف بيان ذلك ان اللطيف من الخلق انما يراد به الدقة والقلة
والصغر واللطافة واما الله تعالى فهو لطيف بمعنى انه خالق الخلق
اللطيف وعالم بالشيء اللطيف الدقيق الذي لا يكاد يستبان للعين
بسبب صغره فاشتراك اسم اللطيف بين الخالق والمخلوق دون المعنى
كيف وهو في الخالق على انه فاعل اللطف في غيره وفي المخلوق على انه قابل

وغير اللطيف ذو الخلق لا تصف به الا ترى الى اثر صنعه في النبات اللطيف من اجسام
اللطيف صح

الحيوان من الجرجس والبعوض وما هو اصغر منهما مما لا يكاد يستبينه
العيون بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الانثى والمولود من القديم
هذا بيان لوجود الخلق اللطيف في الحيوان والنبات مما لا ريب لاحد في
وجوده والجرجس بالكسر صغار البعوض والاستبانة قد يكون بمعنى بان
اي ظهر فيكون لازما وقد يكون بمعنى ابان اي اظهر فيكون متعديا والمعنى
مما لا يكاد يظهره العيون للانسان اذ العين انما يبصر بواسطة ظهور الشيء
المرئي عند الشخص الرائي فلما راينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه
للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه مما في لجج البحار وما في
لحا الاشجار والمفاوز والقفار وافهام بعضها عن بعض منطقها
وما تفهم به اولادها عنها ونقلها الغذاء اليها ثم تاليف الوانها
حمرة مع صفرة وبياضا مع حمرة علمنا ان هذا الخلق لطيف هذا
بيان للطف الخالق لاهتدائه والهرب والجمع والافهام وما تفهم والتاليف
منصوبات بقوله راينا والسفاد الجماع وقوله مما في لجج البحار بيان لما
وفي النسخ بالباء بمعنى من والاول اظهر لانه الموافق للخبر الاتي في حديث الاسماء
واللجة معظم الماء ولحا الشجرة مقصورا قشرها وقوله علمنا جواب لما راينا
والكل مستغن عن الشرح وان كل صانع شيء فمن شيء صنع والله الخالق
اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء هذا معنى ثالث للطفه سبحانه وهو
ان كل صانع سواه جل شانه فهو مصنع الشيء من الشيء [illegible] العقل فانه
اوجد صورة النفس فيما افاض عليه المبدا الاول من الانوار العقلية في المادة
الصادرة عن الباري تعالى وهي الجوهر المرسل واما النفس فانها صنعت الطبيعة

في المادة

في المادة التي صدرت عن العقل بالقوة التي فيها من العقل واما الطبيعة
فانها فعلت في المواد الثانية والثالثة وغيرها مع حركة منها واستعداد
من مادتها ومن ذلك ان ايجاد جوهر الذوات ونفخ الاشياء واصل وجود
العالم انما اختصت بان يكون اول فعل من الباري وكل ما يكون بعد هذا
الاصل فانما هو من فروع وعرض من الافعال الثانية والثالثة الى ما شاء الله وكل
فاعل من الفواعل الذي بعد الباري جل شانه فانما فعله لتلك الفروع لذلك
الاصل وهذه المحمولات لذلك الوضع فجميعها فاعلة لصورة الاشياء والله تعالى
والله الخالق اللطيف الجليل فاعل الذوات الاشياء وحقايقها فهو لطيف
جليل لهذا المعنى ويحتمل ان يكون هذه العبارة بيانا للطفه سبحانه بمعنى
خلقه للخلق اللطيف كما ان خلق النبات اللطيف والحيوان لبيان هذا
وذلك لان ذات الشيء من خلق مواده والطفها اذ الظاهر من كل شيء صنعه
قلت جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق قال عليه السلام ان كل صانع
شيء فمن شيء صنع والمقصود ان غيره تعالى يتصف بالصانعية والخالقية
وقد تقرر بالدليل العقلي والاجماع ان لا خالق سوى الله تعالى قال عز
من قائل هل من خالق غير الله سال السائل عن وجه التوفيق بين الحكمين
المتنافيين فقال هل يكون غير الخالق الجليل تعالى موجودا يوصف
بالخالقية طلبا لعلية [illegible] غيره يوصف بذلك ومع هذا الانضمام هناك
ولا تناقض في ذلك لما يعرفه اطلاق الخالق على غيره تعالى فنبه عليه
بقوله قال ان الله تبارك وتعالى يقول تبارك الله احسن الخالقين
فقد اخبر ان في عباده خالقين وغير خالقين ههنا في الدنيا وليها
ان الظاهر من الاية هو اثبات الخالقين واما اثبات غيرهم فلعلما يستفاد

من تخصيص الاضافة الى الخالقين ولا لم يكن لذكر الخالقين ولما
فايدة لو كان جميع عباده خالقين وايضا الخالق على الاطلاق يستدعي
مخلوقا كذلك ولا يوجد الوسط بدون احد الطرفين وثانيهما ان معنى
التفضيل ههنا وفي الاوصاف الاخر له تعالى كارحم الراحمين واسمع
السامعين وامثالها ليس لبيان الزيادة في حسن الخالقية وغيره
ولا لكثرة مخلوقاته بالنظر اليهم ولا لانه ليس في خالقيتهم حسن اذ هم
يتفاوتون في حسنها بحسب الاحكام والدوام ومعا بل لانهما بالبيان
انهم انما يخلقون بما جعل الله فيهم من اداة الخلق والقدرة عليه وان
خالقيته سبحانه انما الحاط بخالقيتهم بمعنى ان هذه الصفة التي فيهم
انما هي اثر من تلك الصفة الشريفة بل وفي النظر الادق ليسوا الا مظاهر
تلك الصفة العليا بمعنى ان خالقيته هو اعطائه صفة الخالقية للخالقين
كما ان عالميته هو انه وهب العلم للعالمين وبالجملة فعيسى عليه السلم
ما خلق اذ خلق بل الله خلق كما قال سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ناجى عليا عليه السلم ما
انتجيته ولكن الله انتجاه ومن هذا اندفع التناقض المذكور ثم انها
ان بالاية الشريفة انما ثبت مجرد الخالقين على الاجمال اذ كلمة التفضيل
وان لم يستلزم الزيادة لكن يستدعي المفضل عليه لا محالة فاشار
عليه السلم الى تفصيل الخالقين بقوله منهم عيسى بن مريم عليه السلم خلق من
الطين كهيئة الطير باذن الله فنفخ فيه فصار طيرا باذن الله
الغرض من الاستشهاد وهو صحة اطلاق الخالق على غير الخالق الجليل
تبارك وتعالى وان كان الخالق على الحقيقة في هذه الصورة ايضا هو

الله

هو الله المنفرد بالخلق كما حققنا في الفاتحة الثانية كهيئة الطير اي مثل
صورته فصار طيرا اي حيا طايرا واعلم ان الجار والمجرور في باذن الله في
اول هذا الخبر متعلق بالخلق واما في آخره وفي الاية الكريمة فاما متعلق
بالنفخ او بالصيرورة والمكنونة فعلى الاول يكون النافخ نفخا نونا الى في
النفخ فيكون الطاير عن النافخ باذن الله وعلى الثاني يكون التكون
للطاير عن امر الله وسر ذلك ان عيسى عليه السلم خلق من ماء محقق هو ماء مريم
عليها السلم ومن ماء متوهم سرى في طوية النفخ اذ النفخ من صورة البشر رطب
لما فيه من ركن الماء فكان عيسى عليه السلم يحيي لانه روح الحق فالاحياء لله تعالى
والنفخ لعيسى عليه السلم كما كان النفخ لجبرئيل عليه السلم والكلمة لله فاحيا الموتى
كان منه بها وانما كان شان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية فيكون
النفخ منه والكون بامر الله ولكونه عليه السلم من الماء المحقق نسب اليه الاحياء
والتكوين على التحقيق فالنفخ باذن الله والكون منه ومع ذلك فلا ينافيه
ان يكون من الله كما في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى اثره
من الجهة التي اثبته فانهم والسامري خلق لهم عجلا جسدا له خوار
قوله والسامري عطف على عيسى عليه السلم اي ومنهم السامري والخوار صوت
البقر كما ان الرغاء للابل والثواج للكبش واليعار للشاة والصوت والخلق
والكلام للانسان اعلم ان من خصايص الارواح انها لا تطأ شيئا
الا سرت الحيوة فيه كما ورد في الاخبار لانها من عالم الحيوة ولها الحيوة الذاتية
وانما العرضيات من لوازم الذاتيات ولذلك تعلمنا ان الاجسام السماوية
احياء لانه ليس فيها موضع قدم الا وفيها ملك راكع او ساجد والسامري
قد علم ببركة صحبة كليم الله عليه السلم هذا المعنى فلما عرف ان جبرئيل عليه السلم راكب فرسا

عسكر موسى عليه السلام على شاطئ البحر علم ان الحيوة قد سرت فيما وطئه فقبض
قبضة من اثر الرسول بالتثليث او الضاد اي بملء اليد او باطراف اصابعه
فنبذها فيما صيغ على صورة العجل من زينة القوم فسرت الحيوة فيه فخار
العجل ولو اقامه على صورة اخرى من الحيوان لحصل منه الصوت الذي يقتضيه تلك
الصورة وذلك القدر من الحيوة السارية في الاشياء يسمى لاهوتا والمحل
القايم به ذلك الروح يسمى ناسوتا ولو سمي الناسوت روحا لكان باعتبار
ما قام به وبالجملة فقد نسب الخلق الى السامري مع ان الاحياء في الحقيقة
من الله تعالى وفي الخبر انه فيما ناجى موسى ربه ان قال يا رب هذا السامري
صنع العجل فالخوار من صنعه فاوحى الله اليه يا موسى ان تلك فتنتي فلا تفحص
عنها وفي رواية قال يا رب ومن اخار الصنم فقال الله يا موسى انا اخرته
فقال موسى ان هي الا فتنتك وفي تفسير العياشي قال لما ناجى موسى عليه السلام
ربه اوحى الله تعالى اليه ان يا موسى قد فتنت قومك قال بماذا يا رب قال
بالسامري قال وما صنع السامري قال صاغ لهم من حليهم عجلا قال يا رب
ان حليهم لتحتمل ان يصاغ منه غزال او تمثال او عجل فكيف فتنتهم قال انه
صاغ لهم عجلا فخار قال يا رب ومن اخاره قال انا فقال عندها موسى ان هي
الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قلت ان عيسى خلق من
الطين طيرا دليلا على نبوته والسامري خلق عجلا لنقض نبوة موسى
صلى الله عليه وشاء الله ان يكون ذلك كذلك ان هذا لهو العجب لا شك
ان في الصورتين تقدير الهيئة وتصوير الصورة انما هو من فعل البشر
لكن الاحياء من الله سبحانه فتعجب السائل واستفهم انه كيف يكون
ذلك اذ الصورة الاولى انما هي للهداية والدلالة على النبوة والثانية

لنقضها

لنقضها فاني يكون هي ايضا بمشية الله وكيف يكون الاحياء منه تعالى
فبين له الامام عليه السلام الطريق الحق والصواب في هذه المسئلة العويصة وبين ذلك
بتحقيق الارادة والمشية واحال استنباط الجواب عنه الى فهم السائل
كما حكى السائل عنه بقوله قال ويحك يا فتح ان لله ارادتين ومشيتين
ارادة حتم وارادة عزم ينهى وهو يشاء ويامر وهو لا يشاء الارادة
الحتمية هي المتعلقة بايجاد اوائل الموجودات واصول الكون والفساد
كالمواد والطبايع والحركات وغيرها مما يجب في النظام الحكم ان يكون
ولا يمكن ان لا يكون والارادة العزمية هي المتعلقة بالامور المتسببة عن الحركة
واستعداد المادة فاذا استعدت المادة بسبب اختلاف الحركات وتصادم
الاوضاع وتناظر الاسباب وارتفاع الموانع وتحقق الشرايط لصورة من
الصور الكونية فان الله واهب تلك الصورة لهذه المادة لانه عز شانه
قد حكم على نفسه بمقتضى جوده حكما كليا انه يهب كل مستحق ما يستحقه
ويعطي كل ذي حق حقه فارادته تعالى لوجود تلك الصورة ليست حتما
ولذا ما تخلف عنها المراد في بعض المواد التي تصادم المانع ايجاد الارادة
لا ارادته الحتمية ولا معقب لمشيته الواجبة وان كانت يصير حتما عند حصول
الشرايط وارتفاع الموانع بمقتضى الحكم الكلي الذي ذكرنا اذا دريت ذلك
ففي الصورة المذكورة نقول انه سبحانه نهى عن اتخاذ الالهة المعبودة دونه
وعن كل ما يصد عن سبيله لكنه اراده بالارادة العزمية انه ان قبض السامري
قبضة من اثر الرسول ونبذها فيما صيغ على صورة العجل ان يخور فالخوار
بالارادة الحتمية لا انه مع وجود الشرايط والصيغة والنبذة بالارادة العزمية
وذلك لان الله يابى ان يجري في ملكه الا ما يشاء وهو سبحانه منزه عن الظلم

والفحشاء فهو سبحانه نهى وشاء خلافه بالارادة العزمية ولم يأمر وهو
لا يشاء المأمور به كذلك فلو كانت حتمية لامتنع النهي في الاولى والامر
في الثانية وكفانا ههنا ما سيأتيك ان شاء الله في اواخر الكتاب ما يزيدك
علما وايمانا او ما رأيت انه نهى آدم وزوجته عن ان يأكلا من الشجرة
وهو شاء ذلك ولو لم يشأ لم يأكلا ولو اكلا لغلبت مشيتهما مشية
الله ثم انه عليه السلام اراد التوضيح والتبيين فمثل للصورة الاولى اي النهي مع
مشية الخلاف بحكاية ابينا آدم عليه السلام لان الله جل مجده نهاه وزوجته
عن اكل الشجرة وهو عز شأنه شاء بالارادة العزمية انهما ان ارادا اكلها ان يأكلا
فبعد ارادتهما تم الانعطاف والايصال الى الفم وتحريك العضلات ووجب
الفعل وحصلت الارادة فهو سبحانه شاء اكلهما ولو لم يشأ اكلهما بالارادة
العزمية لم يأكلا ولم يتحقق الارادة الحتمية اذ لو اكلا مع مشيته سبحانه
عدم اكلهما كما هو ظاهر النهي لغلبت مشيتهما مشية الله وامر ابراهيم
مشية الله عز وجل بذبح ابنه عليهما السلام وشاء ان لا يذبحه ولو لم يشأ
ان لا يذبحه لغلبت مشية ابراهيم مشية الله عز وجل مثل للثانية
وهي الامر بالشيء مع مشية عدمه بحكاية ابراهيم عليه السلام حيث امره الله
تعالى بذبح ابنه لكن شاء عدم ذبحه اذ لو لم يشأ عدم ذبحه لكان
يشاء ذبحه على ما هو مقتضى الامر والا لزم العبث ولما لم يقع الذبح كما هو
مشية ابراهيم عليه السلام بحسب محبة الولد بحكم الطبع والجبلة فلو ان الله
شاء ذبحه لزم من ذلك غلبة مشية ابراهيم عليه السلام مشية الله تعالى بالجملة
المقرر في شرح الايمان وبناء البرهان انه لا يكون شيء في الارض ولا في
السماء الا بمشيته وارادة من الله تعالى اما عزما كما في الحوادث الكونية

والامور

والامور الجزئية وانما حتما كما في المصالح الضرورية والحكم الواجبة
اما انه لا يكون شيء الا بمشيته سبحانه بقسميها فلان ذات الامور انما
يستند اولا الى النفس الكلية او النفوس الجزئية وهما مظهر المشية الحتمية
والعزمية واما انه لا يكون شيء الا بارادته تعالى بقسميها فلانه كل ما في
الكون فانما يكون ثانيا من فعل الطبيعة الكلية والعناية الالهية بنظام
الخير والطبايع الخاصة وهي سنة الله في عباده ومظهر صفة ارادته كما
في توحيد المفضل فاعرف ثم اعلم ان في هذا الكلام منه عليه السلام ابطالا لمذهب
من زعم ان الارادة يجب الفعل وانها عين الذات في الباري القيوم جل
جلاله اما الاول فلان تقسيمه عليه السلام الارادة الى العزم والحتم ينفي كونها
حتما مطلقا كما يقولون وذلك ظاهر واما الثاني فلان ارادة العزم انما
يتعلق بالمتقابلين بمعنى انه واني هذا المراد وذلك السبب للثالث
فان الارادة قد تعلقت بوجود معان لم يكن بوافيها وعلى ما نعانا فانها
متعلقة بعدم كونه ولا شك ان ارادة المتقابلين متقابلان بالعرض
والمتقابلان مطلقا لا يجتمعان فضلا عن ان يكونا عينا والبطلان
للارادة العينية تطرق عقلية خصنا الله بفهمه وسيجيء بعضها في باب
الارادة وبعضها في شرح حديث سليمان المروزي في اواخر الكتاب ان شاء
الله قلت فرجت عني فرج الله عنك غير انك قلت السميع البصير
سميع باذن وبصير بالعين اي هو سميع باذن وبصير بالعين على حذف
اداة الاستفهام وفي النسخ لفظ الاذن منكر والعين معرف فقال
انه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع بصير لا بعين مثل عين المخلوقين
وسميع لا بمثل سمع السامعين اي انه سبحانه يسمع بالذات التي بها يبصر ويرى

بالتي بها يسمع لا انه شيء والذات اخرى وانه يسمع بغير الذي يبصر به حيلتي بصير
لا بعين ويسمع لا بمثل بيان الجملتين لما يقتضيها ان يسمع بما يبصر ويرى
بما يسمع على خلاف الترتيب وكلا الجملتان لاولى لان الاولى كانتا كافيتين
في بيان انه ليس سميعا باذن وبصيرا بالعين فوجه ذلك الاستيناف انه
قد ثبت في مدارك اهل العرفان ان النفس الناطقة وبالجملة الامور العالية المجردة
عن المادة انما يسمع ويبصر ويقوى على افاعيلها المنتقشة بقوة ما جعلت
هي نفس ذواتها لا ان لها قوى مختلفة في مواضع متشتتة او متحدة
فلما قال عليه السلم ان الله سميع بالذات التي بها يبصر وبصير بالتي
يسمع توهم اشتراك تلك الامور العالية مع الله سبحانه في هذه
الصفة فازال عليه السلم ذلك التوهم بان الامور العالية وان كانت تلك
الا ان فيها هذه الصفات زائدة على الذات وحيثيات عارضة
للهيئات واما في الباري جل مجده فعلى نحو اعلى من ذلك فهو بصير لا بعين
مثل عين المخلوقين فان المخلوق بصير بالعين التي هي امر زائد على ذاته
سواء كان ذلك بتوسط الالة او بنفس الذات التي هي جهة واحدة وبين
ذلك ثانيا بقوله لكن بما لا يخفى عليه خافية من اثر الذرة السوداء
على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء تحت الثرى والبحار قلنا
بصير لا بمثل عين المخلوقين الباء للسببية المتعلقة على المسبب
وهو قوله قلنا فبين عليه السلم ان قولنا بصير لا بمثل عين المخلوقين
هو ان ليس لها هنا اي في المبدأ الاول جل شانه جهة اختلاف صفة
ولا عينية نعت بل هو راجع الى سلوب النقائص فنحن نقول ان
الله بصير بسبب انه لا يخفى عليه اثر النملة السوداء على الصخرة الصماء

اي الصلبة

اي الصلبة المصمتة في الليلة الظلماء تحت الثرى والبحار ولعل الثرى
هي الطبيعة الطينية المختلطة بالماء وهو في تخوم الارض ولم تشتبه
عليه ضروب اللغات اصنافها والسمع في الموضعين مصدر اي لم يشغله
ولم يمنعه سماع صوت عن سماع اخر اذا اجتمعت الاصوات بل يسمع كلها
سماعا واحدا قلت جعلت فداك قد بقيت مسئلة قال هات لله
ابوك هات بالبناء على الكسر اسم فعل بمعنى اعطني ولله ابوك مبتدأ وخبر
على حذف المضاف واعراب المضاف اليه بحركته اي ولله مغفرة ابيك قلت
يعلم القديم الشيء الذي لم يكن ان لو كان كيف كان يكون
قال ويحك ان مسائلك لصعبة ويح كلمة زجر وصعوبة المسائل من جهة
ان طريق العلم بالشيء اما بحصول ذاته او بحصول صورته او باتحاده
مع المدرك والشيء الغير الكائن سواء كان ممتنعا بالذات او بالغير
لا ذات له ولا صورة له ولا معنى لاتحاد المعدوم مع الموجود ولما كان ابيا
العقل لذلك في غاية الصعوبة بحيث يفهمه كل احد اجاب عليه السلم بايراد
ايات من القران المجيد اذ الذي لم يكن اعم من ان يمكن ان يكون او يمتنع
فذكر لاثبات العلم بالذي لم يكن ويمتنع ان يكون بقوله سبحانه لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله تعالى ولعلا بعضهم على بعض
وذكر للشيء الذي لم يكن ويمكن ان يكون بقوله تعالى ولعلا بعضهم
على بعض وذكر للشيء الذي لم يكن ويمكن ان يكون بقوله تعالى ردا
على اهل النار ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فقال اما سمعت
الله يقول لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا سيأتي بيان
الاستدلال بذلك ان شاء الله وقوله ولعلا بعضهم على بعض هذا

ولم يشغله سمع عن سمع كما سمع
لا يشتبه الاصوات ضروب اللغات

استدلالا آخر على نفي الشريك لله عز وجل وبيانه بحسب ما اجمل مع
انضمام ما قبله وهو قوله عز وجل اذاً لذهب كل اله بما خلق انه لو كان
لله شركاء فلا يخلو اما ان يكون هؤلاء الحقايق مختلفة لا ترتيب ولا
ارتباط بينها او يكون بينها ترتيب وارتباط سواء في ذلك ان يكون
مشتركة في ذاتي او ذاتي او عرضي او لا فان كان الاول لغلبه ذهب كل
اله بما خلق ولا انفصال بين تدبيراتها والمشاهدة على خلافه وان كان
الثاني فقد علا بعضهم على بعض فالاعلى يصلح للالوهية دون غيره
وقال تعالى حكاية قول اهل النار ارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه المقصود ههنا الاية الثانية وهي
قوله ولو ردوا الآية وذكر الاية الاولى ليعلم ان الرد الذي سألوه انما
هو الى الدنيا والمعنى وقال سبحانه حاكيا قول اهل النار وهو قولهم
ارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وقوله وقال كانه
عطف على مقدر اي فرد عليهم فقال لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لخبث
طينتهم وسوء اختيارهم وهذا مثال الممكن الذي لا يكون ولما تحقق
الجواب بحيث يندفع به الشبهة المعروضة فيه تحقيق علم النفس الناطقة
بالامور الغير الموجودة ممتنعة كانت او ممكنة ويظهر منه بالمقايسة
علم ما فوقها فاعلم ان علم النفس بهذه الامور انما هو بانها قد علمت
الشرايط لزيد في المثال او في الذات او في الاعراض وعلمت ايضا ان للعالم
مبدا اولا ليس كمثله شيء وللقوة المتخيلة اقتدار على تركيب الامور
وتحليلها كما لا يخفى فلها ان يركب الشرايط الذي اخذه لزيد مثلا
في الذات وغيرها مع الله الذي علم من شهادة الاثار فيحكم بالشراكة

فيحتاج

فيحتاج الى التعبير بالبراهين الساطعة على ان الذي حكم به تلك القوة لا ذات
له في الخارج هذا في علم النفس الناطقة ثم اعلم ان القرآن الذي هو عبارة عن
مجموع الحقايق الالهية تنزل اولا في اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب
المبين وهو عبارة عن النفس الالهية الكلية من مراتب الالواح المطهرة
والارواح العالية الى ان بلغ الى درجة الشهود وهي مرتبة النفوس الانسانية
فاكتسى في تلك المرتبة كسوة الالفاظ والعبارات فانصبغ بحكم هذه
المرتبة كما هو شان التنزل في المراتب المتنازلة والله ولي العصمة
ولا رخصة في الزيادة فقد علم الشيء الذي لم يكن ان لو كان كيف
يكون هذه نتيجة ما استدل به من الايات وصلاة الله عقيب هذه الايات
قد علم الشيء الذي لم يكن وهو الشريك في الايتين الاوليين والرد في الثالثة
ان لو كان كيف يكون حيث حكم بانه لو كان في الوجود لله شركاء لفسد النظام
واختلت الاحكام ولذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وانه
لو كان هؤلاء الكفار مردودين الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه فقمت
لاقبل يديه ورجليه فادنى راسه فقبلت وجهه وراسه وخرجت
وبي من السرور والفرح ما اعجز عن وصفه لما تبينت من الخير
والحظ ادنى من الدنو وهو القرب وقوله لما تبينت قرئ بالتشديد
وبالتخفيف وصيغة التبيين كالاستبانة قد يجي متعديا ولازما
يقال استبنته وتبينته اذا علمته واستبان لي وتبين لي اذا ظهر لي
وههنا استعملت متعدية وضمير المفعول العايد الى الموصول محذوف
والحظ النصيب والمص رحمه الله بين معنى الارادة والمشية في قصة
آدم عليه السلم فقال في هذه العبارة بعد تمام الحديث قال المصنف هذا الكتاب

ثم تنزل منها بمراتب الالواح الى ان انتهى الى
بعد ذلك الحقيقة الرقيقة الالهية صح

ان الله تبارك وتعالى نهى آدم وزوجته عن ان يأكلا من الشجرة وقد علم انهما
يأكلان منها لكنه عز وجل شاء ان لا يحول بينهما وبين الاكل بالجبر والقدرة
كما منعهما من الاكل منها بالنهي والزجر فهذا معنى مشيته فيهما ولو شاء عز
وجل منعهما من الاكل بالجبر ثم اكلا منها لكانت مشيتهما قد غلبت مشية
الله كما قال العالم عليه السلام تعالى الله عن العجز علوا كبيرا انتهى فقد فسر المشية
والارادة بالعلم وقد عرفت الحق في ذلك فتذكر **الحديث الثامن عشر** باسناده
عن سهل بن زياد عن ابي الحسن علي بن محمد عليهما السلام المراد بابي الحسن عليه السلام الثالث
وهو الهادي عليه السلام انه قال الهي تاهت اوهام المتوهمين وقصر طرف
الطارفين وتلاشت اوصاف الواصفين واضمحلت اقاويل المبطلين
عن الدرك لعجيب شأنك والوقوع بالبلوغ الى علوك فانه ضمير
والاوهام اوهام العقول والطرف النظر بالعين وتلاشى الشيء تفاعل من لا شيء
ولشدة امتزاج الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة فاشتق منها الصيغة
وفيه اشارة الى ان اوصاف الواصفين ترجع الى السلوب والجار والمجرور
متعلق بالافعال المذكورة واضافة العجيب الى الشأن من قبيل اضافة
الصفة الى الموصوف فانت الذي لا تتناهى ولم تقع عليك عيون
باشارة ولا عبارة هيهات هيهات لا تتناهى اي لا تحد بحد
ولا تنتهي الى حد ينتهي اليه الشيء موجود او متوهم فلا يصح ان يقال ان بين
العالم وبين الله مقدار متوهم ولا ان يقال ان وجوده الازلي ينتهي الى
مرتبة وجود اول المخلوقات بل احاط بكل شيء فلا يوجد مرتبة وجود
الا وهو محيط بها من حيث لا يعلمه الا الاخصون والعبارة بمعنى ما يعبر به
عن الشيء والمراد بالعيون اعم من عيون الابصار وعيون القلوب والعقول

فكما

فكما انه لا يشير اليه تعالى العين الحاسة لشأن حسية ولا يعبر عنه بمثال
وشبح او صورة كذلك عين العقل لا يشير اليه اشارة عقلية ولا يعبر عنه باسم
معقول مدرك ولا ماهية معلومة اذ لا يحيطون به علما ولا يجدون الى ذي
العرش سبيلا يا ازلي يا وحداني يا فرداني كلمة يا للمجرد تصحيح للوصف
والاشتقاق لا للنسبة شمخت في العلو بعز الكبر وارتفعت من وراء
كل غورة ونهاية بجبروت الفخر اي علوت نهاية العلو بحيث استهلك
الكل لديك علوا بعز الكبر والعظم المقداري ولا بقيام صفة العلو بك
بل بتقدس ذاتك العلي وارتفعت من عقب كل انخفاض وغور ومن بعد كل حد
ونهاية بجبروت الممتدح بالنعوت الجلالية والاستجماع للاوصاف الكمالية
وذلك لازم من الله كل غورة وانخفاض ان يكون جهتا علو وارتفاع
ولما لم يتحقق الانخفاض كما لا يخفى وكذلك كل ذي نهاية من الامور المقدارية
او غيرها من الامور المخلوقة المعلولة فانه ينتهي الى شيء اما مقدار اخر
على الاول او علة على الثاني وهو سبحانه غاية الغايات واليه تنتهي النهايات
الحديث التاسع عشر باسناده عن جابر الجعفي قال جاء رجل من علماء اهل
الشام الى ابي جعفر عليه السلام فقال جئت اسألك عن مسألة لم اجد احدا
يفسرها لي وقد سألت ثلثة اصناف من الناس فقال كل صنف غير ما قال
الاخر فقال ابو جعفر وما ذلك فقال اسالك ما اول ما خلق الله عز وجل
من خلقه فان بعض من سألته قال القدرة وقال بعضهم الروح كلمة
العلم وقال بعضهم
من في قوله من خلقه متعلقة بخلق لا بيان للموصول وهذا مثل قولك
ما اول ما خلق الله من زيد فيقال النطفة التي هي جميع الاعضاء والقوى
منها فيكون سؤالا عن اصل الكون فلهذا عد الامام جميع ما قيل فيه خطأ

ولم يقنع السائل بما قيل في جوابه من الاقوال والافكار وجعل يطلب
من الاخبار فقال له عليه السلام ما قالوا شيئا اي حسبوا ان سؤالك — ابو جعفر ع
عن اول المخلوقات والصواب فاجابوا بذلك ولم يعلموا انك سألت
عن اصل الكون والخلق ولا يكفي ان يقول ما اول ما خلق الله
من غير التقييد بقوله من خلقه اخبرك ان الله علا ذكره كان ولا شيء
غيره وكان عزيزا ولا عز لانه كان قبل عزه وذلك قوله
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وكان خالقا ولا مخلوق
اعلم ان مبادي الكون ثلثة العدم والهيولى والتغير لكن الاخير يختص
بالمحدث والاولان للمكون والمحدث فالامام عليه السلام ذكر الاولين
لانهما العام لجميع المكونات والمحدثات فاشار الى المبدا الذي
هو العدم بقوله ان الله علا ذكره كان ولا شيء غيره ثم بين ان هذا
العدم كما هو متقدم على المخلوقات كذلك متقدم على الاسماء والصفات
اذ هي ايضا من جملة مخلوقاته بدليل قوله سبحان ربك رب العزة
اذ رب الشيء هو الذي يربه ويملكه فيكون المربوب غير الرب وغير
الرب تعالى مخلوق واشار الى تقدم العدم على الخلق بقوله وكان
خالقا ولا مخلوق وانما اخره عن بيان العزة لانه لما ظهر من الاول
انها مخلوق مربوب حكم بانها كساير الخلق في تقدم العدم عليه
ثم اشار الى المبدا الذي هو المادة بقوله عليه السلام فاول شيء
خلقه الله من خلقه الشيء الذي جميع الاشياء منه وهو الماء
ووجه التعبير عنه بالماء وهو القابلية للصور والاعراض والطبوع
لما اراد منه الصانع الحكيم المنزه عن العلل والاغراض ومعنى كون جميع

الاشياء

الاشياء منه هو امكان الاشياء المكونة والمحدثة ووجوبها عن المادة
ولو لم يكن امكانها ووجوبها عن المادة فلم يكن يمكن ويجب عنها فيجعل
ان تكون ذاتها ووجودها هف فكل ما كان ذاته ووجوده عن شيء
فامكانه ووجوبه عنه بمعنى انه يمكن ويجب ان يكون من فاعله لكن عن
ذلك الشيء فالهيولى لكل شيء بالقوة كما نقل عن اساطين الحكمة فقال
السائل فالشيء خلقه من شيء او من لا شيء فقال خلق الشيء لا من شيء
كان قبله تقرير السؤال انه قد ظهر ان هذا الشيء الذي هو المبدا
هو الذي خلق منه جميع الاشياء فكون هذا المبدا اما عن شيء كما هو حكم
ساير الاشياء التي ابتدائه منه او عن لا شيء لا سبيل الى كونه من لا شيء
اذ العدم الصرف لا يكون مادة لشيء فبقي ان يكون من شيء فحق ذلك ابطال
كون الماء مادة اولى وتحرير الجواب ان الحصر المذكور ليس بجامع اذ ههنا
احتمال آخر وهو الخلق لا من شيء بيان ذلك ان كل ما هو ذاته ووجوده
قائما في شيء فذاته ووجوده وكونه عنه كما ان امكانه ووجوبه عنه
واما ما لا يكون ذاته قائمة في شيء فليس ذاته وكونه عنه ولا امكانه ووجوبه
عنه بل امكانه ووجوبه اي اقتضائه وجوده لا نعيد عن فاعله انما
هو من نفسه والماء الذي هو المادة لجميع المكونات كذلك فلا يكون
كونه عن شيء بل هو موجود بفاعله لا عن شيء اذ فوقه هو فاعله لا على
بذاته لا يكون علة الكون اذ علة الكون حامل لامكان الشيء ووجوبه
ومحل لوجوده والفاعل بذاته يمتنع ان يكون كذلك ثم انه لما كان
من البين استحالة كون الشيء عن لا شيء لم يتعرض الامام عليه السلام لبيان
استحالته وذكر امتناع كون مبدا الكون عن شيء بقوله ولا خلق الشيء

لان ذواتها ووجوداتها عنها اذ لا يمكن للاشياء ماهية ووجود بدون المادة مع

لانه يمكن او يجب من الفاعل لا عن شيء اذ قد فرض ان هو انه وجوده عن ذلك الشيء

من شيء اذ لم يكن له انقطاع ابدا ولم يزل الله اذا ومعه شيء والحاصل ان
شقوق ايجاد غير المكون ثلثة والسائل ذكر منها اثنين فاجاب الامام
عليه السلام باختيار الثالث وابطل القسمين اللذين ذكرهما السائل والحاصل
واحد منهما الى الظهور لبداهة استحالته وذكر ابطال ثانيهما بلزوم
التسلسل المستلزم لان يكون مع الله شيء في ازله لانه اذا كان الايجاد
بان يكون شيء عن شيء وهكذا من دون ان يكون ينتهي الى شيء موجود
بالجعل البسيط المتعلق بعلل قوامه وبنفس هويته لم يكن ينقطع الامر
الى علة القوام والى الفاعل الذي هو فاعل الذات بذاته فيكون لم يزل
الله ومعه شيء وقد ثبت انتهاء العلل الكونية والقوامية كلها الى فاعل
بذاته والمادة لما لم يكن ذاتها ووجودها قائمة في شيء فيكون امكانها
ووجوبها اي اقتضاؤها لان يوجد من فاعلها عن ذاتها اذ هي
قابلة محضة فيحتاج الى فاعل تفاعلها اما فاعل بالذات وهو
ان يكون فاعلا في نفسه وموصوفا بالفاعلية حقيقة لا بسبب اتصاف
امر اخر بها او بالعرض وهو ما بخلافه والفاعل بالعرض يجب ان يستند
الى فاعل بالذات ضرورة والفاعل بالذات اما فاعل بذاته وهو الذي
لا يكون فاعلا بسبب امر ولا لاجل امر واما فاعل بغيره وهو ما بخلافه
والفاعل بالذات وبغيره يجب ان يستند الى فاعل بالذات وبذاته
فوجب ان يكون فاعل الهيولى فاعلا بالذات وبذاته اما بلا واسطة
او معها والفاعل بذاته لا يمكن ان يكون علة القوام لان علة القوام
محمولة على ما هي علة له والفاعل بذاته ليس كذلك ولا يمكن ان يكون
كذلك فبالجملة الكائن يحتاج الى علة الكون بكونه محل وهو الهيولى وعلة

علة الكون لا ان علة الكون يكون محل المكون والفاعل بذاته يمتنع ان يكون صح

الكون

الكون يحتاج الى علة القوام وعلة القوام يحتاج الى فاعل بذاته الذي
ليس هو علة قوام ولا علة كون لشيء فلا يتيقا لكان نفس الشيء لاجل ذلك
افاد عليه السلام انه لو كان علة الكون التي هي المادة محتاجة الى علة كون اخرى
لتسلسل الامر ولم يذكر شقا اخر وهو ان يكون علة الكون للهيولى
هو الباري تعالى لاستحالة ذلك على ما قلنا من ان الفاعل بذاته
لا يمكن ان يكون علة الكون فتثبت ولكن كان الله ولا شيء معه
فخلق الشيء الذي جميع الاشياء منه وهو الماء هذا كالنتيجة
للمباحث المذكورة تاكيدا للبيان توضيحا لما ذكره في العنوان متم
ذكرها
العشرين باسناده عن ابراهيم بن عبد الحميد قال سمعت ابا الحسن عليه السلام
يقول في سجوده يا من علا فلا شيء فوقه ودنا فلا شيء دونه اغفر لي
ولاصحابي وانا اقول يا مسكين اذا كان علوه بحيث لا يكون فوقه شيء
ودنوه بحيث لا يكون شيء بعده اذا كان دون بمعنى بعد ولا شيء اقرب
منه في السفل اذا كان بمعنى الاقرب وقد ثبت انه الصمد الذي لا جوف له
فاين الشيء وسيجيء في معنى الله اكبر انه ليس معناه انه اكبر من كل شيء تعالى
بانه اين هيهنا الشيء وقد قيل في النظم العربي ٭ يا ضوهنا القبلو اشطري
ادلكم ٭ على الذي تطلبون مدة العمر ٭ اعني الذي فرقتكم دار فيكم ٭
مغيرا بلباس السود والتمر ٭ فتعالى الله عما يشركون وعن كل ما يصفون
الحديث الحادي والعشرون باسناده عن محمد بن سنان عن ابي عبد الله
قال عليه السلام قال ان في الربوبية العظمى والالهية الكبرى لا يكون الشيء لا من شيء
الا الله ولا ينقل الشيء من جوهريته الى جوهر اخر الا الله ولا ينقل الشيء
من الوجود الى العدم الا الله قال في خواص المرتبة الربوبية والمرتبة الالهية

وقد دريت ان الاولى عبارة عن الفاعل الصانع على وفق الحكمة في المادة
المصنوع المخصوص عن الصنائع الربوبية والثانية عبارة عن الفاعل الحكيم الذي
يفعل بلا مادة ولهذا وصف الاولى بالعظمة والثانية بالكبرياء اذ العظمة
في الصفات والكبرياء بحسب الذات وذكر عليه السلام الفرق بين المرتبتين ثلث
خواص فالاولى للمرتبة الالوهية والثانية للمرتبة الربوبية والثالث مشترك
بينهما اما تكوين الشيء من لا شيء فانما هو في الفاعل الذي فوق النفس وهو مظهر
الاحكام الالهية الكبرى واما نقل الشيء من جوهريته الى جوهر اخر فانما هو في
النفس التي تعطي الصورة الفائضة عنها على المادة حسب حركة المادة على
نحو الاستكمال لان الجوهر يترقى فيه بيان ان النفس هي مظهر اثار الربوبية العظمى
واما نقل الشيء من الوجود الى العدم فانما يصح ذلك من فاعل الوجود حسب
اقتضاء المادة لانعدام الشيء الذي يقتضي الوجود وبقائه دون مادة تحامله
فانما يستحيل انعدامها بالذات وبالجملة فاعل الوجود هو الله سبحانه لا غير
ثم اعلم ان في قوله لا ينقل الشيء من جوهرية الى جوهر اخر الا الله تصريح
بالحصر وانما يصح ذلك اذا كان النقل بمعنى الحركة باصطلاح الالهيات
وهي التغير المطلق الشامل للتدريجي والدفعي وكذا يصح اذا كان المراد به
الدفعي اذ لو كانت الحركة التدريجية لا تقع في الجوهر لما اختص بالمبدأ الاول
بل يكون كسائر الحركات التدريجية في المقولات الموجودة فانما يتاتى من
القوى اعني الطبيعة فتبصر **الحديث الثاني والعشرون** باسناده عن ثامن الائمة عليه
الصلوات عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن ابيه عن ابائه عن امير المؤمنين عليهم السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله جل جلاله ما آمن بي من فسر
برأيه كلامي وما عرفني من شبهني بخلقي وما على ديني من استعمل القياس

في ديني

في ديني اعلم ان للشيء وجودا في الكتابة وهو النقوش الدالة عليه ووجودا
في العبارة وهو الالفاظ المعبرة عنه ووجودا في الاذهان سواء في القوة
الخيالية او العقلية ووجودا عند الله المتوحد بالالوهية وكل من هذه
الموجودات مدارك يناسب مرتبتها فالوجود الكتبي واللفظي انما
يدركها القوة الحسية من السمع والبصر لكونهما من الامور المحسوسة والوجود
الذهني انما يدركه القوة الذهنية فان كان خياليا فمدركه القوة الخيالية
وان كان عقليا فمدركه القوة العقلية وهذه كلها امور حادثة مع انها
مما قد يثبت في مدارك العقلاء واما الوجود الالهي فانما يمكن ادراكه بالقوة
الالهية والنفس القدسية المفاضة من الله سبحانه المستفيضة من جل ثنائه
ثم اعلم ان التفسير قد يطلق ويراد به شرح اللفظ وقد يراد به الغرض الموجود
عند المتكلم والمراد ههنا المعنى الثاني فالمفسر لكلام الله انما يبين الغرض
الموجود من هذا الكلام عند الله وذلك انما يتاتى ممن اخذ علمه عن الله وهذا
مما اختص به بعض عباد الله من الانبياء والاولياء والمؤمنين الممتحنين
من شيعتهم الا العباد فمن فسر كلام الله برأيه فهو كافر يخبر عن الله ولا ريب انه
يخبر عن نفسه وليس عنده خبر عن الله فهو مؤمن بنفسه لا بالله فقد ظهر
من ذلك ان الكلام اذا صدر عن اللسان فمحله السمع ثم اذا كان منشأه
الخيال فلا بد في ادراكه من ان يقع في المدارك الخيالية والاسماع الفكرية
واذا كان منشأه العقل فمحله القوة العقلية والاذهان الواعية
واذا صدر عن الله فانما يمكن ادراكه بالقوة القدسية وبان يكون العبد
ممن وصل الى المرتبة المحبوبية التامة المستلزمة لان يكون الله سمعه
وبصره كما ورد في الاحاديث القدسية فتفسير كلام الله انما يكون عند

طائفة وصلوا الى هذه المرتبة ونفوا عن حوالمرهم الاغراض النفسية وهم الائمة
الطاهرة وشيعتهم الفرقة الناجية واما بيان ان من شبه الله بخلقه فليس
يعرفه اولا في معرفته فظاهر لان الله لا شبه له بل معرفته هي انه لا شبه له كما ورد
في الدعاء يا معروفا بغير شبه فمن شبهه بخلقه فلا يعرفه اصلا واما وجه كونه
من استعمل القياس في دين الله خارجا عن دينه فهو ان الدين لغة الطاعة
وهو الاسلام اذ الاسلام هو الانقياد التام لقوله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام والانقياد انما يتحقق بان يكل العبد جميع اموره الى الله ويطيعه
في اوامره ونواهيه المأخوذة عنه اذ لا طاعة لابليس بان تاتي بفعل او تجتنب
عن شيء ظنا منك ان ذلك رضاه بل لابد ان يكون على يقين فيما يهواه وذلك
انما يكون بان تاخذ منه ما هو رضاه فكما ان الله لا يقاس بشيء فلا يصح في
فعله القياس كذلك في دينه والطريق الموصل اليه لا يقاس فالعامل بالقياس
لم يطع الله جل جلاله بل اطاع نفسه وهواه فهو ابليس على طاعة الله سبحانه
بل على طاعة نفسه الامارة **الحديث الثالث والعشرون** باسناده عن داود بن
سليمان الفراء عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن ابائه عن علي عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله التوحيد نصف الدين واستنزلوا الرزق
بالصدقة اما كون التوحيد نصف الدين فلان شرائع الدين اما اعتقادات
او اعمال فالاعتقادات نصف الدين والاعتقادات هو الاعتقاد بالله
الواحد الذي منه ابتدأ الخلق واليه مصير كل شيء وبملائكته وكتبه ورسله
وكل ذلك من التوحيد كما ورد في الاخبار وقد سبق في الباب الاول ان
الاعتقاد بالائمة من شرائط التوحيد واما استنزال الرزق بالصدقة
فقد ورد في المستفيض من الاخبار وتنزل ذلك على ما اراه هو ان الله تأخذ

الصدقات بيده سبحانه كما هو المقرر بمقتضى الايات والاحاديث ومن
المستبين عند العقل ان السافل لا يفيض على العالي شيئا ولا يكتسب
العالي منه امرا فاعطاء العبد الصدقة واخذ الله منه اياها انما هو بمعنى عطاء
من العبد استعدادا وقبولا من الله لذلك الاستعداد وحيث كانت سنة الله جارية
على ان يعطي كل مستعد ما يستعده ويوصل كل مستحق الى ما يستحقه ولا شك
ان اعطاء العبد اذا كان استعدادا فهو استعداد لاعطاء الله اياه كما كان
اذلال اولياء الله استعدادا لاذلال الله اياه وهكذا كل ما يكون من هذا
القبيل فلا محالة يكون اعطاء الصدقة جالبا لاعطاء الله اياه الرزق
فالصدقة علة قابلة موجبة لنزول الرزق اذ قد ثبت في مدارك العقول
الصافية عن الشك والشبهة ان الموجب للشيء في الامور المادية ليس الا
العلة القابلية واما الفاعل فهو الجواد المفيض ان جاد فبفضله والا
فلا يجوز في حكمه **الحديث الرابع والعشرون** باسناده عن داود بن القسم قال
سمعت علي بن موسى الرضا عليهما السلام يقول من شبه الله بخلقه فهو مشرك
ومن وصفه بالمكان فهو كافر ومن نسب اليه ما نهى عنه فهو كاذب ثم تلا هذه
الاية انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون
شرح اما معنى تشبيه الله بخلقه فهو ان يعتقد اشتراكهما في ذاتي او عرضي
سواء في ذلك الوجود والصفات الاخر اذ لا يصح الاستثناء في الضوابط
العقلية سيما ما يجري الدليل فيه بخصوصه واما وجه اشراكه فظاهر لانه
جعل مع الله شريكا في ذلك الامر الذي اعتقد اشتراك الخلق معه واما معنى
الوصف بالمكان فان يعتقد ان الله فوق سبع سموات والحجب او هو
قاعد على العرش متربعا بحيث يئط وتركبنا بحيث يفضل فيه مقدار اربعة اصابع

او هو محمول على العرش مرمها بحيث يجاوز ركبتاه او انه سبحانه في ظرف الازل
وان الازل وعاء يحوي الازليات او انه سبحانه يحل في هياكل اوليائه
وذلك اما صريح في المكان او مستلزم له واما وجه الكفر القائل بها فالكفر كل
لغير هو السر والقائل بالمكان كانه يعتقد استتاره بشيء وهو جل مجده
لا يحجبه حجاب ولا يستره ستر ولا انتقاب واما معنى قول من نسب اليه ما نهى
عنه فهو كاذب فهو ان ينسب اليه عز مجده المعاصي التي نهى الله عباده عنها كما يقوله
اهل الجبر او ينسب اليه الظلم في الاحكام والجزاف في الافعال واما وجه كذب
القائل به فلان الكذب هو عدم مطابقة المنطوق للوضع الالهي كما ان الصدق
هو مطابقته له كما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام وبعبارة اخرى الصدق هو
اثبات الشيء للشيء الذي هو له وسلبه عن الشيء الذي ليس له والكذب هو
اثبات الشيء للشيء الذي ليس له وسلب الشيء عن الشيء الذي هو له كما عرفه
المعلم الاول للحكمة وبالجملة لما كان المذهب الحق ان المعاصي ليست من الله
ولا يظلم ربك احدا وان افعاله عين الحكمة والمصلحة فالقائل بنسبة
ذلك الى الله يخالف منطقه للوضع الالهي فهو كاذب بالحقيقة والمفتري
ولا يؤمن بالله العلي كما هو مقتضى الاية الكريمة **الحديث الخامس والعشرون**
باسناده عن الهيثم بن عبد الله الرماني قال حدثنا علي بن موسى الرضا عليه السلام
عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن
الحسين بن علي عليهم السلام قال خطب امير المؤمنين عليه السلام الناس في مسجد الكوفة
فقال الحمد لله الذي لا من شيء كان ولا من شيء كون ما قد كان لما كان الله
سبحانه منتهى العلل ومبدا المبادي لكونه موجودا بنفسه لا بغيره فهو
لا من شيء كان واما الاشياء المكونة الصادرة عنه فلا يسبقها مادة ٥

ولا موضوع

ولا موضوع ولا شبح لها ولا صورة ولا عين ولا اثر يكون فيها اضداد قدمه في الوجود
العقلي والشهود العلي عن علمه تعالى لا بنفسه بل بالنظر العرفاني عين علمه
بذاته التي هي مبدء لكل شيء فلا يسبقها سوى الذات الاحدية وهي شيء لا
كالاشياء فظهر انها مكونة لا من شيء لانها مبتداة من نفسه كما انها كائنة
لا عن شيء لعدم سبق المادة عليها المستشهد بحدوث الاشياء على ازليته
وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه
هذه الفقرات الثلث مبتنية على قاعدة شريفة وقضية مستمرة من قواعدهم
عليهم السلام مبرهنة عليها عند العلماء الاعلام وهي ان كل صفة خسيسة او ناقصة
يستدعي ان يكون في الوجود ما يقابلها من صفة شريفة او كاملة اذ الخسة
والنقص انما هي بالنظر الى الشرف والكمال فلو لم يكن الشريف والكامل
لم يتحقق الخسيس والناقص ولا امكن ان يحكم بخسة ذلك ونقصانه لو لم يكن
شريف او كامل في مقابله والشريف الكامل لا بد وان ينتهي الى الاكمل الاشرف
ولا اكمل منه ولا اقرب وجوده مما لا نهاية له وهو ممتنع مطلقا واما الدليل
الخاص على كل واحد من المطالب الثلثة فاعلم ان الحدوث هو المسبوقية
بالغير ولا يمكن ان يذهب الحوادث لا الى نهاية لان كل واحد منها اذا كان
مسبوقا بالغير فجميعها بحيث لا يشذ عنه منها كونه مسبوقا بالغير ليست
الا مجموعها فان المجموع غير الجميع اذ الهيئة الاجتماعية معتبرة في المجموع دون
الجميع فذلك الغير السابق على الجميع يجب ان يكون غير مسبوق بالغير والا كان
داخلا في الجميع وقد فرض لا كذلك فهو ازلي وايضا القول بالحدوث
وعدم التناهي متناقضان كما نقل عن افلاطون الالهي بناء على ان المجموع
فيما مضى في حكم الاحاد اذ المجموع انما يحصل بعد الاحاد الماضية فهو مسبوق

بكل واحد فهو حين الحادث اذ لا نعني بالحادث الا المسبوق بالغير واما
شهادة العجز في الاشياء على قدرته تعالى فلان الوجود اصل جميع المحمولات
اذ ما لم يكن الشيء موجودا لم يصح ان نحكم عليه بحكم وجودي ولم يكن مقتضيا له
لامر ثبوتي فاذا لم يكن وجود الممكن من نفسه فكل ما يتبع الوجود سواء كان
من اللوازم والعوارض فهو يتبع الوجود في الاحتياج الى فاعل الوجود فاذا لم يكن
وجود الممكن من نفسه فكل ما يتبع الوجود سواء كان من اللوازم او العوارض
فهو يتبع الوجود في الاحتياج الى مفيض الوجود فعجز كل شيء عن كل شيء مع
ما نرى من اتصاف الشيء بعجز لانه دليل على قدرة فاعل فوق كل شاهد على قدرته
على القول المجمل واما شهادة اضطرار الاشياء الى الفناء على دوام جلاله
فلانها لما لم يكن وجودها من انفسها فدوام وجودها بالطريق الاولى
فالذي يرى من الدوام وحسن النظام احكام انما هو من فاعلها فهي بعدم بدوامه
ويبقى سبحانه هذا اذا كان المراد الفناء الذاتي واما اذا اريد به الذي بعد
الوجود فوجهه لانه على دوام استغنائه فلان فناء الشيء بعد الوجود انما
هو برجوعه الى علته اذ المعلول ليس الا تطور العلة بطور وتعينه بتعين
فاذا زال ذلك الطور بقي العلة بذاتها او بتعين اخر ولا شك ان الله جل
مجده منتهى العلل ونهاية كل شيء وغاية الغايات ففناء كل شيء انما
هو برجوعه الى الله الواحد القهار فظهر ان فناء الاشياء بهذا المعنى شاهد
على دوامه سبحانه وتعالى لم يخل عنه مكان فيدرك باينيته
ولا له شبح مثال فيوصف بكيفيته ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثيته
كل ما هو مجرد عن المواد والاكوان فهو موجود في كل مكان اذ لو لم يكن كذلك
فاما ان يكون في بعض الامكنة دون بعض او لا يوجد في شيء من الاماكن

فعلى الاول

فان قلت [illegible]

فعلى الاول اينيته بازمه اذ الاين هو النسبة الى المكان الخاص بالكون فيه دون اخر
وعلى الثاني ايضا يلزم الاين اذ الخارج عن المكان اذ خلا عنه الاماكن فلا محالة
هو في ظرف غير هذه الاماكن ولا نعني بالمكان الا ذلك سواء كان دهرا او سرمدا
او زمانا فالشيء الذي نسبته الى الاماكن بالسوية فهو في كل مكان البتة ولا يخلو
عنه مكان من الامكنة اذ لو خلا عنه مكان لكان في مكان اخر فيمكن ان يدرك
باينيته بان يدرك انه هو الذي في ذلك المكان دون هذا المكان واما
قوله عليه السلام ولا له شبح مثال فبالاضافة والشبح هو الجثة اي ليس له جثة يتمثل
في المدارك الظاهرة او الباطنة حتى يوصف بانه كيف هو من بين الجثث و
الاشباح اذ الجثة تمايز الغير بكيفيتها بالذات ان كانت من باب الكيف
او بالعرض ان كانت من باب الوضع واما قوله ولم يغب عن شيء الخ ففي بعض
النسخ ولم يغب عن علم شيء وفي بعضها بحيثيته بالنون المتوسطة بين
الحائين بدل المثلثة والاظهر ما ذكرنا وهو الاكثر والمعنى لم يغب هو
سبحانه عن شيء حتى يمكن ان يتعلق به العلم من هذه الحيثية بان يعلم ان الذي
مع هذا الشيء دون ذلك الشيء ثم بتحليل هذا الشيء الذي معه يعلم التركيب
هو عليه وهو ضابطة معرفة الشيء واجزائه وما يحصيه بطريق التحليل كما يبين
في الميزان مباين لجميع ما احدث في الصفات الجمع المحلى باللام يفيد
الاستغراق والمعنى انه تعالى مباين لجميع ما خلقه في جميع الصفات
فوجوده مباين لسائر الموجودات وعلمه مباين لسائر العلوم وهكذا في
جميع الصفات والمباينة الحقيقية في الصفة هي ان لا يصدق على الموصوفين
اي وصف الخالق والمخلوق معنى عام كما يقوله علماء الزور في الوجود
والعلم وسائر الصفات والا لم يتحقق المباينة التامة اذ لو كفى في المباينة

الوجود ثم ان وجوده الخاص به مباين للموجودات لم يكن تلك المباينة
مختصة به تعالى اذ الوجود الخاص بزيد مباين للوجود الخاص لعمرو وكذا
العلم وغيره فتبصر ممتنع عن الادراك بما ابتدع من تصاريف الذوات
الباء في قوله بما ابتدع متعلق بالادراك والتقييد بالتعريف للتعليل
وهو مصدر بمعنى المفعول والاضافة من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف
اي ممتنع عن ان يدرك بالقوى والذوات التي هو ابتدعها لان تلك القوى
والذوات مخلوقات تصرف فيها الخالق وصرفها من حال الى حال والعلم
لابد له من الاحاطة كما سبق اليه الاشارة والمخلوق المتصرف فيه سافل والسافل
لا يحيط بالخالق العالي لان ذلك ينافي السفل والعلو متجلي بالكبرياء
والعظمة من تصرف الحالات الباء للسببية وتصرف الحالات عبارة
عن صدقها عليه ووجودها فيه وعن تبدلها عليه ولاشك ان الوجود المعلوم
البديهي حال من الاحوال لانك تقول حال الوجود وحال العدم فانه
سبحانه متنزه عن صدق ذلك الوجود عليه وذلك بسبب كونه عز شانه
ذا الكبرياء والعظمة وقد دريت ان الكبرياء كمال الذات كما ان
العظمة كمال الصفات وكمال الذات على النحو الاشرف هو ان لا يتوقف
في نفس الامر ولا عند احد الى اعتبار شيء سوى ذاته ولاشك انه لو كان
مصداق الباري تعالى عين الوجود الخاص به وان الوجود العام سواء قلنا
بكونه امرا خارجيا او اعتباريا بالصدق على المبدا الاول لكان مفتقرا
في صدق الموجود عليه الى اعتبار ذلك الوجود وصدقه عليه او انتزاعه
منه وذلك ينافي كمال الذات ويناقض كبرياءه تعالى شانه وكذلك
كمال الصفات هو ان لا يتغير عن حال الى حال ولا يتبدل صفة الى صفة

ولان يكون

ولان يكون صدقها بقيام مبدا الاشتقاق بل يكون صفته كذا فرغنا
عن تحكيم بكيفيتها عقل كما يقوله العادلون بانها عينه او زائدة على ذاته
الى غير ذلك فالكبرياء والعظمة يقتضيان عن نفس الحكم بكيفية ذاته وصفاته
اذ القول بان ذاته عين الوجود الخاص وان صفاته عينه او غيره حكم بالكيفية
ولكن اكثر الناس لا يعلمون محرم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده
وعلى غوامض ثاقبات الفكر تكييفه وعلى غوائص سابحات الفطر
تصويره هذه الفقرات الثلث كالتنبيه على الاحكام الثلثة السابقة
كما سيتبين ان شاء الله تعالى يقال برع الرجل مثلثة اذا فاق اصحابه
في العلم وغيره او تم في كل فضيلة وثاقبات الفطن بالثاء المثلثة والقاف
بعد الالف ثم الموحدة بمعنى اللامع والزاهر وثاقبات الفكر بالنون ثم ما ذكر
ماخوذ من النقب وبنسبة البراعة واللمعان الى الفطن لكونها بمعنى الذكاء وتوقد
الذهن وبنسبة التعمق والنقب الى الفكر لكون الفكر هو التامل في غور الشيء
وباطنه كما ان بنسبة الغوص والسبح الذي هو بمعنى السير الى الفطرة التي هي حالة
القوة العقلية المتحركة نحو المعقولات الخمسة كذلك لان الفطرة انما يغوص ويخوض
متحركة نحو كمالها الى غور الشيء وباطنه اما الغرض من العبارة الاولى فهو انه
لا يمكن للفطن البارعة اللامعة ان تحد سبحانه وتجعل له حدا وغاية
اولا حد له لان كل محدود مخلوق اذ المحدود لابد له من حاد غيره بناء
على امتناع وحدة الفاعل والقابل مع قابل بالاشتراك المعنوي مع المخلوق
في امر من الامور ولم يؤمن بالمباينة التامة بينهما فقد حده اذ جعله
في مرتبة من هذه الطبيعة المشتركة والمخلوق في حد اخر ومن العبارة الثانية
انه لا يمكن للفكر المتعمق الثاقب في بطون الاشياء ان يكيف المبدا الاول تعالى

اذ لا كيف له لان الكيفية جهة الاحاطة والله محيط بالكل ولا يحيط به شيء
فالمعقول يعجز اعتقاده يدركه ويحيط به ومن العبارة الثالثة انه لا يمكن للعقول
السليمة القاصرة السابحة في حقائق الاشياء الى العجز كما هنا ان يتصوره سبحانه
ويمثله ويجعل له صورة ومثالا اذ لا صورة له ولا كيفية له ولا مثل ولا مثال
فهو جل مجده منزه عن تصرف العقل فيه عالما دون خال لا صورية الاماكن
لعظمته العظمة الحقيقية انه لا يكون للموصوف بها محالا لشيء اصلا ولا عن
حكم من الاحكام مطلقا بل يكون محيطا بالكل لانه التام وفوق التمام
ومصحح لجميع الاحكام فلو كان شيء مكان لكان محاطا بذلك المكان وذلك
ينافي عظمته سبحانه فهو جل برهانه لا يسعه ارض ولا سماء بل يسعه قلب عبده
المؤمن وهو ايضا لا بالحلولية والاحاطة بل بكونه مظهر الصفات الحسنى ومرآة
بها يرى آي جماله الاسنى وفي هذا الكلام سر عظيم اشارة الى الحجة العقول
بالسطح اذ الاحاطة والحلولية انما يتصور حقيقة فيه وان كان يمكن
ان يدعى في البعد ايضا ولا تقدر عقول المقادير لجلاله المقدار ما يقدر
به الشيء ويعرف به قدره ومن البين ان الجسم انما يقدر بهذه المقادير
المذكورة لا يحلولها فيه سبحانه ولا بان يكون نفسه مقدار الحسي يقدر كله
ببعضه او بامر خارج ولا حلول له عز شانه فيها اذ هو منزه عن جميع
هذه الانحاء وعلل ذلك بالتعبير بوصف الجلال وتنزيه الذات الجلال
بين الصفات الشرف والى كمال الصفات بحيث لا يجوز حصولها نقص
ولا ضعف كما صرح به العلماء اللسان وكل محل فانه ناقص لان
له بحسب ذاته قوة للانحلال فيه والقوة نقص وعدم كما امر حال فانه
انتقص وجودا اذ وجوده متعلق القوام بمحله وقد علمت ان التقدير انما يكون

بالوجوه

حلولها فيه وكذا بعض المقادير يقدر بعضها كتقدير الذراع مثلا بالنسبة الى اليد ويقدر بما يحل هو فيها كما السواد والبياض والقدر جلاله لا تقدر عقول المقادير بحسب

بحسب

بالوجوه الثلاثة وهو سبحانه في كمال الشرف للصفات فلا يلحقه نقص من وجه
لا يحلول لشيء فيه ولا بحلوله في شيء وكذا الكلام في التقديرات الوهمية
والعقلية اذ الكامل من جميع الوجوه لا يدخل في عقل ولا وهم حتى يتاتى لهما
تقديره اذ المتعقل والمتوهم كلاهما يستلزمان الاحاطة والتحديد به على المحيط
دون المحاط ولا تقطعه المقاييس لكبريائه المقاييس جمع مقياس وهو
المقدار كما في المجمل وهو آلة القياس يعني ما يقدر به الشيء يقال هذا اقيس
رمح وقيد رمح اي قدره كما يقال قاب قوسين والغرض انه سبحانه لا يقاس
بشيء حتى تقطعه آلة القياس اذ المقايسة بين الشيئين في امر انما يكون
باستعانة آلة حسية او عقلية او وهمية وهو ذلك لكبريائه جل شانه فيها
مقامات الاول فانه لا يجري عليه القياس حتى تقطعه المقاييس فلا مناسبة
بين الامور كما في الوجود والشيئية او في لواحقهما اما وجوده سبحانه
فمباين من جميع الوجوه لوجودات غيره بحيث لا اشتراك بينهما في امر عام اصلا
كما سبق منا تحقيقه التام الاعجب لا بالاسم واللفظ واما شيئيته تعالى
فكذلك اذ هو شيء لا كالاشياء اذ الشيء باصطلاح اهل اللسان هو المخبر
عنه وباصطلاح الحكمة هو الذي له المحمولات الذاتية والمعنيان مرجعهما
واحد كما لا يخفى وهو جل برهانه لا يخبر عنه وليس له علة ذاتية اذ العرض
الذاتي لما يحمله هو في حد الموضوع او الموضوع في حده وهو سبحانه منزه
عن ذلك وليس في المرتبة الاحدية حد ولا نعت ولا رسم ولا وصف ولا حكم
ولا مجهول ولا محكوم ولا مشتبها ولا شيئا يقع عليه اسم شيء سوى الذات
فهو هو لا غيره فلا يخبر عنه ولا يحكم عليه وانما الحكم منه فهو العلي الكبير واما الحكم
الشيئية من الوحدة والكثرة ولواحقهما من الهوهو والغيرية والتقابل

والعلية والمعلولية والكلية والجزئية والعموم والخصوص والتعين واللاتعين
بمعزل عن تلك الحضرة بالبيان الذي قلنا ولان ذلك احكام الشيء المعلوم
الذي احاطت به النفس علما حتى يصح الحكم ولا يحيطون به علما وكذا المقايسة
التي تعتبر بين انواع المقولات كالوقوع تحت نوع واحد او في المرتبة الاعلى
او في المقابلة في الجوهر وكذا المساواة واللامساواة في الكم وكالمشابهة
واللامشابهة والضعف والشدة في الكيف وكالوقوع في مكان مساو
او اعلى واسفل او محاذ فيمكن من ذلك نسبته الى حدوده والى ما هو خارج
عنه في الاين والوضع وكالحصول في زمان سابق او لاحق او مع في المتى وكان يكون
له فعل كفعل غيره في بعض الامور او ينفعل من شيء فيشتد ويتضعف في
الفعل والانفعال وكما يحصل له هيئة من التلبس بصفة او حال في الملك
او يكون له نسبة الى شيء باحدى النسب المعلومة لنا في الاضافة فان ذلك
كله ممتنع عليه تعالى كما لا يخفى المقام الثاني انه كيف يلزم من المقايسة
في الامور المذكورة ان يتطرق المقاييس قد عرفت ان المقياس هو ما به
يقاس شيء بشيء وذلك اما ان يكون بامر داخل او عارض في المقيس والمقيس
عليه كالكلية في الكليين والجوهرية في الجوهرين واما بامر خارج كما يقاس
الثوبان بالذراع ولما كان هذا يرجع الى الاول فلنبسط في استلزام الاول
للقطع فنقول اما المقايسة بالامر الداخل في الحقيقة كان يقاس ذاته
بذات شيء اخر فذلك يكون لا محالة بدخولهما تحت امر عام ذاتي لهما فذلك
الامر العام يقطع كلاهما بان يتحقق في احدهما ويتجاوز عنه حتى يوجد
في الاخر وذلك هو القطع ومعه اشد استحالة من ان يكون كقطع المتحرك
للمسافة واما المقايسة بالامر العارض فذلك اشد استلزاما للقطع كما قلنا

مع

مع خصوصيات متناسبة لا يحصى لو فرض في خصوص جزئي كما عرفت
مما يطول الكلام بذكرها المقام الثالث انه كيف يستدل بكبريائه
جل جلاله على استحالة المقايسة عليه سبحانه وذلك لان الكبرياء
الحقيقي هو ان يكون ذو الكبرياء فوق كل شيء واعلى من كل حكم
فلا يدخل تحت حكم مطلقا وقد دريت ان المقايسة لا يتحقق
الا بان يتحقق الدخول تحت حكم ما وذلك ينافي كبريائه عز برهانه
والحمد لله على ذلك ممتنع عن الاوهام ان تكتنهه وعن الافهام
ان تستغرقه وعن الاذهان ان تمثله الوهم هنا بمعنى العقل
وذلك شايع اذ شأن العقل الوصول الى كنه الشيء والذهن قوة
النفس المهياة المستعدة لاكتساب الحدود والاراء والفهم جودة
تهيؤ لهذه القوة نحو تصور ما يرد عليها من غيرها والاكتناه
البلوغ الى كنه الشيء والاستغراق الغور في الشيء والاحاطة به
والتمثيل والامتثال ان يعين للشيء في الخارج مثالا اي شخصا
متمثلا ونسبة الاستغراق الى الفهم لكون جودة القوة الذهنية
لا محالة تغور في الشيء وتغوص فيه وتحيط بتمامه ونسبة التمثل
الى الذهن لان شأنه ذلك وبالجملة الغرض من هذه العبارة ما قد سلك
مرارا من ان الله سبحانه اجل من ان يصل بكنهه عقل ويحيط به فهم
او يتمثل في ذهن ويمثله وهم قد يئست من استنباط الاحاطة
به طوامح العقول ونضبت عن الاشارة اليه بالاكتناه بحار
العلوم ورجعت بالصغر عن السمو الى وصف قدرته لطائف
الخصوم وهذه الفقرات الثلث استيناف بيان للاحكام الثلثة

من غير ترتيب ولهذا لم يعطف والطامح بمعنى المرتفع والذي ابعد
في الطلب والمراد هنا في الثاني بقرينة الاستنباط اذ هو من استنبط
الماء والمعنى العقول الغايرة في طلب الشيء المتناهية في البعد ونضب
الماء نضوبا غار وسفل والصغر الخالي والسمو العلو وهو متعلق
بالرجوع والجار والمجرور الثاني متعلق بالسمو والخضوع جمع خصم على
المصدر قال في الصحاح الخصم معروف ويستوي فيه الجمع والمؤنث لانه
في الاصل مصدر ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول خصمان وخصوم
انتهى والمراد هنا المخاصمات اللطيفة والمباحثات الدقيقة وفي العبارات
الثلث من حسن البلاغة ما لا يخفى لاشاراته وبالجملة انه لا تستغرقه
الافهام ولا تحيط به اذ قد يئست من طريق استنباط الاحاطة به
العقول الشديدة الغور في الاشياء فضلا عن اصل الاحاطة وكذا هو
سبحانه لا يصل الى كنهه علم احد من العلماء سواء الملائكة والناس
بل الى وجه من وجوهه اذ لا وجه له بل كله كنه لان البسيط الحقيقي
لا وجه له سوى كنهه اذ قد نضبت وغارت بل نفدت عن الاشارة اليه
بالوصول الى كنهه بحار العلوم كيف ولو كان البحر مدادا لكلمات الله لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات الله فاي مطمح في اكتناهه بالاشارة العقلية
والشهودية وكذا جل مجده لا يتمثل في ذهن من الاذهان العالية
والسافلة اذ قد رجعت المباحثات الدقيقة اللطيفة خالية خاسئة
خائبة عن ان تعلو ويرتفع الى سماء وصف قدره فاين الى سماء
وصف ذاته وكمال شانه تعالى عن ذلك علوا كبيرا واحد لا من عدد
ودائم لا بامد وقائم لا بعمد اي الله سبحانه واحد لا من جملة

الواحدات

الواحدات العددية التي اذا انضم اليها واحد اخر صارا اثنين
بل وحدة حقيقية خارجة عن الكيف محيطة بجميع مراتب الوحدات
مستهلك لديه انواع الكثرات وكذا دائم لا يجري عليه زوال ولا افناء
لا بامتداد زماني او دهري او سرمدي ولا بان يمكن انتزاع واحد
من ذلك من دوامه وبقائه كما هو ظن الملحدين في اسمائه وصفاته اذ
الامتدادات الزمانية والدوام الدهري والبقاء السرمدي بالنسبة
الى جناب كبريائه آن وكل بالنظر الى مجده الكريم فان وكذا هو قائم على كل
نفس بما كسبت وقايم بالقسط وقيوم كل شيء وهو عماد كل شيء وليس
له عماد يعتمد عليه ولا يمكن عماد كل شيء اذ قد يبقى شيء يكون عماده
وذلك لان قيام الاشياء اما بفواعلها او بقوابلها او بمحالها او بموادها
الى غير ذلك وهو سبحانه غني عن العالمين بل اليه ينتهي سلسلة الفواعل والقوابل
ومنه يبتدي العوالي والسوافل لانه زين السموات والارض من الانوار [illegible]
والاشباح السافلة وجمالها فهو صورة الصور وعماد السموات والارض
وقوامهما فهو حقيقة الحقائق ومنتهى علل القوام وهو نور السموات
والارض وهو الفاعل الاول ولا فاعل سواه وهو غاية الغايات ومنتهى
الاشارات لا الى الله تصير الامور ليس بجنس فتعادله الاجناس ولا بشبح
فتضارعه الاشباح ولا كالاشياء فتقع عليه الصفات الافعال
الثلثة منصوبات بان لسببية ما قبلها لما بعدها ثم معادلة جنس
لجنس هي بان يكون واحدا من المقولات او واقعا تحت احدها ومضارعة
الاشباح انما يكون في الكم او الكيف او غيرهما فناسب التعادل بالجنس
لانه في الذاتيات والاجناس انما تتعادل فيها وكذا المضارعة بمعنى المشابهة

ناسب الاشباح لان تشابهها انما يكون للاغراض ثم هذه الجملة السابقة واللاحقة
من بيان الوحدة وغيرها كالبرهان على استحالة تعلق الادراكات
الثلثة بالله سبحانه وحاصلها ان غاية ادراك تلك المدارك ان يفهم
من الواحد احدا من اقسام الواحدات ومن الدائم ما له حد الامتداد
ومن القائم ما له احد المقومات وهو تعالى ليس من جنس من الاجناس
ولا كشيء من الاشياء فيمتنع تعلق انحاء الادراكات به تعالى وليس
هو سبحانه من سنخ الشيء حتى يحكم عليه ويخبر عنه ويوصف بوصف اذ الشيء
كما عرفت هو المخبر عنه والمحكوم عليه والموصوف بشيء فهو سبحانه ليس بجنس
حتى يمكن التعادل بينه وبين غيره اذ الجنس بما هو جنس او مبهم لا يصلح
للالهية والمبدئية وبما هو نوع محتاج والله هو الغني فما ابعد عن الحق
قول من قال انه تعالى هو الوجود المطلق وما اقصر عن اليقين راي
من راى انه الوجود الخاص الصادق عليه ذلك العام تعالى الله عما يقول
المشبهون والمفترون وكذلك هو سبحانه ليس بشبح نوري ولا مثالي
ولا حسي حتى تشاهده الاشباح الواقعة في تلك المراتب فيجمعه وذلك
الشبح امر بعيد او بعينها فما اضعف من نصيب الفطرة العقلية مذهب
من ذهب الى انه يرى في القيمة او انه يمكن ان يرى بالرؤيا الخيالية او انه
ينزل من السماء في كل ليلة جمعة وكذلك هو جل برهانه ليس كالاشياء
ومن سنخها حتى يوصف بوصف ويحكم عليه بحكم ويخبر عنه بخبر بل كل ما نقو
نحن فانما هو يخبر به عنه بمحض الاقرار مع جهلنا بكيفية الجهة للاخبار
عنه كما اشار قد ضلت العقول في امواج تيار ادراكه وتحيرت الاوهام
عن احاطة ذكر ازليته وحصرت الافهام عن استشعار وصف

قدرته

قدرته وغرقت الاذهان في لجج افلاك ملكوته هذه الفقرات
الاربع استيناف لخر لبيان احكام المدارك الثلثة لكن ههنا فرق
بين العقل والوهم ولهذا اورد اربع جمل التيار الجرية البحر وهي معظمه
واضافة الامواج الى التيار لامية واضافة التيار بيانية واضافة
الادراك الى الضمير اضافة الى المفعول وخبط البعير اذا ضرب بيده
الارض والخباط داء كالجنون وليس كلا المعنيين يناسب المقام
وحصر كفرح عجز قال في الصحاح كل من امتنع من شيء ولم يقدر عليه
فقد حصر عنه واللجج جمع لجة والافلاك جمع فلك بالتحريك في القاموس
الفلك محركة مدار النجوم والجمع افلاك ومن كل شيء مستداره ومعظمه
وموج البحر المضطرب والماء الذي حركته الريح والملكوت كرهبوت العز
والسلطان اعلم هداك الله بنور العرفان ان الامام عليه السلام شبه
الوصول الى الله بالجهة الادراك السالك هو الحصول ثم شبه مراتب مخلوقاته
المتمادية منه تعالى الى سافل الوجود بالامواج ولعمر الحبيب ان تشبيه
الخالق بالموج كما في هذا الخبر وبالظل كما في خبر اخر من احسن التشبيه ووجه
الشبه كما نص عليه في خبر الظل هو انه لا شيء في الحقيقة مع انه يرى شيئا
كما الامر في المخلوقات ذلك اذ الكل نسب واعتبارات ولهذا شاع
التمثيل بالبحر والموج بين العرفاء المحققين من الصوفية كما قال بعضهم
شعر واجب بحر است وممكنات اندروى ٭ چون موج بهم برآمده
وازهم گذرند ٭ ثم انه صلوات الله عليه شبه سير النفس من عالمها
العقلي الى حيث صارت طبعا منطبعا في المواد محجبا بالوان الاعراض
بحيث يصعب عليه الخروج من هذه الظلمات الثلث الا من وجبت له

سابقة العناية الالهية من النفوس الشريفة والارواح اللطيفة بالفلك
اذ هي قد انغمست فيها بحيث نسيت عالمها فاين هي من العالم الاعلى و
ضلت في تراكم الامواج الواردة عليها لتلبسها بالعوالم السفلية والتطور
باطوار المراتب الوجودية بحيث لا تهتدي من تلقاء نفسها الى حقايق تلك
الامواج فضلا عن بارئها واما قوله تخبطت الاوهام آه فالمعنى ان
الاوهام والخيالات صارت كالمجنون والمتحير او صارت بحيث يخبط
خبط العشواء مجنونة بالمرة مقطوعة الرجل مشلولة الايدي عن ان يسلك
سبيل الاحاطة بذكر ازليته سبحانه اذ قصارى معرفتها ان يحيط بالازلية
الزمانية حيث لا يسبقها زمان او الازلية الدهرية التي سبقت الازمان
وان كانت مسبوقة بامر اخر او الازلية السرمدية حيث سبقت الازمان
والدهور وان كانت مسبوقة بتفضل العلة لكن الازلية الحقيقية التي لم يسبقها
شيء ولم يكن معها شيء فليس من شان الوهم الفلسفي ادراكها ولا من العقل
النوري حظ من الاحاطة بها اذ هي مرتبة فوق العقل وانما يحيط العقل
بما في مرتبته او دونها واما قوله وحصرت الافهام آه فلبيان عجز
جودة القوة الوهمية عن طلب الشعور بوصف صفة قدرته او بوصف
حقيقة مقدوراته اذ لا يحيطون بشيء من علمه الا باذنه واما قوله و
غرقت الاذهان آه فلبيان ان القوة الوهمية لا يخلو عن الغواشي
المادية وذلك لان المراد بالفلك هنا الماء الذي حركته الريح او البحر
المضطرب وهو لا يخلو من حدوث الامواج فيه والبحر هو معظم الموج
والملكوت هو باطن عالم الملك كما قال تعالى بيده ملكوت كل شيء فاذا شبه
الملكوت بالبحر فالامواج واللجج يكون عالم الشهادة اذ الموج هو الظاهر

من البحر

من البحر كما الملك ظاهر الملكوت ولا ريب ان عالم الملك هي نفس الغواشي
المادية من الصور والاعراض والذهن من ذلك العالم فهو لا يخلو عن التكدر
بالاوساخ والادناس سواء في ذلك نفس الذهن وادراكاته فيتبين بذلك
ان الاذهان انما غرقت وتدنست بالامواج الكدرة التي هي لجج بحار عالم
الملكوت فليس لها ان يدرك الامور المجردة عن المادة كالعقول المقدسة
فضلا عن حقايقها وجوهر ذواتها فاين من ادراك سبحاته المنزه عن
التجرد واللاتجرد الخاصتين بالجواهر فكيف لها ان تصور فاعلها
القيوم المقدس عن التحول في شعور المشاعر هكذا ينبغي ان يفهم هذا
الموضع مُتَفَرِّدٌ بالآلاءِ وَمُمْتَنِعٌ بالكبرياءِ وَمُتَمَلِّكٌ على الاشياءِ ه
فلا دهر يُخْلِقُهُ ولا وصف يُحيطُ به اعلم ان المقصود من هذه الجمل ذكر
ان الله سبحانه متعال عن ان يحويه الاوعية الثلثة من الزمان والدهر والسرمد
اذ هي مراتب مخلوقاته ونسب مجعولاته ومقدوراته كما انه منزه عن ان يحيط
به وصف من الاوصاف العينية والزائدة وبالجملة من التلبس بالاحوال
الوجودية وعلل الاول بالامتداد والتملك على الاشياء والثاني بالكبرياء
ثم اعلم ان جريان سنة الله تعالى على ان يعطي كل مستحق ما يستحقه ولا ريب
ان بعض المستعدين مما لا يحتمل بنفسه ان يقبل الفيض الالهي دون
ان يتوسط بينه وبين بارئه شيء كما يشاهد من الصور والاعراض انها
لا يمكن لها الوجود الا بالمواد والموضوعات فاقتضت العناية الالهية ان يكون
وسايط بين هذه الامور وحرم الكبرياء وان يقع حجب بينه وبين تلك
الاشياء وهذه الوسايط والحجب هي آلاء الله اذ بها نعم على فقراء سكنة
اقليم الشهود وبها فتح باب الايجاد والوجود فظهر معنى اقتداره على

على الاشياء بكلا الاثم ينظم منه ومن كونه تعالى متملكا بالقدرة على الاشياء
انه لا تخلقه دهر اى لا يجعله خلقا ولا هرما اذ المقتدر على الاشياء
والمتملك لها انما هو فوقها فلا يحيط به وعاء الاشياء ولا يهرم لطول
البقاء ولانه ليس وجوده متعلقا ولا متصلا من ذلك الوعاء كالاشياء
الواقعة فى كل واحد من هذه الاوعية انما يتعلق وجودها بها وكما ينظم
منه كبريائه وكونه فى منعة من ملابسة الاحوال المحال كانت انه لا يحيط به
وصف سواء كان عينيا او زائدا وقد مر تحقيق ذلك مرارا فقد خضعت
له روابى الصعاب فى محل تخوم قرارها واذعنت له رواصن الاسباب
فى منتهى شواهق اقطارها خضع انقاد وربا الشيء اذا ثبت ولم يتحرك
وانتصب واستقر والتخوم بالضم الفصل بين الارضين من المعالم والحدود
واصحاب العربية يفتحون التاء كذا فى الجمل واذعن الرجل انقاد وبناق
ذعن مجرد الا ان استعمال الاذعن وكان شبه الانقياد معتبر فى الخضوع
دون الاذعان كما يظهر المتتبع والرواضن بالتاد المهملة جمع رصين كريم
وهو المحكم يقال ارضه اذا احكمه وجبل شاهق عال والاقطار جمع قطر
وهو الناحية اى كل ما فى السموات العلى وما فوقها الى الارضين السفلى
وما تحتها منقادة لحكمه خاضعة لامره يفعل فيها ما يشاء بقدرته وكانى
فى لفظ الروابى بمعنى الثوابت وكذا التخوم والقرار فى التعبير عن الارض حيث
انها اساكن ذات قرار وكذا ما فى لفظ الرواصن لتبع السداد وما فوقها
والتعبير عنها بالاسباب لانها بحركاتها اسباب للكائنات والتعقيب
بالشواهق والاقطار اذ هى جهات المتحركات من حسن الفصاحة والبلاغة
ما لا يخفى مستشهد بكلية الاجناس على ربوبيته وبعجزها على قدرته

ويفطورها

وبفطورها على قدميته وبزوالها على بقائه اما استشهاد كلية
الاجناس على الربوبية فمن وجهين احدهما من جهة كليتها وعمومها
وابهامها وهو احد احتمالى العبارة وذلك لان الكلى ما لم يتشخص
لم يوجد والمبهم ما لم يتعين لم يتحقق والعام ما لم يتخصص لم يتحصل
ومن الممتنع ان يتشخص و يتعين ويتخصص من قبل نفسه سواء كان
الترجيح
لاحد الافراد او متكثرها والا لزم الترجح من غير مرجح وذلك فى متكثر الافراد
او الترجح من غير مرجح وذلك فى واحد الافراد ولو كان التعين لازما كليا
للمنحصر فى فرد كان ذلك التعين كليا ايضا لم يلزم فلم يتعين فثبت
الاحتياج الى المرجح المخرج اياها الى الوجود المنحصر باعطاء التلبس
بالتعينات والتشخصات وهو المراد بالرب فى الشريعة وبرب
النوع فى لسان ارباب الطريقة والثانى من الوجهين وهو الظاهر ان يكون
المراد بالعبارة هو ان يكون ذات كل جنس من الاجناس يدل على الربوبية
فيكون المراد بكلية الاجناس قاطبتها وجميعها وبيان ذلك يستدعى
معرفة الجنس وتعيين مرتبة الربوبية فنقول اعلم بصرك الله بنور
العرفان ان عالم الربوبية هى عالم الامر الالهى باخراج الانوار العقلية
من كمالها من حقائق الاسماء الالهية الى موطن البروز وفى استعدت
جواهر النفوس فى اصداف المواد ومناسبتها ان كثر الاعداد بيان
ذلك ان النفس التى هى من هذا العالم الشريف لما هبطت بامر باريها
لاستصلاح المادة حيث التمست تلك المادة التمام والفعلية
من باريها القيوم المعطى لكل موجود ما يستوجبه اوجدت النفس
صورة للمادة فركنت اليها واطمأنت بها وانطبعت فى المادة وصارت

طبعًا فالطبع نفس بالذات وطبع بالعرض والبرهان على ذلك ان الصور
والاعراض اللازمة للمواد والموضوعات لما كان جعلها انما هو بنفس
جعل تلك المواد والموضوعات بناءً على ان جعل اللوازم يكون بالجعل
الذي يتعلق بالملزومات لكن بالملزوم اولاً وبالذات وباللوازم ثانيًا
وبالعرض ولا ريب ان جاعل المادة هو العقل فهو من حيث انه جاعل المادة
عقل ومن حيث انه جاعل للصورة نفس ومن حيث انه جاعل للاعراض طبع
اذ لا يمكن ان يكون تلك الفواعل ذواتًا مختلفة والا فلم يكن بين تلك المواد
والصور والاعراض لزوم وذلك لان اللوازم والملزومات لا يتصور وجود
واحد منها دون الآخر وكل امرين متفرقين فانه يمكن ان يوجد احدهما بدون
الآخر فلو كانت تلك الفواعل ذواتًا مختلفة لم يتحقق التلازم [?] بين
المواد والصور والموضوعات والاعراض هف لا يمكن فظهر ان الطبع نفس
بالذات كما ان النفس عقل بالذات وطبع بالعرض ولما انطبعت النفس
بالمادة وحصل الجسم المتكمم ولا ريب ان التكمم يقتضي بذاته الانقسام
فانقسم الجسم بواسطة الكم وتكثرت النفس بالعرض وبواسطة الواسطة
فتكثرت الاجناس الجوهرية والعرضية من هنا وبالجملة التكثر في اي شيء كان
هو بواسطة الكم المنقسم الى الاجزاء بالذات وتبين ان تكثر الاجناس ايضًا
بالجزئيات انما هو من قبل حيث اقتضى بعض منها بعضًا لما وقع في صقع
من الاصقاع غير ما يقتضيه الآخر ويوجبه ولعطي الباري كل احد ما
يقتضيه ويوجبه حصلت الاجناس المختلفة فظهر من ذلك ما هو المراد
من عالم الربوبية والمقصود من الاجناس الكلية وما هو العلة في تكثرها
ثم ظهر من ذلك استشهاد الكل على وحدته جل برهانه بالبرهان القويم

والنهج

والنهج المستقيم ومن اسلافنا اثر في البدو والنهاية نرد ما استشهاد عجز
الاجناس على قدرته المطلقة والاختيار المطلق الذي لا يضطره شيء ولا
يعجزه شيء فبيانه ان تعلم ان الوجوب والامكان والامتناع اعتبارات
للماهية بالنظر الى الوجود فاطلاق الواجب على المبدأ الاول تعالى ليس
بالحقيقة وبالذات بل انه وجد في جزم ودقة فذلك المجاز دون الحقيقة
اذ ليس له ماهية حتى يقاس الى الوجود ولنفصل فنقول واما ذلك الوجوب
بالنظر الى وجوده الخاص به فذلك نسبة الى نفسه ولا طائل تحته اللهم
الا ان يرجع الى المجاز واما بالنظر الى العام الصادق عليه فذلك مما
لا يجدي نفعًا اذ كل عام فهو بالنظر الى الخاص واجب الصدق مع انه
قد تحقق صدقه بما اسلفنا من البراهين العقلية المستفادة من الاخبار
عدم صدق ذلك العام عليه تعالى وايضًا ان تلك الاحكام اي الوجوب
واضرابه انما هو من احوال الشيء العام وقد سبق انه ليس له في حرم الكبرياء
سبيل ولا مقام وايضًا انه تعالى لا يسأل عما يفعل فلو كان الفعل منه
بالايجاب منه سبحانه لكان يمكن السؤال عن فعله سبحانه بكيفية حتى يجاب
بانه اوجب وذلك ممتنع في المشرب التوحيد الخاصي اذا تقرر هذا فاعلم
ان الاشياء على ضربين قسم منها ما يجب له الوجود بالنظر الى ذاته فذلك
حيث لا يكون له مادة حاملة القبول كالمادة نفسها والامور العالية
عن المادة فانها كلها واجبات الذوات لقربها من حضرة الكبرياء وجاعل
المهيات فلو قيل عليه الامكان فانما هو محض اعتبار عقلي لا نصيب له
من نفس الامر كما قال بعض الاعلام اقول ولو قيل ذلك عليها فانما
هو بالعرض والمجاز حيث يكون مع ذلك الوجوب الذاتي عند جاعل الجاعل

آخوند صدرا طاب ثراه

التام كما ستبين ومنها ما يمكن له الوجود ومقابله كالامور المادية حيث
يكون الحاصل لها امكانها واستعدادها القابلية لها فالقسم الاول لما وجب
له الوجود بالنظر الى ذاته ومن المستحيل ان يكون ذاته فاعلا لذلك اذ يلزم
ان يكون القابل فاعلا فهو محتاج الى فاعل في الوجود جاعل اياه مفيض
عليه بمحض الفضل لا بانه يجب عليه سبحانه تلك الافاضة من غيره ولا لزوم
انفعاله تعالى من الغير ولا بانه عز شانه اوجب على نفسه ذلك واقتضاه
وذلك لان الموجب للشيء والمقتضي له انما يستكمل به فكانه مضطر الى وجود
ذلك الشيء اذ لا يمكن تحققه بدونه وان كان بعد مرتبة وجوده كما هو شان
اللوازم بالنظر الى الملزومات فيكون هو ناقصا يستكمل بوجود ذلك
الشيء والله سبحانه فوق التمام وبالجملة لا يجب عليه سبحانه شيء في تركه
حتى يكون محتاجا الى المرجح بل المواد الثلثة كما لا تصدق عليه لذاته كذلك
لا تصدق لها في افعاله وصفاته وهذا من علم الراسخين وهذا هو معنى
القدرة المطلقة واما الاختيار المطلق فهو ان يفيض الوجود منه بفضله
وجوده حيث لا يوجب ذلك عليه شيء والى ما قلنا اشار المعلم الاول في
اثولوجيا بقوله واما الباري الاول فلا يدبر الاشياء العقلية والحسية
فظهر ان هذا القسم من الاشياء مع انها واجبات الوجود بالنظر الى ذواتها
فهي عاجزة عن جعل الوجود لنفسها فدل عجزها على جاعل الوجود لها خارج
عن سنخها افاد لها فعلها قدرة مطلقة بحيث لا يجب عليه شيء ولا يمتنع عليه
شيء ولا يبتدئ كما لا جاذبه شيء واما القسم الثاني فهو الذي من شانه
ان يكون وان لا يكون فهو بالنظر الى ذاته ممكن وانما يجب بمادته ويوجد
بفاعله اي ان المادة باستعدادها يوجب وجود تلك الاشياء وفاعلها

لا من نفسه ولا من غيره ولا يمتنع عليه شيء حتى يكون عاجزا ولا يمكن عليه فعل شيء ح

انما

انما يفيض عليها وجودها حين تستدعي المادة وجودها فهو لعجز الاول
فدل عجزها على قدرة جاعلها الذي لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء واما
استشهاد فطور الاشياء اي حدوثها المطلق سواء كان زمانيا او غيره
الى قدمه تعالى فمبني هذا البيان بعينه اذ لما ثبت ان كل ما وجوده غير
انيته فهو محتاج بالطبيعة الى ما ليس كذلك وقد ظهر ان الاشياء الواجبة الوجود
بذواتها والممكنة الوجود بها عاجزة بنفسها عن اجتلاب حال من احوالها حتى
عن لوازمها من تلقاء نفسها فاحتاجت الى موجد اياها محدث لها ويجب
ان يكون ذلك الموجد قديما والا لكان كواحد من الاشياء وقد فرضنا انه
بخلاف الاشياء فدل حدوثها على قدمه تعالى واما استشهاد زوالها
على بقائه جل وعلا ففي وجوه احدها ان زوال الحادث يدل على بقائه
اذ كما ان الكائن محتاج في وجوده الى المحدث كذلك الفاسد يحتاج في زواله
الى من هو باق في جميع الاحوال اذ لو زال هو ايضا لمست الحاجة الى اخر
فيجمع المزيلات من حيث لا يشبهها شيء يحتاج الى امر خارج عن طباعها
باق بنفسه لا بالبقاء وبالجملة فالموصوف بالبقاء اي الباقي بصفة
البقاء انما كتب في ناصيته الزوال لان ذلك له من غيره وكل ما بالغير
فانه في عرضة الزوال ويدل على ما بالذات والثاني ان زوالها بمعنى هلاكها
الذاتي وليسها السرمدي يدل على بقائه عز شانه وبيانه انه قد تحقق في فن
التحقيق ان الاشياء بانفسها ليس وبفاعلها ايس والليس لها من ذاتها والايس
ايس ولها لزم الانقلاب فايسها انما هو بقاء متصل لجاعلها باطوارها
فكل يوم هو في شان من شؤونها ومرده الى الاصل ان يرجع الى كل شيء
حتى لا يبقى شيء الا وله حظ منه سبحانه من معرفته وفي دعاء عرفة لسيده

ماهيته

الشهداء صلوات الله عليه وعلى ابائه وابنائه الكلمات من اختلاف الاثار
وتنقلات الاطوار اللهم اردت منى ان تعرفنى الى فى كل شىء حتى لا اجهلك
فى شىء وقال تعرفت الى فى كل شىء فما جهلك شىء وسنطلع ان شاء الله على
البرهان على ان الفطرة هلاك الاشياء وليسيتها يدل على بقاء الذات
المتجلى فيها المترائى بها المتطور باطوارها وان الثانية زوالها الان
وتجددها السيالية انما يدل على بقاء حقيقة وحالية فيها مستقلبة
لها كيف يشاء كما يراه اكثر محققى اهل العرفان وعندى ان ذلك مما يمكن
ان يصح فى الكيانات التى لا يخلو من الطبيعة الجسمانية السيالة التى
لا ينفك فى آن عن حركة ما اية حركة كانت ولا ريب ان الحركة هى نفس عدم
القرار فى طور من الاطوار مع ما يرى من ثبات ما واستقرار فدل سيلانها
على قرار ما يحكى كالانتهاء الحركات الى محرك لا يتحرك بالضرورة قال تعالى
وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل
شىء وقال جل وعلا افعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد
وسياتى تاويل آخر لهذه الاية ان شاء الله تعالى واما فيما فوقها فمما
يستعصل الفهم الا ان يعنى بالآنات هى الواقعة فى الايام الربوبية
فى ظرف الدهر والايام الالهية الحاصلة فى السرمد ثم الاشراقات النورية
النافذة على سكنة ذينك العالمين المتجددة لا هذا النحو من التجدد الذى
يلينا بل الذى يليق بمرتبة سكان هذين العالمين والحركة التى ينبغى
لقطان ذينك الظرفين وهى الحركة الشبيهة بالسكون كما نص عليه
المعلم الاول فى شان العقل فانه مع تصريحه بان العقل ساكن لا يتحرك
اثبت له حركة ما وقال انها شبيهة بالسكون لكن فهم ذلك صعب وتصحيحه

اصعب

اصعب الا من بصره الله وهداه والحمد لله وسياتيك لمعة من هذا النور ان
رقيت الى ما هو فوق ذلك الطور ان شاء الله فلا لها محيص عن اذ ذكرنا اياها
ولا خروج من احاطتها بها ولا احتجاب عن احصائه لها ولا امتناع اه
من قدرته عليها هذه الجمل الاربع معللة بلا استيفائها ذات الاربعة
السابقة على خلاف ترتيب المشروع اللف فقوله فلا لها محيص آه معلل
بربوبيته تعالى وقوله ولا خروج من احاطتها مسبب عن بقائه جل وعلا
وقوله ولا احتجاب آه متفرع على قدمه عز شانه وقوله ولا امتناع آه متعلق
بقدرته عز اسمه ولا اسماء الاربعة اللاتى بعد حرف النفى مرفوعات بالابتداء
متقدم عليها خبرها والمحيص الملجا اما بيان ان الجملة الاولى متفرعها فيعلم
منه مع فان عالم الربوبية هى مرتبة الفعل الالهى وفيها ظهر الاسم الخالق
والبارى والمصور وخالق الشىء مقوم مع الشىء لا ينفك فلان الفعل
عبارة عن ظهور اثر الشىء والاثر انما هو الظاهر من الشىء وذلك الشىء
باطن هذا الاثر والباطن لا محالة مسلك لتمام الظاهر كان الظاهر عنوانه
له وانموذج منه ولا يتحقق ظاهر الا بباطن ولا لم يكن ظاهرا فتثبت
وايضا الرب هو المالك للشىء المتصرف فيه والمدبر له والمخرج اياه من
القوة الى ان يوصل الى الفعلية كالعرف فى النطفات التى هو المالك الذى
معها وهو الطبيعة المدبرة بارادة الله ولا يفارقها حتى يوصلها
الى كمالها من سواء ارضا او شربا او شجرة وحيوانا ثم يدعها الى الكمالات ملك آخر
وتصرف ودعت تلك الاملاك هى النفوس المدبرة لكل نوع نوع الى ان
يوصله الى كماله وينتهى الى رب الارباب وبارئ الكل فالمدبر للشىء
والموصل اياه الى كماله لا يفارقه بل هو ربه ولا يخرج من دائرة شىء وقد علمت

منا سبة الطبع والنفس فارتق بعقلك الى الذروة فان النسبة
واحدة ولما بيان الجملة الثانية وتعليقها فيظهر من ان يكون مستبينا
عندك من ان كل ثابت باق فهو محيط بالمتغير الفاني وذلك لان
الاشياء الممكنة لاتخلو اما مبدأ اقدم من ان يكون مبدأ زمانيا او دهريا
او سرمديا اذ لا شيء خارج عن هذه الظروف وكلما له اول فله آخر
بمعنى ما ينتهي اليه وجودها سواء كان ذلك آخرا من الزمان او دهريا
آخر دهريا او سرمديا حيث يكون وجود ذلك الشيء الاخير بعد وجود
هذا الاول وكلما له اول وآخر فهو محاط بالاول والآخر والذي له
الاولية والآخرية بذاته هو المبدأ الاول فهو محيط بكل شيء بحيث
لا يعزب عنه مثقال ذرة وصمد لا يخرج من حيطته شيء ولا مكان
له جوف وقوة الا نرى الى المكان حيث يحيط بالامور المكانية المتبدلة
عليه ظاهرا او باطنا والى الزمان حيث يحتوي على الزمانيات
الموجودة المكانية لديه اولا وآخرا فليس نسبتهما الى ما فيهما كحيطة
بالقياس الى اجزائه الملونة ثم قس الامور العالية عن هذين الوعائين
اليهما والى ما يليهما فليس هما وما فيهما بالنظر اليها الا كنقطة
او آن فكيف الى ما لا نسبة له بشيء من هذه النسب بل الكل هالك
لديه خاضع فيما بين يديه وهو الاول والآخر والباطن والظاهر وهو
بكل شيء محيط ثم الا انظر الى الارض حيث لا خروج لها عن حيطة
السماء بها والى السماء حيث لا خروج لها عن احاطة الكرسي بها
لانه وسع كرسيه السموات والارض ثم الى الكرسي حيث لا خروج له عن
احاطة العرش اذ الكرسي وما فيه بالنسبة الى العرش كحلقة في فلاة

ثم

ثم الى العرش وما فيه بالنظر الى سرادقات جلاله وحجب كبريائه فسبحان الله
العظيم الذي لا يؤده حفظ شيء ولا يخرج عن احاطته شيء وايضا المكونات
والكائنات الحادثات باقية ببقاء استعداد المادة فان كان
الاستعداد ذاتيا فالشيء يدوم وذلك هو المكون وان كان مكتسبا
قد حصل من بعض المناسبات والمناظرات فيجب بقاء ذلك التناسب
واما المادة فباقية بعللها وتلك العلل باقية بالعلة الاولى كما انها
موجودة متشخصة بالعلة الاولى المستغني بذلك انها باقية بقاء
من عند المبدأ الاول او موجودة ومتشخصة بذات الحق تعالى على معنى
ان المبدأ الاول صار بقاء هذه الاشياء او وجودها او تشخصها بل على
معنى انها مظاهر بقائه الذي ليس سوى ذاته ووجوده من دون عينية
وعروض لان بقاءه هو انه لا يجري عليه الفناء ولا يصح عليه الزوال مطلقا
ووجوده انه لا يعدم في مرتبة من المراتب ولا يفقده ذرة في المشارق و
المغارب وكذلك هذه الحقائق متعينة بفاعلها الاول تعالى بمعنى انها
اول تعيناته الذاتية وشؤوناته الابتدائية عن مجده وسر ذلك ان الافعال
كما هي مظاهر الصفات كما عرفت ان كل صانع فانما يصنع بملكة نفسانية
وصفة راسخة باطنية كذلك الصفات مظاهر الذوات ولما كانت هيهنا
ذات وحدانية بسيطة غاية البساطة فلها الحقيقة جمع بذاته المبدأية
الصفات وقد سلف منا تحقيق ان هذه العلل الاوائل هي كلمات الله
العليا واسماؤه الحسنى كما وقع في الاخبار والادعية المعصومية باسمك
الذي خلقت به كل شيء وظاهر ان الاسم ما دل على ذات وصفة فهو مظهر
الصفة وصفات الباري كلها سلوبية محضة بل ليس الا الذات الاحدية

فقولنا هذه الحقايق باقية ببقاء الذات لا نعني بها الا انها باقية
بالذات اذ الذات باقية ببقائها وموجودة بذاتها كما انها عالمة بذاتها و
متعينة بذاتها ونظر التصحيح ذلك كله الى ان ذلك الحقايق هي مظاهر
تلك الصفات بالمعنى الذي قلنا وتحت هذا سر مكنون لا يحصر في اقل من
اكثر مما ذكرنا اذا دريت ذلك فنظر معنى البقاء لا احاطة تعالى بجميع الاشياء
بطريق اشرف واعلى واما بيان الجملة الثالثة وتنبيهها عن قدرة مع فرض شيئا
فاعلم ان الاحصاء هو التعداد سواء كان ذلك عن علم وشعور او لا حتى
انه يصح ان يقال المكان بالنسبة الى المكانيات المتواردة عليه انه احصاها
وكذا الزمان بالنظر الى الزمانيات الحادثة فيه نعم انما يفيد الاحصاء
الصفة العلم لا في نفس مفهومه بل في كماله وهذا فرع على كمال احصاء الله
للاشياء على قدرته تعالى وان كان احصاها علمه تعالى ايضا بيان ذلك
ان القديم الذي لا بداية له ولا نهاية له يكون بالنظر الى الموجودات المتبدية
سيما ما وجوده لحظة وجودها اليه كخيط يحاذي الوانا مختلفة لا كلا
بل كسلك يعرض كل جزء منه لون او كسطح يلي فرجا هو هوية للمثل الاعلى
من ذلك اذ ليس هيهنا امتداد ولا عروض ولا محاذاة بل الكل هالك ساقط
عن نفسها فيما بين يديه لكن يمكن ان يفهم اللبيب من هذه النسب المتقاربة
ما ينبغي ذكره وبعد عن جلاله واما بيان الجملة الرابعة وتعقيبها على
القدرة فاذا دريت ان القدرة المطلقة والقوة المرسلة هي التي لا يثقلها
ركبان المهيات من المواد الثلث واحكامها اذ الموجب بالكسر والفتح
لا يخلو عن اضطرار ما كما اشرنا والممكن لذا الشيء محتاج الى مرجح او داع
او باعث الى غير ذلك والممتنع عند الشيء عاجز وقد يستوي عجز الاشياء عن كل

واحد

واحد واحد من شؤونها واحوالها تدل على قدرة مطلقة مرسلة لا يضطر
شيء ولا يحتاج الى شيء في شيء ولا يمتنع عن حكم شيء فقد بينت تلك
قدرة مطلقة لا امتناع منها لشيء من الاشياء كفى باتقانه الصنع لها
اية وبتركيب الطبع عليها دلالة وبحدوث الفطر عليها قدمه
وباحكام الصنعة لها عبرة فلا اليه حد منسوب ولا له مثل مضروب
ولا شيء عنه محجوب تعالى عن ضرب الامثال والصفات المخلوقة
علوا كبيرا الطرف في ظاهرها متعلق بالانحراف وفي علتها الاولى
متعلق بالمركب لانه مصدر ميمي بمعنى التركيب وفي علتها الثانية متعلق بالحدوث
وفي الها متعلق بالاحكام واعلم ان الفقرة الاولى والرابعة دليل على الفاعل
العالم القادر ولا دلالة لهما على الفاعل المتصف بالوصفين كونهما
والثانية على ذلك وارادته ايضا والثالثة دليل القدم اما دلالة الاتقان
والاحكام على العلم والقدرة فقد طول الكلام فيهما في كتب القوم من علم
تشريح الافلاك والابدان وفنون السماء والعالم وكائنات الجو وكتاب
النبات والحيوان الى غير ذلك وناهيك في ذلك حديث مفضل بن عمر المروي
عن الامام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه واما دلالة تركيب الطبع
على الاشياء على العلم والقدرة والارادة فلان الطبيعة هو مبدأ التغير
لما هي فيه وهي الة فاعلة بارادة الله واذنه كما نص بذلك في حديث المفضل
بل هي مظهر تلك الارادة كما اومانا اليه سابقا ولا ريب انها قوة عديمة
الشعور ولا كانت نفسا ولها حالة في المادة كما يدل عليه التعبير
بالتركيب اذ التركيب بمعنى القيام وهو الحلول او ما هو اعم منه فالافعال
الحكمية الصادرة عن هذه القوة العديمة الشعور مع كونها حالة او قائمة

بشيء يدل على كونها متحيزة تحت حكم من يكون فوقه ولا يكون مثله لان القائم
بالشيء محتاج الى ذلك الشيء فلا يكون فاعلا له وليس وجوده من ذاته اذ القائم
بالغير من حيث متعلق بالغير فكيف يكون وجوده من نفسه ولا ايضا وجوده
من ذلك الشيء القائم هو به اذ القابل للشيء لا يكون فاعلا له فلا بد ان يكون
مستندا الى ثالث غالب قادر بنفسه مريد لافعاله لان كل من هذا شانه
اى الركوب على الشيء والقيام به فهو غير شاعر والفاعل الذى فوقه يكون
مجردا لا محالة فهو عالم مريد لانه مجرد واما دلالة الحدوث على القدم فقد ظهر
غير مرة واما قوله فلا اليه حد له فالغاية فيه فصيحة اى كفى في الاشارة الى العلم
وعلى صفاته العليا هذه الاشياء والا فليس ههنا حد حتى ينسب اليه
شيء ليعرف بتلك النسبة اذ الحد مطلقا هو ان يكون وجود الشيء يتم عنده
فيبتدئ من ذلك الحد وجود شيء اخر سواء كان مقداريا او معنويا
فاذا وجد الحد فقد تحققت النسبة وانه سبحانه ليس محدودا بحد خاص وذلك
لان ذاته سبحانه ليس من سنخ الاشياء بوجه ما ولا يجمعه مع الاشياء امر عام
يصدق عليهما فلا ينتهي الى شيء من الاشياء ولا نسبة له اليها وكذلك ليس
له سبحانه مثل حتى يضرب له فيعرف بذلك اذ هو متعال عن ضرب الامثال
فكل ما يتمثل به من البحر والموج ومن الظل وصاحبه فهو غير سديد وهو تعالى
عنه بمكان بعيد وله المثل الاعلى من ذلك التحديد والدليل على ذلك
ان المثل بالتحريك والمثال لا بد وان يشترك مع الشيء الذى يضرب له
ذلك اشتراكا تاما والا فكيف يكون حاكيا لذلك الشيء وقد سبق ان سبحانه
لا يشركه شيء في شيء واما قوله فلا شيء عنه محجوب فكانه معلل لنفي الحد
والمثل وذلك لان الحد مطلقا هو المانع للشيء من الوصول الى شيء اخر

وما لا احد

وما لا احد له فهو يصل الى كل شيء ولا حد له فلا يحجب عنه شيء بل هو محدود
بحد كل شيء لان الواصل الى الشيء بحيث لا يكون مقارنا له ومجامعا
معه لا يمكن وصوله اليه الا ان يحد بحد ذلك الشيء والا فيكون مقارنا
له ومجامعا معه لا يمكن وصوله اليه الا به وايضا تنزهه عن المثل المضروب
يدل على ان لا شيء محجوب عن وصوله تعالى به اذ لو كان عنه شيء محجوبا
كان يمكن ان يضرب له المثل بان يقال مثله مثل شيء يوجد في كذا وكذا ولا يوجد
في هذا واما قوله عليه السلام تعالى عن ضرب الامثال فتنزيه عن المثل
المضروب واما قوله والصفات المخلوقة فتنزيه عن ثبوت الحد اذ الوصف
حد يحيط بالموصوف ويمنعه عن غيره بوجوده فيه سواء كان عينيا او غيره
وسواء كان عاما او خاصا اذ الاحاطة المعنوية اشد استحالة من الصورية
لان المحيط في الجسمانيات عسى ان يكون مما لا يحاط الا بالخارج كالماء في
الجسد ونفسه بخلاف المعنوية فان المحيط محيط ضرورة ولا يكون محاطا
محيطا به وظاهر ان الوصف مطلقا يحيط بالموصوف ويحصره ويميزه عن غيره
فيحقق التحديد وهو ممتنع على الله فلا وصف في الحضرة الاحدية ولا نعت
واما توصيف الوصف بالمخلوق فللكشف اذ لا يوجد وصف لا يكون مخلوقا
واقل ان يقتضيها لذات بذاته او يكون الذات بحيث يمتنع منه ذلك الوصف
فان كل ذلك مستلزم عليته ما من الذات بجهة ما لذلك الوصف فافهم واشهد
ان لا اله الا الله ايمانا بربوبيته وخلافا على من انكره واشهد
ان محمدا عبده ورسوله الايمان بالربوبية من اعظم مراتب العقيدة
وبه يصح الاعتقاد بتوحيد الافعال وصفة الارادة والقول بالبداء
والمحو والاثبات وخلق الافعال ونسبة الذهاب والمجيء الى الله الى غير ذلك

ولذلك نسبه جميع الامور الى نفسه وذلك لما قد دريت ان الربوبية هي مرتبة افعال
الله من الخلق والتقدير والقبض والبسط والاعطاء والمنع والاحياء والاماتة
والاصابة بالخير والشر والهداية والاضلال والاعزاز والاذلال وغير ذلك من الامور
التي لا تحصى وكل ذلك من الله كما قال عز من قائل قل كل من عند الله ولا ينافي ذلك
كون العبد فاعلا لافعاله باختياره كما قال عز شانه فما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك لان العبد كما كان نفسه ذرة من
افراد فيض كبريائه سبحانه كذلك قدرته واختياره وفعله وجميع شؤونه قطرة
من بحار علوم صفاته جل برهانه فانتساب الفعل الى العبد بعينه كانتساب
الوجود والتذوت والتعرف وسياتيك تحقيق ذلك ان شاء الله في
بابه ثم اعلم ان توحيد الافعال يمكن فهمه على وجهين احدهما هو الشايع بين
ارباب التوحيد من العرفاء المحققين وهو ان كل فعل صدر في عالم الخلق
من اي فاعل كان فانما هو بالحقيقة من الله سبحانه وعلل ذلك بان الطبيعة
الامكانية هي الطبيعة المحتاجة بالذات مطلقا الى الغير في جميع احوالها
واحكامها اذ لو كان ذلك الافتقار من وجه دون وجه لكانت مركبة
مع انها بسيطة ضرورة ولا ريب ان احتياج افرادها عين احتياج تلك
الطبيعة بناء على ما تقرر في مظانه من التحقيق ان الفرد هي الطبيعة بعينها
لا مع اعتبار قيد زائد على الطبيعة ولا اقل من ان يكون احتياجه فرع
احتياجها اذ ليس احتياج الافراد الى الغير لاجل خصوصياتها او لامر اخر
غيرها وغير طبيعتها والا لكانت مستغنية الطبيعة او كان بوجه طبيعة
اخرى محتاجة بالذات غير طبيعة الامكان وهو مما لا يمكن اذ لا نعني بالطبيعة
الامكانية الا الطبيعة المحتاجة بالذات الى غيرها ولا ميز في صرف الشيء بل

ان وجدت

ان وجدت طبيعة محتاجة فانما هي من افراد تلك الطبيعة ومحتاجة بواسطتها
ثم انه يجب ان يكون الشيء المحتاج اليه تلك الطبيعة وافرادها واحدا اذ معنى
لكون الطبيعة محتاجة الى الشيء الا كون الافراد محتاجة الى ذلك الشيء لان
احتياج الطبيعة الى الغير بالذات هو في وجودها ووجودها هو بعينه كونها
افرادا فلو كانت الافراد محتاجة الى غير هذا الشيء الذي احتاجت اليه الطبيعة لكانت تلك الافراد ليست افراد تلك الطبيعة
هف اذا تقرر هذا فنقول لا يمكن ان يكون فرد من تلك الطبيعة علة
للطبيعة او لفردها لان علية ذلك الفرد نفس علية الطبيعة وعينها كما ان
احتياجه عين احتياجها واستغناؤه نفس استغنائها فيلزم ان يكون
الطبيعة علة لنفسها فيجب ان يكون غير تلك الطبيعة علة لها او لفردها
وغير الممكن هو الواجب فظهر ان لا فعل لشيء من الاشياء الا بالله سبحانه وتعالى
والى ما قلنا اشار من قال الكل منا في معنى بالقوة فهو لا يكون مفيدا للوجود
وكذا يتضح منه قول ارباب الحكمة من انه لا مؤثر في الوجود الا الله فتثبت
والثاني من معنيي توحيد الافعال هو انه مع كون الفاعل واحدا بالبيان
المذكور فالفعل ايضا واحد وهو واجد بان يكون المراد من هذا التوحيد
فان الاول كان مفاده توحيد الذات والصفات المتقدمين على هذا
التوحيد بيان ذلك انه قد تحقق بهذا البيان ان الفاعل في الكل واحد
وثبت ايضا في مقره انها محركات المواد والموضوعات الى محرك اول
لا يتحرك ولا ريب ان هذا الفاعل هو الواحد المحرك للكل انما فعله
في مادة كلية واحدة اذ المواد المتكثرة انما يستند تحريكها الى فواعل
مختلفة فكما ينتهي تلك الفواعل الى فاعل قديم ومحرك اول كذلك ينتهي
المواد الى مادة واحدة يحاذي ذلك المحرك الواحد الاول ومنها المستبين في

في المباحث العقلية والشواهد النقليات هذا الفاعل الذي هو المحرك
الاول ليس له تجدد حال ولا له تمكن متحركا غير متحرك ثم من البراهين ان الفاعل
الواحد انما يفعل في القابل الواحد فعلا واحدا بسيطا وههنا الفاعل
بسيط والمادة بسيطة ايضا فالفعل واحد وليس ههنا تجدد حال حتى
يمكن تجميع الافاعيل والتحريكات من الازل الى الابد فهي فعل واحد حركة
واحدة لكن التكثر والتجدد انما هي بالنسبة الينا وبقياس بعض تلك الحركات
الى بعضها لكونها واقعة في سلسلة الزمان حادثة بالتجدد والسيلان
ولنمثل ذلك في خيطة طويلة عليها لواقع الاشياء بالترتيب وبكل واحد يتعلق
اشياء اخر الى ما لا يحصى فان المبدا المحرك اذا حرك حركة واحدة يتحرك جميع
ذلك بتلك الحركة الواحدة لكن بكل بالترتيب الذي وقع اولا فالاول فيرى
حركات مختلفة وتحريكات شديدة وضعيفة ثم ان هذه الصنعة اللطيفة
المسماة في هذا الزمان بوقت الساعة لعبرة لمن اعتبر حيث يتحرك تلك المتحركات
المختلفة انواع الحركات بحركة واحدة من مبدائها وفي الارض ايات للموقنين
ولعمر الحبيب ان هذا البيان مما اختص بهذه الاوراق وانما قولهم عليهم خلافا
على من انكره اى انكر ربوبيته فلرد على منكري الربوبية وهولاء جماعة
لا يحصى كاليهود فان عندهم ان الله قد فرغ من الامر والاعتقاد بالربوبية
هو ان يعتقد انه كل يوم هو في شان من احداث بديع وكذلك الجبرية
لانهم يعتقدون ان نسبة الفعل الى العبد بالمجاز وذلك ينافي الربوبية
اذ الحق الذي ينبغي لمرتبة الربوبية ان يعتقد ان الفعل مع كونه بالحقيقة
من العبد فهو من هذه الجهة بعينه منسوب الى الله وكذلك المفوضة فانهم
لا ينسبون خلق الافعال الى الله سبحانه اصلا وذلك نقص لمرتبة الربوبية

ثم اعلم ان العبودية التامة هي التحقق بالافتقار الذاتي وذلك مما شرف
الله به سيدنا ومولانا سيد المرسلين صلوات الله عليه واله ولذلك
صار اخص اوصافه وافضلها حيثما ذكر ولا يخفى ان الافتقار الذاتي ثابت
للكل فان مقام التحقق غير الثابت في نفس الامر فان التحقق بعد العلم فان
الناس لا يعلمون فضلا عن ان يكونوا بذلك متحققين والعلم انما يكون
بما في نفس الامر وبالجملة فالمتحقق بمقام العبودية التي هي الافتقار الذاتي
في كل شيء انما يحاذي بمنزلة شطر الحق والغني المطلق وشان المراة المصقلة
الانعكاس مما يحاذيها فلذلك يتجلى في رسول الله صلى الله عليه واله ذات الحق
وصفاته وافعاله جميعا فوجهه وجه الله فمن راني فقد راى الحق ويده يد الله ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكلامه كلام الله ان هو الا وحي يوحى
وفعله فعل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فبه يسمع وبه يبصر وبه
يبطش وبه يمشي هو وجه الله وعينه ويده ولسانه المعبر عنه وجنبه الى غير ذلك
وهو العبد المحض الذي قد طهره الله من كل رجس اي من كل ما يشينه فان
الرجس القذر كما قاله القران ولذلك اختار نبينا صلى الله عليه واله ومعه
جبرئيل يخبره اذ انشق افق السماء فاقبل جبرئيل يتضاءل ويدخل
بعضه في بعض ويدنو من الارض فاذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله صلى الله
عليه واله فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويخيرك بين ان تكون
نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا قال عليه السلام فاشار جبرئيل الي بيده
ان تواضع فعرفت انه لي ناصح فقلت عبدا نبيا فعرج ذلك الملك
الى السماء الحديث ثم اعلم ان الرسالة المطلقة والسفارة المرسلة
هي الدائرة الكلية والفلك التام المشتمل على افلاك جزئية وذلك لان الامر

تلك المنزلة كما في الاخبار فقد ورد
عن ابن عباس قال بينما رسول الله
صلى الله عليه واله

الروحانية كلها دوائر لبساطتها وكل دائرة فانها مشتملة على نقاط هي
الدائرة كل نقطة منها مركز الدائرة حقيقية وافلاك كرية وصاحب هذه
الدائرة الكلية هو الرسول الذي بلغ الى مرتبة الجامعية وجمع الاخلاق الالهية
التي هي مائة وسبعة عشر خلقا كما ورد في الاخبار العامية وليس ذلك الا
لنبينا صلى الله عليه وآله فانه جمع تلك الاخلاق كلها ولقد وجبت له العناية
الالهية وكان آدم ومن دونه تحت لوائه وكان لواءه لواء الحمد والحمد وهو
استجماعية جميع الصفات الالهية والمحامد الربانية ولانه هو الذي اوتي
جوامع الكلم والخلق الاعظم وهو سلطان العالمين وشفيع الكل يوم الدين
لجميع الانبياء والرسل المكرمين لما هم تحت قوائم عرش جلاله وقد دخل كاله
وهم عليهم صواحب الدوائر الجزئية المحصنة الناقصة والرسالة الكلية
الالهية مما اختص به نبينا صلى الله عليه وآله مع انهما يكلاه على مرتبة
جامعية ومظهرية لانه الامام ائمة الاسماء وهو الله ذكرها عليه السلام في هذه الخطبة
في نعته صلى الله عليه وآله المعنى في خير مستقر المتناسخ من اكارم الاصلاب
ومطهرات الارحام مستقره صلى الله عليه وآله قبل وجوده الكوني في بين يدي
ربه العلي ثم في اللوح والقلم ثم في سرادقات الجلال وحجب الكبرياء ثم في العرش
والكرسي ثم في السموات السبع الى ان نزل الى العالم السفلي في كل ذلك
مدة طويلة من سني الالهية والربوبية كما فصل في الاخبار ثم لما الصعود
فاستقر في آدم صفي الله وانتقل من نبي الى نبي او وصي الى ان ظهر بصورته
الكونية التي هي رحمة للعالمين ولما حين وجوده الكوني ففي جوار حرم
الله بل عند الله كما قال صلى الله عليه وآله ابيت عند ربي هو يطعمني
ويسقيني وفي المدينة المشرفة التي هي قطعة من رياض الجنة واما بعد ذلك

ازلية

التي محيطة لتلك الدائرة العظيمة ولما كان هنا ان الو اي الصورية

فني المقام

ففي المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة الموعودة والشهادة
المقبولة وبالجملة ففي كل موطن من مواطن القيمة ففي المرتبة العليا والمقام
الاسنى ففي الخبر الطويل المختصر ان الله خلق نور محمد صلى الله عليه وآله
قبل ان يخلق السموات والعرش والكرسي واللوح والقلم وقبل ان يخلق
الانبياء كلهم باربعمائة الف واربع وعشرين الف سنة وخلق الله منه اثني
عشر حجابا المحجوب به في حجاب القدرة اثني عشر الف سنة وفي حجاب العظمة
احدى عشر الف سنة وفي حجاب المنة عشرة الاف سنة وفي حجاب الرحمة
تسعة الاف سنة وفي حجاب السعادة ثمانية الاف سنة وفي حجاب الكرامة
سبعة الاف سنة وفي حجاب المنزلة ستة الاف سنة وفي حجاب الهداية خمسة
الاف سنة وفي حجاب النبوة اربعة الاف سنة وفي حجاب الرفعة ثلثة
الاف سنة وفي حجاب الهيبة الفي سنة وفي حجاب الشفاعة الف سنة
ثم اظهر عز وجل اسمه على اللوح فكان على اللوح اربعة الاف سنة ثم اظهره على
العرش فكان على ساق العرش سبعة الاف سنة الى ان وضعه الله في صلب آدم ثم
نقله من صلب آدم الى نوح ثم من صلب الى صلب حتى اخرجه من صلب عبد الله
واما ابهمنا تناسخه صلى الله عليه وآله في الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة
لكن حقيقة ذلك التناسخ من المقامات العويصة والمعارف المستعصلة
عند اهل العرفان والذي عندي من فضل الله سبحانه في ذلك وتحصيله
بافضل البيان هو انك قد عرفت ان النفس الكلية لست اعني بكليتها ما اصطلح
عليه القوم من المنطقي والطبيعي والعقلي فان كل ذلك لا وجود لها الا بالذهن
بل اعني بالكلية الارسال العقلي والاطلاق المعنوي بحيث يحتوي مع وحدتها
العقلية المتعينة بفاعلها على جميع اعداد النفوس كما احتوى الكلي على

افراده بل من قبيل احتواء الكل على اجزائه لا ان هيهنا كلا وجزءا اذ لا تعدد
هنا ولا كمية بعرضها الا بل على معنى انه لو كانت ذات كمية لكانت كذلك
وبالجملة فهذه النفس الشريفة الالهية لما هبطت باذن ربها مع خصوصها
الجلي على كثرات المتنزلة الى ارض الاجساد حيث قبلها ولما يشتمل
عليها وتحيط بها من الانفس التي تحتها اهبطوا الى الارض وهذا الاذن هو معنى
اقتضائها الذاتي لاستصلاح المادة وتدبيرها انطبعت في المادة بحيث
صارت طبعا كما قدرت سابقا فتكثرت بسبب المادة وبالعرض منها
ثم انه ليس بخاف عند كل موجود فله حظ من الكمال وحصة من اشعة صفات
الجمال والجلال على قدر مرتبته فلهذه النفس الشريفة الالهية نصيب من ذلك
حسب درجتها ولا سبيل للعقل الى تعداد كمالاتها الا بالوحي الالهي والكشف
الروحي كما ورد في الاخبار ان ثلثمائة وتسعة عشر خلقا ينبغي التخلق بها
وان الاسم الاعظم ثلثة وسبعون حرفا ينبغي للانسان تحصيل جميعها وان
للاسماء الالهية مظاهر في العالم وكما ان اسماء الله على كثرتها انما يكون تحت
اسم جامع لحقايقها هو امام ائمة الاسماء كذلك يمكن لشأن الانسان التام
ان يكون مظهرا لذلك الاسم الامام وبالجملة فلنقنع وضعا ما ان لهذه النفس
الشريفة ان تخلق بمجموع هذه الاخلاق وتتحقق بجميع هذه الاسماء والصفات
وتحصل لها كلية هذه الاحرف والكلمات التامات والكمالات الاجمال ه
يكفينا في تتميم البرهان ومن المستبين ان هذه النفس الالهية لما انحطت
في الارض الشاهقة فلما نادها منادي العناية الالهية نداء الرجوع بقوله
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وهذا النداء
هو اقتضائها الذاتي لاستجماعها الكمالات المتفرقة في شتاتها وميلها

الى

الى مقرها الاصلي وعالمها الالهي فتحركت للنزوع الى جلب تلك الكمالات
واستيقظت من نومتها التي في مهاد الكيانيات فاخذت في الطلب
من كل جهة من اجزاء هذه المادة المنطبعة فيها والتمست الخروج من كل برج
فرج ابدانها وما لها المركبة للقوى البشرية استجلاب تلك الكمالات الا
في المدد الطويلة وكان مزاج كل شخص في معرض الزوال دون مدى بلوغها
فكلما احصل لها كمال في ضمن بدن سهل لها الخلاص من مضيق جسده كما حصل
لحضرته وان شتت تلك الحضرة وقوة من تلك النفس الشريفة خلاصا حتى ارتقى
الى مستوى الكمال الانساني وعرج الى قاب قوسين من النزول والصعود وهو
الانسان الكامل فكانها كانت تلك النفس الالهية بكلية حصصها وتمام
اعضائها وقواها في ذلك الشخص ولا سبيل الى معرفة خصوص هذا الشخص
الا بالوحي الالهي وكشف رباني كما ورد في الايات والاخبار انه نبينا رسول الثقلين
وخاتم النبيين وسيد المرسلين ولذا ختم به السفارة الالهية وتخلق
بقاطبة الاخلاق الالهية كما خوطب بقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ادبني ربي فاحسن ادبي وكان جميع
حروف الاسم الاعظم عنده الا واحدة استأثر الله بنفسه فهو الانسان
الكامل الذي قد علم انه تقلب في الصور بالتمام وتناسخ في الاصلاب
والارحام ولذلك صح له ان يقول انا آدم الاول وانا نوح وانا شيث وابرهيم
وانا مع الانبياء كلهم وانا معلمهم ومخبرهم وانا صاحب الكرامات والملك
العزيز الملكا ورد في خطبة البيان وهذا هو التناسخ الحق ولذلك
قيل ما من مذهب الا وللتناسخ فيه قدم راسخ واما التناسخ المستحيل
فهو انما يكون في النفوس الجزئية عند من قال به وقد ابطله علماؤنا شكر

مساعيهم في ضعفائهم وتمام تؤكد ذلك ما روي في الخصال عن جابر بن
عبد الله رحمه الله قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أول شيء خلقه
الله ما هو فقال نور نبيك يا جابر ثم خلق منه كل خير ثم أقامه بين يديه
مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش من قسم والكرسي
من قسم وحملة العرش من قسم وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع
في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء والشمس
والقمر من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء
الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور
وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق من كل قطرة
روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم أرواح
الأولياء والصالحين والشهداء ومما يجيء بعد ذلك التبيان ايراد
كلام لبعض أهل الولاية والعرفان قال قدس سره اعلم ان مرتبة الانسان
الكامل من العالم مرتبة النفس الناطقة من الانسان وهو الكامل الذي
لا أكمل منه وهو محمد صلى الله عليه وآله ومنزلة الكمل من الاناسي النازلين
عن درجة الكمال الذي هو الغاية من العالم منزلة القوى الروحانية من
الانسان وهم الانبياء صلوات الله عليهم ومنزلة من نزل في الكمال عن درجة
هؤلاء من العالم منزلة القوى الحسية من الانسان وهم الورثة رضي الله
عنهم وما بقي ممن هو على صورة الانسان في الشكل هو من جملة الحيوان
فهو بمنزلة الروح الحيواني في الانسان التي يعطي النمو والاحساس اعلم
ان العالم اليوم بفقد جمعية محمد صلى الله عليه وآله في ظهوره روحا
وجسما وصورة ومعنى نائم لا ميت فإن روحه الذي هو محمد صلى الله عليه وآله

هو

هو من العالم في صورة المحل الذي هو روح الانسان عند النوم الى يوم
البعث الذي هو مثل يقظة النائم هنا وانما قلنا في محمد صلى الله عليه
وآله على التعيين انه الروح الذي هو النفس الناطقة في العالم لما اعطاه
الكشف وقوله صلى الله عليه وآله انا سيد الناس والعالم من الناس فانه
الانسان الكبير في الجرم والمتقدم في التسوية والتعديل لنظم صورة
نشأة محمد صلى الله عليه وآله كما سوى الله جسم الانسان وعدله قبل وجود
روحه ثم نفخ فيه من روحه فصح كان به انسانا تاما اعطاه الله ملك
خلقه ونفسه الناطقة فقبل ظهور نشأته صلى الله عليه وآله كان العالم
في حال التسوية والتعديل كالجنين في بطن امه وحركته بالروح
الحيواني الذي يحصل به الحيوة فلأجل ذلك فيما ذكرناه لك فإذا كان
في القيمة حيي ذلك العالم بظهور نشأته صلى الله عليه وآله مكملة من قوة
القوى وكان أهل النار فيه رتبتهم في انسانية العالم مرتبة ما يبقى
من الانسان فلا يتصف بالموت ولا بالحيوة ولذا ورد فيهم النص من رسول
الله صلى الله عليه وآله انهم لا يموتون والملائكة من العالم كالقوى الظاهرة
في خيال الانسان وكذا للجن فليس العالم انسانا كبيرا الا بوجود
الانسان الكامل الذي هو نفسه الناطقة كما ان نشأة الانسان لا يكون
انسانا الا بنفسه الناطقة ولا يكون هذه النفس الناطقة كاملة الا
بالصورة الالهية المنصوص عليها من الرسول فكذلك نفس العالم الذي
هو محمد صلى الله عليه وآله حاز درجة الكمال بتمام الصورة الالهية في البقاء
والتنوع في الصور وبعد بقاء العالم بفقد بدن الحال العالم قبل
ظهوره صلى الله عليه وآله كان بمنزلة الجسد المسوى حال العالم

بعثته يوم القيمة بمنزلة الانتباه واليقظة بعد النوم انتهى كلما ثم التزمه
وكل ذلك انما يتضح بالبرهان الذى قلنا فى تناسخه من الاصلاب والارحام
فاحتفظ بذلك فغادة ذلك مما لم يكتب فى صحيفة ولم يودن الى هنا فى كتب
بين ارباب الحقيقة والحمد لله اولا واخرا المخرج من اكرم المعادن محتدا
وافضل المنابت منبتا من امنع ذروة واعز ارومة المحتد بفتح الميم
وكسر التاء والمثناة الفوقانية الاصل والطبع ونقل صاحب المجمل عن ابى صبحى
ان بقال العين محتدا ومثابة الماء ومنه المحتد والمنيع الذى لا يصل اليه
الايدى فى رفعته والذروة الاعلى من كل شى والارومة بالفتح والضم
الاصل وكلمة من فى قوله من امنع للبيان اى هذا المحتد وذلك المنبت ليس
من السفليات اذ انسب الى العالم وكذا الس من الاسافل اذ انسب الى آدم
فمحتده من العالم معدن الذهب الذى خلق من نور شمس عظمة الله ذكره الولاية
المطلقة التى هى معدن الذهب فى الخصال عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله قال لما خلق الله نورى ابتدعه من نوره واشتقه
من جلال عظمته ومعدنه من آدم معدن الفضة التى خلق من نور قمر الله
اذ لم النبوة الكلية التى هى معدن الفضة ولما من بنى آدم فمعدنه من بنى عبد المطلب
سكنة بيت الله وجيرة حرم الله ذو الشرف الجليل والكرم النبيل واما
منبته الافضل فيجئ عند بيانه قوله فحمر ابنت ولما وجد بيانية
فمن امنع ذروة آه للمنبت والمعدن فلان المعادن الجسمانية
انما يكون فى الارض فى بطنها وفى المكان البعيد من الشمس الحسية بخلاف
المعادن الروحانية فانها فى السموات العقلية التى كل واحدة منها
ارض بالنظر الى ما فوقها كما فى الخبر وفى محيطها وقريب من الشمس الحقيقية

بعد موته بمنزلة النائم وحاله العالم

اذ الشمس

اذ الشمس المعنوية على المركز من فلك السموات الروحانية لا انه ليس بين
المركز والمحيط منها ابعاد مساحية بل المركز والمحيط واحد بالحقيقة
وانما فيهما بطون وظهور وعلة ومعلول وايضا الاشجار الجسمانية
يكون اصولها الثابتة انما هى فى الارض وفروعها فى السماء واما الشجرة
الروحانية فاصلها ثابت فى الذروة الاعلى واغصانها ممتدة الى
الارض السفلى كما فى حديث اشجار الجنة انها متدلية الى قصور اربابها
وكما روى عن النبى فى صفة سدرة المنتهى عن الصادق عليه السلام ان رسول الله
صلى الله عليه وآله قال لما جاوزت سدرة المنتهى وبلغت اغصانها
رايت بعض ثمار قضبانها اثداؤه معلقة يقطر من بعضها اللبن ومن
بعضها العسل ومن بعضها الدهن ويخرج من بعضها شبه دقيق السميد
ومن بعضها الثياب ومن بعضها كالنبق فهوى ذلك نحو الارض فقلت
فى نفسى اين مقر هذه الخارجات عن هذه الاثداء وذلك انه لم يكن معى
جبرئيل لانى كنت جاوزت مرتبته واختزل دونى فنادانى ربى عز وجل
فى سرى يا محمد هذه انبتها من هذا المكان الارفع لاغذو منها بنات
المؤمنين من امتك وبنيهم فقل لآباء المؤمنات لا تضيقن صدوركم
على فاقتهن فانى كما خلقتهن ارزقهن وكما ورد ان شجرة طوبى اصلها
فى دار على بن ابى طالب عليه السلام وكل غصن منها فى دار مؤمن من اهل
المشارق والمغارب وليست دار امير المؤمنين هى التى كانت تارة فى المدينة
المشرفة واخرى فى الكوفة بل هى مرتبته العالية من الولاية الكاملة و
غصونها التى فى بواطن كل من دونه من شيعته ومحبيه هى مرتبتهم من
معرفته وحظهم من الايمان به من الشجرة التى صاغ الله منها انبياءه

وانجب منها امناوه كلمة من البيان اعنى از بيان للرسول المخرج من
افضل المنابت ولا ريب ان المخرج من المنبت شجرة فهو صلى الله عليه وآله والشجرة
غصونها الانبياء وثمارها الامناء اذ الضياغة من الشجرة انما يليق
بالغصون ولا انجاب سواء كان بالجيم او الخاء المعجمة انما يليق بالثمار المعبر
عنها عن الاولاد الذين هم ثمرة فؤاده لان الثمرة هي النجبة من الشجرة والنجيب
منها وبالجملة تلك الشجرة اصلها وجذرها رسول الله صلى الله عليه وآله
وفروعها وجذعها امير المؤمنين ع اغصانها وقضبانها سائر شيعتهم
من الاولين والآخرين واما سائر الناس فكالديدان والحيوانات المتكونة
في خلال الشجرة واوراقها واثمارها واما اصل تلك الشجرة فهو بيد الباري
كما يسمي الحكيم الكلمة التي في الاشياء بذورا اينما فيها الباري ويسمى
افلاطون المثل النورية وذلك البذر هو جوهر النفس كالحبة التي ابذرها
الله في المادة الكلية واوجدها من نور العظمة الالهية ويقرب من هذا
ما روى صاحب بصائر الدرجات باسانيد معتبرة عن عمرو بن يزيد قال سألت
ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى اصلها ثابت وفرعها في السماء فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله والله جذرها وامير المؤمنين فرعها والائمة
من ذريتهما اغصانها وعلم الائمة ثمرها وشيعتهم ورقها فهل ترى
فيهم فضلا فقلت لا فقال والله ان المؤمن ليموت فتسقط ورقة من تلك
الشجرة وان ليولد فتورق ورقة فيها فقلت قوله تعالى تؤتي اكلها
كل حين باذن ربها فقال يعني ما يخرج الى الناس من علم الامام في كل حين
حين بينا لعن الحديث واقول قوله والله جذرها على الجر بواو القسم
وجذرها بالرفع خبر رسول الله وقوله فضلا بالضاد المهملة اي هل ترى

بين

بين اصل الشجرة وفرعها واغصانها فاصلة وبينونة بل الكل شجرة
واحدة من اصل واحد البذر الطيبة العود المعتدلة العمق الباسقة
الفروع الناضرة الغصون اليانعة الثمار الكريمة الجناء فهيهنا
فاكهة الاولى اعلم ان طيب العود اشارة الى انتشار فيض كل ولي في اهل
زمانه من المؤمنين بل الخاطبة العالمين واستنشاق الارواح الطاهرة
ارايحهم الطيبة من كل جهة وفي كل حين كما كان يعقوب عليه السلام يجد ريح
يوسف مسيرة شهر او اكثر من ذلك الزمن ورسول الله صلى الله عليه وآله يجد نفس
مائة
الرحمن من جانب اليمن وكما سيكون ان شاء الله في آخر الزمان يجد الثلاثة
والثلاثة عشر من المؤمنين طيب القائم من آل محمد صلوات الله عليهم فيتفقدون
على فرشهم ويسيرون اليه في اقل من ليلة وذلك الثلاث والحاصل ان عالم
السرور وموطن النور فعالم الروح والريحان بل هو الروح والريحان كما ان
ريحانتا
سيدي شباب اهل الجنة ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ذلك
ان كل شيء في العالم الحسي فله حقيقة روحانية في عالم القدس وحقيقة
الولي لها اشتمال الجلي على كلية الانوار القدسية ولان كل ما في هذا العالم
فانه اثر لما في ذات النفس فالى ولي الله ينتهي الارايح الطيبة والالوان
البهية والحسن والبهاء في جميع البرية وهو الاصل فيها بالحقيقة وهذه
فروعها السفلية وقد مر البرهان على كل ذلك في المقامات السابقة
ولا تتعجبن يا اخي من ذلك فان من نفس الانبياء خلق اولياء زمانهم
كما مضى في حديث جابر الانصاري وبانفاسهم يدور الافلاك بل العالم
لما خلقت الافلاك والاملاك وجابنا ابراهيم بينت النبات كما ورد
في خبر ميثم ان رأى امير المؤمنين عليه السلام الطلع في ابر الى نضر غاطبا البر والبحر

هذه مر نقل صاحب كتاب علم اليقين وكذا
منه رحمه

تخاطبه فلما احس عليه بالم التفت وانشد ؛ وفي الصدر لبانات
اذا ضاق لها صدري نكت الارض بالكف وابديت لها سري ؛ فمهما
تنبت الارض ؛ فتلك النبت من بذري ؛ اما ما تخلق الاولياء من نفس الانبياء
صلوات الله عليهم فمن طريقين حسب ما الهمني الله تعالى والخبر الاول
ان النفوس القوية الشديدة النورية اذا انفصلت من مادة صالحة لظهورها
حسب ما اراد الله تعالى والنور القوي ما يلزمه الاضاءة والانارة فاستنارت
بسببه المواد الصالحة للاستنارة فخلقت منها ارواح الاولياء الذين
في حيطة ذلك النبي وتحت حكمه وقد شوهد ذلك في النفوس القوية الغير
الشريفة كما حكي في جنكيز سلطان الترك ان بعد موته صارت الاراضي التي
في اطراف قبره ذات اشجار كثيرة من غير غرس فما ظنك بانبياء الله واوليائه
في حيوتهم ومماتهم والثاني انهم لما دعوا عباد الله اليه وذكروهم بايام الله
واسراره واظهروا لهم نعماء الله والائه رشح بعض تلك المعارف المأخوذة
من الانبياء في قلب من شرح الله صدره للاسلام فصارت تلك المعرفة حبة
قلبه فخلق الله منها وليا من اولياء الله اذ الانبياء والاولياء كلمات الله
تعالى وانما الانبياء يتكلمون عن وحي الهي وكلام رباني واما سر دوران
الفلك من انفاسهم فلما قد ثبت في الحكمة الحقة وصدق بذلك المكاشفات
السبحانية ان حركاتها شوقية عشقية واصل العشق ومعدنه انما هي
قلوب انبياء الله كما في حديث القدسي لا يسعني ارضي ولا سمائي بل يسعني
قلب عبدي المؤمن لان هذه السعة انما هي بسبب العشق التام والمحبة الكاملة
ولا فيكون المؤمن كساير الموجودات الغير القابلة للسعة وانما استدللنا
بالسعة على كون المؤمن اصلا في العشق لان السعة عبارة عن تجليه سبحانه

ذاتا

ذاتا وصفة وفعلا ومن تجليه ذلك انما يكون في محل قابل
والمحل القابل هو الذي يشتد عليه اشد الاستغناء وليس العشق
الا فرط المحبة والاستغناء ولان التجلي بهذه المراتب الثلث انما يكون
في شيء يحب الله ويرتضيه وحب الله للشيء انما يتسبب عن حب الشيء
له كما ورد في القدسيات من احبني احببته ومن تقرب الي شبرا تقربت
اليه باعا اذا تمهد ذلك بعد ما تقرر ان الانسان هو الاول بحسب الوجود
في العوالم السابقة والمتأخر في هذه النشأة فنقول ان الانسان
هو الاصل في العشق والمحبة والعشق يلزمه الحرارة والنفس الشديدة
التهابا بحرارة التشوق فاذا ظهر منه الحرارة انتشر في العالم فيتحرك
المتحركات بسببه وههنا سر اخر لدوران الفلك بسبب انفاس بني
ادم سيما الانبياء والاولياء لانهم الاصل في ذلك وهو ان الشيخ اليوناني قال
ان النفس من لدن عالم العقل الى مركز الارض فيكون الفلك موضوعا
في وسط النفس على هذا الاصل وتفصيل ذلك على ما اقول هو ان النفس
ذات جهتين جهة الى عالم العقل لانه اصلها ومنبعها وجهة الى عالم الحس
لانه اثرها وصنعتها وكل عال وهو محيط بالسافل يشتمل عليه اشتمال
العلة على المعلول ولا ريب ان كل بسيط سواء كان جسمانيا او غيره
فانما يقتضي شكلا بسيطا سواء كان من الاشكال الروحانية التي
لا فرق بين محيطها ومركزها او الاشكال الجسمانية التي بخلاف ذلك
والشكل البسيط هي الكرة فيكون النفس كرة روحانية مشتملة على
ما تحتها من الجسمانيات بحيث تكون الكرات الجسمانية في مركز تلك
الدايرة الشريفة لان نسبتها الى النفس نسبة واحدة فلا يتخصص

ان يكون في غير المركز اذ المركز له نسبة واحدة الى المحيط فيكون على المركز
للنفس فيصل فيضها الى الكرات الجسمانية التي في جوفها على نسبة سواء
بتنفسها كما يصل فيض النفس الجزئية التي فينا الى القلب بتنفسنا
وباستنشاق الهواء ولذلك يتحرك الفلك الذي للنفس بمنزلة القلب
بتنفس تلك النفس الشريفة انفاسها واستنشاق الفلك ذلك الهواء
الذي يجار فيه العقول وليس تلك النفس الشريفة الا النفس الكلية الالهية
التي يختص بها الانبياء والاولياء واما سر ان انبات الارض نباتها من
اسرار الانبياء والاولياء فهو ان تعلم ان انبات النبات في هذا العالم
الارضي انما هو بالكلمة التي للارض وبها صلاح الارض ونباتها وساير
شئونها وتلك الكلمة حية والا فكيف يحصل من الارض الميتة هذه الحيوانات
الارضية والاشجار النباتية وتلك الكلمة الموكلة على الارض هي التي يسميها
لسان الشرع بالملك حيث لا يكون ينزل قطرة من السماء الا بالملك الموكل
بها وانما عبرنا عنه بالكلمة لانها من جملة كلمات الله التي لا تبديل لها
ولا نفاد يعتريها ووجه التسمية بالكلمة لانها عبارة عن كلمة كن التي
هي الامر الايجادي بحيث وجد كل مخلوق حسب مرتبته ثم ان الكلمة الموكلة
على الارض والماء وغيرهما كلمة وسيلة على وفق رسالة الارض والماء حيث
اشتملتا مع تعينهما الشخصي على جزئيات كثيرة لا يحصى كذلك تلك
الكلمة مع وحدتها مشتملة على كلمات شتى حسب اختلاف اجزاء الارض
واقترانها بانواع النبات والحيوانات الحاصلة منها فهي رب لنوع الارض
فلها جزئيات بتبعية اجزاء الارض كما بينا سابقا ان ملكة الامور
المدبرة للمادة انما يكون بالعرض منها او بالواسطة اذا دريت ذلك

كما ورد في الخبرات وفي الكرات السماوية هو الهواء الذي يجار فيه العقول ع

واما النفوس الجزئية من بني ادم فمن تفاريع هذه النفس الكلية المختصة ومضمونها تتنفس بتنفسها وتدور الافلاك بانفاسهم كما ورد في الخبر منه

فاعلم

فاعلم ان حقائق تلك الكلمات المدبرات ومهيات ارباب انواع
الماديات ليست الا الانوار العقلية والمعاني الفائضة على النفوس
الشريفة فاذا النفس الكلية اذا توجهت بنحو تأملها العقلي افيضت عليه
المعاني النورية والجواهر العقلية فاذا اكتسبت تلك المعاني والانوار
من العلو افاضت الى ما تحتها من عالم السفل فيوجد بتلك المعاني الفائضة
والاشراقات النورية المكتسبة الاشياء السفلية بعد ما تنزلت تلك المعاني
من مرتبة مرتبة في سلسلة الاسباب الى ان انتهت الى المسببات فاذا
كان ولي الله الذي له تلك النفس الشريفة او المتحد بها بنحو اتحاد يظهر
تلك المعاني والانوار الى الكلمة الموكلة على الارض من دون وساطة
المراتب المترتبة فانبات النبات يكون بالطريق الاولى والاسهل ولذلك
قال امير المؤمنين فيهما تنبت الارض فذلك النبت من سري ومحصل الكلام
ان كنت من اهل هذا المقام هو ان تعرف ان الامور الكائنة الحاصلة
عندنا فانما هي قشور للانوار القدسية والمعاني العقلية بمعنى
ان تلك المعاني تنزلت الى ان انتهت الى هذه الجزئيات فاكتست
ذلك اللباس وصارت محسوسة بالحواس فاذا كانت يوم القيمة
التحقت السفلى بالعليا وبرزت الامور من حقايقها وبواطنها
فالكلمة الموكلة على الارض مثلا انما ينتظر الاشراقات التي اكتسبتها
النفس من العالم العقلي بان يفيض عليها فيظهر منها نباتات وحيوانات
فاذا البشر ولي من اولياء الله الذي له النفس القدسية واظهر تلك
المعاني والانوار الى تلك الكلمة الارضية فاذا استفادت منه ظهرت بها
بصورة النبات وغيره فكل ما نبت في الارض فمن اسرار اولياء الله

وهذا الذي قلناه من جملة الاسرار التي لا رخصة في افشائها اكثر مما ذكرنا
ولذلك لست تجده في مصنف ولا مكتوب اللهم الا على سبيل الرمز الغامض
الذي لا رخصة لا يطلع عليه الا من هو المعلوم الرحمية افضل الفاكهة الثابتة ان
اعلم ان عمود الشجرة هو الجذع الذي خرج من الاصل واعتمد عليه الفروع
والاغصان واعتماد الكل عليه كناية عن كون الوصية بالجملة المقتبسين
من مشكوة النبوة الختمية على استواء الكمال الاحدى والخلق العظيم المحمدي
والوصول الى الصراط المستقيم والدين القويم بحيث لا اعوجاج فيه من
الميل الى الشرقية النصرانية التي هي الافراط لانهم افرطوا في الامر حيث زعموا
ان الله هو المسيح بن مريم وعزب اليهودية التي هي التفريط حيث زعموا
ان عزير بن الله وان الله قد فرغ من الامر واما بسوق فروع الشجرة وكمالها
اي طولها فعبارة عن اشتمال الولاية المحمدية صلوات الله عليه واله على
مراتب حقائق الاولياء السابقين واللاحقين بحيث لا يخرج عن
حيطته نبي ولا ولي ولا يبعث الا بالاقرار بالولاية محمد وعلي صلى الله
عليهما والهما كما مر البرهان عليه وايضا عبارة عن وصولها الى اقصى معارج
الكمال واعتلاء ذكرها في السموات والارض مع ذكر الله ذي الجلال حيثما
ذكر في الاحوال واما نضارة غصونها فاشارة الى اتصال الفيض
الالهي اليها وسقيه سبحانه اياها من ماء الحيوة اذ تلك الشجرة واقعة
على حافة نهر يسمى بالحيوان بل هو نهر في الحيوة ولذلك اختصت
الطهارة به واهل بيته صلوات الله عليهم لان هذا النهر كما ورد في الخبر
هو الذي اذا انتهى اولياء الله اليه بعد ما يفرغ من الحساب فيغتسلون
فيه ويشربون منه فتبيض وجوههم اشراقا فيذهب عنهم كل قذى وعث

فاين هذا الذين غرسوا فيه وانبتوا منه فحججهم وسقوه دائما شرقا
ايناع ثمرتها فهو عبارة عن افاضة العلوم منه ومن اغصانها التي هم ذريته
صلى الله عليه واله على الانبياء والاولياء السابقين واللاحقين والملائكة
اجمعين واقتباس الانبياء والاولياء وغيرهم انوار المعارف من مشكوته
صلى الله عليه واله لانه مدينة العلم وعترته بابها فلا علم حقيقي الا وقد خرج
منهم وغير ذلك زخارف من الاقوال وترهات مشبهة بالكمال وليس
على صاحبه الا وبال واما كرامة الحشا اي كرامة نبات تلك الشجرة لان
الحشاء بالحاء المهملة والشين المعجمة النبات فالمراد بها كرامة ما ينبت
من تلك الشجرة المباركة من الاوراق والوان الفواكه اذ الاوراق هي الشيعة
والفواكه هي انواع المعارف الحقيقية والعلوم العقلية ففي الخبر عن
الصادق عليه السلام في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون قال ليس حيث
يذهب الناس انما هو العالم وما يخرج منه وقد مضى خبر اخر في هذا المعنى
في كرم غرست وفي حرم انبتت وفيه تشعبت واثمرت وعزت
وامتنعت فسمت وشمخت عني تلك الشجرة في الكرم هو كونها مخلوقة
بمحض فضل الله وكرمه حيث نالت المرتبة الجامعة لجميع فواكه حقائق
الانبياء والاولياء ومن دونهم كما قال صلى الله عليه واله ادم ومن دونه
تحت لوائي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكونها من اكرم قبائل قريش
وهم بنو عبد المطلب حيث لا يدنسهم من لدن ادم الى حين ظهوره اوساخ
الكفر والشرك ولا يشينه ادناس اللوم والزلل واما انبات ذلك
النبات السماوي وتشعبه وغير ذلك فتفصيل وجوده الكوني في حرم
الكبرياء حيث كان محسوسا في ذات الله ثم تشعبت منه انوار اوصيائه

المعبر عنهم بالحجب الاثنى عشر ثم اشرقت تلك الانوار الى ساير الانبياء والاولياء
والمؤمنين الممتحنين ثم الى ساير الموجودات واثمرت اى ظهرت منهم ثماره
المعارف والعلوم الالهية بحيث تعيدى بها المستفيدون من الملائكة والناس
اجمعين وعزت اى غلبت انوارهم على كل نور وعلت كلمتهم على كلمات اهل
الفجور وامتنعت اى صارت منيعة بحيث لا يصل اليها ايدى المعاندين
مع ما يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره قسمت
وعلت وشمخت فى الحرم الى عليا درجات الاعتلاء وقصيا طبقات الارتفاع
فذكروا حيث ذكر الله كما قيل فى على عليه السلام اخفى فضايله اولياؤه خوفا
واعداؤه عنادا مع انه ملأ الخافقين ولما حين وجوده الكونى فظاهر
ولادته فى الحرم واعتلاء ذكره وارتفاع درجته الى غير ذلك فيه الى ان بلغ
فى السمو وشمخ فى العلو الى قاب قوسين او ادنى وعرج الى ان فاق العوالم
كلها وبالجملة ابتداء ذلك النور من الله قبل جميع المبتدأت فتشعبت
وتنزلت الى ان بعث فى الحرم ثم صارت فى العروج الى الله والعود اليه
الى ان فاق قاطبة الانوار فى الفضل والكرم والقرب الى الله العلى الاكرم
حَتّى اكرمه الله بالروح الامين والنور المبين والكتاب المستبين
وسخر له البراق وصافحته الملائكة وارعب به الابالس وهدم به الاصنام
والالهة المعبودة دونه هذا بيان لعوده الى الله ورجوعه اليه
كما كان العبارة السابقة بيانا لبدئه من الله وظهوره منه واما الاكرام
بالروح الامين بالوحى وهو جبرئيل عليه السلام فقد عرفت ان روحه صلى الله
عليه وآله بالنسبة الى العالم كالنفس الناطقة بالقياس الى البدن
فيكون جبرئيل عليه السلام الذى جزء من العالم قوة من قواه الروحية وليس ان يكون

الملائكة

الكلية

بمنزلة

بمنزلة النفس الناطقة بالنظر الى العالم لان شأنه القاء المعارف
والحكم والهام النواميس الى بنى آدم وتسديد الانبياء والاولياء وانزال
العقوبة الى الاعداء ولا ريب ان ذلك كله من افعال النفس الناطقة فى
الانسان بحسب جزئيه العملى والفكرى فكل من ترقى الى مرتبة النفس الناطقة
فله اتصال معنوى بجبرئيل عليه السلام على اختلاف مراتب النفوس شدة وضعفا
واما كل من ايده الله بالنفس الكلية الملكوتية الالهية فجبرئيل من خدامه
وانصاره بل قوة من قوى ذاته كنبينا صلى الله عليه وآله حيث ايده بالنفس الكلية
التى هى عبارة عن النفس الكلية الالهية التى جبرئيل قوة من قواها ولذا تجاوز
عن مقام جبرئيل الى ما شاء الله وفى كتاب عمل الكوفى عن الامام على بن موسى الرضا
عن ابائه عن على عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلق الله خلقا
افضل منى ولا اكرم منى فقلت يا رسول الله انت افضل ام جبرئيل فقال يا على
ان الله تبارك وتعالى فضل الانبياء والمرسلين على الملائكة المقربين
وفضلنى على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدى لك يا على وللائمة
من بعدى فان الملائكة لخدامنا وخدام محبينا يا على الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا
يا على لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء
ولا الارض وكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم الى معرفة
ربنا وتسبيحه وتقديسه وتهليله الحديث واما الاكرام بالنور المبين
فعبارة عن تاييده باخيه امير المؤمنين عليه السلام لانه المراد بالنور حيث ما ذكر
فى كتاب الله بل هو نور الانوار كما قال عليه السلام فى خطبة البيان وفى تفسير
على بن ابرهيم القمى فى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا

ان النور امير المؤمنين وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام الامامة هي النور وعن
عليه السلم الباقر انه سئل عن هذه الاية فقال النور والله الائمة لنور الامام في قلوب
المؤمنين انور من الشمس المضيئة بالنهار واما الاكرام بالكتاب المستبين
الذي ظهر فيه الحقائق الالهية في كسوة العبارة والكتابة فعبارة عن انزال
القرآن الجامع لجملة الانوار الالهية حيث ما من رطب ولا يابس الا فيه والمشتمل
على جميع المعارف المنزلة في كتب الله السابقة حيث كان مصدقا لما بين
يديه من التورية والانجيل واما تسخير الجبال له البراق له صلى الله عليه وآله
فيعرف بعد ما نذكر من صفة البراق ففي الخبر عن الصادق صلوات الله عليهم
انه اتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله بالبراق اصغر من البغل واكبر من
الحمار مضطرب الاذنين عينيه في حافره وخطاه مد بصره فاذا انتهى الى جبل
قصرت يداه وطالت رجلاه اهدب العرف الايمن له جناحان من خلفه
وفي رواية عنه صلى الله عليه وآله ان الله سخر لي البراق وهي دابة من دواب الجنة
ليست بالقصير ولا بالطويل فلو ان الله اذن لها لجالت الدنيا والآخرة
في جرية واحدة وهي احسن الدواب لونا وفي خبر اخر جاء جبرئيل وميكائيل
واسرافيل بالبراق الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخذ واحد باللجام
وواحد بالركاب وسوى الاخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق فلطمها
جبرئيل ثم قال اسكني يا براق فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله قال
فرقت به ورفعته ارتفاعا ليس بالكثير ومعه جبرئيل يريه الايات من السماء
والارض ومن طريق العامة رواه الثعلبي في تفسيره مرفوعا الى النبي صلى الله
عليه وآله فاذا انا بالبراق دابة فوق الحمار ودون البغل خده كخد الانسان
وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل واظلافه

كالاظلاف البقر صدره كانه ياقوته حمراء وظهره كانه درة بيضاء عليه رحل
من رحائل الجنة وله جناحان في فخذيه يمر مثل البرق خطوه منتهى طرفه
فقال لي اركب وهي دابة ابراهيم عليه السلام كان يزور عليها البيت الحرام فلما وضعت
يدي عليه تشامس واستصعب علي فقال له جبرئيل مه يا براق فقال البراق
مسني صفرا فقال له جبرئيل يا براق محمد هل مسني صفرا قال لا والله الا اني مررت
يوما على اساف ونائلة فمسحت يدي على رؤسهما وقلت ان قوما ليعبد
ونكما من دون الله ضلالا فقال له جبرئيل يا براق اما تستحيي والله لكأنك
منذ كنت قط نبي اكرم على الله عز وجل من محمد قال الغفار فعلا البراق وانصب
عرقا حياء مني ثم خفض لي حتى لزق بالارض الخبر بتمامه اذا دريت ذلك
فلنمهد لبيان حقيقة البراق وتسخيره لرسول الله صلى الله عليه وآله مقدمات
اولها ان تتذكر ما قد حققنا فيما سلف من ان لكل شيء في عالم الحس والشهادة
فله روح اي حقيقة مثالية في عالم النفس الكلية المسمى عند بعض العلماء
بعالم المثال لكن لكل ما في العالم المثالي فله حقيقة عقلية ومثال عقلي
في عالم العقل وهو المراد بالمثل النورية عند افلاطون الالهي وذلك
لان الامر ينزل من عند الله فيبتدئ من مرتبة مرتبة الى ان ينتهي الى اخر
المراتب فله في كل مرتبة صورة مناسبة لذلك العالم وهي المراد بالمثال
او المثل وثانيتها ان تعلم ان التجزية والتعدد ولوازمها من تفرقة ابعاض
الشيء وقلة الحيز ذلك فهو من احكام الحس حيث يكون لضيق حيزه وكونه
في اخر العوالم لا يسع الاحكام حقيقة وحدة الا في مواد مختلفة ومحال
متعددة واما العالم النفسي فهو يسع ذلك في محل واحد وذلك لسعة
حيزه وكونه مجردة تجردا ما من التجرد عن لوازم المادة وان لم يكن مجردة عن المادة.

مطلقا كما هو شان النفس واما العالم العقلى فهو اوسع حيطة من ذلك
كله حيث يكون بجميع قوى الشئ وصفاته شيئا واحدا فيه بل الاشياء كلها في ذلك
العالم على اتحاد عقلى واندماج جملى حيث يكون كل شئ في كل شئ وقد مر
ذلك مندرجا في الاقوال السابقة تحقيق ذلك في المسالك وثالثها
ان تعرف ان شجرة الجنة كما انها مشتملة على جميع الفواكه والثمار وقد نص
بذلك الاخبار عن الائمة الاطهار كذلك الجنة هي فوق هذا العالم وبعده وقد
دريت ان العالم الذى بعد عالمنا هذا اوسع درجة واشمل حيطة وقد وصف
سعة الجنة وكفى في ذلك قوله تعالى عرضها السموات والارض كذلك كل دابة
من دواب الجنة مشتملة على جميع صور الدواب واحكامها بالبيان الذى قلنا
ورابعها ان من المستبين عند المتتبع لاخبار المعراج الذى كان لرسول
الله صلى الله عليه وآله ان البراق سار به صلى الله عليه وآله من الارض في ملكوت السموات
مسيرة خمسين الف سنة الى ما تحت العرش واما عروجه في الحجب الواقعة في
تحت العرش من فراش الذهب وحجاب اللؤلؤ وغيرهما من الحجب التي عدتها السبعين
فانما يكون باخراج الملك الموكل على ذلك الحجاب يده من تحت الحجاب ليجذبه
صلى الله عليه وآله الى حجاب اخر فلما جاوز الحجب تدلى له رفرف اخضر
فوضع فيه حتى وصل الى ذروة العرش وفي رواية عن الباقر عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لما اسرى بي الى السماء صرت عند سدرة المنتهى
قال لي جبرئيل اخلع نعليك وانزل عن البراق وسدرة المنتهى لانها كانت
ينتهي الانبياء السابقة في معارجهم اليها ولا يتجاوزونها ورسول
الله صلى الله عليه وآله لم يجوزها فلما صار تحت العرش تدلى رفرف اخضر
فرفعه الوصف الى بره وبعد تمهيد هذه المقدمات نقول بعون الله ولى

على ما في الخبر على حذاء السماء السابعة وفي رواية
ما يلي الجنة وتحت الكرسي
يسمى سدرة المنتهى م

الخبر ان البراق هي مثال حقيقة الحيوان في عالم النفس وهي بالنسبة
الى الانسان الكبير بمنزلة النفس الحيوانية التي هي معدن القوة الشوقية
ومظهرها في الانسان الصغير القوة المتفكرة حيث يستعملها النفس الناطقة
وذلك لانه انتهى بها الى سدرة المنتهى وهي عبارة عن حقيقة الانسانية
الكبيرة ولا ريب ان فوق المرتبة الحيوانية هي الانسانية وانما قلنا ان سدرة
المنتهى هي حقيقة الانسان لما ورد في صفتها انها مشتملة على انواع
الفواكه والطيور كالعلوم والمعارف كما الانسان مشتمل على تلك المراتب
ويكون مقام جبرئيل الذي قد قلنا انه بمنزلة النفس الناطقة للعالم الكبير
في وسطها كما ان مقام النفس وكرسي تدبيرها من الانسان وسطه ولكون
الانبياء عليهم السلام لم يتجاوزوها اذ ليس لهم فوق مرتبة الانسانية مقام بخلاف
نبينا صلى الله عليه وآله اذ له مقام الجمع المعبر عنه بالمقام المحمود عند طائفة وبالمرتبة
الواحدية عند ولذا تجاوزها ولما كانت هذه الدابة المباركة من دواب
الجنة المثالية النفسية كانت مشتملة على جملة الحيوانات كما سبق في الخبر
اما كونها اصغر من البغل واكبر من الحمار فاشارة الى توسط مرتبة وجودها
المثالي بكونها مجردة من جهة مادية من وجه كما سبق في قوله صلى الله عليه وآله
ليست بالقصيرة ولا بالطويلة واما اضطراب اذنيها فكناية عن عدم قرارها
كالقوة المتخيلة فينا لا قرار لها في حين من الاحيان واما تركز عينيها
في حافرها فهو ان الحيوان انما يكتسب الهوى من المواد الحسية بالقوى الظاهرة
والباطنة كما ان شان القوة المتخيلة مما هو التصرف في مكتسبات القوى
الظاهرة والباطنة فيكون العين التي يبصر بها الامور مما انما يكون
من الجهة السفلية لا من جهتها العلوية واما ما وقع في الاخبار العامية

من كون مخدتها كخد الانسان فذلك اشارة الى توجهها نحو عالم
الى الانسان وكمالها بان تخدم هذا البنيان فوجهها بالكلية
الى الانسان ووجهتها هذا الجوهر العظيم الشان وكون ذنبها كذنب
البعير وهكذا قوائمها وكون عرفها كعرف الفرس واظلافها كاظلاف
البقر فعبارة عن اشتمالها على الجزء الاشرف والاقوى من كل حيوان
وان كان لكل واحد جزء واما ياقوتية صدرها فاشارة الى امتزاج
تجردها ومادتيتها وغلبة جهة المادة فيها اذ التوجه الى عالم السفل
ولما كان ظهرها درة بيضاء فاشارة الى غلبة تجردها حين صعدت
الى عالمها البرزخي واما استصعابها وتشامسها فاشارة الى عدم
ميلها الذاتي الى عالم السفل وعدم خضوعها وانقيادها لكل
احد فاما مس المسترة الذي سيتف الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فاشارة الى ان عدم انقيادها لكل احد انما هو لمحبتهم للدنيا
الدنية ونفارها سيما محبة الاجرين وانما قول جبرئيل عليه السلام لها
اما تستحيي فكان ردع لها عن اعتقاد ان رسول الله صلى الله عليه وآله
يحب زينة الدنيا وشهواتها واما معنى كون جناحيها من خلفها
كما في الخبر الخاصي فاشارة الى ان سيرها وطيرانها انما هو في الجهة
العالية التي لها لا من الجهة السافلة اذ هذه الجهة محبوسة في قفس
المادة مقيدة بعلايقها ولذلك كان التعبير بالخلف احسن ولم كان
لكون الجناح في الفخذ كما في الخبر العامي وجها ايضا وهو ان ذلك
اشارة الى انها باستكمال قوتيها الفكرية والشوقية في العالم
السفلي من تحصيل الادراكات والاعمال تطير الى ما فوقها واما

وجر مجيء جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبراق فيمكن جبرئيل الذي
قلنا انه بمنزلة النفس الناطقة يستخدم القوى الحيوانية وميكائيل
الذي له سلطان النماء والتغذية واسرافيل الذي له سلطان الحيوة
يجب ان يكونا مع هذا الحيوان الذي من دواب الجنة فعلى هذا ينبغي
ان يكون القائد جبرئيل والذي على الركاب اسرافيل لان قوة الحيوة
انما يكون من الجنب والذي كان يسوي الثياب ميكائيل اذ التسوية
والتعديل شان القوة النباتية التي هي محل سلطنة ميكائيل صاحب
الرزق **فصل** ولنرجع الى شرح الحديث واما مصافحة الملئكة
لرسول الله صلى الله عليه وآله فهو اشارة الى ما وقع له صلى الله عليه وآله
ليلة المعراج من ملاقاة الملئكة وتسليمهم عليه وخضوعهم له واختتامهم
اياه من سماء الى سماء ومن حجاب الى حجاب وصلوتهم خلفه وبالجملة
عبارة من مصافاتهم اياه وكونهم خدمه واعوانه بل اشارة الى ما وقع
له صلى الله عليه وآله من موافاة الملئكة في كل يوم وساعة حيث يخدمون
اهل بيته ويباشرون امور داره ويعالجون ساير شؤونه ورد في احواله فقد
في الخبر ان الملئكة لتصافح وجوه شيعتنا كل يوم فكيف ظنك بهم صلوات
الله عليهم واما ارعاب الابالسة والشياطين ببعثته صلى الله عليه وآله
فاعلم ان تقابل الاسماء الالهية من الجلالية اقتضت وجود الخيرات و
والشرور في العالم كما صرح به الحديث الماء العذب والملح و
امتزاجهما ولما كانت النشأة الدنياوية التي هي مرتبة الخلط
والامتزاج بينهما طبيعتها طبيعة مشحونة بالشرور والخيرات ممتلئة
من الماء المالح والفرات واقتضت العناية الالهية تغلب الحق على

والجمالية

[illegible]

المفارق [illegible]

[illegible]

وفي رواية عن عائشة كان خلقه القرآن والقرآن عبارة عن جملة الحقائق
الالهية وحكمه اي ما يحكم به من الاحكام الالهية ويجريه فهو حق لانه ما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله عليه السلام صدع بما امر به فاصدع اما
بمعنى الشق اي شق جماعتهم باظهار التوحيد واما بمعنى الاجهار والاظهار
اي اجهر بالدعوة واظهر الحق روي ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والا
سود بن عبد يغوث والحارث بن طلاطلة الخزاعي قالوا يا محمد ينتظر بك
الى الظهر فان رجعت عن قولك والا قتلناك فاغلق صلى الله عليه وآله الباب مغتما
فاتاه جبرئيل من ساعته فقال له يا محمد السلام يقرئك السلام وهو يقول اصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين يعني اظهر امرك لاهل مكة وادعهم الى الايمان
واخبره صلى الله عليه وآله بان اشتغلهم كل واحد بغيره قبل صاحبه وقوله وبلغ
ما حمله آه اشارة الى تبليغه صلى الله عليه وآله الاحكام من الله الى العباد او تبليغ
ما انزل اليه في علي عليه السلام حيث نزل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك بغدير خم وقوله حتى افصح بالتوحيد دعوته متعلق بالصدع والتبليغ
والافصاح اما الاول فمعنى الوضوح والاستبانة فتكون الدعوة فاعلا للافعال
الثلاثة والمعنى ظهرت واستبانت دعوته متلبسة بالتوحيد والظرف
متعلق بالافصاح اي اوضح عن التوحيد دعوته فكانما دعوته ناطقة بالتوحيد
فقط لانه عليه السلام التوحيد من الازل وشرع لهم سبل طريق التوحيد بكل عمل
واما متعديه بمعنى التبيين والتوضيح فالدعوة مفعول والباء للتعدية
والظرف متعلق بالدعوة اي بين دعوة الناس بالتوحيد والى الاقرار
به واظهرها او للملابسة والتوحيد هو التوحيد الخاص به صلى الله عليه وآله
وهو توحيد الذات والاسماء والافعال المختص بهذه الامة المرحومة وقوله

واظهر

الى آخره

واظهر في الخلق عطف على قوله بلغ لا على افصح لانه عليه السلام ذكر جملتين ثم
فرع على كل واحد منهما حكما ففرع على الصدع والتبليغ الافصاح بالتوحيد
وفرع على الاظهار في الخلق ان لا اله الا الله خلوص الوحدانية وصفاء
الربوبية والمراد بخلوص الوحدانية ان لا ينسب الى شيء من الاشياء ذاتا
وصفة الا بالله وبصفاء الربوبية ان لا ينسب الى شيء فعل ولا حول ولا قوة
الا بالله وقوله واظهر آه كالجواب للجمل السابقة اي لما كان شأنه صلى الله
عليه وآله الافصاح بالتوحيد واظهار ان لا اله الا الله فان الله عز وجل امتن
على ذلك حين اظهر حجته وبرهانه على التوحيد بالحجة والحجر او حيث علا بدين
الاسلام الذي هو ملة ابيه ابراهيم عليه السلام درجته فلا يذكر الله في نسك
من المناسك الا ويذكر هو صلى الله عليه وآله معه واصطفاه بالروح القدسي
الذي عنده وهو عبارة عن النفس الكلية الالهية على ما عرفت سابقا واعطاه
الدرجة الرفيعة فوق الدرجات والمقام المحمود الذي هو المرتبة الجامعة
حيث يكون آدم ومن دونه تحت لوائه واسداه الوسيلة اي اعطى الامامة
في اولاده الاطيبين كما ورد في الخبر في تفسير قوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة
ان الائمة هم الوسيلة او اعطاه اعلى درجات الجنة كما ورد في خبر الخزاز
الوسيلة اعلى درجة في الجنة او جعله شفيعا للاولين والاخرين وقوله
يتوسل به الكل الى رب العالمين في حوائج الدنيا والدين وفي النشأة الدنيا
ويوم الدين صلى الله عليه عدد ما صلى على انبيائه المرسلين وآله الطاهرين
بل اضعاف ذلك بما لا يحصى وفوقه مما لا يتناهى بما لا يتناهى الحديث
السادس والعشرون باسناده عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عن ابيه عن جده
عليهم السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام في خطبة خطبها بعد موت النبي صلى الله

عليه وآله بسبعة ايام وذلك حين فرغ من جمع القرآن فقال الحمد لله الذي
أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده وحجب العقول أن تتخيل
ذاته في امتناعها من الشبه والشكل كلمة في للسببية كما في الحديث
ان امرأة دخلت النار في هرة والشبه والشكل اما بكسر اولهما وسكون
الثاني بمعنى المشابه والمشاكل او الاول بالفتحتين بمعنى المشابهة
والثاني بالفتح والسكون اعلم ان نيل الاوهام الى وجوده هو اقرارهم
بان للموجودات مبدأ غير مفقود في شيء من الاشياء وغير معدوم فيها
وامتناع تخيل العقول ذاته واحتجابها عن ذلك لاجل امتناع ذاته
سبحانه عن المشابهة والمشاكلة بشيء لان تعقل الشيء اما بنفس ذاته
وذلك غير مطمع في حقه تعالى بالبراهين التي ذكرنا الآن ثم سبعين
الف حجاب لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وصار
الكل عنه قاصرا مستهلكا بحيث لا يبقى اثره واما بامور عامة والحال ان بعضها
كالوجود والشيئية وغيرهما فتحقق المشابهة المطلقة والمشاكلة
اذ يكفي في مطلقهما ان يصدق مفهوم من المفهومات عليه وعلى غيره وهو
ممتنع على الله سبحانه وفي هذا الكلام منه عليه السلام رد لما ذهب اليه المتأخرون
من ارباب الحكمة من ان حقيقته وذاته هو الوجود البحت وذلك لانه اثبت
نيل الاوهام الى وجوده ونفى تخيل ذاته فتغايرا وقد علمت ان
وجوده سبحانه غير فاقد لدرجة وغير مفقود عن مرتبة والمعاند في ذلك
مكابر مقتضى عقله بل جاحد لاصول دينه وهذا انما يعم في مرتبة
الالوهية والربوبية بخلاف المرتبة الاحدية فانه لا يقع عليه فيها اسم
شيء سوى الله بل هو الذي لم يتغير وحدته في ذاته ولم يتبعض بتجزئة العدد

في كلام

في كلامه هذه الجملة مع ما عطف عليها للتفريع في البرهان على نفي المشابه و
المشاكل ومع ذلك يمكن ان يكون الجملة الاولى للبرهان على الاول والثانية
على الثاني اذ المشابهة يتبادر منها ما في الذات والمشاكل في الصفات
التي هي الكمالات والحاصل ان الغرض هو ان مشابهته تعالى مع شيء
في امر يستلزم التفاوت في ذاته وكذا المشاكلة في صفة كمال يستلزم
التجزية والتبعيض في كل منهما ممتنعان عليه جل مجده اما بيان الاول
فلانه شاركه مع شيء في الذات انما يكون بان يكون ههنا طبيعة
مشتركة بينه تعالى وبين ذلك الشيء سواء كانت طبيعة نوعية او جنسية
فيكون ذاته التخصيص على الاول او التنوع على الثاني مؤتلفة مما به الاشتراك
ومما به الامتياز فتختلف حقيقته وتتفاوت ذاته واما بيان الثاني
فلانه اشتراكه مع شيء في مفهوم كمالي ككمال الوجود والعلم والقدرة ونحوها
كما يقول العادلون به تعالى بجعله تارة تحت مفهوم الوجود والعالم البديهي
واخرى تحت العلم الكلي وتارة تحت القدرة المطلقة فتتعدد الاعتبارات
في هذه الصفات والا لما كانوا يقولون بعينية الفرد الخاص منها مع
استحالة ذلك ايضا كما ذكرنا غير مرة لكن ليس لهم ان ينفوا تعدد تلك
الاعتبارات في نفس الامر وتبعض تلك الكمالات بحسب مفهوماتها
في الواقع فذاته من حيث وقوعها تحت كلي الوجود وغيرها من حيث وقوعها
تحت كلي العلم مثلا وان كان ذاته بذاته منشأ لصدق كليهما من حيثية
الذات لانه هذا من القول كما عرفت فارق الاشياء لا على الاختلاف
في الاماكن وتمكن منها لا على الممازجة وعلمها لا باداة لا يكون
العلم الا بها وليس بينه وبين معلومه علم غيره مفارقته سبحانه

واحدة لا جهة الا انحاد في مرتبة مطلقيها ودون اهل التفاوت في مقام التوحيد وفرق بعيد بينهما فتبصر والتبع تقول ان بينهما حيثية ودونه حيثية ح

ليس على اختلاف الاماكن بل المراتب ايضا بان يكون هو سبحانه في مكان
والاشياء في مكنتها وذلك ظاهر لانه في كل مكان او هو في مرتبة وهي
في مراتبها اذ ليس شأن الا شأنه ولا مرتبة الا وهو من مراتبه كالاشياء
على ايسها الذاتي وصدمها الازلي وبالجملة لا يقال هو سبحانه شيء بمعنى
ان يقال هو سبحانه من هذا الشيء بحيثية كذا اذ الشيء انما شيئيته بالله
سبحانه وهو بنفسه لا شيء فكيف يمكن المقايسة واما ما ورد في الاخبار
من انه بخلاف الاشياء فليس المعنى بذلك انه في حد او مرتبة تخالفها
مقابلة اياها بل المقصود منه ان كل شيء فله حد خاص ومرتبة مخصوصة
بخلافه سبحانه فانه ليس محدودا بحد خاص وليس له مرتبة خاصة من المراتب
اذ المراتب كلها منه ولا يخلو مرتبة من المراتب عنه وهو رفيع الدرجات في غاية
الغايات ثم انه متكثر سبحانه اي بتجلياته على ما دق وجل من الاشيا
على ما هو ظاهر من التمكن او معيته للاشياء على ما يقتضيه تناظر قوله
فارق الاشياء والمالك واحد ليس على نحو المخارجة والمخالطة بل على نحو
استهلاك الكل لديه وتلاشيه عنده فهو الظاهر فيها والباطن وهو
الاول لها والاخر وبالجملة هو عبارة عن ظهوره تعالى في المجالي ورؤية
نفسه في المرائي فهو الرائي والمرئي والمرآة وليعلم ان الاداة في العلم
هو ما به يتوصل الى ادراك الشيء سواء كان ذلك قوة من القوى المدركة
او غيرها وسواء كان ذلك الغير امرا غير نحو وجود المعلوم من الوسائط
والشرائط او نحو وجود المعلوم سواء كان وجودا عينيا او ظليا
على القول به لان جميع ذلك يصدق عليه انه لولاه لم يحصل العلم على ما اشار
اليه في علمه في الجملة التي اوردها لتوصيف الاداة حيث قال لا باداة

لا يكون

لا يكون العلم الا بها فاقول علمه ليس بينه وبين معلومه علم غيره كان (التوضيح)
للجملة السابقة لان العلم هو الانكشاف وما به انكشاف الشيء اما نفس
ذات المعلوم كما للمبادي العالية بل لكافة العلماء على ما يراه او شيئا زائدا
طاب ثراه واما مثال له مطابق له في هيئته على ما يراه اكثر المتأخرين ولما
ذات العالم على الاول اي يكون العلم والمعلوم متغايرين بالحقيقة
وكلاهما ممتنعان على الله لانهما يستلزمان الاحتياج وان كان الى
وجود الشيء المعلوم واما على الاخير فالعالم والعلم والمعلوم واحد
لانكشاف الشيء للعالم بما اذ كان بنفس ذات العالم فلا احتياج للعالم
الى شيء سوى نفسه وهذا هو معنى كونه علمه تعالى بحيث ليس بينه وبين
معلومه علم غيره سبحانه بل ولا معلوم كما سيأتي في الاخبار من قولهم
عليهم السلام عالم اذ لا معلوم ومحصل الجملتين ان الله سبحانه لا احتياج
في علمه الى اداة اصلا ولا الى علم ومعلوم مطلقا بل ذاته سبحانه كما انه
قائم مقام العلم كذلك عند ارباب البصائر قائم مقام المعلوم ونايب
منابه كما يومي الى ذلك قوله والله على كل شيء وكيل وهو بكل شيء محيط
فتعالى الله عما يشركون ان قيل كان فعلى تأويل ازلية الوجود
وان قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم فسبحانه وتعالى عن قول
من عبد سواه واتخذ الها غيره علوا كبيرا اعلم ان الكلمة كان
اذا استعمل في الله سبحانه فاما ان يطلق عليه ناقصة او تامة فعلى
الاول لا خلاف في انسلاخها عن الزمان مطلقا وفي استعمالها الاداة
للربط مثل كان الله عليما حكيما وكان الله سميعا بصيرا الى غير ذلك
وعلى الثاني بان ذلك بقي الاكان الله ولم يكن معه شيء فقد ذهب بعضهم

الى انه المطلق سواء كان من الزمان او الدهر او السرمد او التسرمد واصر
على ذلك واجترأنا بعد سماع هذا الخبر الآن كما كان ثم ان من لا معرفة له
تامة بقواعد ارباب اللسان نسب ذلك القول الى الخطأ من جهة حسبان
ان كلمة كان ههنا ايضا للربط وذلك خطأ لان الربط والاداة انما
يتحقق بين المحكوم عليه والمحكوم به وههنا ليس كذلك وكذا القول
بانسلاخها عن الزمان وعن السبق اذ لا يعهد ذلك في الافعال التامة
كما ذهب اليه الشيخ الاعرابي ولا باس بذكر عبارته حيث لا يخلو عن فائدة قال
في الفتوحات السؤال الثاني والعشرون ما معنى قوله صلى الله عليه وآله
كان الله ولم يكن معه شيء الجواب لا تصحبه الشيئية ولا تطلق عليه وكذلك
هو ولا شيء معه فانه وصف ذاتي له سلب الشيئية عنه وسلب معية
الشيئية لكنه مع الاشياء وليست الاشياء معه لان المعية تابعة
للعلم وهو يعلمنا فهو معنا ونحن لا نعلمه فلسنا معه فاعلم ان
لفظة كان يعطي التقييد الزماني وليس المراد به ههنا ذلك التقييد
وانما المراد بالكون الذي هو الوجود فحقيق كان انه حرف وجودي
لا فعل يطلب الزمان ولهذا لم يرد ما يقوله علماء اللسان والرسوم
من المتكلمين وهو قولهم وهو الآن على ما عليه كان فهذه زيادة مدرجة
في الحديث ممن لا علم له بعلم كان ولا سيما في هذا الموضع ومنه كان الله
غفورا رحيما الى غير ذلك مما قرنت به لفظة كان ولهذا استعملها
بعض النحاة واخواتها حروف تعمل عمل الافعال وهي عند سيبويه
حرف وجودي هذا هو الحق الذي يعقله العرب وان تصرفت تصرف
الافعال فليس من اشبه شيئا من وجه اشبهه من جميع الوجوه بخلاف

الزيادة

الزيادة بقولهم الآن فان الآن يدل على الزمان واصل وضع لفظة يدل
على الزمان الفاصل بين الزمانين الماضي والمستقبل ولهذا قالوا في الآن
انه حد الزمانين فلما كان مدلولها الزمان الوجودي لما اطلقه
الشارع في وجود الحق واطلق كان لانه حرف وجودي وتخيل في الزمان
لوجود التصرف من كان يكون فهو كائن ومكون كقتل يقتل فهو قاتل ومقتول
فكذلك كن بمنزلة اخرج فلما رأوا في الكون هذا التصرف الذي يلحق الافعال
الزمانية تخيلوا ان حكمها حكم الزمان فادرجوا الآن في الخبر وليس منه
فالمحقق لا يقول قط وهو الآن على ما عليه كان فانه لم يرد ويقول على الله
ما لم يطلقه على نفسه لما فيه من الاخلال بالمعنى الذي يطلبه حقيقة فان
وجود الحق خالق الزمان فعرفنا انه موجود ولا شيء معه اي ما ثم من
وجوده واجب لذاته غير الحق والممكن واجب الوجود به لانه مظهره ومظاهره
به والعين الممكنة مستورة بهذا الظاهر فيها فاتصف هذا المظهر والظاهر
بالامكان من حيث حكم عليه به عين المظهر الذي هو الممكن فاندرج الممكن في
الواجب لذاته عينا واندرج الواجب لذاته في الممكن حكما فتدبر ما قلنا
واعلم ان كلامنا في شرح ما ورد لنا هو على قول الولي اذا قال مثل هذا اللفظ
ونطق به من مقام الرسالة التي بعث بها رسولا فان الرسول اذا قال مثل
هذا اللفظ في المعرفة بالله من مقام الاختصاص فلا كلام لنا فيه ولا ينبغي
لنا ان نشرح ما ليس بذوق لنا وانما كلامنا فيه من لسان الولاية ونحن
نترجم عنها باعلى وجه يقتضيه حالها هذا غاية الولي في ذلك لا شك
ان المعية في هذا الخبر ثابتة والشيئية منفية والمعية تقتضي الكثرة
والموجود الحق هو عين وجوده في نسبته الى نفسه وهو غير وهنا

المنعوت بهمظهر فالعين واحدة فى النسبتين فهذه المعية كيف يصح
والعين واحدة فالنسبية هنا عين المظهر لا عينه وهو معها لا الوجود
يصحبها وليستعمر لانها لا تصحب الوجود وكيف تصحبه والوجوب لهذا
الوجود ذاتى ولا ذوق للعين الممكنة فى الوجوب الذاتى فهو يقتضيها
فيصح ان يكون معها وهى لا تقتضيه فلا يصح ان تكون معه فلهذا تقى الشى
ان يكون مع هوية الحق لان المعية نعت تمجيد ولا مجد له فهو عديم الوجود
الوجودى لذاته فان الشى لا يكون مع الشى الا بحكم الوعيد والوعد ولهذا
لا يتصور من الدون للاعلى فالعالم لا يكون مع الله ابدا سواء اتصف
بالوجود والعدم والواجب الوجود الحق لذاته يصح له نعت المعية مع العالم
عدما ووجودا انتهى كلامه وهذا كما ترى لكن طريقة الراسخين اعلى
من ذلك واشرف فانهم لا يقولون بتجرد تلك الكلمة الوجودية عن الزمان
والسبق معا كما يقوله هذا الشيخ الاعرابى ولا بدلالتها على المعنى كما نقل
عن ابى يزيد البسطامى بل الحق ان تلك الكلمة اذا استعملت ناقصة فهى
كلمة وجودية بالاتفاق مجردة عن الدلالة على الزمان كما فى قوله تعالى
وكان الله غفورا رحيما وغير ذلك واما اذا استعملت تامة فى الحكاية
عن الشى المجرد عن الزمان فانما هى لبيان السبق الازلى لا بمعنى ان الازل
ظرف واقع فى منتهى سلسلة الماضى بل الازل هو المحيط بالزمان والزمانى
لان الازلية عبارة عن الاولية الحقيقية وهذه الاولية هى عين الاخرية
ولا لكان لصاحبها تجدد حال واختلاف صفات فالازل والابد
واحد كما فى الادعية الماثورة يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور وايضا
فلا الاولية بالتى عن الاشيه ولا لكان ينتهى صاحبها الى اخر غيره فلم يكن

الاولية عين الاخرية وفى اشعار الشيخ فريد الدين العطار قدس سره
بالفارسية تلميح بذلك حيث قال روى كنزت بچشم نا ديد مكه
نامش بكورت نشنيده وبالجملة يصدق على الازلى الحقيقى انه هنا وهنا
وفوق وتحت وامام وقدام وعلى الازلية الحقيقية انه الان والان السابق
واللاحق فى كل زمان وكذا يصدق على الازليات الاضافية مثل ان له
ابتداء وجود لا ابتداء زمان انه وجد الان فيصدق على العقل مثلا
ان هذا الان اول وجوده وكذا كل ان من السوابق واللواحق بمعنى انه
يصدق فى جميع الانات انه ابتداء وجوده وكذا كل ان من السوابق ولا ان
يصدق فى هذا الان الذى يعتبر فيه ان الان السابق كان ابتداء وجوده
اذ لا تخصص لوجوده بان دون ان وكذا حكاية الست بربكم كل ان فرض
فهو ابتداؤه وغيرها ولذلك نقل عن بعض اهل الحال انه كان يحكى سماع
هذا القول فى ايامه وكذا امور الاخرة فهى قديمة اول وجودها كل ان
من الانات وكذا اخبارنا بذلك صاحب المعراج صلى الله عليه واله من رؤية
جهنم واهوال اهلها بالتفصيل وكما ورد فى الخبر عن حارثة وغيره انه حكى
لرسول الله صلى الله عليه واله رؤية العرش ووضع الميزان وقيام الناس
واصحاب الجنة والنار والى ذلك اشير بما وقع فى حديث من مات فقد قامت
قيمته لان الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا وسر ذلك ما قلنا من ان الشى
الذى لا يتعلق وجوده بالزمان فكل ان فرض فهو واقع وحادث فيه الى
الان وهذا من علم الراسخين اذا عرفت ذلك فقوله عليه السلام ان قيل كان اى
فرضا ان اطلق كان التامة على وجوده تعالى فهو يعلم او يرجع الى انه
سبحانه الثابت فى كل ان وفى ابد الاباد واخر الزمان وان اطلق عليه كان

صيغة

محمد له لم يزل ايضاً تاماً منزلاً نافصة من حجر وما له الى نفي العدم في كل آن
ومرتبة اذ لا يعدم هو سبحانه شيئاً من المراتب المبتدأة منه وليس بمفقود
ولا معدوم في حد من الحدود المنتهية اليه واما قوله عليه السلام فسبحانه وتعالى
عن قول لمن عبد سواه او قرأه منه صلوات الله عليه وعن شبهة المحصنين
عن اثبات الوجود لشيء مع الله وعن اتخاذ الالهة المعبودة دونه حيث
اتخذها المشركون في الجلاء والخلاء والخفاء في اعتقاد المكان والمرتبة
له او المداخلة في شيء والممازجة معه ومن حسبان ان علمه بالحصول
او الحضور المستلزمين لتوسط العلم بينه وبين معلومه ومن زعم ان
للازل مرتبة وظرف سوى منتهى اليه الماضي من الزمان ومن ظنهم الفاسد
ان الله مفقود في شأن من الشؤون ومعدوم في شيء من المكان او موجود
في الآخرة للحساب وليس بموجود في الدنيا في كل باب الى غير ذلك مما ذهب
اليه اهل الاهواء من ارباب الآراء نحمده بالحمد الذي ارتضاه لخليقته
واوجب قبوله على نفسه ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله نحمده بالحمد الذي ارتضاه
لخلقه واوجب قبوله على نفسه مراتب احدها ان يرى النعمة من الله ويرى
المنعم بها ويرى كل نعمة وكمال وكل حسن وجمال من جوده وهذا الظاهر
واعلى منها ان يرى المنعم في النعمة والكمال في كل كمال وفي كل جمال جماله وكلا شيء
الا وهو شأنه ولا يخلو منه ارض ولا سماء كما ورد ما رأيت شيئاً الا ورأيت
الله فيه واعلى من ذلك ان يستغرق في رؤية المنعم بحيث لا خبر له عن النعمة
ولا اثر عنده من الدنيا والآخرة رزقنا الله الوصول الى هذه المرتبة ثم انهما
ترفعان القول وتضاعفان العمل حتى ميزانه ثم ترفعان منه وتثقل

منزلة

ميزان تو تضعان فيه وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار والجواز
على الصراط وبالشهادتين تدخلون الجنة وبالصلوة تنالون
الرحمة فاكثروا من الصلوة على نبيكم وآله ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
اي هاتان شهادتان اذا صدرتا عن صميم القلب وخلوص الاعتقاد
ترفعان الى الله القول الذي يعبر به عنهما لان الله عز وجل اليه يصعد الكلم
الطيب ورفع القول عبارة عن كتبته في عليين وهو صحيفة عمل الابرار
كما قال ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم
يشهده المقربون وتضاعفان ثواب العمل الصالح الذي وقع على وفق
الكلمتين بحيث لا ينافي مضمون الشهادتين بل يطابق مقتضى الكلمتين
واعلم ان تينك الشهادتين تستلزمان بالشهادة بالولاية اما استلزام
الشهادة الثانية فلان باطن الرسالة الختمية هي الولاية الكلية وسرها
كما ان الربوبية باطن الولاية كما ورد عن الصادق ان العبودية جوهرة
كنهها الربوبية والعبودية التامة الحقيقية هي لما الانسان الكامل الذي
هو خاتم النبيين وقد عرفت اختياره صلى الله عليه وآله للعبودية المحضة
كما سبق في الخبر واما كون الولاية باطن النبوة فلان الولاية هي الجهة التي
الى الحق والنبوة هي الجهة التي الى الخلق فما لم يكن النبي ولياً اخذاً عن الحق
كيف يبلغ الى الخلق ولما كانت النبوة التي لنبينا صلى الله عليه وآله اعلى
مراتب النبوات كما تقرر فولايته التي هي سره وباطنه اعظم الولايات وهي
المعبر عنها بالولاية الكلية واذا كانت هي باطن النبوة وكل باطن فانه لا بد
له من ظهور في السنة الالهية فلها الاحاطة مظهر وهو بالنص المتظافر امير المؤمنين عليه السلام

فورد ان لا اله الا الله محمد رسول الله
علي ولي الله هو الكلم الطيب صح

المحكوم عليه بالاخوة ووحدة النفس والجسم والنورية ويتبعه اولاده الطيبين
صلوات الله عليهم اجمعين وايضا كما ان الرسول مترجم عن الله لعدم امكان
وصول كل احد الى مرتبة اخذ الحكم عن الله كذلك الامام مترجم عن الرسول
لان الرسول انما بعث على التنزيل ولكل تنزيل تاويل كما ان لكل ظاهر
باطنا فيجب ان يكون مترجم يحكم على التاويل وهو الامام عليه السلم واما
استلزام الشهادة الاولى للولاية الكلية فلان الولى بهذه الولاية هو صاحب
مرتبة الجامعية لحقايق الاسماء الالهية واذ لابد لتلك الاسماء من ظهور
احكامها فلابد من مظهر جامع لذلك وهو ولى الكل وتفصيل ذلك يقتضى
بسطا اخر من الكلام لا يسع لذكره المقام ثم اعلم ان حقيقة الميزان الذى
منه ولا يوضع ان فيه كالمنكر للشهادتين انما هى لان الكلمة الطيبة
كما ورد فى الخبر هو الميزان وان النبى والوصى هو الميزان لقولهم عليهم السلم نحن
الموازين القسط فاذا لم يكن العبد معتقدا لهما فلا يوزن له يوم القيمة
وزنا فالخفة كناية عن نفى الوزن وذلك لان ما لا وزن له من الاعمال الغير
المتفرعة على الكلمة الشريفة وشهادة الرسالة والولاية فهو خفيف وان لم
يتحقق وزن هناك واما ثقل الشهادتين على الميزان فلان الاعتقاد
بالله هو اصل الاعتقادات الحقة ثم الاعتقاد بالرسول الذى هو رسول
على الكل كما هو فى تحقيقه وباقى الاعتقادات فروع كالاعتقاد بالنبوات
الخاصة وما يجرى به عن سنن الاحكام الدينية وظاهر ان الحق الاصل
ثقيل بالنظر الى الباطل الذى كالهباء واثقل بالقياس الى الفروع فقد
ورد فى الخبر النبوى فى شان الكلمة الطيبة انها كلمة خفيفة على اللسان
ثقيلة على الميزان واما الفوز بالجنة والنجاة من النار بسببهما وكذا الجواز

على الصراط فلان الجنة هى ثمرة العقايد الحقة ونتيجة الاعمال الصالحة
والاخلاق المرضية كما ورد فى الخبر ان فى الجنة قاعا اغراسها سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الى غير ذلك من الاخبار بل هى نفس المعارف
الحقيقية والاعمال والاخلاق الحميدة كما اشار اليه ما روى ان ثواب لا اله الا الله
هو النظر الى وجه الله والصراط المستقيم هو ما اذا سلكه العبد اوصله الى الجنة
من الامور التى نطق بها الشرع وهو صراط التوحيد والمعرفة والتوسط بين
الاضداد فى الاخلاق النفسانية والتزام الاعمال الصالحة وبالجملة هو
كما افاد استادنا فى العلوم الدينية صورة الهدى الذى انشاه المؤمن لنفسه
ما دام فى دار الدنيا مقتديا بامامه ادق من الشعر واحد من السيف مظلم
لا يهتدى اليه الا من جعل الله له نورا يمشى به فى الناس فلما كان اصل
العقايد الحقة هو الايمان بالله وحده والتصديق بالرسالة الختمية فهما
اصول نعم الجنة فبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار التى هى خلاف تلك
العقايد والاعمال والاخلاق واما الجواز على الصراط بهما فلان المؤمن
المعتقد لهما من حين بلوغه الى سعادة ما بين المعرفتين انتقالات
باطنية فى العقايد المتفرعة عليهما والكمالات التابعة لهما والاخلاق الالهية
التى تخلق رسول الله صلى الله عليه وآله بها باطنها فلا يزال ينتقل من عقيدة
الى اخرى ومن عمل صالح الى اخر ومن خلق كريم الى اكرم اذ الاوايل منها مقدمات
ومعدات للثوانى الى ان يصل بسبب اشتماله على المعارف الحقة والعلوم
الحقيقية الى العالم العقلى والمقربين ويلحق بالملاء الاعلى ان كان من السابقين
او كان من الكمل والراسخين او باصحاب اليمين ان كان من المتوسطين
فتصل بالشهادتين تحقق الجواز على الصراط المستقيم الذى هو الامام

كما فى رواية او الصورة الشريفة الانسانية بان يكون انسانا كاملا حقيقيا
كما فى اخرى وان كان مالها واحدا فان من يعرف الامام الذى هو الانسان الكامل
الذى لا اكمل فوقه ومشى عليه على صراطه الذى هو دينه وطريق انسانيته العقلية
وصورته النورية بقدر نوره من المعرفان بدخول الجنة والنجاة من النار
وظهر من ذلك معنى قوله عليه السلام بالشهادتين بدخول الجنة واما قوله و
بالصلوة ثناء الله الرحمة فهو جبرانا الصلوة من العباد هو استدعاؤهم من الله
افاضة الرحمة وطلبهم منه سبحانه استدامة الاشراقات النورية والانوار
الالهية على اشرف الانفس الطاهرة وذلك الدعاء بالحقيقة هو تصحيح من العبد
لنسبته وتحقيق نسبته الى الرسول صلى الله عليه واله والا فهو صلى الله عليه واله مستغن
باستغنى جميع ما سواه والرحمة الالهية والخيرات الربانية دائمة الافاضة عليه
بسبب ما اتعب نفسه فى جنب الله وجاهد فى سبيله وبلغ عنه شرع الاسلام
والطريق الموصل اليه فاذا صححت نسبة العبد الى رسول الله صلى الله عليه واله
بالصلوة والدعاء ولا شك انه صلى الله عليه واله هو الواسطة فى افاضة الرحمة
على ساير البرية كما قال سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين سواء
فى ذلك خلايق الاولين والاخرين بفيض من فضل تلك الانوار ويترشح من رشح
هذه الرحمات المختصة بقايد الابرار بقدر شدة نسبة ذلك العبد ويفيض
عليه فالعبد بسبب الصلوة على رسول الله صلى الله عليه واله فى الدنيا الى الرحمة الخاصة
وان كان له نصيب من فيض الرحمة العامة التى له صلى الله عليه واله بالنظر الى
جميع البرية قال ابو حامد الغزالى فى جواب من سأل عنه ما معنى صلوة الله
سبحانه على من صلى على النبى وما معنى صلوتنا عليه وما معنى استدعائه
من امته الصلوة الجواب اما صلوة الله على نبيه وعلى المصلين عليه فمعناها

افاضة

افاضة انواع الكرامات واما صلوتنا وصلوة الملائكة عليه فهو سؤال وابتهال
فى طلب الكرامة ورغبة فى افاضتها عليه كقول القائل غفر الله لك فان ذلك
كالرحمة وطلب المغفرة والعفو ولذلك خصص الصلوة واما استدعاؤه من امته
فلثلثة امور احدها الادعية مؤثرة فى استدرار فضل الله ونعمته لا سيما فى
الجمع والثانى ارتياحه كما قال صلى الله عليه واله انى اباهى بكم الامم كارتياح
العالم بكثرة التلامذة وكثرة ثنائهم ودعائهم الدالة على كمال رشدهم وعلى
كمال تاثير ارشاده الثالث الشفقة على الامة بتحريصهم على ما هو حسنة فى
حقهم انتهى ثم انه على الحاشية هذا البنيان من البيان امر بالصلوة على
رسول الله صلى الله عليه واله لكمال شفقته على المستمعين حتى يحظوا
بزيادة الرحمة ويستفيدوا ارتفاع الدرجة فقال واكثروا من الصلوة على
نبيكم والدكم تستضيئوا بنوره وتسعدوا بفضل كراماته لدى الله ثم
علل ذلك بان الصلوة على النبى صلى الله عليه واله امر من عند الله وان الله
عز وجل يصلى عليه والملائكة يصلون عليه فانتم اولى باداء امر الله وتادبوا باداب الله
فان امر الله واجب واداب الله خير الادب فقال ان الله وملائكته يصلون
على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما واعلم ان الصلوة
من الله هى افاضة الرحمة من دون وساطة ومن الملائكة هى التزكية ومن
المؤمنين الدعاء وطلب الرحمة والتسليم هو تسليم ما بلغ هو صلى الله عليه واله
عن الله او التسليم لوصيه فضله وما نص هو من شانه وما عهد به اليه او
التسليم عليه بان يقولوا صلى الله عليه واله وسلم والتسليم على وصيه بامير المؤمنين
بان يقولوا السلم عليك يا امير المؤمنين ثم اعلم ان الصلوة اصلها من صلا
النار ومنه الاصطلاء بها ومنها لصليت العود اذا لينته بالنار وصليته

اذا شوهد والذی یذکر بازاء الرحمة هی افاضة النور من لطفه علی عبده والذی
یذکر بازاء العبادة فهی اسطلاء العبد بیارقة من انوار الحق والاجلال لذلک
الاصطلاء کان رسول الله صلی الله علیه واله وسلم یصلی ولصدره ازیز کازیز المرجل
قال بعض اهل المعرفة الصلوة لغة الدعاء والذکر وفی عرف اهل التحقیق حقیقة
اضافیة رابطة بین الداعی والمدعو والعبد والرب ویجوز اضافتها الی العبد
باعتبار ویجوز اضافتها الی الرب باعتبار فهی من قبل الحق رحمة وحنان وتجلی
ولطف وامتنان ومن قبل الخلق دعاء وخضوع واستکانة وخشوع وتنتظم
من حروفها باعتبار الاشتقاق الکبیر الذی یعتبرها المحققون فی علم الحروف
حقایق الامر ارتباط والجمع والمناسبة والمعنی المشترک الجامع المعتبر فی هذه
التراکیب هو الجمع والتقریب والاتباع والتوحید اما الوصلة فاتصال
مجتمعین فی الاجتماع متصلین بعد الانفصال والصلة ایضا العطاء من فوق
والصولة ایضا الحرکة قهرا واستیصالا والصلاة ان عنی الصلاة وهو الظهر
للخشوع والدعاء وطلب الوصول الی ما یدعو فیه ممن یدعوه هذا من جهة العبد
واما صلاة الحق بعبده الکامل فانما هو بالتجلی والتنزل والتدلی رحمة
وحنانا وتعمة وانعاما وفی صلوته یوصل العبد الکامل به ویجعله خلیفة
له علی الخلیفة ومصلیا ای تابعا للحق المستخلف فی الظهور بصورته و
المظهریة الکاملة فی الذات والصفات والاسماء والاخبار عنه والانباء و
کذلک صلاته تعالی بالتجلیات الاختصاصیة الذاتیة والتجلیات الاسمائیة
لحقایق الاصطفاء والاجتباء وبعطیة الصولة من حوله وقوته علی الاعداء
فهذا بیان الصلوة التی نحن بصدده انتهی کلامه ایها الناس انه لا شرف
اعلی من الاسلام الاسلام هو الانقیاد التام لله تعالی فی جمیع الاحکام التی

وهی الوصل والصلة والوصل والوصال والصولة والصلاة وهذه الحقائق من حقائق الارتباط
ع

شرعها الله تعالی فان کان ذلک بمحض اللسان بینا الصاحبه الدرجة العالیة
بحسب الظاهر حیث حقن دمه وحل مناکحه وصح توارثه وحفظ فی ماله
وعرضه وان کان بالعقد القلبی یحیل صاحبه الی المرتبة القصوی فی الاخری
والاولی حیث الحق روحه بالملا الاعلی ویثاب بالاعمال الصالحة التی صدرت عنه
فی الدنیا ویحفظ ماله وعرضه ویشرح الله صدره واما کون الاسلام اعلی
من کل شرف فلان الشرف مطلقا انما هو باعتبار الکمال الدنیوی کالجاه
والمال والنسب وغیرها او کمال اخروی کالعلم والزهد وغیرها فالشرف
هو الانتساب الی الکمال والارتباط والانقیاد لله هو تصحیح النسبة الی الله
ذی الجلال والجمال الذی هو اعلی من الانتساب الی منبع الکمالات وینبوع
الخیرات لان کل شرف وکمال فانما هو رشحة من بحار کماله وکل بهاء وجمال
فانما هو ذرة من انوار حسنه وجماله هذا بالنظر الی السبب الفاعلی واما
بالقیاس الی السبب الغائی فغایة الشرف ان کان دنیویا ان یصیر صاحبه
مبعاش الذی بلا دناس ویفوق طائفة من الناس ولا یصل الیه کل احد
ویستعظم فی اعین اهل البلد والاسلام بالاسلام یحقن الدماء ویحفظ
العرض والمال فی الدنیا ویحصل الطهارة من درن الجاهلیة والنظافة
من رجس الشرک وکفر الاعرابیة ویستعلی الی اهل الملل المختلفة والادیان
ویرفع المسلمین علی اهل العدوان فهو اعلی من کل شرف دنیوی واما ان کان
الشرف اخرویا فغایته ان لا یصل الی الجحیم ویفوز بجنات النعیم ویسلک
فی نظم المقربین ویلحق بالسابقین المقربین ولا ریب ان اصل ذلک
هو الاسلام والتوحید والانقیاد لله المجید ثم اعلم ان الشرف الحقیقی انما هو
بالانقیاد التام لله فی جمیع الاوامر والنواهی والرضا الکامل بالقضاء

المفسوخة لان الله وعد نبیه ان یظهر الاسلام علی سایر الادیان
ع

الا لهي بان يكون الانسان بجسمه عبدا مملوكا لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا
ولا حيوة ولا موتا وكالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء ذلك
الفاعل ويسقنه من الملائكة المطيعين الذين لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون ويجعله من السابقين المقربين الفاعلين ٥
العارفين بنظام الكل المبتدي من عند رب العالمين المنتهي الى مالك
يوم الدين كما قال الله تعالى حكاية عن خليله عليه السلام اسلمت لرب العالمين
ولا شك ان المسلم بهذا المعنى يرى الكل من الله تعالى ولا ينازع احدا
ولا يحكم الا بما حكم الله ولا يرضى الا بما رضى الله فيسلم الناس من شره
ويؤمنون من بوائقه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله المسلم من سلم
المسلمون من يده ولسانه ولا كرم اعز من التقوى الكرم العزة يقال
فلان كريم في قومه اذا كان عزيزهم وشريفهم فيكون على هذا ايراد لفظ الاعز
لمحض التفضيل بتجريد معنى العز فيكون المعنى لا كرم اعلى وافضل من
التقوى ويمكن ان يحمل على المبالغة دون تجريد وقد يقال الكرم ٥
بالفتحتين هو لطف الطبع ولين العريكة وسهولة الخليقة بحيث
ان قيد انقاد وسلامة النفس وحسن الخلق وكف الاذى كما يقال
لشجرة العنب الكرم بالتسكين لانه لطيف الشجرة طيب الثمرة سهل
القطاف قريب التناول سليم عن الشوك والاسباب الموذية ونقل
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تقولوا الشجرة العنب الكرم فانما
الكرم الرجل المسلم وعلى هذا يكون المراد من قوله عليه السلام لا كرم اعز من
التقوى ان الموصوف الحقيقي بصفات الكرم هو المتقي اذ ليس هذه الصفات
بالحقيقة لغيره وبالجملة لما كانت هذه الصفات للكريم ما يوجد المسلم

وغيره

وغيره فاذا اجتمعت مع الاسلام فالكرم اعز من ذلك ولهذا قال الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقيكم فانهم وفاخر في تفسير المتقين انهم الذين يتقون
الموبقات ويتقون تسليط السفه على انفسهم حتى اذا علموا ما يحبط عليهم
عمله عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم وورد ان تفسير التقوى ترك ما ليس
باخذه باس حذرا مما به باس وان التقوى للطاعات كالماء للاشجار
وطبايع الاشجار والثمار في لونها وطعمها كمقادير الايمان فمن كان
اعلى درجة في الايمان واصفى جوهرا بالروح هو اتقى والتقوى على ثلثة
اوجه تقوى بالله وتقوى من الله وتقوى من خوف النار فالاول عبارة
عن ترك الكل فضلا عن الحلال لكون العبد باقيا بالله متنعما في رضوان
الله بجمال الله وهو الذي له ان يقول ابيت عند ربي هو يطعمني ويسقين
وهذا تقوى خاص الخاص والثاني عبارة عن ترك الشبهات لئلا ٥
يقع في المحرمات خوفا من الله ان يعصيه وحذرا من ان يخالفه وهذا
تقوى الخواص والثالث عبارة عن ترك المحرمات لئلا يعاقب بالنار
فبالحقيقة لم يخف من الله تعالى وهو تقوى العوام ولا معقل احرز
من الورع ولا شفيع انجح من التوبة ولا كنز انفع من العلم ولا عز
ارفع من الحلم ولا حسب ابلغ من الادب ولا نسب اوضع من الغضب
في النهاية ان ملوك حمير معاقل الارض المعاقل الحصون واحدها
معقل انتهى والحسب ما تعده من مفاخر ابائك والشرف الثابت في
الاباء او الحسب والكرم قد لا يكونان لمن لا اباء له شرفا والشرف والمجد
لا يكونان الا بهم والنسب محركة القرابة او في الاباء خاصة كذا في
القاموس ذكر عليه السلام اصول الفضايل الاربع التي هي الحكمة والشجاعة

والعفة والعدالة فالعلم اصل فضيلة الحكمة لانه اذا طرأت النفس الناطقة
في ذاتها على الاعتدال وشوق نحو اكتساب المعارف اليقينية والعقايد الحقة
حصلت لها فضيلة العلم ويتبعه فضيلة الحكمة واما الحلم فهو اصل فضيلة
الشجاعة ولذا كان يتبعها من حيث ان ضده الغضب والشجاعة تتبع
انقياد النفس السبعية للناطقة بحيث لا تميل الى الطرفين والورع
اصل فضيلة العفة التي تحصل من مطاوعة النفس البهيمية للعاقلة
من دون تقصير ومجاوزة عن الحد ولذا كان هو تحت تلك الفضيلة
وهو ملازمة النفس للاعمال الحسنة والافعال المحمودة من دون فتور
والمراد بالاصل هيهنا هو المدار عليه فلا ينافيه كونه تحت تلك الفضيلة و
اما الادب فهو اصل فضيلة العدالة اذ المراد بالادب هو التأدب بآداب الله بآداب
والتخلق باخلاقه وهو انما يحصل باستجماع الفضايل الثلث السابقة
ولا ريب ان العدالة تحصل من اجتماع تلك الفضايل وتمازجها وتسالمها
بحيث يحصل مزاج ثالث متشابه ويمكن ان يكون المراد ما هو المعروف
وان كان ذلك يستلزم المعنى الاول اما كون الورع احرز معقل فلان
الورع يحجز عن ارتكاب المعاصي التي هي طرق الشيطان الى حصن النفس
الناطقة للتسلط عليها وتملكها بحيث يصير هي ملكا له وموطنا
واما كون التوبة شفيعا فلان التايب من الذنب كمن لا ذنب له فلا
يحتاج الى شفيع يستشفع اليه سوى التوبة واما كونها انجح فلان القبول
فيه متيقن بناء على ما وعده الله بخلاف الشفاعة فانه ربما يكون
له مانع من قبولها اذ المتيقن فيه هو الشفاعة فاما قبولها فعلى الله
والله يفعل ما يشاء واما كون العلم انفع كنز فظاهر لان الكنز اذا انفق

منه

منه ينقص الثمن بل ينفد لان ما عندكم ينفد بخلاف العلوم الالهية ومعرفة
الحقايق الربوبية التي هي الكمالات التامة فانها لا تنفد ولو كان البحر
مدادا لكلمات ربي وما عند الله باق واما كون الحلم ارفع عز فلان طلب
الانتقام مما يؤدي الى فحش او شتم او ضرب او قتل وكل ذلك يستلزم
الهوان في الدنيا والاخرة كما لا يخفى ومن ذلك ظهر كون الغضب اوضع نسب
واما كون الادب ابلغ حسب فلان الحسب انما الشرف بالآباء والمال والدين
وبالجملة هو الشرف ولا ريب ان التأدب بآداب الله هو التشبه بانبيائه
صلوات الله عليهم والانتساب اليهم وكذا على المعنى الاخير فان التواضع
خلق الله يستلزم تعظيم الله وتعظيمهم له واكرام الله واكرامهم اياه فيحصل له
الشرف التام وفي الخبر من تواضع رفعه الله ولا جمال ازين من العقل ولا شيء
اسوء من الكذب ولا حافظ احفظ من الصمت ولا لباس اجمل من العافية
ولا غايب اقرب من الموت اما كون العقل ازين جمال فلان العقل كمال
النفس فهو باق ببقائها وكل جمال حسي فهو الى الفناء وايضا بالعقل
يصلح شان المعاش والمعاد ويحصل به المطاوعة والانقياد ويعرف مراتب
الاشياء وتناسب الامور واتساقها وانتظامها الذي هو جمالها بل هو حسنها
احسن ترتيب ونسقها ومركبها احسن تقويم وتركيب فكل حسن وجمال
وكل فيها وكمالها فانما هو العقل ومنه يبتدى واليه ينتهي فله الجمال الاكمل
الاتم والحسن الازين الادوم واما كون الكذب اسوء سوءة فلهوانه وقبحه
في الدنيا والاخرة وكون صاحبه ممن يستخف به ولا يعبأ بقوله واما كون
الصمت احفظ حافظا فلان اكثر الافات انما تتسبب من اللسان وانما
كون العافية اجمل لباس فلان عافية الدنيا انما هو من الامراض والفقر والذل

وكل ما يستحسن في الظاهر ولما عاقبة الاخرة فمن الصفات الذميمة والاعمال
القبيحة والاراء الباطلة الموجبة للسخط والعذاب والبعد عن جوار رب
الارباب وبالجملة كل ما يستقبح في الباطن وكون الموت اقرب غاية الظاهر
فلجر الموت اقرب الى احدكم من شراك نعليه وكان ذلك واضحا بعد ادنى تامل
ذلك ثم انظر الى ما في كتاب الايمان والكفر وكتاب الاخلاق ايها الناس
انه من مشى على وجه الارض فانه يصير الى بطنها والليل والنهار مسرعان
في هدم الاعمار ولكل ذي رمق قوت ولكل حبة آكل وانتم قوت الموت
وان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد لن ينجو من الموت غني
بماله ولا فقير لاقلاله الضمير في انه للشان وقوله ان من عرف عطف
عليه والباء في بماله للسببية واللام في لاقلاله لاجل لكون الاول
مما يتسبب به في الاستخلاص في اكثر الابواب فله السببية الحقيقية واما
الفقر فلانه مما يمنع المكاره في بعض الاحيان لاجل التعطف على الفقير
والترحم عليه فيناسبه الاجلية لا السببية ويمكن ان يكون جملة لن ينجو
استئناف بيان ذكر للتعليل ولهذا لم يعطف اقول المراد من هذه
الفقرات والله اعلم بعد ما امكن ان يقال ذكر عليه السلام اصول الامور الطبيعية
وهي الابعاد الجسمانية التي هي امكنة الجسمانيات وارض مستقرها ثم الزمان
الذي هو وعاء الكائنات والمزاج الذي هو مادة حيوة الحيوانات ثم بين
انها مما لا يصلح ان يعتمد عليها وليس شيئا يركن اليها وانها تسلب
كلما افادته وتاخذ جميع ما اعطته فهي آكلة لاجزائها وابعاضها صح
حاطمة لمتعلقاتها ما لديها وان اللطيفة الالهية التي هي الامانة عند العبد
خلاف هذه الامور وهي التي ينبغي اشتغالها واستعدادها للخلود ٥

في دار

في دار السرور ثم ذكر ثانيا عمدة الامور وهي التي ينبغي اشتغالها واستعدادها
العز فيه وهو الغني والفاقة واوضح انها لا يصلح للاستخلاص من الموت ٥
بل كلها في معرض الزوال والفوت اما قوله عليه السلام من مشى على وجه الارض آه
فلبيان حال الارض التي يعبر بها عن عالم الاجسام التي هي امكنة الجسمانيات
حيث يمشي كل جسماني على وجهها فهي ارض بالنسبة الى العالم العلوي المحيط
بها بالاحاطة العقلية كاحاطة السماء بالارض السفلية كما نقل عن
الشيخ اليوناني انه قال الفلك موضوع في وسط النفس انتهى والمراد بالمصير
الى بطنها هي اخذها كلما افادته للكائنات من الابدان الجسمانية و
الاجساد الطبيعية لان كل مركب يتحلل الى بسائطه ويرجع اليها ويميل كل جزء
الى كليته ويجذبه هي اياه بجملته فالارض اي ارض الاجسام تاكل ما على ظهرها
وتاخذ الابدان التي كستها فترى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا واما قوله والليل والنهار آه فلبيان امر الزمان ولا ريب ان العمر الذي
هو مدة بقاء الكائنات الزمانية انما يعد ويفنى بمضي الزمان وتجدد
اكواره العددية فهو مسرع في هدم البنيان الجسماني بانقضاء اجله
واقوى سبب لانحلال التركيب الزماني تقضي الايام عمره فالزمان يلتهم كل
ما يسلك في سبيله ويأكل جميع ما ينسلك في خيط مدته واما قوله
رمق ولكل ذي رمق الى قوله وانتم قوت الموت فلبيان عدم الاعتناء بالحيوة
الحسية وانها مما يفسد بانحلال التركيبات المزاجية واوضح عليه السلام ذلك
بافادة مقدمتين تنبيه احدهما بانضمام ما ينبغي ان ينضم اليها والاخرى
قوت الموت وذكر نتيجتها ويستفاد من الاخرى ان الانسان ذاك هو للموت
ولم يذكر تلك النتيجة لظهورها من الاستنتاج الاول واما المقدمة

الاولى فهو ان لكل ذى روح قوتا بناء على ان المزاج الذى يحصل به الحيوة
انما يكون بوجود الحرارة الغريزية التى شأنها التحليل فلا بد من امر وارد
يصير بدل ما يتحلل وقد ثبت ذلك فى مقره والثانية ان لكل جزء اكلا
تحقيق ذلك انا اذا نظرنا الى العالم وجدناه يأكل بعضه بعضا ويصير
بعضه غذاء بعض فالعالم كله آكل ومأكول ولا يبقى بعد ذلك الا من هو عند
الله مقبول الم تر الى ما بين يديك من الارض كيف يتغذى السحاب منها
ومن الماء فيسقط غذاء للارض فيحيى باذن الله ويحصل بالنبات الذى هو غذاء
للانسان فيصير هو غذاء للارض وهكذا تصير المسئلة ههنا دورية والى
الله منتهى الادوار والاكوار الا الى الله تصير الامور ومارايت الى ما فوقك
من السماء كيف يفيض قواها على الارض ويصعد منها اليها الاعمال الصالحة
والارواح التى هى الكلمات الطيبة قال الله عز من قايل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق
وقد تقرر عند اهل الله ان الطرق الحقيقية لا تتم السابلة حقيقة كما ان طرق
المجاز لا تتم الا مجازا وايضا السماء تأخذ غذاءها على الارض حيث ينقصها
من اطرافها بل يحترك بانفاس بنى ادم اصناف حركاتها وهذه كلها غذاؤها
معنوى ولتفصيل ذلك وتعويل ان الولادة للمواد الجسمانية غذاؤها الصور
والارواح والاعراض والاشباح والنفوس الانسانية غذاؤها حقايق
الموجودات ومعرفة الذوات وتلك النفوس غذاء الاملاك على اختلاف
طبقاتها علوا واعلى من سماء الى سماء وهكذا الى ان ينتهى الامر الى النفس
الكلية المتصرفة لهذه الكرة الجسمانية فالعالم بجميع قواها وارواحها واجرامها
غذاء لتلك النفس الشريفة التى منها ابتدأت واليها يعود بالكمال وفى ذلك
قال العارف الرومى جمله عالم آكل ومأكول دان باقيان را مقبل ومقبول دان

الحيوان ثم يصير هو غذاء

اذا عرفت

اذا عرفت هاتين المقدمتين فالقياس الاول هو ان الموت ذو رمق وكل ذى
رمق له قوت ينتج فالموت له قوت ويظهر بالاخطار ان الموت انما يعرض
للاحياء وكل حى فانما ينتهى الى الانسان بالكمال فالانسان وكل ذى حيوة
قوت الموت ثم الكبرى قياس الاصل فقد بينا ظهورها واما الصغرى فلما
تقرر فى اخبار الطريقين انه يؤتى يوم القيمة بالموت على صورة كبش املح
فيذبحه يحيى النبى صلوات الله على نبينا وآله وعليه وعلى جميع الانبياء والاولياء
بشفرته فيصفو الخلود والحيوة الابدية عن شوب توهم الانقطاع والنقيصة
واما سر ذلك الخبر فلان الموت عدم ملكة بالنسبة الى الحيوة وعدم الملكات عند
اهل المعرفة موجودات بتبعية الملكات وجودا حقيقيا فهو موجود لانه
عدم ملكة الحيوة فكما انه موجود بتبعية الحيوة فكذلك هو حيوان بالتبعية
لا بالذات لانه متعلق بالحيوان وكل متعلق بالشيء فهو موصوف بصفاته
غالبا ولان كل موجود عند اهل الحق سواء كان بالاصالة او بالتبعية فله
حيوة كذلك على ما تقرر عندهم بمعاضدة الاخبار الالهية والنبوية والمكاشفات
الحقة واما صورة الكبش فلظهور صورة التبعية فيه كمال لان الكبش مخلوق
للانسان وان كان كل موجود كذلك بالنظر الادق ولكن الامر فى الكبش
اظهر كما يتراءى من فدية الذبيح بالكبش ومن انه من هذا الحيوان كالانسان وانما
الملحة وهى من الالوان بياض يخالطه سواد فلبيان التبعية المحضة لان
نور الوجود فيه كما عرفت ممتزج مع ظلمة العدم فهو فى نفسه عدم يميل الى
السواد وباعتبار ملكته بالقياس اليها موجود يظهر له بياض بعد الشهود
واما اختصاص ذلك بيحيى النبى عليه السلم فلانه وضع الالقاء وان لم يكن بالطبع
لكنه وضع معقول الهى ومن جانبه فهو يرى الحقائق وصفاتها وضادى

خواصهما وكالاتها وخصوصاً الاسماء تنزل من السماء سيما اسماء الانبياء
فانها مشتقة من اسماء الله تعالى كما في القدسيات يا محمد انا الحميد وانت
المحمود شققت اسمك من اسمي وعلى هذا الاصل فيحيى مشتق من الاسم الحي
فيراد الحيوة الالهية تحيي العظام البالية بالحيوة الابدية واما قتل الموت
فكناية عن بطلان تلك الحيوة الطبيعية عند ظهور الحيوة الحقيقية لان
الحيوة الطبيعية لما كان من شانها الدثور والانقطاع فبالضرورة
يكون لها عدم ملكة وببطلانها يبطل عدمها الثاني ايضا كما يومي الى ذلك
قوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى واما ما لا دثور له ولا فناء يعرضه فلا تقابل بل
عدم كذلك وانما المقابل لعدم الحيوة مطلقا بالسلب البسيط لا العدم
الثاني واما القياس الثاني فهو ان الانسان حبة وكل حبة لها اكل
فالانسان له اكل وقد مضى بيان الكبرى واما الصغرى فلان المراد بالحبة
المعنى العام وكان نبات لقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا وبالجملة
فالانسان نبات سماوي واللطيفة الالهية التي فيه انما يسميها الحكيم بذر
الباري تعالى فما يحصل من البذر انما هي الحبة وتلك الحبة اذا التقمها
الموت ودفنت في الارض وبقيت في باطن الارض عند من لا يعزب عنه مثقال
ذرة فحين البعث يمطر من السماء مطر اشبه المني فيصير غذاء لتلك الحبة
فينبت ثانيا للبقاء في الارض المتبدلة بشرى من كوثر البقاء ويحيى في
الجنة المعهودة بمشيئة الرب تعالى رزقنا الله اياها ويظهر باقي احكام
هذا القياس من القياس الاول واما قوله عليه السلام لن ينجو من الموت آه
فلذكر الاحوال العرفية من الغنى والفاقة وذلك واضح عبد الله انها الناس
من خاف ربه كف ظلمه ومن لم يرع في كلامه اظهر فجره ومن لم يعرف الخير

من الشر فهو بمنزلة البهيمة الظلم اما ان يكون مفعولا به للكف اي كف ظلمه
عن ان يصل الى الخلق او مفعولا بواسطة حرف محذوف اي كف نفسه عن الظلم
والرب يلزمه التربية والاصلاح والثبات والاقامة والتملك والله تعالى
باسم الرب احسن كل شيء خلقه ووضع كل شيء موضعه سيما خلق الانسان
في احسن تقويم فمن ظلم نفسه في اعتقاداته واخلاقه واقواله وافعاله
وصرفها في غير مصرفه ووضعها غير موضعه استحق التقويم وهو المقوم كما
قال افلاطون الالهي وكذا من ظلم على غيره بهذا البيان بعينه فلذلك خص
الخوف من الرب بالذكر وقوله لم يرع من الرعاية والهجر بالضم الخنا والقبيح
وفي النهاية في الحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا
هجرا اي فحشا يقال اهجر في منطقه يهجر اهجارا اذا افحش وكذلك اذا اكثر
الكلام فيما لا ينبغي والاسم الهجر بالضم وهجر يهجر هجرا بالفتح اذا خلط في كلامه
واذا هذى انتهى والخير هو النافع مطلقا والشر ما يقابله سواء كان
في الآجل او العاجل فالذي لا يعرف خير العاجل فهو من بهائم الدنيا ومن لم
يعرف خير الآجل فهو بهيم في الآخرة كما اخبر الله تعالى من حالهم بقوله ان هم الا
كالانعام بل هم اضل وفي الخبر يحشر الناس على صور اعمالهم فبعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وهكذا ما اصغر المصيبة مع عظم
الفاقة غدا هيهات وما تناكرتم الا لما فيكم من المعاصي والذنوب
كلمة ما للاستفهام والمعنى اي شيء جعل المصيبة صغيرة مع عظم الفاقة
والاحتياج في يوم القيمة هيهات اي الذي بعد هذا الحكم وهو صغر المصيبة
مع عظم الفاقة عن الصواب بل عظمت المصيبة مع عظم الفاقة وعلى هذا
فقوله غدا ظرف للحكم ويحتمل ان يكون كلمة ما للتعجب وغدا ظرف للعظم والمراد

الحكم بصغر مصايب الدنيا في جنب فاقة العقبى وعدم الزاد لها ويكون قوله
فيها تبيانا لبيان بعد تلك النسبة كال بعد وبمناسب هذا الاحتمال الفقرة الآتية
والشائق التجاهل والتغادي وتناكره بجملة وههنا يحتمل المعاني الثلثة
بان يكون المراد ان فيكم ما هو مبدأ المعاصي والذنوب وهو انفسكم وانتم
تجاهلتم عن ذلك وعلمتم عمل الجاهل بالشيء حيث تغفلون عن شر انفسكم وكون
شره وانكم تعاديتم وتباغضتم الشرور والمعاصي وصيد انفسكم وهو
اعدى عدوكم كما في الخبر اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك هذا اذا
كانت كلمة من في قوله من المعاصي للبيان ويحتمل ان يكون للتعليل اي انكم
ما جهلتم شيئا الا ما هو فيكم وذلك الجهل انما هو لاجل المعاصي والذنوب
الصادرة عنكم والغرض بيان ان الانسان اذا جهل شيئا من العالم فهو جاهل
بما في نفسه وذلك لما الانسان نسخة جامعة لحقايق ما في العالم فاقرب
الاشياء اليه نفسه فمن عرف نفسه يعرف حقايق العالم بل يعرف رب العالمين
كما ان خبر من عرف نفسه عرف ربه ناظر بذلك وفي هذا المعنى قال مولانا
سيد العابدين وزين الساجدين عليه السلام دواؤك فيك وما تشعر وداؤك
منك وما تبصر واما الانسان محيط بالعالم ومحتوي عليه احاطة نورية والعلو
ذاتيا كما قال هو عليه السلام وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر
وبالجملة ان الانسان ما لم يعرف نفسه وما فيه من الحقايق الالهية والجواهر
العقلية لم يعرف شيئا من العالم وما فيه من الحقايق الكونية لان العالم
في الحقيقة هو مظاهر تلك الانوار العقلية المندرجة في الانسان كما يشعر
بذلك ما روى عنه صلى الله عليه وآله ان الله خلق العرش وما فيه من نوري
واما المعاصي والذنوب التي في الانسان فهي بحسب اعماله واقواله واعتقاداته

واصل ذلك كله اعتقاده انه شيء وانه موجود كما قيل وجودك ذنب لا يقاس
به ذنب ما اقرب الراحة من التعب والبؤس من النعيم وما شر بشر بعده
الجنة وما خير بخير بعده النار وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء
دون النار عافية اي ما اقرب الراحة الدنيا من التعب يوم القيمة وما اقرب
بؤس الدنيا من نعيم الآخرة وجعلنا ما شر بشر بعده الجنة وما خير بخير بعده
النار نشرا ولفا على ترتيب اللف اي ما يحسبه الانسان شرا في الدنيا
ويكون بعده الجنة بشر في الحقيقة وكذلك الخير الذي في الدنيا ليس بخير
في الحقيقة ويكون بعده النار اذ كل نعيم غير الجنة حقير لفنائه وعدم خلوصه
من الالام وكل بلاء غير بلاء النار عافية لانقضائه وعدم خلوصه من النعم
اذ البلاء مشوب بالنعماء بل عينها كما يراه اهل الله وهاتان الفقرتان وقعتا
ايضا على ترتيب لفيهما كما لا يخفى فتبصر **الحديث السابع والعشرون** باسنادي
عن علي بن محمد بن الجهم قال حضرت مجلس المامون وعنده علي بن موسى الرضا
عليهما السلام فقال له المامون يا ابن رسول الله اليس من قولك ان الانبياء معصومون
قال بلى قال فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأله ان قال له
فاخبرني عن قول الله عز وجل في ابراهيم فلما جن عليه الليل رأى كوكبا
قال هذا ربي ضمير قال الاول يرجع الى الامام عليه السلام والثاني الى الراوي
والآيات القرآنية التي سأل المامون عنها كانت في خبر آخر كآية آدم وذي النون
ويوسف عليهم السلام وجن عليه الليل اظلم عليه وستره بظلامه قيل ان اجتماع
الجيم والنون في كل تركيب يدل على الستر ووجه مناسبة هذا الخبر للباب
الذي هو بيان التوحيد ان فيه دلالة على بطلان الالهة المعبودة دون الله
بالاستدلال الفطري ان الله التوحيد الخالص والتنزيه الخاص واعلم ان في

الانبياء اقوى الاشياء وهذه المسالة تدل على ان القول بعصمتهم منهم ائمتنا
صلوات الله عليهم حتى قبل البعثة وفي غير الامور المتعلقة بالرسالة فقال
الفاضل الحلي ان ابراهيم عليه السلم وقع الى ثلثة اصناف صنف يعبد
الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس وذلك حين خرج من
السرب الذي اخفي فيه السرب بالتحريك الحفيرة تحت الارض وكلمة اخفي لما لم
المعلوم اى اخفي نفسه على المجهول فلما جن عليه الليل ورأى الزهرة قال
هذا ربي على الانكار والاستخبار الانكار الابطال يقتضي ان ما بعده
وان كانت محذوفة هنا كذبا غير واقع ومدعيه كاذب واما الاستخبار فيحتمل
معنيين الاول انه عطف تفسيري للانكار وهذا بعيد وان كان هو المتبادر
والمعنى الثاني للاستخبار ما ورد في بعض الاخبار من انه كان طالبا للرب
في حال انه سنة وابتدائه في نفسه في مدارج المعرفة بحسب الانتقالات
الفكرية وصعوده معارج الرسالة بحسب الطبقات العرفانية فكلامه على طريق
ليس اخبار ولا انكار بل استخبار عن نفسه الشريفة غير موجب للنقيصة
ولا مناف للعصمة والطهارة وعندي ان هذا اوضح الاحتمالات في تفسير
هذه الآيات لانه من البين ان للانبياء من اوان ولادتهم الى منتهى اعمارهم
ترقيات عقلية وانتقالات عرفانية لكن بقوة قدسية فكل حالة
سابقة لهم كالشرط والضلال بالنسبة الينا وعند شروق نور عقلي يكشف
ذلك الغطاء ولعله كلام بارقة الهية عن ذلك السر احترازا كما يشعر
به قوله تعالى بعد هذه الحكاية وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه
نرفع درجات من نشاء حيث ذكر الدرجات بصيغة الجمع ونسب اليها
الرفع فجن الليل عبارة عن وقت الطالب الخالي عن نور المعرفة ورؤية الكوكب

اشارة

اشارة الى ظهور بارقة الهية ظهرت لتلك النفوس الشريفة في اول الطلب
لذلك عبر عنها بالكوكب لضعف نوره وعلوه وتحيز المناسبتين للاستعداد الالهي
القوي والنور العلوي لشدة اقواله له ان الكوكب حاشاه عن ذلك بل اقول
انه عليه السلم حين رؤية الكوكب وطلب الرب ظهرت له لامعة عقلية صرفته
عن القول بربوبية الكوكب وافاضت عليه الاسئلة لابطال ربوبيته بحسب
ما يقوله اهل الضلالة وبالجملة انه حين رؤيته الكوكب وشروق النور العقلي
المناسب انصرف عن نفسه واستفهم عنها اهو رب الذي يجب عليه عبادته فاجيب
من نفسه بالحكم بحصول النور الصريح الذي يكون الذوي للنفوس القدسية ان ذلك
النور لا يليق بان يكون ربا لافوله وهذا هو مفاد قوله فلما افل الكوكب
قال لا احب الافلين لان الافول من صفات الحدث لا من صفات القديم
حاصل الاسئلة ان الرب كما قلنا يعتبر فيه الثبات بحسب الافعال والمتغير
مطلقا والمكان بحسب الاوضاع والاحوال يلزمه الحدوث فلا يصلح للربوبية
اصلا اما الكوكب فالتغير فيه ظ واما النور العقلي فلانه البارقة الالهية
لا يدوم ظهور التجلي له كما تقرر فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي على
الانكار والاستخبار فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين اى مبتدئا في الطلوع كما في الخبر والبزوغ ابتداء الطلوع وقد عرفت
معنى الانكار والاستخبار واما البيان النوري لذلك على سياق ما قررناه
لك فاعلم ان ابراهيم عليه السلم كان عند رؤية الكوكب في مقام الفتوة كما يومى
اليه قوله تعالى حكاية عن قومه قالوا سمعنا فتى وهذا المقام يناسبه الكوكب
والنور الضعيف فلما ترقى من ذلك العروج الى مقام الولاية والامامة فذلك رأى
النور القمري المقتبس من نور شمس الولاية المطلقة فالولاية المطلقة بمنزلة النور المقيدة

القمري والشهر الذي هو تمام مدة سير ذلك النور والتجلي الكلي لهذا الظهور
بمنزلة المؤمن الولي ولذلك ورد في تفسير فرات بن ابراهيم المحدث في معنى قوله
تعالى ليلة القدر خير من الف شهر اي من الف مؤمن فتبصر وبالجملة وقد ذكر
في الخبر التعبير عن الولي بالقمر كما في خبر تفسير سورة الشمس ان الشمس رسول الله صلى الله
عليه وآله والقمر علي بن ابي طالب عليه السلام وبالجملة لما راى عليه السلام افول ذلك النور
حيث كان مقتبسا من الشمس وراجعا اليه رجوع كل شيء الى ما بدا منه
والرجوع افول وكذا الولاية المقيدة لابراهيم عليه السلام مرجعها الى الولاية
المطلقة ترقى عن ذلك المقام ولم يركن اليه وقال لئن لم يهدني ربي الذي
هو رب كل شيء الى نفسه لاكونن من القوم الضالين اي الذين لا يهتدون اليه بلا توسط
فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر من الزهرة
والقمر على الانكار والاستخبار لا على الاخبار والاقرار فلما افلت
قال للاصنام ولتكثر من عبدة الزهرة والقمر والشمس يا قوم اني بري
مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين في خبر اخر فلما اصبح وطلعت الشمس وراى ضوءها
وقد اضاءت الدنيا لطلوعها قال هذا ربي هذا اكبر واحسن فلما تحركت
وزالت كشط الله عن السموات حتى راى العرش ومن عليه واراه الله ملكوت
السموات والارض وعند ذلك قال يا قوم اني بريء ولم يكن ذلك من ابراهيم
شركا وانما كان ذلك في طلب ربه وهو من غيره شرك الحديث وبظهر سر ان الزوال
والحركة افول وذلك لان فيهما غروب عن حالة وانتقال الى اخرى وفي قوله
وليس هذا من ابراهيم شركا وتعليل بانه كان في طلب ربه تشبيه لما املنا
من انه عليه السلام راى مع كل واحد من الانوار ملكوت ذلك النور ايضا الا ان راى

اخر

اخر ملكوت كل شيء فوصل الى الله رب العالمين واما البيان المورى لذلك
فانه لما راى الشمس وظهر له النور الذاتي الغير المقتبس من اضاء بر وصل
الى مقام الولاية المطلقة التي لا واسطة بينها وبين الحق الاول تعالى
وفي هذا المقام يظهر للواصل اليه استهلاك الكل بنظره ومحو
الاصوات في سمعه لان رؤية الغير مطلقا شرك ولهذا كان ابراهيم ع
لما وصل الى هذا المقام تبرأ من الشرك وصرف وجهه من كل شيء وتوجه
من كل شيء الى الله تعالى وبالجملة كان عليه السلام اولا في مقام النفس ثم
صعد الى مقام الروح ثم ترقى الى مقام العقل وبلسان اخر راى اولا
نفسه الشريفه ومرتبته الرفيعه ثم راى نور علي بن ابي طالب امام العالمين
وراى ثالثا نور نبينا سيد الاولين والاخرين فوصل الى الله ذي
المعارج الا الى الله تصير الامور وانما اراد ابراهيم بما قال ان يبين
لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم ان العبادة لا تحق لما كان بصفة
الزهرة والقمر والشمس في قوله بصفة الزهرة اه تصريح بان ابراهيم
عليه السلام حين رؤيته كل واحد من الانوار الثلاثة ظهر له ملكوت ذلك النور
الى ان راى نور الشمس الذي هو مدبر جميع ما في الكون وظهر له ملكوت
السموات والارض فتبرأ من ذلك كله وحكم بان كل ما هذه الصفة من
الانوار العقلية والحسية فهو لا يستحق العبادة والخضوع والتام وانما
تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والارض وكان ما احتج
به على قومه مما الهمه الله عز وجل واتاه كما قال الله عز وجل
وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فقال المامون لله
درك يا ابن رسول الله والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة

وقد اخرجته بتمامه في كتاب عيون اخبار الرضا عليه السلام في خبر آخر
اتيناها اي ارشدناه اليها وعلمناه اياها **الحديث الثامن والعشرون**
باسناده عن عبد الله بن جرير العبدي عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان يقول
الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس ولا يدرك بالحواس
الخمس ولا يقع عليه الوهم ولا يصفه الالسن وكل شيء حسته
الحواس او لمسته الايدي فهو مخلوق قد سبق منا توضيح شرحها
لنا للمقرات وذكر لا يدرك بعد الافعال الثلاثة من عطف العام
على الخاص ويمكن ان يراد بقوله لا يحس انه لا يدرك له حركة ولا يجس
بالجيم اي لا يدرك بحدة النظر ولا يمس اي لا يوجد له جسم مس وعلى هذا
قوله لا يدرك بالحواس الخمس تاسيس لا تاكيد والوهم في الاخبار اعم من القوى
الخيالية والقوة العقلية وعدم وصف الالسن اياه فرع عدم ادراك العقل
الذائقة اياه لان الثاني انما يكون بالذوق بخلاف الاول وهو اعم من
الالسن الحسية والعقلية وقوله عليه السلام وكل شيء الى اخر كلامه دليل على
المقاصد السابقة بان يراد بالحواس حيث لم يقيد بالخمس كل ما من شانه
الادراك وان كان غير حسيا فانه قال الله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر
ولا ريب ان الكفر مما يدرك بالعقل ولماذا ذكر لمس الايدي بعد احساس
الحواس فمن عطف الخاص على العام وذكر الايدي لان القوة اللمسية فيها
اظهر ويمكن ان يراد بلمس الايدي هو تناولها للاشياء المقدارية واخذها
للاجناس الثقيلة واما انه كل ما هو بهذه الصفة فهو مخلوق فلان
المحسوس اما عرض والعرض لا بد له من قابل فيحتاج الى فاعل وكذا كل معقول
فهو محاط للعاقل والا لم يكن معقولا والمحاط للشيء معلول له لان الاحاطة

في الامور

في الامور المجردة لا يكون الا بالعلية فافهم واعلم ان الغرض من هذه الافادة
نفي صفات المخلوق عن الله سبحانه ولا ينافي الكفعمي في دعاء يوم الاثنين عن
الائمة صلوات الله عليهم والخلق مطيع لك خاشع من خوفك حتى لا يرى
نور الا نورك ولا يسمع صوت الا صوتك وعن ابي يزيد البسطامي اني كنت
اكلم منذ اربعين سنة مع الله والخلق يزعمون اني تكلمت معهم الحمد لله الذي
كان اذ لم يكن شيء غيره وكون الاشياء فكانت كما كونها وعلم
ما كان وما هو كائن قد عرفت ان كان لبيان الازلية الحقيقية التي
استهلك الاشياء عندها وهي الثابتة له تعالى في الازمنة كلها ما
لا الماضي من الزمان الحقيقي او الوهمي كما توهم بل كما قال علي عليه السلام انه قبل
كان على تقدير ان لبيان الوجود فمعنى الكلام ان عواقب الثناء راجعة
الى الله الذي له الوجود الازلي ولم يثبت كون لشيء هو غيره في كل حين له تعالى
هذا الوجود وهو ثابت له ازلا وابدا فلا وجود للغير اصلا كما قيل كل ما
في الكون وهم او خيال او عكوس في مرايا او ظلال هذا اذا كانت كلمة
او ظرفية ويحتمل ان يكون تعليلية اي الحمد لله الذي ثبت له الوجود وكان لا
في الحقيقة لا لغيره لانه لم يتحقق لغيره كون مطلقا وكون الاشياء اي
جعلها ذات وجود لا بنفسها بل بارادتها القيوم فكانت موجدة
حسبما اعطاها الوجود جاعلها من كونها قائمة به وجدها لا جسما
كانت في انفسها اذ ليس لها حيثية كونها بانفسها كيف ولو كانت
لها تلك الحيثية لاستغنت عن الجاعل رأسا وكانت اغيارا او لم يكن
شيء غيره ويمكن ان يكون المعنى انه كون الاشياء قبل وجودها الكوني
فكانت في هذا الوجود طبقا لكونها في الوجود العقلي وقد سبق في الخطبة

السابقة هذه العبارة مع هذه الزيادة وكذا معنى قولهم علم ما كان وما هو
كاين والذي يحضرني الان هو ان المراد بالذي كان الامور الواقعة في سلسلة
الزمان والكاينة من الاستقباليات اذ يصدق على تلك الاشياء بعد
ابتداء وجودها انها كانت في زمان كذا وانه لم ينقطع وجودها والمراد
بالكاينة الامور المجردة عن الزمان اذ ليس وجودها منطبقا على الزمان
حتى يصدق عليها كانت بل كل آن يفرض فهو اول وجودها وقد يتحقق تحقيق
ذلك **الحديث التاسع والعشرون** باسناده عن يعقوب بن جعفر قال سمعت ابا ابراهيم
موسى بن جعفر عليهما السلم وهو يكلم راهبا من النصارى فقال له في بعض
ما ناظره ان الله تبارك وتعالى اجل واعظم من ان يحد بيد او رجل
او حركة او سكون او يوصف بطول او قصر او تبلغه الاوهام او يحيط
بصفته العقول لما كانت المكالمة مع النصارى المعتقدين ان الله هو المسيح
نزهه عليه السلم عن التحديد بهذه الامور وانه اعظم من ان يوصف بيد محدود
كالمخلوقين من الجواهر العالية والسافلة ولا مثل يد الله فوق ايديهم وكذا
اعظم من ان يوصف برجل محدودة كما هؤلاء الطائفة وفي الاخبار العامية
يضع الجبار قدمه على النار وكذا هو اجل من ان يوصف بحركة كالمتغيرات
ولا كما انه ينزل في الثلث الاخير من كل ليلة الى السماء الدنيا وكذا هو اجل
من ان يوصف بسكون كالمكونات ولا كما قاله ما سكن في الليل والنهار
وسيأتي تحقيق نسبة هذه كلها الى الله تعالى والصحيح ان لم يحكم منها
ما يليق بجنابه عز وعلا وكذا هو سبحانه اعظم من ان يوصف بالطول والقصر
المقدارين ولا كما لا يسعه ارضي ولا سماواتي بل يسعه قلب عبدي المؤمن
فالاول على محاذاة الاول والثاني للثاني وكذا هو تعالى برهانه اجل واعظم

من ان

من ان تبلغه اوهام القلوب بالاحاطة ولا في الخبر انه موهم شيئا فانه
غير موهوم ولا معقول لكنه اجل من ان يحيط بصفته العقول اذ لا يوصف هو سبحانه
ولو كان له وصف لاحاطت به العقول اذ الصفة من حيث انها صفة غير
الموصوف وكل ما هو غيره فيمكن الاحاطة به ويحتمل ان يكون المراد بالصفة
الكيفية وقد شاع ارادة ذلك في الاخبار والمعنى هو اعظم من ان يحيط
به العقول بانه كيف هو انزل مواعظه ووعده ووعيده امر بلا شفة
ولا لسان ولكن كما شاء ان يقول كن فكان خبرا كما اراد في اللوح انزل
المواعظ والمواعيد هو وهو تعالى بلا شفة ولا لسان بل امره هو ان يقول كن
بمعنى الامر الايجادي حسبما شاء فكان المأمور بذلك وثبت في اللوح من
جهة امتثال الامر الايجادي اياه طبقا لما اراد كونه وعلى هذا فجملة امر شيئا في
بيان لانزل وقوله ان يقول خبر لكن والاسم ضمير محذوف يرجع الى الامر
وقوله كما شاء ظرف لكلمة كن وقوله في اللوح ظرف لكان وقوله كما اراد
ظرف لخبر وفيه دلالة على ان الوجوب اللاحق انما هو بعد الارادة وقد سلف
ان الوجوب السابق من قبل الاشياء ومواردها **الحديث الثلثون**
باسناده عن محمد بن ابي عمير عن غير واحد عن ابي عبد الله عليه السلم قال من شبه
الله بخلقه فهو مشرك ومن انكر قدرته فهو كافر تشبيه الله تعالى
بالخلق هو ان يعتقد اشتراكه تعالى مع خلقه في ذاتي وعرضي ولا شك
ان المعتقد لذلك مشرك لاعتقاده الاثنينية مطلقا وانكار القدرة
اعم من ان يكون المنكر قائلا بانه فاعل بالطبع او بالايجاب اما في الطبع
او بالايجاب اما فقط واما في الايجاب فلان ذلك اما الايجاب لغيره
عليه حتى يكون موجبا بالفتح فيلزم الانفعال او ايجاب الانفعال مستحيل

على الله سبحانه ويلزم عدم اقتداره ايضا لان القدرة هي كون الفاعل بحيث
اذا شاء ان يفعل فعل بتلك المشية وان لم يشا لم يفعل فاذا اوجبه عليه غيره
ان يفعل فلا يخلو اما ان لم يشا هو ذلك الفعل بنفسه فهو مكره عاجز واما
ان يشا هو ايضا ذلك فاما ان يكون الفعل بتلك المشية فلا دخل لايجاب
الغير فيها واما ان يكون بذلك الايجاب او بهما معا فلم يفعل بهذه المشية
فلم يكن قادرا مطلقا واما انه شاء ان اوجب عليه ولم يشا ان لم يوجب
فلم يصدق عليه انه اذا شاء فعل وان لم يشا لم يفعل واما الموجب بالكسر بمعنى
انه اوجب هو وجود الفعل من نفسه لا من غيره فاما ان يكون ذلك بطريق اللزوم
فذلك ينافي القدرة والمنازع فيه مكابر لمقتضى فطرته واما ان يكون
ذلك بموجب الاختيار ولما كان هذا الايجاب بنفسه وكذا كونه بحيث ان
شاء فعل بنفسه فاذا فرض بالنسبة الى ترك الفعل يجتمع قولنا انه قدر
بالاعتبار الثاني ولا يقدر بالاعتبار الاول وهذا تناقض فان اجيبت
باختلاف الحيثيات والاعتبارات قلنا قد صرحوا هم واقيم البرهان على ان
الواحد الحقيقي ليس فيه تكثر حيثية ولا تعدد اعتبار بل ليس فيه حيثية الذات حيثية الا
وبالجملة الايجاب مطلقا وباي اعتبار كان وفي اية مرتبة من مراتب
الذات ينافي القدرة المطلقة والاختيار المطلق فالقايل به منكر للقدرة
وقد سبق ذلك مبسوطا ولما ان منكر القدرة كافر فلذلك ذاته سبحانه
علم قدره وعجزها منكر للذات الاحدية والمنكر للذات كافر الحديث فنكرها
الحادي والثلاثون باسناده عن الفضل بن شاذان عن ابن ابي عمير قال دخلت
على سيدي موسى بن جعفر عليهما السلام فقلت له يا ابن رسول الله علمني التوحيد
فقال يا ابا احمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله عز وجل في كتابه

فتهلك

فتهلك بالنصب بتقدير ان والمراد بالتوحيد ما يصح ان يعتقد في الواحد
الحق ويطلق على الغني المطلق من دون ان يلزم التكثر بوجه من الوجوه وجهة
من الجهات ويظهر منه ان الاعتقاد في الله وفي صفاته بشيء ليس له ذكر في
القران ولا اثر في هذا البيان مستلزم للهلاك والخسران وموجب للعقاب
والنيران اذ المراد بالهلاك هلاك النفس بحسب النشاة الاخرة واذا
بطلت النفس صار صاحبها وقود النار وحصب جهنم وبئس القرار وعلى
هذا فالقول بعينية الصفات وزيادتها المستلزم للتكثر وان كان
بحسب الجهات والحيثيات مما يوجب الهلاك الابدي واعلم ان الله تبارك
وتعالى واحد احد صمد لما احتج عليهم بعدم التجاوز في التوحيد عما
ذكر في القران ارشده الى ما صرح به القران من الصفات اللايقة بجنابه تعالى
لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك الصفتان المعطوفتان مجهولتان
منصوبتان ولا شك ان الوالد يورث ان كان انسانا ومن جنسه ان كان
حيوانا او نباتا ومن نحوه ان كان روحانيا وذلك ينافي الواحدية
وكذا المولود يشارك الوالد بطريق الاولوية في حقيقته لانه الاصل في ذلك
ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا شريكا الى هنا ذكرها في سورة التوحيد
ولعله عليه السلام فسر الكفو الواقع في هذه السورة الشريفة بالصاحبة والولد
والشريك ووجهه ان الكفو هو المماثل ولا ريب ان الصاحبة والولد والشريك
مماثل اما الصاحبة والولد فظاهر من تعددها المماثلة في الحقيقة اما الشريك
فلضرورة كونه مشاركا له في وجوب الوجود واعلم ان تفسير هذه السورة
الشريفة سيجي في بابه منفردا ان شاء الله تعالى وانه الحي الذي
لا يموت والقادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب والحليم الذي لا يعجل

قد تكرر ورود هذه الاسماء المباركات في القرآن قال الله عز وجل من قائل
هو الحي لا اله الا هو والله على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده والله غفور
رحيم الى غير ذلك وانما تعقيب هذه الاسماء وكذا ما سيجيء من الاسماء بالسابق
فلبيان ما هو المقرر عندهم عليهم السلام والمبرهن عليه عند شيعتهم من ان صدق
هذه الاسماء لا لاجل قيام صفة به تعالى او بغيره مبدأ اشتقاقها بل لان
معناها الاسلبي مقابلا بانها وقد سبق تحقيق ذلك مرارا وسيأتي في غيره
والذي لا يبيد والباقي الذي لا يفنى والثابت الذي لا يزول باد
بمعنى هالك وهذا الاسم مأخوذ من قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه
لان الدائم ليس الا عدم جواز الهلاك ولا يعرض الهلاك ولا يجوز عليه
بمقتضى الاثر والاسم الثاني من قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
والاسم الثالث لا يخالف الاسمين الاولين فمأخذ الكل في الحقيقة شيء واحد
ويمكن ان يؤخذ من قوله وهو الله في السموات وفي الارض على ان يكون الظرف مستقرا
متعلقا بالثابت والغني الذي لا يفتقر والعزيز الذي لا يذل والعالم
الذي لا يجهل قال عز من قائل والله الغني وانتم الفقراء وقال وهو العزيز
الحكيم وقال سبحانه وهو بكل شيء عليم الى غير ذلك والعدل الذي لا يجور
والجواد الذي لا يبخل الاول مأخوذ من قوله شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وقال عز شأنه ولا يظلم ربك احدا
الى غير ذلك من الايات والثاني من قوله اعطى كل شيء لان الجود افادة ما ينبغي
وقد ذكر الاسم الوهاب وهو كالمرادف للجواد وانه لا تقدره العقول
لقوله تعالى ولا يحيطون به علما ولا تقع عليه الاوهام لقوله ولا يحيطون
بشيء من علمه والحكاة ولا يستشهدان وان كانا في الحال الواحد الا انهم

لما كان

لما كان اكثر استعمالهما في ما دون العقل فلذا ناسب المعلوم الذات ولا
يحيط به الاقطار ولا يحويه مكان لقوله جل جلاله انه بكل شيء محيط — لا يصادم
ولا تدركه وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم
اينما كانوا وهو الاول الذي لا شيء قبله والآخر الذي لا شيء
بعده وهو القديم وما سواه محدث تعالى عن صفات المخلوقين
علوا كبيرا هذه كلها آيات الكتاب العزيز الا ما كان تفسيرا كقوله
الذي لا شيء قبله ونظيره او بيانا بعد بيان كقوله من صفات المخلوقين
واما القديم فمعناه يرجع الى الاولية واعلم انه عليه السلام اكمل التوحيد بتلك
الايات الدالة على ان لا شيء مع الله ولا قبله ولا بعده فبقي الملك لله
الواحد القهار ثم اعلم انه ظهر من هذا الخبر انه لا يجوز التجاوز في التوحيد
عما في القرآن المجيد اما صريحا او ضمنا ومن المقررات عندهم عليهم السلام
علم القرآن وما فيه فلا ينبغي ان يتجاوز في التوحيد عما وصل الينا عنهم
عليهم السلام ولا في ورثة الهلاك وقد ثبت عندهم ان هذه الصفات كلها
صفات اقرار لا الحاجة فالبحث عنها على شفا جرف من الهلاك والخسران
يعصمنا الله من الالحاد في اسمائه والعدول عن الحديث الثاني والثلثون
باسناده عن النزال بن سبرة قال جاء يهودي الى علي بن ابي طالب عليه السلام
فقال له يا امير المؤمنين متى كان ربنا متى سؤال عن الزمان والمعنى في اي
زمان كان ابتداء وجود الرب وثبت له الكون بلا سبب فقال عليه السلام
انما يقال متى كان لشيء لم يكن فكان اي يثبت الوجود لشيء في زمان

٢٢٥

من الازمنة او في مرتبة من المراتب الوهمية او في حد من الحدود الفرضية
على انه يراد بالزمان المعنى الاعم من الحسي والخيالي والعقلي يسبق عدم
وجوده في المرتبة السابقة بالضرورة وكلما كان كذلك فوجوده ليس
من نفسه كما يشهد به الفطرة السليمة وربنا هو كائن بلا كينونة كائن
الواو للحال ويمكن قراءة كائن الثاني بالجر على الاضافة فيكون دليلا
على المقدمة الاولى والمعنى ان الشيئ اذا لم يكن ثم كان يجب ان يكون وجوده
من غيره والحال ان ربنا كائن بلا وجود موجود قبله ولا معه ولا بعده
والاقرب ان يقرأ بالرفع على الحكاية فيكون مع كونه دليلا كمالا للمبالغة
بان يكون المعنى ربنا كائن بلا تحقق كائن وبلا صدقه سواء كان بمعنى
العينية او الزيادة كان بلا كيف يكون له لفظة كيف بالفتح على الظرفية
او يثبت له الوجود بدون ان يصح السؤال عنه بكيف يكون اذ ليس كونه كون
كيفية كما للموجودات كلها سواه تعالى كان لم يزل اي انه تعالى ازلي — بلا لم يزل
بدون ان يتحقق للازلية وجود او صدق عليه تعالى لان هذا المفهوم
غيره تعالى لا محالة وكل ما هو غيره فمتأخر عنه تعالى ولا لم يكن هو سبحانه
ازليا غير مسبوق بغيره وبلا كيف يكون كان لم يزل بلا كيف لفظة
كيف الاولى بالفتح على الظرفية والثانية بالجر على الاسمية الملحظة
من العبارتين السابقتين انه كان بلا كيف وكان بلا لم يزل ويتضح
منهما انه كان لم يزل بلا كيف نفي صحة السؤال عنه بكيف يكون كذا
اي بكيف مع انه كان لم يزل بلا كيف فقال وبلا صحة السؤال بكيف
يكون هو جل شانه كان لم يزل بلا كيف ليس له قبل هو قبل القبل
بلا قبل وبلا غاية كلمة قبل الاولى بالرفع والتنوين بمعنى المتقدم اي ليس

شيئ

٢٢٦

شيئ متقدم وذلك الشيئ اياه سبحانه والثانية اما منصوبة على
الظرفية اي هو كائن قبل طبيعة القبل وحقيقته او قبل كل قبل واما مجرورة
مضافة اي متقدم المتقدم بمعنى نفس ذات المتقدم بنفسه اي كما ان
المتقدم بنفسه ليس متقدما بتقدم قائم به سواء كان بطريق العينية
او العرضية كذلك هو سبحانه او بمعنى انه نفس هوية القبل لانه قوام السموات
والارض والحاصل انه بالنسبة الى القبل والقبليات كما هما بالنظر الى
الاشياء فالقبل والقبلية صار به سبحانه ما هما من دون ان يتقوم به
عز شانه هذه الطبيعة ومن دون ان يكون له غاية في هذا المعنى اذ لو كان
قبل يتقوم به لسلسلة القبليات اذ الكلام في هذا القبيل القائم به
تعالى لكان الكلام في القبيل المتقدم به جل وعلا ولو كانت له غاية في
هذا المعنى اي القبلية ومن الظاهر ان غاية كل شيئ خارجة عنه واذ قد
فرضت غاية للقبلية فهي قبل تلك القبلية وينجر الكلام الى ما لا نهاية
ولا منتهى غاية مرفوع عطف على قبل السابق اي ليس لذاته منتهى غاية
اي لا ينتهي غاية بمعنى انه ليس له غاية حتى ينتهي لذا الغاية نفس المنتهى
اليها غاية بالرفع ايضا كالعبارة السابقة اي ليس له غاية حتى ينتهي اليها
غاية كل شيئ فليس لحد ينتهي اليه حدود الاشياء بل يصل هو الى كل شيئ
والى كل احد من النور والفيئ انقطعت الغايات عنه فلا يصل اليه احد
اذ ذلك يستلزم تقدم شيئ من دونه بل هو سبحانه نفس غاية كل واحد
وكل حد كما قال العليم فهو غاية كل غاية وبالجملة فهو سبحانه وكل محدود
وحد كل حد بمعنى ان كل شيئ يكون به سبحانه هو ما هو الحديث الثالث
والثلثون باسناده عن محمد بن صعصعة بن صوحان وقال الحلبي الى

عن ابي المعتمر مسلم بن اوس قال حضرت مجلس علي عليه السلام في جامع الكوفة
فقام اليه رجل مصفر اللون كانه من متهودة اليمن مصفر اللون بلسبه الى الراء
اي كان لونه اصفر وهو صار يهوديا فقال يا امير المؤمنين صف لنا
خالقك وانعته لنا كانا نراه وننظر اليه فسبح علي عليه السلام ربه وعظمه
عز وجل لما كان توصيف الله تعالى يؤدي الى الشرك كما هو صريح قوله عليه السلام
لشهادة كل صفة وموصوف بالتثنية الممتنع منها الازل سيما الوصف الذي
يوجب الرؤية والنظر وكذا رؤيته عز شانه ممتنع سيما الرؤية المستنبه
عن التوصيف رد عليه السلام على السايل وردعه بتسبيح الله وتنزيهه عن ذلك
وتعظيمه بانه اعظم من ان يوصف ومن ان يرى وينظر اليه وفي اضافة الخالق
الى ضمير الخطاب اشارة الى ان المراد توصيف الخالق الذي يعتقده الامام
عليه السلام لان مراد السايل توصيف خالق الامام دون خالقه وقال الحمد
لله الذي هو اول لا بدئ مما ولا باطن فيما ولا يزال مهما ولا ممازج
معما ولا خيال وهما البدئ فعيل مقابل للقديم اي الذي له ابتداء ولفظه
لا في الموضع للنفي والاسماء الواقعة بعدها مرفوعات اما على انها اخبار
حذفت مبتداها اي لا هو بدئ والجملة صفة وكلمة ما موصوفة بمعنى شيء
حذفت صفتها لما يحذف من ضمير عليها او انه او لا يسبقه شيء
ولا يبتدئ من شيء هو مبدؤه فيسبقه ولا باطن في شيء هو محله او يحيط به حتى
يتقدم مراده المحل متقدم بالطبع على الحال والمحيط بالشيء بالاحاطة العقلية
او الحسية متقدم على المحاط بالطبع ولا يزال مهما كان لشيء وجود فهو محيط بكل
شيء ومدرك لكل شيء فلا يدركه شيء فلا يسبقه شيء وليس ممازج مع شيء
هو ايضا ممازج اما الممازجة الحسية فيلزمها التعدد واما المعنوية فيلزمها

التحديد اي يكون بحيث ينتهي الى حاجز وايضا بلسان اهل الله كل شيء له وجود
مع الله فهو مستهلك فاين يبقى الممازجة وكونه تعالى مع شيء لا يوجب للشيء
وجودا مستقلا حتى يمكن الممازجة غاية ما في الباب انه يوجب تحدده بان يقال
هو موجود بالله لا مع الله وقد سبق ذلك مرارا ومن هنا يظهر بطلان قول الشيخ
الرئيس على ما نقله ليس بشبح فيرى الشبح سواد الانسان وغيره تراه
من بعيد والشبح تلزمه الرؤية اذ هي معتبرة في مفهومه سواء كان شبحا حسيا
او عقليا اما الحسي فبالقوة الحسية واما العقلي فبالاحاطة العقلية
والله سبحانه على المحيط دون المحاط ولا بجسم فيتجزى الجسم من حيث
استلزامه المقدار يلزمه التجزية وقبول الانقسام وفي ايراد صيغة التفعل
من المضارع اشارة الى اتصال الجسم في نفسه وقبول التجزية ما دام يصدق عليه
اسم الجسم وهو المراد بقبوله للانقسامات لا الى نهاية ولا بذي غاية
فيتناهى فقد سبق ما يليق بها لهذا المرام ولا بمحدث فيبصر يحتمل ان
يكون مضارعا مجهولا من البصر وهو عبارة عن الصفة التي يكشف بها كمال
نعوت المبصرات اي ليس هو سبحانه بمحدث حتى يمكن ان ينكشف نعته
ويطلع على كنه كماله او من الابصار وهو الايضاح كقوله تعالى آية مبصرة اي موضحة
او من التبصير وهو التعريف والتوضيح والغرض ان كل ما هو حادث اي موجود
بعد عدم او معلول علة فيمكن ان يتعلق به المعرفة وان يتضح كماله الوضوح الى
ان يصل الى المعاينة وهذا بناء على ما سبق مرارا ان كل ما هو معلول فهو ما يمكن
الاحاطة العلمية به وان كان من علته والاحاطة العقلية هي التعقل
فيكون الصيغة الاولى على المفعول ان كانت من التفعيل وعلى الفاعل
ان كانت من الافتعال كما في بعض النسخ والثانية على المجهول لان كل شيء

التقصي

اي ليس له ستر حتى يمكن كشفه وما كان الله سبحانه نور السموات والارض فنوره
نافذ فيهما ولا يستره شيء لانه كل شيء فانما وجد من شعاع نوره فلم يخل منه شيء
الا المعدومات ولا بذي حجب فيحويه الحجاب مما احتجب به ولا احتجابه يلزمه الاحاطة
والحواية من جميع الوجوه والا لم يكن محتجبا حقيقة والحدود اعم من ان يكون
جسمانية كثيفة او روحانية لطيفة او عقلية صرفة والله سبحانه منزه عن
الجميع واعلم ان ما ورد من ان لله سبعين حجابا وفي رواية سبعمائة وكذا
الستور والسرادقات الواردة في الاخبار فانما هي بالنسبة الينا وبالنظر
الى بعدنا من مقام القرب وانما هي درجات يتخطاها العبد في السلوك
الى الله وينكشف بعنايته عن عين بصيرة الناظر الى وجه الله كان ولا اماكن ٣٤٩
تحمله الكناف الكنف بالتحريك الجانب والناحية والمكان هو الجسم
المحيط والكناف اطرافه التي هي سطوحه فالحامل الحاوي وهو السطح وهذا
صريح في ان المتمكن انما هو بسطوح المكان كما لا يخفى ولا حملة ترفعه
بقوتها بالفتح لنفي جميع اجناس الحامل سواء كان امرا خارجيا او داخلا
والداخل اعم من ان يكون حالا او محلا او جزءا والجزء اعم من ان يكون خارجيا
او عقليا لان كل ذلك يستلزم الحاجة ولا كان بعد ان لم يكن نفي للاتحاد
الحدوث وانقسام التغيير على ان يكون الكون اعم من ان يكون في نفسه او رابطيا
بمعنى انه لم يحدث ذاته بعد عدم ولم يتغير حالاته بعد حالاته وبالجملة ليس
هذا الحدوث له بحسب الزمان ولا بحسب المرتبة ولا باعتبار التعقلات ه
العقلية بل حارت الاوهام ان تكيف المكيف للاشياء ومن لم يزل
بلا مكان ولا يزول باختلاف الازمان ولا ينقلب شانا بعد شان ه
قوله ومن لم يزل عطف على المكيف وكذا ولا يزول عطف على من لم يزل وكذا قوله

لا ينقلب

٣٥٠

لا ينقلب والجمل الاربع لتاكيد الاحكام السابقة فقوله بل حارت الاوهام
ان يكيف المكيف للاشياء على محاذاة قوله لا بذي حجب
يحوي اي ان هذه الامور كلها يوجب الكيفية اذ ثبوت البدو للشيء يصحح السؤال
عنه بمتى كان وكيف وكذا كونه باطنا في شيء محتجبا فيه بانه كيف اختفى فيه والله
سبحانه هو المكيف للاشياء بان جعلها ذات كيفية وهو لا يوصف بخلقه
فلا كيفية له وكذا قوله ومن لم يزل بلا مكان على محاذاة قوله كان ولا اماكن
ولا حملة اي حارت الاوهام ان تجعل الكيفية وتثبتها لمن لم يزل بلا مكان
ولا حامل بان يقال انه كيف هو في المكان وكيف يكون له حامل اذ ثبوتهما
يستعقب السؤال بهذين وقوله ولا يزول باختلاف الازمان ولا ينقلب شانا
بعد شان على محاذاة قوله ولا كان بعد ان لم يكن اذ قد عرفت ان الكون بعد
ان لم يكن اما باعتبار الزمان فدفعه بالحكم بانه لا يختلف باختلاف الازمان
واما باعتبار الاحوال والمراتب فرده بانه لا ينقلب شانا بعد شان ولا حالا
بعد حال اي حارت الاوهام ان تثبت الكيفية للذي لا يزول باختلاف الازمان
ولا يتحول من حال الى حال لان ثبوتها يستلزم صحة السؤال بانه كيف وجد
في هذا الزمان وكيف تحول الى هذه الحال هذا اذا كان النشر على ترتيب اللف
ويمكن ان يجعل الجملة الاولى بازاء قوله ولا حملة والجملة الثانية بازاء قوله
ولا اماكن والثالثة والرابعة بازاء قوله ولا كان بعد ان لم يكن فيكون النشر
على غير ترتيب اللف فافهم البعيد من حدس القلوب المتعالي عن الاشباه
والنظراء الوتر علام الغيوب الحدس في اللغة الظن والتوهم في معنى
الشيء وفي الاصطلاح جودة حركة النفس لسعة كمال الاستعداد الى
اقتناص الحد الاوسط من تلقاء نفسها وهو انما يكون للذوات النفوس القدسية

والعقول الواصلة الى حد العقل المستفاد والظاهر ان المراد بها هنا المعنى
اللغوي ولما ان كان المراد به المعنى الاصطلاحي فالمراد بالقلب قوة المسماة
بالذهن اذ الحدس جودة حركة للذهن والتفرقة بين الشبه والضرب الذي
بمعنى المثل ان الثاني تكون في افراد النوع والاول اعم او هو المناسبة في
الكيفية كما قيل والوتر ما لا مناسب له في معنى من المعاني قال في النهاية الوتر
الفرد وتكسر واوه وتفتح فالله واحد في ذاته لا يقبل الانقسام والتجزية واحد
في صفاته فلا شبه له ولا مثل واحد في افعاله فلا شريك له ولا معين انتهى
وهو خلاف الشفع فكل ما له مناسب في اي معنى كان فهو شفع اذ يمكن ان يزوج
هو مع ذلك المناسب فيكون ممكنا اذ الممكن زوج تركيبي اي سواء كان بحسب
نفسه او بالقياس الى غيره فقول الشيخ الرئيس ولا يتابا ان يكون ذاته تعالى
اذا اخذت مع وصف ما ممكنة مخالف للتحقيق ومنافي للوتر المطلق وان كان ملائما
لما ادعينا من تعميم الزوجية الى الممكن وفي قوله علام الغيوب اشارة
لطيفة الى وجود المجردات العقلية على اختلاف طبقاتها وذلك لان الغيب
مقابل للشهادة والشاهد ما يدرك بالحس سواء كان لبعض فروات الحس
او لجميعها اذ التعريف في الحس للجنس وبالجملة هو ما من شانه ان يدرك بنوع ما
من الحواس في اي وقت كان اذ القضية في امثال هذه المقامات مطلقة
والحواس اعم من ان يكون ظاهرة او باطنة ولا ريب ان كل جسم وجسماني
من الامور التي من شانها الوجود في احد الازمنة فهو مما يمكن ان يدرك
بالحس الظاهر او الباطن فلا يكون غيبا اذ هو ما لا يدرك بالحس فانحصر
وجود الجواهر العقلية واما اختلاف طبقاتها فيظهر من صيغة الجمع المحلاة
باللام كما لا يخفى فان قيل قد ذكر صاحب النهاية ان الغيب كل ما غاب عن العيون

سوا كان محصلا في القلوب او غير محصل وفي القاموس ما يترتب منه قلنا
من البين ان ذكر العين ليس للتخصيص بل لاجل كونها اقوى الحواس واظهرها
وقد صرح البيضاوي في تفسير الغيب بما غاب عن الحس وكذا غيره من المفسرين
فمعاني الخلق عنده منفية وسرائرهم عليه غير خفية معاني الخلق هي المعاني
التي تثبت لهم ويصدق عليهم سوا كانت امورا عينية او لا واعم من ان يكون
عينا كالذاتيات او غيرها سوا كان لازما او عارضا صفة او حالا اذ تحققت
ذلك فانتظر لوشي يجيء بعد ذلك ثم ان الفاء للتفريع اي تفريع الجملتين على
الجمل السابقة فقوله معاني الخلق عنده منفية تفريع على كونه سبحانه بعيدا
من حدس القلوب متعاليا عن الاشباه والضروب وكونه وترا وقوله سرائرهم
عليه غير خفية متفرع على كونه علام الغيوب المعروف بغير كيفية لا يدرك
بالحواس ولا يقاس بالناس ولا تدركه الابصار ولا تحيط به الافكار
ولا تقدره العقول ولا تقع عليه الاوهام لما ظهر من الفوايد السابقة
ان السبيل الى معرفتنا بحسبه من هذه الطرق وهي طريق الحدس والتشبيه
وضرب الامثال والمقايسة الى شي والتنزيل في مفهوم الحي وذلك من طرق
معرفة الاشياء هدانا الامام عليه السلام طريق المعرفة بقوله المعروف الى آخر الكلام
وقوله لا يدرك استيناف بيان لقوله بغير كيفية والغرض اثبات معرفته سبحانه
بهذه السلوب وهي انه سبحانه لا كيفية له بمعنى انه لا يدرك بالحواس الظاهرة
والباطنة ولا يقاس بالناس في شيء من الاشياء ولا يشاركهم في معنى من
المعاني ولا تدركه ابصار القلوب ولا تحيط به افكار العقول ولا تقدره
الاذهان بان يفرض له قدرا ويتعقل ذلك القدر او شبحا يتمثل له عند التفكر
ولا يقع عليه طاير الوهم بان يدركه ويصل اليه اذ كل ما ميزه الوهم فهو مخلوق

۲۵۳

كما فى الاخبار فكل ما فكان معقل او عرف كنه مثل فهو محدود وكيف
يوصف بالاشباح وينعت بالالسن الفصاح من لم يحلل فى الاشياء
فيقال هو فيها كاين ولم ينا عنها فيقال هو عنها باين ولم يخل
منها فيقال له اين ولم يقرب منها بالالتزاق ولم يبعد عنها بالافتراق
بل هو فى الاشياء بلا كيفية وهو اقرب الينا من حبل الوريد وابعد
من الشبهة من كل بعيد قال فى النهاية النعت وصف الشى بما هو فيه من
حسن ولا يقال فى القبيح الا ان يتكلف متكلف فيقول نعت سوء والوصف
يقال فى الحسن والقبيح انتهى كلامه ولما كان القول بالشبح قبيحا على انه ذكر
معه الوصف ولما كان وصف الالسن بالثناء عليه بغيرها وصفه به نفسه
من كونه ليس كمثله شى ونظايره ممتنعا ذكر معه النعت ثم لما ذكر عليه السلم
انه سبحانه منزه عن ادراك العقل اياه بالطرق التى للعقل فى ادراك الاشياء
من جهة نفسه او من جهة الاثر وتوابعه ويجمع تلك الطرق كلها ان ادراك
العقل للشى اما بان يحضر فرد المفهوم ليس لهذا المفهوم فرد غيره واشار
عليه السلم الى هذا القسم بقوله فكل ما قدره عقل واما بان يجعله فرد المفهوم
يوجد فى غيره وهذا هو المماثلة العامة والمثالية المطلقة وقد سبق منا
برهان على ان كل ما هو تحت مفهوم فهو محدود وان كل ما هو محدود فله
شبح عقلى او مثالى او حسى وكل ما هو كذلك فهو مما يمكن ان ينعت
بالالسن العقلية او المثالية او الحسية كل واحد بما يناسبها الموصوف به
ثم انه عليه السلم اوضح هذا الذى افادنا بتفصيل تلك الطرق بنحو تفصيل
غير الامرين الجامعين اللذين ذكرناهما وهو ان الموصوف بالشبحية
والمنعوت بالالسن اما لاجل كونه فى الاشياء فينعت بذلك ويوصف

بانتزاع

۲۵۴

بانتزاع شبح له من محله على نحو المناسبة واما لاجل كونه باينا
من الاشياء مقابلا لها فينعته الالسن بالمقابلة والمضادة كما هو شأن
معرفة بعض الاشياء باضدادها ويوصف بمفهوم مقابل لها فيعرض
شبحا عقليا مخالفا لها واما لاجل كونه خاليا من الاشياء غير
محيط بها فينعت بانه على جهة من الاشياء وان كانت جهة عقلية ويوصف
بانه شبح ينتهى جهة الفلانية الى الاشياء واعلم انه يمكن ان يقرأ لفظه
اين بفتح الهمزة وسكون الياء التحتانية وفتح النون وان يقرأ بمد الهمزة
وكسر الياء ورفع النون على وزن اسم الفاعل بمعنى ذو الاين واما لاجل
كونه قريبا ملتزقا اى ملتصقا بالاشياء بان يكون هو مع ما يلتزق
به شيئين متلاصقين واما لاجل كونه بعيدا منها بطريق الافتراق
بان يكون هو مع ما يفترق منه شيئين متفرقين لان ذلك كله ينافى
الوحدة الذاتية كما اومانا اليه سابقا وسيجى لاحقا بل هو فى الاشياء
بلا كيفية من حالية او محلية ولا يكون معها تحت مفهوم او معنى
من المعانى حقيقية او اعتبارية واقرب الينا من حبل الوريد بل الى كل
شى بهذه النسبة من دون معية وابعد من ان يشتبه وجوده والوهيته
على كل احد من كل بعيد من الشبهة متيقن وجوده اى هو اظهر الاشياء
واجلاها سبحانه وتعالى وبالجملة فالكون فى الشى اما على الظرفية
او الحلول بان يكونا تحت مفهوم او فى ظرف جامع لهما وكل ذلك محال
على اشد جلاله لاستلزامه الكيفية كما لا يخفى فكونه فى الاشياء
هو ظهوره سبحانه بكل الاثر لنفسه تعالى فنسمى باسماء هى غيره عندنا
ولا فى ليس هنا شى ما خلا الله تعالى وقد قيل الان على ما كان

في قدم؟ ان الحوادث امواج وانهار ؛ خلق الاشياء لا من اصول
ازلية ولا من اوايل كانت قبله بديته لما كان الايجاد على انحاء شتى
فمنه الابداع ومنه الاختراع وهو ما كان لا لعلة ولغرض ونوى بنفس ذات المبدع
او المبدع على راى ومنه الخلق وهو صنع الشيء في مادة موضوعة للصنع
كما يشير اليه قولهم عليهم السلم فخلق الشيء الذي منه جميع الاشياء وانه تعالى
خلق طام الاجسام من الماء لسنا نقول ان كل واحد من هذه الاقسام
يختص بموجود دون موجود كما يقوله المحجوبون بل كل ذلك يتحقق في
جميع الموجودات بحسب الاعتبارات اللهم الا في الصادر الاول فحسب وقد سبق
تحقيق ذلك مرارا وسياتي انشاء الله ثم ان القسم الاخير لما كان
يحتمل شقوقا ثلثة ذكر عليه السلم منها اثنين وابطلهما ليتعين الثالث
وذلك بان يكون خلق الاشياء من اصول ازلية تكون مشاركة مع الله
سبحانه في الازلية وعدم المسبوقية بشيء او من اصول هي اوايل وتتقدمها
بالنسبة اليه تعالى تكون مستندة بانفسها على تقدير قراءة البديه بالهمزة
او ظاهرة بانفسها لا بعلة او العقول على قول فيها بالاباء الفعالية
المستندة او من اصول متاخرة عنه تعالى معلولة له جل وعلا والبرهان
على بطلان الشق الاول انه لو كان معه تعالى شيء في ازليته لم يكن الله
سبحانه خالقا له وعلى بطلان الثاني انه لو كان قبله شيء كان المتقدم
اولى بالمبدائية وقد سبق ذلك مستوفى والبرهان العام على ابطال
الشقين الاولين ما سبق من ان الازلية تابى عن الاثنوة وتمنع منها
وايضا هذه الاصول اما ان يكون مشتركة الحقايق في معنى الازلية
سواء كانت عين ذاتها او جزءها فاحتاجت الى التعين المستلزم للمعين

الفاعل

الفاعل بالضرورة واما ان يكون معروضات لهذا المعنى وقد سبق ان
العرضي العام لابد وان يستند الى الذاتي كذلك فيلزم التركيب المستلزم
للمعلولية ثم ان هذا الكلام يبطل القول بالاعيان الثابتة والمعدومات
الثابتة والقول بالصور الحاصلة في صقع الربوبية لانها كما اقرت
به الطوايف الثلثة ثابتة مع الله من دون معلولية ولا مجعولية ولا يجدي
نفعا في التخلص عن مضيق امتناع الازلية من الاثنينية كما لا يخفى
وبالجملة لا ينفك القائل بواحد من هذه المذاهب عن الشرك الخفي
اعاذنا الله بلطفه الجلي لخلق ما خلق فاتقن خلقه وصور
ما صور فاحسن صورته هذه نتيجة حصلت من ابطال الشقين
وتعيين الشق الثالث بكلا القسمين وهما ان الخلق اشارة الى ايجاد
الشيء من المادة بحيث يحصل منها حقيقة نوعية والتصوير الى ايجاد
الشيء من المادة بحيث منها من دون حصول ذلك ولهذا فرع على
الاول بالاتقان حيث يكون التركيب حقيقيا وعلى الثاني
بالاحسان حيث يكون تزيينا وتحسينا ويمكن ان يكون الخلق اشارة
الى وجود الصور التي لا يتبدل على موادها والتصوير على ما يكون
فيها التبدل والتغير والاستحال وعلى هذا يصح ايضا التفريع
بالاتقان والاحسان وبالجملة هذان القسمان يشمل قاطبة المكونات
والكاينات سوى النفوس المجردة لان الله تعالى يقول لقد خلقناكم
ثم صورناكم ثم بعد ذلك بين سبحانه خلق النشاة الاخرة لكم
فافهم فسبحان الله من توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع
ولا له بطاعة احد من خلقه انتفاع لما ظهر انه ليس مع الله شيء

ولا قبله ضوء وفيء وان كل شيء فهو دونه ومستفيض من نوره ظهر انه
الواحد في العلو والاستيلاء على ما سواه بلا شريك فلذا نزه الامام
عليه السلام اياه عن التشريك والمثيل في تلك المرتبة بقوله فسبحان من لو
كان التوحد في العلو والاستيلاء يستلزم ان لا يكون لشيء منه امتناع
من وصول فيضه اليه وان افعاله سبحانه ليست لاجتلاب منفعة وان
طاعتهم الذاتية والاختيارية له تعالى ليست لاكتساب كمال او دفع
فزع عليه لقوله فليس لشيء منه امتناع مع نظيره على النسق المذكور
اما بيان الاستلزام في الاول فلانه اذا امتنع منه شيء فاما لوجوبه
او لامكانه فالاول يقتضي ان يكون مع الله تعالى وقد ابطلناه والثاني
يستلزم الخلف لان الممكن لا بد له من علة لكونه محتاجا محضا ولا بد من
الانتهاء الى الغني المطلق المستوي على كل شيء واما بيان الاستلزام
في الثاني فلان المفروض انه المتوحد في علوه ومعناه انه لا يتكثر
في علوه بجهة اصلا حتى لا يكون عاليا بتلك الجهة فاذا اكتسب كمالا
من خلقه المتأخر عنه كان متأخرا من تلك الحيثية وقد قلنا انه
المتوحد في العلو لجابته للداعين سريعة والملائكة له في السموات
والارض مطيعة الداعي الحقيقي هو الذي لا يقترح على المدعو ويعرفه
حق معرفته فالذي لا يعرف مدعوه لا يصيب اجابته كما ورد في الخبر
الذي سيأتي ان شاء الله في آخر الكتاب حين سألوا عن حجبه عليهم
الاجابة ادعيتهم قال عليه السلام لانكم تدعون من لا تعرفونه وكذا الداعي
سبحانه اذا اقترح لم يجب اجابته لانه ربما يسأل ما لا يصلح آجله
ولا ينفعه عاجله وهو منزه عن الاصلاح والنفع والجواد المطلق هو الذي

يعطي

يعطي ما يستحق وما يصلح اما اذا سأل الخير المطلق فالله يعطيه عاجلا وآجلا
حتى ان البلايا الدنيوية قد يكون خيرا له وكذا اذا سأل الخير خاصا مما يعرف
خيريته فيعطي اياه ايضا كما يشاهد في استجابة دعوة اهل الله في الامور
المخصوصة فصح انه اجابته سبحانه للداعين سريعة ولما في قوله والملائكة
الى آخر كلامه فلما يتعلق بالمطيعة وفي السموات متعلق بالكون اي الملائكة
الكائنة في السموات والارض مطيعة له تعالى شأنه والمراد بالملائكة هي القوى
السماوية والارضية وروحانياتهما ولبيان الكون فيهما للملائكة بعض كونها
جرمانية كما في قوله صلى الله عليه وآله ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك راكع
او ساجد وسيجيء ان شاء الله في آخر الكتاب تحقيق طريقها واشباهها كلم موسى
تكليما بلا جوارح وادوات ولا شفة ولا لهوات فمن زعم ان اله الخلق
محدود فقد جهل الخالق المعبود لما كان السائل من متهودة اليمن
وزعم جماهيرهم ان الله تعالى تمثل لموسى على نبينا وآله وعليه السلام وتكلم معه كما
يتكلم الاشباح والاجسام نفى عليه السلام عنه تعالى التكلم اما نفي التمثل فقوله
الكلام المتقدم هنا ثم شرع في نفي الثاني بانه لو كان التكلم من الله تعالى بالادوات
لكان هو سبحانه محدودا محصورا والخالق المعبود لا يمكن ان يكون كذلك
فمن ادعى ذلك فقد جهل المعبود الحق وهلك وكل ذلك واضح بحمد الله وقد سبق
والجوارح جمع جارحة وهي العضو الذي فيه الفعل والكسب والادوات
جمع اداة وهي الواسطة في الفعل الغير الخارجة عن الفاعل واللهوات
جمع لهاة وهي اللحم المشرف على الحلق او ما بين اصل اللسان الى منقطع
القلب من اعلى الفم ثم انه افاد المص رحمه الله ان الخطبة طويلة اخذنا عنها
موضع الحاجة الحديث الثالث والثلثون باسناده عن عكرمة قال بينا

ابن عباس يحدث الناس اذ قام اليه نافع بن الازرق فقال يا ابن عباس
اعظما لله عز وجل اصل بينا هي بين الطرفين اشبعت فتحتها فصار
الفا ويقع بعدها اذا الفجائية غالبا وعاملها محذوف يفسره الفعل الواقع
بعدها عند بعضهم وظاهر الفتح جعلها خبرا عن مبتدا محذوف مسبوك من ذلك
الفعل كذا قال شيخنا البهائي قدس سره النوراني ونافع بن الازرق
متقدم في الرأي على الآل ورئيس جماعة من الخوارج الذين يسمون الازارقه
يزعم ان خوارج نهروان قتلوا ظلما والعمل بالفتح لتناسب الملة ونحوه
ظاهر وكان الحسين بن علي عليهما السلام جالسا ناحية فقال الي يا ابن
الازرق فقال لست اياك اسأل فقال ابن العباس يا ابن الازرق
انه من بيت النبوة وهم ورثة العلم الي مع ياء المتكلم اما بمعنى اقبل
او متعلق به مقدرا وفي بعض النسخ انه من اهل بيت النبوة وهم ورثة العلم
فاقبل نافع بن الازرق نحو الحسين فقال له الحسين عليه السلام
يا نافع ان من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الارتماس
مائلا عن المنهاج ظاعنا في الاعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير
الجميل الدهر نصب على الظرفية او في تمام دهره والمراد بالدين الحق
علما وعملا والثاني كناية الى ابن عباس حيث يفتي في الحلة والعملة
مع وجود ورثة العلم باعتقاده والاول رد على السائل حيث ظن انه
يمكن ان يوصف الله بقياس العقول فالقول بالرأي في العلوم ولا سيما
الدينية يوجب كون القائل بتمام عمره في دخول باب الضلالة والوقوع
في حبل النكال ويكون مائلا عن النهج القويم اذ النهج الى الله والذي وصفه
الله تعالى للانام ونحوه ذلك في الانبياء والحجج عليهم السلام وسبيل الواضح

دينه على القياس في اعوجاج الشكوك والشبهات والظنون القائلة
بواحد منها في وقت وبالاخر في آخر وهو الاعوجاج ويكون ضالا في معرفة
الله والعمل في احكامه عن السبيل وقائلا في صفات الله تعالى واحكامه
غير ما هو الجميل يا ابن الازرق اصف الهي بما وصف به نفسه واعرفه
بما عرف به نفسه يظهر منه بعد ابطال القول بالرأي والقياس في
دين الله انه لا يجوز وصف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه والوصف الذي
وصف الله به نفسه هو الذي صرح به في كلام الله سبحانه كقوله ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وامثالها او يخرج مما هو مذكور فيه كالخالق والعامل
والعمل ورازق الطير وذاهب الحبوة والعقل ونظايرها لكن ينبغي
ان يكون احد اشتقاقاته مذكورا في القرآن المجيد اما على العموم او غيره
واما القول بانه تعالى اوجد الاشياء وانه فوق الاجواء وخزائن الماء
فانما هو اخبار لا وصف وفرق ما بينهما وان امكن ان يقال ان عمومات
هذه الاقوال مذكورة في القرآن صريحا او ضمنا وكذا لا يجوز تعريفه
تعالى بغير ما عرف به نفسه من وجود الآيات الدالة على سلطانه
والوهيته وعلمه وقدرته وبالجملة ما ذكر في القرآن المجيد من ان في خلق
السموات والارض وتسخير الفلك والسحاب لآيات للمتفكرين ولاولي
الالباب مما يدل على وجوده وصفاته العليا واسمائه الحسنى لكن التعريف
على قسمين قسم يكون بواسطة النبي وخلفائه وقسم يكون بلا واسطة
بل بنور الهي وكشف سبحاني وتعليم لدني وتعريف رباني بان يعرف نفسه
لهم في كل شيء كما قال سيد الشهداء في دعاء عرفة تعرفت الي في كل شيء
الى آخر ما قال وقدره والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

٢٦١

لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فهو قريب غير ملتصق وبعيد غير
متقص يوحد ولا يبعض هذا بيان لوصفه سبحانه بما وصف به نفسه
ولذا لم يعطفه اما انه تعالى لا يدرك بالحواس فهو ماخوذ من قوله عز شانه
لا تدركه الابصار وذلك لان المعنى بها ابصار القلوب كما في الاخبار وظاهر
ان الحواس جواسيس القلب وعيون سلطان اللب فكل ما تدركه الحواس فانما
توصله الى الملك من دون التباس فالذى لا يدركه بصاير القلوب لا يمكن
ان يدركه هذه الشعوب واما انه لا يقاس بالناس فهو ماخوذ من قوله جل
برهانه ليس كمثله شيء وهو ظاهر واما انه قريب فمذكور صريحا في قوله تعالى فاني قريب
مجيب وكونه غير ملتصق تفسير للقرب واما انه بعيد عن التشبيه او عن ان يصل ومعناه بعيد
اليه المدارك فهو ضمن الايات المذكورة وفي القاموس تقصى بلغ الغاية
وفي النهاية تقصيتها اى صرت في اقصاها وهو غايتها والمقصود البعد
ولا اقصى لا بعد وقوله يوحد بصيغة التفعيل المجهول ولا يبعض عطف
تفسيري له اى هو واحد حقيقة الوحدانية واشدها بمعنى انه ليس بجزء وكل
جزء الشيء من حده وغيره والتعبير بالفعل المضارع للاشارة الى ان الائق
بالعباد ان يقروا بوحدانيته من غير تعلق فيه تعالى بل انه كان ...
في نفس الموحد على اسم الفاعل لا الموحد على المفعول ونعم ما قيل بالوحدة
الواحد من واحد اذ كل من وحده جاحد اذ المضارع يدل على الاستمرار التجددى
فالاستمرار انما هو في الوحدانية والتجدد في نفس العابد فانه حين نظر
في كل شيء يرى فيه احدية جمعه كما قيل ففي كل شيء له شاهد دليل على انه واحد
معروف بالايات موصوف بالعلامات لا اله الا هو الكبير المتعال له
هذا بيان لتعريفه تعالى بما عرف به نفسه وذلك لما ورد في الحديث كنت

كنزا

٢٦٢

كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف ولما كان انه سبحانه
لا يمكن ان يتعلق به المعرفة من جهة ذاته لانه لا يحيط به وجه من الجهات ولا من جهة
صفاته لانها كما اخبرنا الصادق هي صفات اقرار لا صفات احاطة وقد سبق
ويجيء انها اثار الجبر الى سلوب نقايضها او الى انه الواهب اياها لخلقه
كما روي عن اهل البيت عليهم السلام من قولهم هل هو عالم قادر الا انه وهب العلم
للعلماء والقدرة للقادرين وبالجملة فمعرفته سبحانه من جهة افعاله التي هي
ايات وجوده وعلمه وقدرته ومرايا صفاته ومظاهر كمالاته ومجالي اسمائه
ومحال ظهور نوره واشراقه لا اجره ومعنى كونه تعالى موصوفا بالعلامات
اما انه موصوف بان تلك العلامات دالة على الوهيته او موصوف بصفات هي
علامات كون الموصوف بها معبودا حقا او موصوف عندنا بصفات هي علامات
لصفات حقيقية لا نعرف كنهها او موصوف بصفات ما هي مما يستدل عليها به
بالموجودات التي هي الاثار والعلامات والظاهر في المقامات لتلك الصفات
لان الموجودات هي مظاهر صفاته العليا واسمائه الحسنى لا اله الا هو الكبير
الذى استهلك كل شيء عنده المتعالي عن الاشباه والامثال تعالى شانه
وقد شاع حذف الياء من المتعالي مع وجود اللام في القران واخبار الائمة
الاعلام عليهم السلام **الحديث الرابع والثلثون** باسناده عن مفضل بن عمر عن ابى
عبد الله عليه السلام قال من شبه الله بخلقه فهو مشرك ان الله تبارك
وتعالى لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وكل ما وقع في الوهم فهو
بخلافه في هذا وما في معناه الذى تضمن ظهور الحدث فيه تعالى وفي اسمائه
وصفاته الحسنى والمصنف رحمه الله تعالى افاد ههنا دليلا على هذا المطلق
بقوله الدليل على ان الله سبحانه لا يشبه شيئا من خلقه من جهة من الجهات

انه لا جهة لشيء من افعاله الا محدثة ثم لا جهة محدثة الا وهي تدل على حدوث من هي له
فلو كان الله جل ثناؤه يشبه شيئا منها لدلت على حدوثه من حيث دلت على
حدوث من هي له اذ المتماثلان في العقول يقتضيان حكما واحدا من حيث
تماثلهما وقد قام الدليل على ان الله عز وجل قديم ومحال ان يكون قديما
من جهة حادثا من اخرى انتهى وحاصله ان كل ما يوجد في الخلق من المعاني
الذاتية والعرضية فهي مجعول الذات والحقيقة بناء على جعل الحقائق و
الماهيات وعلى ان الجعل للعام بالذات وللخاص بالعرض وقد ثبت ذلك
في محله فاذا كان الله تعالى بحيث يصدق عليه واحد من هذه المعاني المجعولة
الحقيقة كان مجعولا من تلك الحيثية وقد ثبت انه تعالى قديم وان القديم
الحقيقي بالذات لا يكون مسبوقا بشيء بحيثية من الحيثيات بل هو واجب
جميع الجهات ثم انه طاب ثراه افاد دليلا على قدمه تعالى بقوله ومن الدليل
على ان الله تبارك وتعالى قديم انه لو كان حادثا لوجب ان يكون له محدث
لان الفعل لا يكون الا بفاعل ولكان القول في محدثه كالقول فيه وهذا
محال فصح انه لا بد من صانع قديم واذا كان كذلك فالذي يوجب قدم ذلك
الصانع ويدل عليه يوجب قدم صانعنا ويدل عليه انتهى وهو يتوقف على
كون القديم ما ليس مسبوقا اصلا بشيء من الاشياء وان الحادث ما يكون
ضلا لشيء سواء كان نفسه او غيره وان الفاعل للشيء يجب ان يكون متقدما
عليه فلا يكون نفس الشيء وان التسلسل مستحيل الوجود فالقول بوجود صانع
ينتهي اليه المصنوعات لاجل بطلان التسلسل هو الذي يوجب القول بان لنا
صانعا هو ذلك الصانع **الحديث الخامس والثلاثون** باسناده عن عبد العظيم بن
عبد الله الحسني قال دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن

محمد بن

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام فلما بصر بي قال لي مرحبا
بك يا ابا القسم انت ولينا حقا قال فقلت له يا ابن رسول الله اني اريد ان اعرض
عليك ديني فان كان مرضيا ثبت عليه حتى القى الله عز وجل فقال
هات يا ابا القسم بصيرة به كرم موضع صار رحبا او الرحب بالضم الاتساع
والترحيب الدعاء الى الرحب وقولهم مرحبا اي صادفت سعة واصبتها
او صله رحب الله ترحيبا بك اي دعاك على السعة ورزقك اياها فجعل
المرحب موضع الترحيب ويظهر ان هذا التقدير انما هو في قولهم مرحبا بك
ويحتمل ان يكون الباء للبيان وتعيين الخطاب كما قيل في اللام في قوله سقيا
لك بان يكون خبر مبتداء مقدر اي هذا الدعاء لك او مختص بك ونحو ذلك
والولي القريب والمحب والصديق والنصير والتابع ويمكن ان يكون المراد هنا
القائل بولايتهم وامامتهم والمراد بالدين الاعتقادات الحقة وبنية في
عبادة الله تعالى وقوله ثبت بتشديد التاء الفوقانية على صيغة المتكلم
وهات بكسر التاء بمعنى اعط فقلت اني اقول ان الله تبارك وتعالى
واحد ليس كمثله شيء خارج عن الحدين حد الابطال وحد التشبيه الخروج
عن حد الابطال والتشبيه هو القول بانه تعالى شيء لا كالاشياء لا في شيئيته
ولا في وجوده ووحدته وسائر صفاته وكلامه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض
ولا جوهر المراد بالجسم هنا الجسد المصمت وهو رد على من زعم انه جسم نوري
صمدي او مصمت لا جوف له والمراد بالصورة ما يتميز عند الحس او الوهم
او العقل وغيره وبينها هي باطل او سواء كانت الاطراف حسية او مثالية او عقلية
وهي ما يقال بالفارسية سيكر ويلزمها التجويف والتخطيط كما يظهر من الجسم والعرض
هو الموجود في شيء لا يحصل منها حقيقته نوعية ومهية حقيقية ويقال له بالفارسية

بيرائه والجوهر غيلا فر بل هو مجسّم الاجسام ومصوّر الصور وخالق
الارض اي الجوهر الجسم على الفاعل من التفعيل وكذا المصور بمعنى جاعل
الجسمية والصورة بالجعل البسيط اذ الصيغة تدل على جعل الماهية ومن البيّن
استحالة الجعل المركب فتعين البسيط ثم ان ذكر الاجسام والصور ليس
بمستدرك حتى يتكلف بالتجريد في التفعيل اذ المعنى هو جاعل الطبيعة
الجسمية وفاعل ماهية الصورة للاجسام والصور ورب كل شيء ومالكه
وجاعله ومحدثه الرب هو المالك بالتسخير والاقتدار والفاعل بالاختيار
والمالك انما يكون بالاحاطة بان لا يعزب عنه مثقال ذرة والجعل هو التصيير
البسيط فيكون في الذات والاحداث يكون في الصفات وفي الاحوال والشئونات
ويجيء تفصيل ذلك في باب معاني الاسماء ان شاء الله تعالى وان محمداً
عبده ورسوله خاتم النبيين ولا نبي بعده الى يوم القيمة العبودية
الحقيقية التي من اشرف صفاته واقدمها لانه صلى الله عليه وآله هي الفقر الكلي
والاحتياج التام بحيث يكون كمرآة مجلوة تسطع الحق تعالى لا بمعنى ان يكون
هيهنا مرآة وجلاء بل ليس هيهنا الا اللبس والامتياز وهذا انما كان بالحقيقة
لفاطمة سكنت بقعة الامكان لكن التحقق بذلك المقام ليس في وسع كل احد
سوى المظهر الكلي للاسم الرحمن ولهذا عرفها مولانا الصادق عليه السلام
في كتاب مصباح الشريعة بان العبودية جوهرة كنهها الربوبية اشارة
الى المظهرية الكلية الجامعة وصاحب هذه المرتبة من الفقر والعبودية هو
صاحب دائرة الرسالة الكلية الجامعة لجميع احاد الرسالات فهو الرسول
اولاً وآخراً وظاهراً وباطناً لانه كان نبياً وآدم بين الماء والطين وهذا
معنى كونه خاتم النبيين بالفتح حيث يكون فصوص النبوات كنقاط في محيط

تلك

تلك الدائرة او كجواهر في اطراف ذلك الخاتم بالحقيقة وكذا الخاتم بالكسر ويكون
بمعناه في كتب اللغة ولما اذا كان فاعلاً من ختم الشيء اذا بلغ اخره فكذلك
اذ البلوغ الى اخر الشيء انما يكون بالشروع من اوله فتبصر وناهيك ذلك الا ان
من اهل البصر ونقول ان الامام والخليفة وولي الامر بعده امير المؤمنين
علي بن ابي طالب الامامة هي الرياسة العامة والخلافة الكلية الالهية وهي
نيابة الحق في الخليقة وفي دعاء شهر رمضان انت خليفة محمد وناصر محمد
اسئلك ان تنصر وصي محمد وخليفة محمد وولاية الامر عبارة عن تولي الامور
الظاهرة والباطنة للخلق والمصالح الدينية والدنيوية لهم فيولي الاوعية
الرحمن وتربية الجنان كما قال العارف الرومي في الغزليات ٭ كرمحمه
بندي خلد برين ٭ پهلوان نبرد اسفندآييني ٭ وبر انبت النبات وانبعث
الثمرات كما قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام في الشعر ٭ وفي الصدر لبانات
اذا ضاق بها صدري ٭ نكت الارض بالكف وابديت لها سري فمهما تنبت
الارض ٭ فذاك النبت من بذري ٭ والولي المطلق كالرسول الحق فهو مع
كل نبي وعلي كما في المخاطبات النبوية يا علي كنت مع النبيين سراً ومعي جهراً
ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد
ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم انت يا مولاي فقال عليه السلام
ومن بعده ابني فكيف للناس بالخلف من بعده قال فقلت كيف ذا
يا مولاي قال لانه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ
الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً قال فقلت اقررت
اهكيف للناس من الاقرار بالخلف القائم عليه السلام حيث لا يرى شخصه
ولا يحل ذكره حتى يظهر وفي تعيين الغائب دلالة على عدم جواز ذكره عليه السلام باسمه

فى هذا الزمان خلافا لمن حمل النبع على اوقات ولادته وغيبته الصغرى
وبالحرى ان نذكر هنا علة وجوب بعث الرسل وتعيين الحجج فى السنة الالهية
والحكمة الربوبية ونذكر سبب اضطرار الخلق اليهم وان محمدا صلى الله عليه وآله
سيد المرسلين وخاتم النبيين وان اوصياءه وخلفاءه اثنا عشر بيانا
اجماليا ليكون كمقدمة مرمزة وكشذرة من مقدمة نحو **المطلب الاول**
يظهر ظهورا بينا بعد ما ثبت ان لنا خالقا حكيما متعاليا غنيا وعن كل
ما سواه تعالى ومبدأ لكل شيء ومرجعا لكل ضوء وفيء وان العالم بكليته
مظاهر نوره ومجالى اسمائه ومرايا كمال ربوبيته وان معاد كل شيء الى ما بدء
منه من الاسماء والصفات وحشر كل معلول الى علته بالحركة الى الكمال وان الله
تعالى لاسماء جلاله وجماله مظاهر فى العالم بالاختلاط والاستقلال
وانه ينتهى طائفة منها بجماعة الى الجنان وطائفة منها بقوم الى النيران التى
بين الطائفتين المختلفتين منها ظهورات لبعض عند خفاء المقابلات
ومغالبة تغلب بعضها بعضا بحسب النشآت فتفرق بهم السبل واشتبه
الامر على الكل وليس فى وسع كل احد ان يصل الى الله او يتقرب اليه وياخذ ما هو
رضاه فمن المحتم على قضية السنة الالهية والحكمة الربانية ان يستاثر بعلمه
وحكمته من يشاء من عباده للسفارة والخلافة فثبت ان لله تعالى سفراء فى
خلقه متخلقين بخلقه يناجونه فى سماواتهم ويخالطونهم فى اخلاقهم وصفاتهم
لهم جهتان الحقية والخلقية فبالاولى ياخذون من الحق سبحانه وبالثانية
يعبرون الى الخلق ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفى تركه
فناؤهم وهذا البرهان مستفاد من اخبار ائمة اهل الاسماء عليهم صلوات
الله الرحمن ويلبسان احراة الاسماء الظاهرة اثارها فى العالم رؤساؤهم

ائمة

ائمة الاسماء بان يحج كل طائفة العامهم فى جميع مراتبهم ولهذه الائمة
امام واحد جامع لحقائقها ظاهر بحسبها فى مجاليها مستترا لى باعتبار بطونها
فى تفاصيلها يسمى امام ائمة الاسماء فكذا الحال فى مظاهرها وتلك الائمة
ظهورات فى قرون مختلفة وازمان متفرقة فظهر الامام هو امام الائمة وهو
امام الكل وسيد الكل والجل ويجب ان يكون الامام بظهور الجبل الوحدانى
دون ظهوره بظهورات رعاياه الذى هم رؤساء بالنسبة الى الجمهور متاخرة
عن تلك الظهورات لان هذه كالاجزاء وذلك المبنى تقدم ظهورات الاجزاء
على ظهور الكل فى عالم الشهادة والتفرقة ولاجل ما قلنا ما بعث نبى الا
بالاقرار ببعث نبينا والامامة ائمتنا عليهم السلام وذلك لانه مصحح بعثتهم فلا تغفل
ومن هذا ظهر وجوب محو الانبياء بشمار رسالة سيدنا خاتم النبيين
صلى الله عليه وآله وعلى جميع الانبياء بشمار رسالة سيدنا خاتم المرسلين
فظهر المطلب الثالث ايضا واما المطلب الثانى وهو اضطرار الناس الى
الحجة فى كل زمان خصوصا بعد نبينا صلى الله عليه وآله فلان كل حركة وفعل
وكل سكون وترك اما ان يكون نافعا فى نفس الامر عاجلا بطريق منع الخلق او آجلا
او ليس كذلك والثانى اما ان يكون ضارا او لا يكون فالاقسام ثلثة ومن
الضرورى عند كل من بلغ حد التميز والقياس ولم يوسوس فى قلبه وسواس
شبه الناس انه ليس له بنفسه ولا باجتماع نوعه من امثاله معرفة خيره وشره
ولا اهتداء الى تحرى نفعه وضره وبقائه وعز اليقين فى الخير والنافع وجعل
القسمين الاخيرين فالكل مضطر محتاج الى من يعرف ذلك على الحقيقة
وبالكنه ومن المقرر ان علم ذلك التام انما يكون عند الله او عند من اخذ منه
ما الفناء فظهر الاضطرار الى الحجة بانضمام المقدمة من الناس بغير ما ندليس

لكل احد ان يستاثره الله بعلم ذلك فيجب طلب ذلك الامام على كل احد
والحركة والفعل الذي يلزمه ذلك الطلب وان كان يحتمل هذه الاقسام الثلثة
لكن نتيجة الاضطرار الى الطلب المحتاج الى تلك الحركة وذلك الفعل فلا بد
ان يكتفي فيه بقدر الضرورة واما سبيل وجدان هذه الحجة فطريق آخر
وهذا القدر كاف في المقصود وبوجه آخر وهو مختص بالاضطرار
بخليفة النبي عليه السلام وهو ان النبي يجب ان يكون عنده كل ما يحتاج اليه الناس
من العلوم والصناعات ومعرفة اللغات وغير ذلك وذلك واضح حيث
تقرر انه ليس لكل احد ان ياخذ ما يحتاج اليه في امر معاشه ومعاده من امته من غير
واسطة نبوية ثم من البين ان اثار علوم ذلك النبي اذا العلة المحوجة باقية
الى تلك الغاية وليس يتيسر لكل احد مع التعاقب التناسلي ان يكون عنده
جميع تلك الاثار كما نشاهد من انفسنا ولا في قوة كل احد ان يحيط بتلك العلوم
فلا بد ان يصطفى بذلك طائفة تكون لاختصاصهم بالنبي محيطا لحمل اعبا
النبوة واثار علم الدين ويجب ان يكونوا معصومين مامونين والا لم يمكن ان تاخذ
منهم على يقين في حكم منه ولا يعلم هذه العصمة من احد الا من عصمه الله ونص
به وبعصمته واما نص النبي من عند الله ليتم بذلك تبليغ رسالته كما قال عز
وجل من قائل يا ايها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما
بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وبوجه آخر وهو مختص بخليفة نبينا
صلى الله عليه وآله لما تقرر ان الخليفة هو ما يخلف المخلوف في شئونه ويفعل
ما خلق هو لاجله فخليفة الله هو من يخلفه في ارضه وسمائه من افاضة المصالح
الدينية والدنيوية والهداية الى الخيرات الحقيقية كذلك خليفة النبي هو من يخلفه
في الامور المتعلقة بالنبوة من اصلاح حال الرعية وحفظ احكام الشريعة

ومنها انه يجب ان يكون [illegible] سلطانا [illegible]

وترتيبه

وترتيبه لمنوبهم الظاهرة والباطنة فيكون الخليفة متحققا بجميع الاخلاق
المتخلقة به النبي كما ان النبي متخلق باخلاق الله ومتادب بادابه بحيث يصح
ان يحكم بان الثاني لو كان في هذه المرتبة لكان ذلك الا هو بعينه وقد تحقق
بالنقل المتضافر من طرق العامة والخاصة ان رسول الله صلى الله عليه وآله
بعد ما خير بين العبودية والسلطنة اختار ان يكون عبدا نبيا لا ملكا نبيا
فليس بعده السلطنة الظاهرة وامارة الجبابرة اذ ليس له ذلك بنفسه فكيف يكون
من بعده فثبت انه لا بد من الاضطرار ان كان الخليفة ان يكون بالخلافة الدينية
المصلحة للمعاش والمعاد والسلطنة المعنوية للعاكف والباد من المتنوعين
الفريقين ان الذي ادعى الخلافة بعده متخلقا باخلاقه وهو بالنسبة اليه
كنفسه علي بن ابي طالب عليه السلام لقوله تعالى انفسنا وانفسكم حيث لا اختلاف
لاحد في علي بن ابي طالب والحسن والحسين عليهم السلام واما المطلب الرابع وهو بيان
خلافة نبينا صلى الله عليه وآله في الائمة الاثني عشر عدد نقباء بني اسرائيل
فقد وفقني الله تعالى لفهم ذلك من وجوه عديدة واذكر ههنا ثلثة دلايل
هي براهين في الحقيقة الاول اعلم انه مما قلنا ان عليه الكشف والعيان
واستنتجته العقول المتناصفة بالبرهان وهدى اليه الشرايع وقضى عليه كل شرع
الحق والبابع ان اول الصوادر من المبدأ الاعلى في العالم العلوي نور هو جملة
الانوار لا اشتمال العلي على الاحتواء الجملي وفي العالم الكوني شيء هو ايضا
جملة الاشياء بالقوة الجامعة والاحاطة القابلية على محاذاة الاحاطة
الفاعلية ويؤيد الاول ما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله انه عليه السلام اول الانوار
المخلوقة ومن نوره خلق سائر الاشياء المخلوقة وقد تكرر ذلك في الاخبار
ويؤيد الثاني ما ورد ان اول ما خلق الله الماء ثم ذكر ان كل شيء خلق من الماء

ويؤيد الاشتمال ما ورد في العلل أن الله خلق العقل وله رؤوس بعدد
رؤوس الخلائق ثم أنه من الاصطلاحات الشرعية أن يعبر تارة عن الصادر
الأول العلوي بالعرش وتارة عن الصادر الأول الكوني بربوبية ذلك لارتباط
خاص بين العاقل والمعقول والقادر بوجه ما بينهما على ما تقرر في العقول
ثم من المستبين عند أهل المعرفة أن التعبير عن المجمل بالنظر إلى المفصل
وبالجملة بالقياس إلى المعلول بحسب ما تقرر في مقره واتضح ببرهانه
من أن الأخيرة عبارة عن ظهور الجهات والأنوار المندمجة في الأوليين
بالنقطة وعن المقابل بالدائرة من حسن التعبيرات الكاشفة عن حقائق الأمور
بل الواقع كذلك وهذه النقطة دائرة حقيقية لكن يعبر عن المحوي بالمحيط
وعن الحاوي بالنقطة وبالحقيقة الحاوي هو الدائرة بتمامها كما الأمر
في الدوائر الجسمانية كذلك لكن الحاوي هناك هو النقطة والمحاط هو الدائرة
بخلاف دوائر الجسمانية والدليل على أن الأمور العالية كل واحد منها دائرة
هو أن العالي من حيث تجرده ليست له نسبة خاصة بالسوافل فيستوي
نسبته من جميع الجهات إلى السوافل فيحصل الدائرة من هذه النسبة إذ لو
اختلفت نسبته وجوده إليه لكان بالضرورة في جهة من السافل دون
جهة وهو ينافي تجرده وأما كونه نقطة فللاشعار ببساطته وعدم تكثره
وإحاطته الجسمانية كالأمر في الجسمانيات لكن الله وقد صرح بذلك المعلم
الأول وقال إن المحيط في الدوائر الجسمانية هي المركز بخلاف الدوائر
العقلية فإن الأمر فيها بالعكس من ذلك وفيما نحن فيه من إجمال العلم و
تفصيله وإحاطة العقل بأنواره أشد انطباقا حيث ورد أن العلم
نقطة كثرها الجاهلون والمراد بالجهل هنا الجهل الذي في قوله تعالى

وحملها

وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا فتدبر إذ اقتضت بذلك التمهيد
نقول إن حملة الخلق التي هي المعلومات المعبر عنها تارة وعن المحيط بها
الإحاطة الجملية أخرى بالعرش وعمادها وما به استقرارها وبالجملة لا بد في
تحقق وجود العرش وتقرر قوامه واستقراره على الماء الذي هو حملة الخلائق
وتفاصيل شهود الأنوار العقلية من اثنا عشر شيخ قدسي علوي وبشر نوري
من أول الدهر إلى انقضاء السنة والشهر كذلك لأن العرش والعرش العلم الكلي
نقطة كالمركز لتفاصيل المعلومات التي هي الخلق فهناك دائرة كلية لا يعزب
عنها شيء من الموجودات وسفلياتها بقضها وقضيضها صغيرها وكبيرها كما قال
ولا يعزب عن علمه من مثقال ذرة ثم إن العرش مع كونه كذلك ورد أنه مكعب
وأن الكعبة المعظمة بحذائه وذلك لأن النقطة المركزية وإن اندمجت فيها
جهات شتى يظهر منه خروج الخطوط إلى المحيط منها كما هو المشاهد في مركز
الدوائر التي عندنا لكن أصول تلك الجهات أربعة هي أنصاف أقطار الفلك
الدائرة الكلية تحصل هذه الأنصاف من تقاطع خطين يمران بالاستقامة
على المركز وذلك لأن العرش مخلوق وكل مخلوق فقد أحاطت به أربعة حدود
متقابلة لأن له أولا وآخرا وظاهرا وباطنا فالأول يحسب الامتداد
الآخذ من الأزل إلى الأبد والآخر له بحسب البعد المبتدأ من الباطن إلى أن
ينتهي إلى الظاهر فالمحيط بالأول هو الدهر كما أن المحيط بالأخير هو المكان
والأماكن وبالجملة فانتهت النقطة الأصلية العلمية إلى أربع نقاط هي
حوامل العرش على الإجمال حيث ورد أن الحوامل أربعة وقد عبر عن النقاط
بالأنوار فيما ورد في الكافي من أن العرش خلقه الله من أنوار أربعة نور أحمر
احمرت منه الحمرة ونور أخضر اخضرت منه الخضرة ونور أصفر اصفرت منه الصفرة

ونور ابيض ابيضت منه البياض ثم لما كان لكل من الاول والآخر والظاهر
والباطن غيب وشهادة وبعبارة اخرى الدوائر الجسمانية على محاذاة الدوائر
العقلية وان كل ما في العالم السفلي فانما مثل ورشح لما في العالم
العلوي وانهما مرتبطان ارتباطا يمكن ان يعبر عنه بانه الاول تنزل فصار
ثانيا فالنقاط الثمانية اربعة بحذاء اربعة ولذلك ورد ان حملة العرش
والعرش العلم اربعة من الاولين نوح وابراهيم وموسى وعيسى واربعة من الآخرين
محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام وهو الشأن للثمانية في القرآن من قوله تعالى
ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية فاذا لوحظ ربط كل نقطة من السفلية
الى ما يحاذيها من العلوية الربط المصحح لصدور السافل عن العالي والى ما
يقابلها من السفلية الى ما يحاذيها من العلوية الربط ربطا يصحح انتظام
الاشياء السفلية واتساقها وكونها كانها شخص واحد وكذا ربط العلوية
الى نظايرها ربطا يصحح صدور المتعددة منها عن الواحد بجهات شتى حدثت
اثنا عشر خطا واذا اعتبر ما بين كل خطين منها من اعتبار الارتباطات التي
بين المجردات والماديات بحيث صار المجموع شيئا واحدا صادرا من المبدأ
الاول صدورا واحدا بنا شخصا انسانيا هو خليفة الله على ما احتوى
عليه احتواء علميا حصلت ستة سطوح باعماقها وسمكها فيحصل المكعب
فهذه النقاط الاربعة هي اصول المكعب العرشي والثمانية حواملها والخطوط
والسطوح قوام امور وحفظة وجوده ولولاها ما استقر ذلك المكعب
ولما كان لرضيب من نوال الرب فبعدما تحققت هذا العرش من العلم
وتذكرت ما سبق لك في التعليم من ان النبوة الختمية التي هي الخلافة الكلية
الالهية هي الجامعة لجميع مراتب النبوات وقاطبة درجات الولايات فصاحبها

مجلاها

مجلاها الكلي وملاذهم ومعقل الانبياء ومعاذهم ومنه استفادوا وما افادوا
واليه استعاذوا واما عاذوا واليه ينتهي لك الانبياء صلى الله عليه وآله باخبار الله في
جميع كتبه المنزلة والهامه الى العقول المرتاضة باجماع منا ومن غيرنا من المحرفين
للكلم عن مواضعه وغير المتعصبين للباطل يعرفه من اهل الملل وارباب
الديانات بل من اصحاب العقول المترقية الى معارج الحقائق ومراقي
الكمالات وينبغي ان يكون صاحب هذه الخلافة العظمى والنيابة الكبرى
هو الصادر الاول عن المبدأ الاعلى لكونها ذات جهتين الى الحق والى الخلق
وذلك مما اختص الله به نبينا صلى الله عليه وآله فهو صاحب تلك النقطة
الصادرة اولا المحيطة بجميع الدوائر العقلية والحسية ظاهرا وباطنا
وهي سر النبوة الختمية التي ظهرت في علي عليه السلام حيث انه مع الانبياء
الذين هم مظاهر النور المحمدي المنتهي كما كان سرا ومعه جهرا ولذا قيل
بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد عن المعبود وقال هو عليه السلام انا
النقطة تحت الباء فنقول هذا النور المحمدي الذي عبر عنه بالنقطة
الاصلية لها اربع جهات في العالم العلوي واربع في العالم السفلي بحيث
تكون الدائرتان والجهات متحاذيات ولذلك ورد ان حملة العرش
والعرش العلم اربعة من الاولين هم اولو العزم المرسلين نوح وابراهيم وموسى
وعيسى واربعة من الآخرين هم الصفوة المنتجبين محمد حبيب وجوده
العنصري وعلي والحسن والحسين بمعنى ان هؤلاء نهايات ظهور الولاية
الكلية وشروقات نور الخلافة الالهية على محاذاة النقاط الثمانية
في المكعب العرشي الذي هو محيط الخلق والخطوط الاصلية بين تلك النقاط
اثنا عشر هي الانوار الائمة المكنونة حول العرش وهي نهاية سر تلك النقطة

الاصلية لا يزيد عليها في المكعب ولا ينقص منها شيء والمطوح المسطحة
الواصلة بين الخطوط هي اسماء الائمة المشتركة منهم وهي ستة محمد وعلي والحسن والحسين
وجعفر وموسى صلوات الله عليهم وهذا البرهان حري بان يسمى بالبرهان العرشي

تذييل ثم انك ايها العارف للموالي والصادق الولي ان اشتهيت عقلك الصحيح
بعد ما استيقنت بالنظر الصحيح منزلة الولاية المطلقة الربانية والخلافة
الكلية الالهية هي لله العالم الذي لا يعزب عنه صغير الرعايا ولا كبير سايره
الانبياء والاولياء وان كل ما في العالم السفلي فانما هو شبح ومثال الملكي العالم
العلوي وان ما في هذا العالم الاسفل فانما هو شبح وحقيقته انما هو في هذا العالم
الاعلى تيقنت انه كما ان هذا الفلك الاطلس الذي هو عرش الجسمانيات
حيث يشتمل على كواكبها ويفيض فيها انوارها خصص الاثني عشر برجا هي سير
هذه الشمس الحسية وهذا القمر المحسوس وكذلك للفلك الكلي النوري العلوي
المحيط بجميع الكائنات العقلية والحسية وعرش الحقائق الكلية والكمالات الالهية
وجب ان يكون اثنا عشر برجا نورانيا يكون محال سير شمس النبوة الختمية وقمر
الوصاية الكلية وهم الائمة الاثنا عشر الذين هم تقاسيم وجود المشهد المحمدي
وتقاطيع شهود النور الاحمدي وهذا دليل اخر لمن ابصر واستبصر ثم بعد
ذلك يمكنك ان تتفطن من سير هذه الشمس الحسية من نقطة ابتداء من ذلك
العرش الحسي والفلك الجسماني الى ان انتهى اليها في اثني عشر شهرا وسير القمر كذلك
في شهر الى ان شمس النبوة الختمية التي هي الخلافة الكلية انما سيرها ونظرها في اشهر
الى ان شمسه هي اثنا عشر هم الائمة عند اهل البصائر النير على هذا النهج هو
مدة سير قمر الولاية الكاسب للنور من مشكوة شمس النبوة قال الله عز
من قائل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات

والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم الاية وقال وتلك الايام نداولها
بين الناس وليعلم الله من ينصره بالغيب الاية هذا برهان ثان من تلك
فاجعلهما مع ما سبق ثلث طرق الى معرفة امامة ثم من انحصار اوصياء
النبي صلى الله عليه وآله في الاثني عشر على ما استقر عند الخبير المستقر ومن بقاء
الحجة في هذا الزمان كما هو لازم في سوالف الازمان ومن عدم تنفر العقل
من وجود معمرين في قرون كثيرة مع ما نقل بالنقل المعتمد من وجودهم باخبار
عديدة يمكن ان تستيقن بوجود القائم صلوات الله عليهم اجمعين الى يوم الدين
قال فضلت اقربت ولقوا الدار وعليهم ولي الله وعدوهم عدو الله وفوق
طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله الولي هنا بمعنى المحب والموالي
الحقيقي هو ان يكون معتقدا بجميع المعاني المشتقة من الولاية بان يجعل المولى
واليا على نفسه يلي امورها كلها ويتصرف فيه من حيث يشاء ويولي ظهره عن كل
ما سواه سيما المعاندين اياه المنتحلين لانفسهم مقاماته ومراتبه فيكون
هو مولى له اي عبدا خاضعا له يمتثل بجميع ما يامره ويحترز عن كل ما يسخطه
ويجعله مولاه اي ناظم امره الديني والدنيوي ومدبره الارضي وسلطانه
مما لكه الحسية والعقلية وامير شؤنه واحكامه الظاهرة والباطنة وبصيرة
بكليته ويتصل به ويليه ولما كان كل من يكون ناظم عليهم فهو لله فلا يكون الخليفة
الحق والولي المطلق فانه في نفسه باق بربه فلا شيء له في مقام التحقق
الا باسمه وهو وان كان خليفة عن الله ونائبا عنه لكن في الحقيقة كان الله
نائبا عنه وعن جميع افعاله واحواله كما دلنا على ذلك البراهين وهذا انا
اليه الكون مع الصادقين واشار الى ذلك ما نقلنا من الخطبة في دعاء
شهر رمضان من قولهم عليهم السلام انت خليفة محمد وناصر محمد اسئلك ان تنصر

وصي محمد وخليفته محمد صلى الله عليه وآله وفرض ان ولايتهم ولاية الله وعداوتهم
عداوة الله ومعصيتهم معصية الله وطاعتهم طاعة الله وانهم عليهم السلام
لا يوالون الا ما والى الله ولا يعادون الا من عادى الله ولا يامرون الا بطاعة الله
وبما يرضيه ويزلف لديه ولا ينهون الا عن معصية الله وعما يبعده ويسخطه
واقول ان المعراج حق والمسائلة في القبر حق وان الجنة حق
وان النار حق والصراط حق والميزان حق وان الساعة آتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وههنا مقامات المقام الاول
جملة الاعتقاد الحق في المعراج على نحو التفصيل هو ان يعتقد ان نبينا صلى
الله عليه وآله عرج بجسمه الشريف الى منتهى مراتب الاجسام وسرى في جرم
هذا الليل من ظلمات عالم الاجرام على مركبه الذي يسمى بالبراق في كمال السرعة
مثل ما يطلع من القلب للاشتياق بحيث جاوز في كل قدم نوعا من هذا
الجسم واستفادت كل طائفة منه من بركات قدومه جسما يليق به من الحظ
والقسم ثم تخلف البراق واستوى على رفرف النور وارتقى بروحه القدسية
الى معارج الارواح وخرق الحجب وبلغ قمة الصراح الى ان صار اماما
لصفوف الارواح النورية وصلى كل منها مقامه من غير تشبه معه وجعله
قبلة الى الحضرة المقدسة ثم ترقى بعقله النوري ونوره العقلي ودخل
سرادقات الجلال ورفع استار الجمال والجلال الى ان وصل الى حد لا يكون
بينه وبين ربه حجاب تقدسه لتنزيهه وذاته الرفيعة فاذا انتهى الكلام
الى الله فانتهوا فانكم غير الخبير لن تزيدوا وقد بسطنا القول في تحقيق
هذه المسائل في الرسالة المسماة بالعرشية المقام الثاني اما
الاعتقاد الحق في مسائلة القبر فلما اخبر به الصادق وحكم به البرهان الناطق

من دون

من دون تاويله او حمله على غير واضح سبيله من مجيء الملكين واعادة
الروح والحيوة بحيث يصح للميت الجلوس في القبر سواء كان بلوغ الحيوة
الى الترقوة او الى الصدر ومن سؤال الملكين وغير ذلك مما فصل في
الاخبار ثم اعلم انه قد ورد في الادعية المأثورة ان الموت حق والقبر
حق ولا شك ان كل احد سواء كان من ارباب الديانات او من اصحاب
الآراء المختلفات يعلم انه يموت وانه يقبر بأي نحو جاز في مذهبه
ورأيه فلا يصح ان يحمل على ما هو لظاهرهما بل المراد بالموت الذي يجب
الاعتقاد بحقيته هو الانتقال من النشأة الدنيا وفيه الى النشأة
الاخروية التي ليست من جنس العالم العنصري بان يموت من هذا العالم
ويحيى في العالم الاخروي واما المراد بالقبر فهو الاعتقاد بالاحوال
الواردة على المقبور والنشآت المتبدلة عليه الى يوم النشور من المسائلة
والتنعيم والتعذيب والتضييق والتفسيح مد البصر او اكثر الى غير ذلك
مما ورد في الخبر ومن جملة ذلك البرزخ وهو حالة اشتمال الملكات الخسيسة
والهيئات المادية على النفس الانسانية سواء كانت تلك الملكات
والهيئات حسنة او قبيحة بحيث صارت للنفس بدنا برزخية
هي المسمى عند اهل الحق بالاجساد المثالية وعند جماعة هو ان النفس
ما دام لها شوب الانغماس في الطبع ولم ينسلخ عن المادة كمال الخلع
فانها تكون مع المادة اذ النفس من حيث هي نفس لا تخلو عن تلك
الشائبة فاذا اكتسبت مدة حيوتها الدنيوية ما تتمكن بها ان ترقى
الى الدرجة العقلية حتى تنزع هذا الجلباب ويقرع باب الابواب
ولا يبقى هذا الشوب المادي متنعمة او معذبة الى ما شاء الله العلي وهذا

الوجهان هو الحق في البدن المثالي دون ما ذهب اليه الشيخ الاشراقي و
تحقيق ذلك موكول الى الكتب العقلية والمقامات الاستدلالية نقل
عن فيثاغورس تلميذ سليمان النبي عليه السلام انه قال انك ستعارض في اقوالك
وافعالك وافكارك وسيظهر لك من كل حركة فكرية او قولية او عملية
صورة روحانية فان كانت الحركة غضبية او شهوية صارت مادة
لشيطان يؤذيك في حيوتك ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك
وان كانت الحركة عقلية صارت ملكا تلتذ بمنادمته في دنياك
وتهتدي به في اخراك الى جوار الله وكرامته انتهى والذي ينبغي ان يذكر
في هذا المقام هو ما ذكره بعض اهل الحق من الاعلام مع اختصار في
كلامه وزيادة لتوضيح مرامه فاعلم ان الله جل مجده اذا قبض الارواح
من هذه الاجسام العنصرية الطبيعية اودعها في صورة جسدية في جسم
حقيقية من المادة الجسمية التي لا تتخلص نفس ما دامت نفسا منها من دون
شائبة كيفيات عنصرية او تخطيطات مزاجية وهذه المادة الجسمية
هو القرن الذي التقم اسرافيل عليه السلام وهو من المركز الى منتهى عالم الاجسام
لقوله سبحانه ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض وقد ورد
ان في الصور الاسرافيلي صورة الناس كلهم وانه على هيئة القرن لكن بعض
العلماء يرى ان اعلاه وهو ما يلي فم اسرافيل واسع واسفله وهو ما يلي المركز
ضيق نظرا الى ضيق العالم الجسماني وسعة ما يقرب من الامور العالية
لكن عند هذا المحقق بالعكس من ذلك نظرا الى ان كل ما يقرب من هذا
العالم الجسماني فهو منزل التعدد والكثرة ومحل الاختلاف والتفرق
وكلما يبعد منه فهو الى الوحدة اقرب وبالبساطة انسب ولان هذا

القرن لما كان من العالم المتوسط فقد ذكر انما هو الخيال ومن البين ان
الخيال انما يصور كل شيء ويتوهم كل صورة وفي وسعه الحق جل مجده والعدم
الصرف فهذا القرن انما خلق الله الشيء منه اولا واخرا ما خلق الله منه
هو ما اتسع وهو الذي يلي رأس الحيوان وبالجملة فالانسان ما دام في قبره
فهو في صندوق من عمله وهو المادة الجسمية المصورة بصور اعماله
الحسنة او السيئة حسبما اقتضته صنعته الشريفة او الخسيسة وهو البرزخ
النوري والعالم المتوسط الخيالي والبرزخ الذي بين الدنيا والاخرة
فهو اما روضة من رياض الجنان او حفرة من حفر النيران والصور التي
في هذا القرن بعضها مقيدة عن العمل وبعضها مطلقة عنه كارواح الانبيا
والاوليا ومنها ما يكون لها نظر الى عالم الدنيا وكذلك قوم فرعون
يعرضون على النار في ذلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها
لانهم محبوسون في ذلك القرن ويوم القيمة يدخلون اشد العذاب
وهو العذاب المحسوس الذي كان لهم في البرزخ ومن الذي علمنا اتضح
ان البرزخ عبارة عن كون النفس حين ما فارقت هذا البدن العنصري
متعلقة بالجسم الحقيقي النوري الخالص عن كدورات الغواشي العنصرية
والكيفيات المزاجية وهو ملكوت هذا البدن كما ان كليته ملكوت
عالم الاجسام ومرتبة الجسمانيات وهو محل المتجسد لها في البرزخ اذا للنفس
بحسب اختياراتها المحمودة والمذمومة انما صنع هذا الجسد البرزخي
حيث غلب الماء العذب والاجاج احدهما على الاخر بحسب ارادته وخلاقه
واضعا له وافق اليه هذا البدن عمله الذي لا يفارقه اذ هو الذي صنعه لنفسه
واختاره لنفسه وهذا العالم البرزخي هو القرن المحيط بجميع الصور الكونية

وهو الصور الملتقم في فم اسرافيل من الملائكة وهو عالم الخيال والمثال
لكونه مما يدرك بالخيال لا بغيره من المدارك والمشاعر لا انه امر خيالي
فهو عالم الوجود ولذاته والامه كلها جسمانية حقيقية لكن المدرك هو
الخيال وله السلطان في هذا المثال فالمدرك في هذا العالم وان كان هو
الخيال لكن المدرك بالفتح اعم من المحسوس والمتخيل والمعقول وذلك لسعة
الخيال ونورانيته وكونه مظهر الاسم النور حتى ان نوره ينفذ في كل شيء حتى
المعدوم والمحال فيلبسه لباس الوجود واما سعة القبر وضيقه فلعله
على ما قلناه هو ان هذا الجسم الذي قلنا انه ملكوت هذه الاجسام وباطنها
الذي ظهرت بهذه الصور العنصرية والشاهدية في غاية السعة والفسحة
ونهاية النورية والاضاءة بنفسها اذا لم يحجبها شيء من هذه الهيئات
الدنيوية فاذا تخلصت النفس الانسانية نحوا من التخلص اقل او ازيد على
تفاوت مراتبها فالانسان في سعة وفسحة في قبره وفي نعيم وسرور بحصول
اليمن الجنة حيث تخلصت نفسه من هيئات هذه الدار وارتبطت بعالم
الانوار واذا احاطت بالانسان خطيئته وتلطخت نفسه بالهيئات الردية
والاعمال القبيحة فهو في ضيق قبره وانضغاط من عضائه التي هي اعماله
لانه كسب هذا النحو البدن الظلماني فهو في الضيق بحسب ضلاله واعمه الحس
بذلك بعد الموت لانه اول مقام الوصول الى مقام الجسمية الحقيقية التي هي
فسيحة الارجاء فرات نفسها مقيدة بالعلائق المتشبثة بعضها عن بعض
منضغطة بازدحامها فالقبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النيران ولهذا لا يختص عذاب القبر وانضغاطه بان يكون في الارض
بل يكون في الهواء والماء كما في المصلوب والغريق فافهم وبالجملة العوالم الكلية

ثلثة ليس غيرها احدها العالم العقلي ثم العالم النفسي ثم العالم الحسي وللنفس
وجه الى العالم العقلي الذي هو اصله ومنشاه والى العالم النفسي الذي هو مقامه
ومرتبته والى العالم الحسي الذي هو سجنه ومحبسه فلها في العالم الحسي
انغماس في الاعراض المادية وانغمار في الشوائب الحسية وفي العالم النفسي
لها انطباع في الجسمية النورية التي هي ملكوت هذه الاجسام وفي العالم العقلي
لا تعلق لها بالجسم بل يكون هي المحيطة بجميع العوالم النفسية والجسمية المفيضة
لها انوار ايكيتها من المبدأ الاعلى فاذا فارقت هذه النشاة العنصرية
باضطرار الموت الطبيعي رجعت الى عالمها النفسي في مادتها الجسمية النورية
التي ازدهارها باعمالها الزكية ان كانت من النفوس السعداء وفي مقابلتها
ان كانت من النفوس الاشقياء على التفاصيل التي نطق بها الشرع الاقدس
في خصوصيات الاعمال ومناسبات النفوس والاحوال وفيه ما قال العارف
فريد الدين العطار ؛ نخست نكته روشن بگويم ؛ تو بشنو تا شنت پی مر گویم
همين جسمت بود اما منور ؛ وگر بی طاعتی جسمی مکدر ؛ وان كسبت في النشاة
الدنياوية ما يتجاوز به عن المرتبة النفسية بسرعة كالانبياء والاولياء وقفت
في الارض الجسمانية التي هي القبر الحقيقي ثلثة ايام او اكثر على تفاوت مراتب النبوة
والولاية ثم يصعد الى سماء العالم النوري والمقام الاعلى العقلي كما ورد في الخبر
ان الائمة عليهم السلام اذا ماتوا يبقون في القبر ثلثة ايام ثم يصعدون الى السماء
ثم اعلم ان الانبياء في ذلك الصعود كونهم في هذا الضريح المبارك كما روي عنهم
عليهم السلام في منع التطلع الى روضة النبي صلى الله عليه واله مراعاة على كل حال كان
لا في حال الصلوة او مع ازواجه المطهرات وذلك لما عرفت من معنى الصعود المشرقات
الى السماء وانها النشأة التي فوق رؤسنا ويجيء تمام القول في تحقيق المعاد

الجسماني ان شاء الله **المقام الثالث** في الجنة ودرجاتها ومنازلها

اعلم ان الجنة جنتان جنة محسوسة وجنة معقولة كما ان العالم بعد النشأة العنصرية عالمان كما عرفت وللنفس نعيم بما اكتسبت من العلوم الالهية والمعارف الحقيقية من طريق نظرها او بالنور الالهي ونعيم آخر بما تحمله بقواها الحسية من اللذات والشهوات من اكل وشرب ونكاح ولباس وفرش مرفوعة وروائح ونغمات طيبة وجمال الحسن في صورة محسوسة معشوقة يعطيها البصر في وجوه حسان وحور وغلمان كل ذلك تشتغل به الحواس وتوصله الى النفس فتلتذ به فالجنة المحسوسة كالجسم والمعقولة كالروح وفي الخبر عن الصادق عليهم السلام في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون انما هو العالم وما يخرج منه وهذه الجنة مخلوقة من الفرح الالهي والابتهاج والسرور الذاتي من صفات البهاء والكمال ونعوت الحسن والجمال وفي الخبر النبوي ان الله خلق الجنة من لبنتين لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل حيطانها الياقوت وسقفها الزبرجد وحصاها اللؤلؤ وترابها الزعفران والمسك الاذفر ثم قال لها تكلمي فقالت لا اله الا الله الحي القيوم وهذا المعنى يفهم من قوله صلى الله عليه وآله في مثل الانبياء كمن بنى دارا وبقي موضع لبنتين منها فانا عين تلك اللبنتين واعلم ان دخول الجنة اما بميراث او باختصاص او بعمل من الناس فالجنات بهذا الاعتبار ثلث جنة الاختصاص الالهي التي الله يختص بها من يشاء من عباده ومن اهلها كما قيل اطفال المؤمنين والمجانين منهم واهل التوحيد العلمي والكشفي ومن يتمنى انه لو تمكن كان ممن لا يعصي الله طرفة عين ويعمل كل عمل بر برى من المتمكن منه وجنة الميراث التي يورثها الله من يشاء من هؤلاء ومن غيرهم من المؤمنين وهي الاماكن التي

يرثها

يرثها المؤمن من الكفار الذين لو آمنوا لدخلوها فان لكل عبد مكانا في الجنة وايضا يرثها المؤمن من الناصب لاجل طينته التي دخلت في طينة الناصب وعمل هو بتلك الطينة اعمال الاحسنة وانما الاجلية على ما في خبر الطينات وغير ذلك عمل الحي بيده بكيفية الخلق وجنة الاعمال وهي التي ينزل الناس فيها باعمالهم ويقع التفاضل في كل واحدة من الجنات بين اصحابها بحسب ما يقتضي نياتهم ومقاماتهم واتمامهم واحوالهم حتى في عمل واحد ثم اعلم ان الجنة ثمانية ادناها دار المقام ثم دار السلام ثم جنة المأوى ثم جنة النعيم ثم جنة الخلد ثم جنة الفردوس ثم جنة عدن وهي في الجنان بمنزلة دار الملك بين يديه وعليه ثمانية اسوار واحدة من نفسها والباقية من الجنان الاخر بين كل سورين جنة ولكل واحدة مائة درجة تنقسم الى المنازل لا يحصى وكذا النار مائة درك واما الوسيلة فهي اعلى درجة في جنة عدن وهي لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة حصلت له بدعاء امته فضلا من ربه فانا وان كنا بسببه نلنا اهل السعادة من الله فتوجيهه الى الله تعالى لكن لنا بل لكل المخلوق وجه خاص الى الله حيث يناجيه نحن وهو يناجينا من هذا الوجه فامرنا عن الله بلسان الرسول ان ندعو له بالوسيلة حتى ينزل هو فيها وفي تفسير العياشي رضي الله عنه عن الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اذا سألتم الله لي فاسئلوه الوسيلة ثم ذكر ان لها الف مرقاة ما بين المرقاة الى المرقاة حضر الفرس الجواد شهرا وهي ما بين مرقاة جوهر الى مرقاة زبرجد الى مرقاة لؤلؤ الى مرقاة ذهب الى مرقاة فضة فتؤتى بها يوم القيامة فتنصب مع درج النبيين كالقمر بين الكواكب ثم يقبل هو عليه السلام متزرا بريطة من نور وعلى راسه اكليل الكرامة وتاج الملك مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله المفلحون هم الفائزون بالله وعلي بن ابيطالب عليه السلام

وبيده لواء الحمد فيه خلالتها وفي خبر بلال بعض ما حاصله ان باب الجنة الاول
يسمى الرحمة وهو من ياقوت احمر يدخلها ساير المسلمين ممن يشهدان لا اله الا
الله ولم يبغض اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والباب الثاني يسمى الصبر
وله مصراع من ياقوت احمر والباب الثالث باب الشكر وله مصراعان من ياقوت
بيضاء والباب الرابع باب البلاء وله مصراع وهو اصغر الابواب والباب الاعظم ثم جنة
الماوى وهذه الخمسة غير الاولى يدخلها محبوا اهل البيت واولياؤهم ثم
جنة عدن وسورها الياقوت وحصاها اللؤلؤ ويدخلها الشهداء
والصالحون ثم جنة الفردوس وسورها من النور ويدخلها النبيون
والصديقون وعرض كل باب مسيرة اربعمائة سنة واما المنازل المنقسمة
اليها الدرجات فقد ورد انموذج منها في التورية ان في كل جنة
من الثمانية سبعون الف روضة من النور في كل روضة سبعون الف مدينة
في كل مدينة سبعون الف قصر من الياقوت وفي كل قصر سبعون الف دار
من الزبرجد في كل دار سبعون الف بيت من الذهب الاحمر في كل بيت سبعون
الف مقصورة من الفضة البيضاء في كل مقصورة سبعون الف مائدة من
العنبر الاشهب في كل مائدة سبعون الف صحفة من الجوهر وفي كل صحفة
سبعون الف لون من الطعام وحول كل مقصورة سبعون الف سرير
من الذهب الاحمر على كل سرير سبعون الف فراش من الحرير والسندس والديباج
وحول كل سرير سبعون الف نهر من ماء الحيوان واللبن والخمر والعسل المصفى
لذة للشاربين وفي وسط كل نهر سبعون الف شجرة من الثمار كذلك وفي كل بيت
سبعون الف خيمة من الارجوان وعلى كل فراش حوراء من الحور العين بين يديها
سبعون الف وصيفة كانهن بيض مكنون وعلى راس كل قصر سبعون الف قبة

من الكافور

من الكافور في كل قبة سبعون الف هدية من الرحمن ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون
وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون وفي التورية قال
الله تعالى من طلبها فليتقرب الي بالاستهانة بالدنيا والصدق والقناعة
بالقليل ثم ان ثمرات الجنة وفواكهها فهي بحيث اذا اجتنيت عادت كهيئتها
وفي الاحتجاج في سؤال الزنديق ابا عبد الله عليه السلام قال من اين قالوا ان
في الجنة يأتي الرجل منهم الى ثمرة يتناولها فاذا اكلها عادت كهيئتها فقال
عليه السلام نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينتقص منه
شيء واما زوجات الجنة ففي الخبر ان للمؤمن ثمانمائة عذراء واربعة آلاف
ثيب وزوجتين من الحور العين خلقتا من تربة الجنة النورانية يرى مخ
ساقها من وراء سبعين حلة كبدها مرآة المؤمن وكبده مرآتها واما اهل
الجنة فاربعة اصناف كما في الخبر الرسل والانبياء ثم الشهداء والاولياء من
اتباع الرسل على بصيرة من العلماء بتوحيد الله اما من حيث الادلة الفكرية والبراهين
العقلية او من حيث التجلي الالهي والكشف الرباني ثم المؤمنون المتبعون للانبياء
والاوصياء ثم المحبون لاهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ثم الجمهور من المسلمين
من القائلين بالتوحيد بالتقليد من غير بغض لاولياء الله ونصب عداوة
لعترة رسول الله فالاولون اهل المنابر والطائفة الثانية اصحاب الاسرة
والعرش والثالثة اصحاب الكراسي وللرابعة مراتب لا تحصى وكلهم يتميزون
في جنات عدن عند ورود انوار الحق في الكثيب الابيض رزقنا الله الوصول
الى اعلى درجات الجنان مع ائمتنا ائمة اهل الايمان **المقام الرابع** في النار
ودركاتها اعلم ان جهنم من اعظم المخلوقات وسميت بها لبعد قعرها يقال

بئر جهنام بالتشديد اي بعيدة القعر وهي دار حرور وهاوية محرق لا جرم لها
سوى بني آدم والاحجار المتخذة الهة من دون الله وعلما الجن فهم لحطبها وتحوي
على حرور وزمهرير ففيها البرد على اقصى درجاته والحرور على منتهى طبقاته
وبين اعلاها واسفلها سبعون وخمسمائة سنة وهي يجيء بها في الاخرة ويجيء
فيها اربع طوائف كما الجنة يحفظها كذلك وهم المعطلة الملاحدة والمشركون
والكافرون المتكبرون والمنافقون واما اهل الكبائر من المسلمين فليسوا
من اهلها المخلدين فيها بل هم يخرجون منها بالامتنان الالهي وشفاعة النبي
قيل وانما صارت اصحاب النار اربعة لان الله ذكر عن ابليس انه يأتي الناس
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فيأتي المشرك من بين يديه
لانه يثبت مع الله الها آخر ويأتي المعطل من خلفه لان الخلف ليس هو محل النظر
والفكر وهو لم ينظر الى الله العالم ومن العالم والمتكبر عن يمينه لانها محل
القوة فيتكبر لقوته التي يحس من نفسه ويأتي المنافق عن شماله لانها الجانب
الاضعف وهو اضعف الطوائف لانه اظهر الاسلام لضعفه وهو والمهزوم الذي
حكم عليه واما وجودها فالحق انها مخلوقة يعرفها الطوائف الاربع باعلامهم
وانها خلقت بطالع الثور ولذلك كان خلقها بصورة الجاموس وقيل هي
مخلوقة من القهر الالهي والاسم القاهر هو ربها والمتجلي لها ورده بعض اهل الكشف
والتحقيق بانه لو كان الامر كذلك لكان لها بنفسها عذاب وقد ورد انه
ليس كذلك و تشغلها ذلك عن التسلط على الجبابرة ولم يتمكن من ان تقول
هل من مزيد ثم قال ما حاصله بل الحق انها خلقت من تجلي قوله سبحانه
جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني وبعبارة اخرى
وهي مخلوقة من نزول الحق بحضرة حنانه الى عباده في اللطف بهم فهي من ربانيتها

منغمسة

منغمسة في رحمة الله متقلبة في نعمته وقد دلت الاخبار بهذا يعرفها المتتبع
لها واما اهلها فهم مظاهر قهر الله وغضبه لقوله تعالى ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى وبالجملة فهي محل الآلام والعقوبات وجهنم محل لهم فعذابهم من الله
لا من جهنم واما حد جهنم فهو من مقعر فلك الثوابت الى اسفل سافلين الا
اماكن مخصوصة استثناها الشرع لانها ترجع الى الجنة مثل ما بين القبر
والمنبر روضة من الجنة وغير ذلك من الاماكن وكانها التي عينها الشارع
وورد بها النص القاطع وما بقي منها يعود الى النار وعلى هذا فالكواكب
كلها في النار مظلمة الاجرام منكسفة في غاية الظلام وذلك لان كسوفاتها
ليست بسبب عارض كما في الدنيا من حيلولة الارض في القمر والقمر في الشمس
وغيرها بل الكسوف في الاخرة حقيقي اي ما يتجلى ابدا فهو كسوف في ذوات
هذه الكواكب لا بالنظر الينا وبالنسبة الى اعيننا وسيظهر هذا الكسوف وذلك
الخسوف في آخر الزمان وهو من اشراط الساعة فقد روي ان الكسوف يقع في آخر
الشهر والخسوف في وسطه وذلك مما يشعر بانها الينا من طريق الحيلولة وانما
فاما اخوان الصفا ومن تبعهم من العلماء فقد ذهبوا الى ان جهنم هو عالم
الكون والفساد والطبيعة التي تحت السماء الدنيا وان النار هي الطبيعة
المحللة المستولية على الجلود بالاذابة والتبديل في كل آن لو لم يرد بدل ما يتحلل
منها يفنى فما دامت النفس متعلقة بهذا البدن العنصري بحيث كانها هي
البدن كانت متأثرة عن آلات الطبيعة في ذواتها وفي قواها منفعلة عن
نيرانها الكامنة في البدن المحيقة للرطوبات الصالحة الحاصلة من اغذية
وكذا صارت متألمة بالاثارة حرارة الشهوة والغضب وبالحالات الحمية من الالم
والاوجاع والاسقام التي منشأها آلات الطبيعة وكدورات الحياة الى قوله تعالى

كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها اذ هذا التبديل الذي هو بعد
التحليل انما هو صفة النار التي في هذا العالم وقوله تعالى كلما خبت زدناهم
سعيرا لا يكون الخبو الا في هذه النار والزيادة والنقص فيها انما هو للصورة
النارية باعتبار قيامها بالمادة العنصرية وقوله واتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة يعم محل هذه النارية المحسوسة ومن ذلك الاخبار
الدالة على انها كانت في العالم السفلي العنصري وهي كثيرة منها ما روي
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان البحر نار في نار وقال صلى الله عليه وآله
ان تحت البحر نارا وعن امير المؤمنين انه سأل يهوديا ما موضع النار في كتابكم
قال في البحر فقال عليه السلام ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور وعنه
صلى الله عليه وآله في مسألة اسقف نجران حيث سأله عن قوله تعالى جنة
عرضها السموات والارض فاين موضع النار فقال عليه السلام اذا جاء النهار
فاين يكون الليل وايضا قد ورد في اخبار المعراج انه صلى الله عليه وآله لما راى
ما كان في الدنيا وفتح له طريقا الى النار لينظر اليها وحديث برهوت
وحضرموت وارواح الكفار فيها مشهور الى غير ذلك من الاخبار التي هم
تاكيد متعاقم وتوكد من سابقها ونقل عن بعض الاكابر حين سئل عن قوله
تعالى وان منكم الا واردها انه قال جزناها وهي خامدة واجيب عن الكل
بان ذلك يدل على ان للنار الاخروية مظاهر في هذا العالم لا انها
منحصرة في هذا العالم العنصري اقول والحق ان جميع ما ذكره انما
يدل على كونها جسما فقط كيف وقوله صلى الله عليه وآله ان تحت البحر نارا
صريح في ان النار الاخروية هي باطن البحر وكذا قوله صلى الله عليه وآله البحر نار في نار
كما لا يخفى وكذا حديث المعراج وفتح باب النار مشعر بان النشأة العنصرية

ليست

ليست فيها النار الموجودة بل يفتح منها باب اليها وحديث برهوت
وحضرموت انما يدل على ان تلك البئر انما هي طريق الى النار لا انها نفس
جهنم كيف والحكم بان ارواح الكفار فيها انما هو في مدة البرزخ الذي
بعد الموت وفي البرزخ ليسوا معذبين بنار الاخرة ولا في جهنم اذ الاخرة
بعد البرزخ انما يعذبون فيه بما يصل اليهم من حرارة النار ومن اثار
العقوبات المعدة في جهنم كما يصل الاثر من عالم الى عالم يليه اذ وقعا
على الترتيب العلوي والسفلي والتضاد الظاهري والباطني وفي الاخرة
يدخلون جهنم واشد العذاب وحديث اسقف يدل على ان موضع النار
هو العالم السفلي فقط وذلك مصرح به في كثير من الايات والاخبار
ومن البين ان العالم الاسفل هو عالم العنصر فقد يجوز ان يكون هو
العالم الجسماني باطلاقه سيما اذا كانت فيه انواع الالام والعقوبات
والهيئات الردية الجسمانية وايضا التمثيل بالليل والنهار كما يدل على
نورية الجنة وكونها مستنيرة بنور الحق وعلى ظلمة جهنم وكونها بعيدة
عن معدن النورية ولا شك ان كذلك يدل على انهما واقعتين في العالم
الجسماني الخالص عن شوائب الهيئات الدنيوية او المشوب بها لا انهما نفس
هذه النشأة العنصرية وبالجملة فالقول بان جهنم ونيرانها عبارة عن العالم
العنصري والطبيعة المحللة للاجساد المفنية لها كما ذهب اليه صاحب اخوان
الصفا وغيره قول بالتناسخ وهو باطل كما قد فرغ عنه في الكتب العقلية
بل الحق ما اتفق اليه الاصول العقلية معاضدة بالايات الكثيرة والاخبار
المستفيضة وهو ان الموت عبارة عن انتقال النفس من هذه النشأة
العنصرية ودخولها في العالم الاخروي المتصل بهذه النشأة بل باطنها وهو العالم المتوسط

متصل بهذه النشأة باطنها وهو العالم المتوسط بين الدنيا والآخرة وان الآخرة هو عالم
منه ٢١

بين الدنيا والآخرة وان الآخرة هو عالم آخر فوقه وهذا العالم المتوسط وقد تقرر
في الموضع اللائق به ان كل ما في هذا العالم العنصري من نعيم وجنات وآلام
وعقوبات وغير ذلك من الحالات فهو مثال وصنم وانموذج لعالم آخر فوقه
وان هذا العالم الفوقاني عالم لطيف حيواني مملكة للنفس وسلطانها
فيه وكل ما في هذا العالم النفسي فهو شبح ومثال لما في العالم العلوي الذي
سلطانه العقل الكلي فكما ان الجنة مظاهر في هذه العوالم الثلثة كذلك للنار
فالدنيا سجن المؤمن والآخرة جنة الكافر ولذا انها نعيم فليس لكافر
جحيم في النشأة العنصرية فقد ورد ان الجنة لها ظهور في مواضع معينة من الارض
كما او مما نالنا التعبير عنها بانها مقام ارواح المؤمنين كظهر الكوفة وغيرها وكذا للنار
مظاهر في هذه الارض ورد ان ارواح الكفار يكونون فيها كوادي برهوت وغيره
فان النار التي وقودها الناس والحجارة المعبودة من دون الله هي النار التي في
العالم النفسي وهي النار التي تطلع على الافئدة وسيأتي تحقيق القول في ذلك
في بحث الساعة ان شاء الله تعالى واما صفة جهنم ففي خبر سلمان رضي الله عنه
وهو الذي حضر في حين الكتاب بانه يؤتى بجهنم ويقودها سبعون الف
ملك بسبعين الف زمام بيد كل ملك منهم مقرعة من حديد ولها اربع قوائم
غلاظ شداد كل قائمة مسيرة الف سنة ولها ثلاثون الف رأس في كل رأس ثلاثون
الف فم في كل فم ثلاثون الف ناب كل ناب مثل جبل احد ثلاثين الف مرة
وفي كل فم شفتان كل شفة مثل طباق الدنيا في كل شفة سلسلة فيها سبعون
الف حلقة منهم من لو امره الله ان يلتقم السموات والارض وما فيهما في لقمة واحدة
لهان عليه ذلك واما ابواب جهنم فباب الجحيم وباب سقر وباب السعير
وباب الحطمة وباب لظى وباب الحامية وباب الهاوية اعوذ بالله منها والموجبات

لدخول

لدخول كل باب مما قد فصل في الآيات والاخبار **المقام الخامس** في
الصراط وتحقيقه اعلم ان الحالات الواردة على الانسان بعد الموت اقسام
احدها البرزخ وهو من حين الموت الى يوم البعث من القبور ومن هنا ابتداء
القيمة الكبرى ولها مقامات كثيرة كما سيجيء بيانها ومن جملة مقاماتها
الصراط وهو الطريق المشروع الى الله ذي الجلال والاكرام والمستقيم منه ما
اذا سلكه يفضي الى رضوان الله وهو في الدنيا صراط التوحيد ومنه قوله
سبحانه وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وصراط
التوحيد ولوازمه وحقوقه كما في قوله عز شانه وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ولما تلى رسول الله صلى الله
عليه وآله هذه الآية خط خطا وخط عن جنبيه خطوطا هكذا
والصراط في الآخرة هو الجسر الممدود على جهنم ادق من الشعر واحد من السيف
وهو الصراط المشروع في الدنيا معنى ينصب في الآخرة جسما فالمشرك والمعطل
والكافر لا قدم لهم على صراط التوحيد فلا قدم لهم في الآخرة على الصراط بل هم
دون الوصول الى الصراط يدخلون الجحيم وبئس المهاد والمنافق لا بد له من
الصراط حتى ينظر الى الجنة ونعيمها فيتحسر على فوتها عنه ثم يصرف
الى النار واهل الكبائر يمسكون ويسألون ويعاتبون على الصراط فاما الذين
على مقادير ذنوبهم فقد ورد انهم يمسكون في كل جسر الف سنة وما من طريق
الى الجنة الا على الصراط ولذلك ورد في القرآن وان منكم الا واردها كان
على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
قيل من عرف معنى هذا القول عرف مكان جهنم ما هو ولما سئل النبي صلى الله
عليه وآله عنه قال هو في علم الله ولعل النبي لم تسئله انتهى ملخص كلامه ثم الصراط المستقيم

في الدنيا هو الاسلام والدين الحنيف وهو الوسط الحق في الاخلاق
المتضادة اذ الطالب البعد من الطرفين على السوية لابد ان يمر على الوسط
فيشبه بتلك الملكة المنفكة عن جهة الاضافة بالكلية فهو ادق من
الشعر كالخط الفاصل بين الظل والشمس اي الدنيا والاخرة والعالم
السفلي والعلوي واحد من السيف اذ المرور والجواز على ذلك لا يسع
الا مع احتمال المشاق ومخالفة النفس والهوى وهو وان كان ادق
من الشعر في حق جماعة الا انه عريض في حق اخرين وفي الخبر ان الصراط يظهر يوم
القيمة للابصار على قدر نور المارين عليه وفي القران نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم وورد ان من الناس من يجوزه كالبرق الخاطف ومنهم
من يجوزه كالفرس السابق ومنهم من يمر عليه كالرجل الساعي ومنهم من يمر حبوا
مرة على وجهه ومرة على يديه فاذا جاز والصراط نظاير في الكتب واما مقامات
الصراط فهي سبعة جسور في الخبر المشهور ففي الجسر الاول يسئل عن الوضوء وفي
الجسر الثاني عن الصلوة وفي الثالث عن الزكوة وفي الرابع عن الصيام وفي
الخامس عن بر الوالدين وفي رواية عن الحج وفي السادس عن الامر بالمعروف وعن
النهي عن المنكر وفي السابع عن الاحسان الى العيال وورد ان تلك الجسور
غاية في حدتها مقدار اربعين الف عام وحفتها بلهب يحاذيها وعلى
الجسور حسك وكلاليب وخطاطيف وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلثة
الاف عام صعودا والف عام استواء والف عام هبوطا وفي خبر ان له
عنده على الصراط ثلث قناطر القنطرة الاولى عليها الامانة والثانية
عليها الصلوة والثالثة عليها رب العالمين والحسك بفتحتين جمع حسكة
بالتحريك وهو في الاصل نبات له ثمرة خشن شوك يعلق ذو ثلث شعب

ويعمل

ويعمل على شكل الحسك من الة من حديد وغيره للحرب والكلاليب جمع كلاب
كرمان وهو المهماز ويقال الكلاب والخطاطيف جمع خطاف كرمان ايضا
وهو الحديدة المحجناء اي المنعطفة والمراد بها صور الظلم التي تصيبهم في
هذه المقامات وتعلقهم وتمنعهم عن الترقي واما تقدير الصعود والاستواء
والهبوط فهو لتحقيق مقام الجسمية في الصراط فان الصعود عبارة عن الطول
وينبغي ان يكون هو ازيد والاستواء عبارة عن العرض والهبوط عن العمق ومع
ذلك فانه ادق من الشعر واحد من السيف فانظر الى عجيب صنع الله الذي اتقن
كل شيء ولنعطف عنان القلم على طراز اخر من الكلم اعلم انه لا بد للانسان
الكامل للامانة العظمى وصاحب الخلافة الكبرى في الوصول الى الله
ذي المعارج من الجواز على العوالم الثلثة وسلوك هذه المدارج المرتبة اعني
بها عالم الطبع ٢ انما صنعها الباري عز سلطانه للانسان لاجل اداء الامانة
التي حملها وذلك انما يتادى بسلوك الطريق المستقيم الذي شرعه الشارع
في السياسات الثلث اي المدنية والمنزلية والخلقية واما عالم النفس فانما
اوجدها الملك الجبار جل جلاله لان يتحقق الانسان بالمقامات الالهية
التي تنال بالعبادات المشروعة انسانا اليها واعظمها الصلوة فلذلك
خصت بالذكر في هذا الخبر واما عالم العقل فانما ابدعه علام الغيوب
جل برهانه ليعرف الوحدة والكمالات الذاتية وصفاته العليا واسمائه الحسنى
سيما وحدانيته الحقيقية وواحديته الذاتية فالجواز على القنطرة الاولى
انما يتيسر للذين تخلقوا بمحاسن الاخلاق وتجنبوا مذام الافعال
وتادبوا بالاداب النبوية وتجردوا عن العوارض الطبيعية وادناس الصفات
السبعية والبهيمية وخالفوا الطبع والهوى واجتنبوا الردى واتبعوا الهدى

والنفس والعقل وقد ثبت ان الاولين لا يخلوان من مصاحبة الجسم وملابسة المادة بحسب الحفظ والقسم فهذه العوالم هي القناطر الثلث الواردة في حديث سلمان ولا شك ان عالم الطبع ...

ولا يخافون في الله لومة لائم في تاسيس السياسات وانخلعوا عن تقيد الرسوم
والعادات ودخلوا في المقام الروحي والمنزل الفتوحي والحيوانية على القنطرة
الثانية انما يسهل للذين تخلصوا عن الصفات البشرية وتحققوا بالمقامات
الالهية واسلموا لله سبحانه ورضوا بقضائه واتبعوا رضوانه فاتاهم اليقين
ودخلوا مقام الامين والجواز على القنطرة الثالثة انما هو للذين سبقت
لهم من الله الحسنى وفازوا بالمحبوبية العظمى وفنوا عن نفوسهم وعن كل شيء
وراوا وجه الله في كل شيء وفي ووصلوا الى المقام الامين في اعلى عليين فصح
ان عليها رب العالمين هذا واما السبعة الجسور المذكورة في الخبر المشهور
فهي تفصيل مدارج القنطرة الثانية بقرينة قوله عليه الصلوة اذ الركن الاعظم
في هذا المقام هي الصلوة بل ذلك لا يختص بهذه القنطرة بل يعم المقامات الثلثة
بناء على ان السبعة انما هي الاصول الحقائق وهي من الاعداد الشريفة
الا ترى ان السموات سبعة والكواكب سبعة والعناصر مع المواليد كذلك وهكذا
الامر في العوالم العلوية كما لا يخفى على المتدرب في المعارف الالهية فالعبد
السالك الى الله من حين صيرورته نطفة فهو على صراط الوجود الى ان بلغ حد
التكليف فاذا تقلد بالاحكام الشرعية وتادب في نفسه بالسياسات
النبوية فهو على صراط التوحيد الى ان يبلغ مقام العقل وللعقل مقامات
لا يحصى فاذا وصل اعلاه يسكن اذ العقل ساكن فهو من بدو وجوده في حركة
في نفسه على صراط من ربه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وينصب له في القيمة
في هذا العالم الثلثة كالجسور منها جسران جسميان وواحد غير جسماني
ولا شاذنا في العلوم الدينية دام فيضه كلام في هذا المقام ينبغي ايراده
لختم الكلام قال في التفسير المسمى بالصافي عند تفسير قوله تعالى اهدنا الصراط

المستقيم

المستقيم بعد ما ذكر اخبار المختلفة في تفسيره اقول ومآل الكل واحد عند
العارفين باسرارهم وبيانه على قدر فهمك ان لكل انسان من ابتداء حدوثه
الى منتهى عمره انتقالات جبلية باطنية في الكمال وحركات طبيعية ونفسانية
تنشأ من تكرر الاعمال وتنشأ منها المقامات والاحوال فلا يزال ينتقل
من صورة الى صورة ومن خلق الى خلق ومن عقيدة الى عقيدة ومن حال الى
حال ومن مقام الى مقام ومن كمال الى كمال حتى يتصل بالمقام الاعلى العقلي
والمقربين ويحشر مع الملأ الاعلى والسابقين ان ساعده التوفيق وكان
من الكاملين او باصحاب اليمين ان كان من المتوسطين ويحشر مع الشياطين
واصحاب الشمال ان تولاه الشيطان وقارنه الخذلان وهذا معنى الصراط
المستقيم منه ما اذا سلكه اوصله الى الجنة وهو ما يشتمل عليه الشرع كما قال
الله عز وجل انك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله وهو صراط التوحيد
والمعرفة والتوسط بين الاضداد في الاخلاق والتزام صوالح الاعمال
وبالجملة صورة الهدى الذي انشاه المؤمن لنفسه ما دام في دار الدنيا مقتديا
بهدى امامه وهو ادق من الشعر واحد من السيف في المعنى مظلم لا يهتدي
اليه الا من جعل الله له نورا يمشي به في الناس ويسعى الناس عليه على قدر انوارهم
وروي عن الصادق عليه السلام ان الصورة الانسانية هي الطريق المستقيم الى كل
خير والجسر الممدود بين الجنة والنار اقول الصراط والمار عليه شيء واحد
في كل خطوة يضع قدمه على راسه اعني يعمل على مقتضى نور معرفته التي
هي بمنزلة راسه بل يضع راسه على قدمه اي يبني معرفته على نتيجة عمله التي كان
بناؤها على المعرفة السابقة حتى يقطع المنازل الى الله الا الى الله تصير الامور
فقد تبين من هذا ان الامام هو الصراط المستقيم وان يمشي سويا على صراط مستقيم

ولانه معرفة سر الصراط المستقيم ومعرفة المشي على الصراط المستقيم ولان من عرف
الامام ويمشي على صراطه ظاهرا او باطنا يهتدى بنوره ومعرفته ايضا فائز بدخول
الجنة والنجاة من النار انتهى كلمات الشريفة ثم نختم الكلام بقول السروشي
توفيقه خير الختام وهو ان الايات والاخبار تنادي بان الجنة فوق سبع
سموات على انه لابد لكل احد في الوصول الى الجنات من الجواز الى سبع سموات
كما انه لابد لكل عمل من المرور عليها كما في الخبر فلعل الحجب السبعة الصراطية
عبارة عن تلك الكرات السبعة السماوية ولاشك ان المرور على الكرة سيما
للانسان الذي خلص من كدورات عالم التركيب وبقي نفسه البسيطة
ومادتها البسيطة يكون بخط ادق من الشعر اذ هذه المماسة انما تكون
بشيء لا ينقسم وذلك اذا كان المرور على سطح الكرة واما اذا كان على سمكها
فكذلك سيما مع كثرة المارين اذ لم يرد ان الصراط يمر عليه الواحد بعد الواحد
ومن المستبين بعد هذه الاصل ان جهنم في العالم السفلي والجسور فوقها
وهي يلتهب من جانبيها كما ان في حديث صعود الاعمال ورد انها تحبس
في سماء سماء حتى خلصت او ردت فكذا الامر في صواحبها لكن من الناس
من يجوزها في دار الدنيا كالانبياء والاولياء وبعضهم يمر عليها في
النشأة الاخرى على تفاوت مراتبهم ولما سوال الطاعات المخصوصة
في الحجب المذكورة واختصاص كل واحدة بحجر على التعيين فذلك يبتني
على ما تقرر في الاصول الصحيحة البرهانية المعاضدة بالامارات النقلية
من ان لكل كرة من هذه الكرات بل لكل وضع من اوضاع السموات مدخل
في وجود الحوادث سواء كانت من الحروف والكلمات او الذوات والصفات
او المعاصي والطاعات فلهذه النسب خصوصية لوضع هذه العبادة

[catchword: ومن شرعها]

ومن شرعها وللاخرى العبادة الاخرى وهكذا جرت سنة الله التي لا تبديل
لها والحمد لله على فضله وانعامه علينا وكنا قد جاوزنا الحد الذي
يجوز ذكره وضنا بالشيء الذي لا يليق نشره في هذا المقام اسرار وهكذا ينبغي
ان تستفطن بها بالاشارات الكامنة في تضاعيف ما ذكرنا والله ولي التوفيق

المقام السادس

في الميزان وكيفيته ولنمهد في ذلك مقدمة شريفة
ذكرها بعض اهل المعرفة لخصناها وحققناها بالادلة الاجمالية اعلم ان
العالم بالنظر الى موجده عز مجده منفعل محدث وبالنسبة الى نفسه فاعل
ومنفعل من الحيثيتين فحاله انه لابد من الفاعل ومفعول من نسبة لا يكون
بين غيرهما النكاح وجعل نسبتها احدهما الى الاخر وان العقل اول الصوادر
عن الله عز وجل وان الحيوة هي اقدم الصفات الذاتية الحقيقية فقد ظهر
من هذا ان وجود العقل انما هو من نسبة الحيوة التي هي الوصف الاقصى والنفس
انما وجدت من نسبة العلم الذي يتبع الحيوة فالعقل شرط في وجود النفس
كما الحيوة بالنظر الى العلم كذلك وهما الفاعلان احدهما في الهيولى والاخر
في الجسم الكلي فهذه الاربعة الفاعلة والمنفعلة اصول العوالم فللطبيعة
اربع جهات بالنظر الى هذه الفواعل والمنفعلات فهي بالنظر الى الحيوة لها
الحرارة فلما ثبت ان الحيوة في الاجسام انما يتسبب من الحرارة ولها بالنظر
الى العلم البرودة حيث يعبر عنه بالثلج وبرد اليقين وبالنظر الى الهيولى لها
الرطوبة كما يعبر بالماء الذي هو اقدم المخلوقات فبقي لها بالنظر الى نفسه
البرودة لجمودها على الهيولى ولا نفعالها وهي مظهر الارادة لانها في
المخلوقات في مرتبتها من الاسماء الفواعل فالكيفيات المنسوبة الى الحيوة
فعلا وانفعالا هي الحرارة والرطوبة اذ الهيولى معلول العقل وهي معدن الرطوبة

[margin note: نفسه]

والكيفيات المنسوبة الى العلم فعلا وانفعالا اعنى البرودة واليبوسة
فظهرت هذه الصور والاشكال في الجسم الكل اولا حين كانت السماء مرتوقة
غير متميزة فلما اراد الله فتقها ليتميز اعيانها نظم هذه الطبائع الاربع
فضم اولا الحرارة الى اليبوسة على محاذاة توجه العقل الى النفس فوجدت النار
البسيطة المعقولة وظهر حكمها في الجسم الكل الذي هو العرش من وجه في ثلثة
اماكن هي الحمل والاسد والقوس ثم ضم البرودة مع اليبوسة فوجدت
الارض البسيطة المعقولة وظهر حكمها في ثلثة اماكن منه ايضا هي الثور والسنبلة
والجدي ثم ضم الحرارة الى الرطوبة فوجد الهواء البسيط المعقول وظهر حكمه
في ثلثة اماكن ايضا هي الجوزاء والميزان والدلو ثم ضم البرودة الى الرطوبة
فوجد الماء البسيط وظهر حكمه في السرطان والعقرب والحوت فلما احكم صنعتها
وادارها ظهر الوجود وفرق بين الارض والسماء فحدث اولا ركنان احدهما
في المركز والاخر في المحيط لانهما يتعينان اولا في الدواير فظهر سلطان الحمل
والثور ثم ركنان اخران بينهما فظهر سلطان الجوزاء والسرطان ثم ظهرت
المولدات من كل ركن بحسب ما يقتضيه فظهرت ام العالم في سلطنة الاسد
فلما انتهى الحكم الى السنبلة ظهرت النشاة الانسانية بتقدير العزيز العليم
وجعل الله لها مدة الاثر في العالم العنصري سبعة الاف سنة ثم ينتقل
الحكم بعد ذلك الى الميزان وهو زمان القيمة وفيه يضع الله الموازين القسط
ولما لم يكن للحكم الذي لم يزل اودع الله فيه من العدل في هذه النشاة الدنيوية
حيث شرع الموازين فلم يعمل بها الا القليل من الناس وهم النبيون والمحفوظون
من الاولياء فلا جرم ان يكون سلطان الميزان في القيمة فلا تظلم نفس شيئا
وان كان مثقال حبة ولما كان لمرتبة السبعة كانت له السبعة والسبعون

والسبعمائة من الاضلاع في تضاعيف الاجور في الاخرة والله يضاعف
لمن يشاء الى السبعة الالاف وما فوقها الى ما لا نهاية لها ولكن من حساب
السبعة وانما كانت الفروض المقدرة في الفلك الاقصى اثنا عشر لان
منتهى اسماء العدد الى اثنى عشر اسما الواحد الى العشرة ثم المائة ثم
الالف اقول وايضا لما كانت تلك الكيفيات اربعة فلكل كيفية
باعتبار نسبة الطبيعة الى مباديها الثلثة ثلث نسب نسبة الى العقل
ونسبة الى النفس ونسبة الى الهيولى كان لظهور تلك الطبيعة
بهذه النسب الثلث مظاهر ثلثة في الظهور فالاول للحرارة مثلا
بالنظر الى العقل في الحمل والثاني لها بالنظر الى النفس في الاسد
والثالث بالنظر الى الهيولى في القوس وهكذا في الكيفيات الاخر
فيجب من ذلك بالضرورة ان يكون هنا اثنا عشر برجا واما كيفية
الميزان والوزن فاعلم ان الميزان في الحقيقة اسم لما يوزن به الشيء
ويعرف به مقداره من الزيادة والنقصان ويلزم من ذلك ان يكون
له طرفان هما الكفتان ووسط هو اللسان وما به يرتبط الطرفان
وهو العمود وهذا من لوازم تلك الحقيقة الميزانية لا يخلو ميزان منها
سواء كان معقولا او محسوسا اذ لا يخفى على العاقل ان الوزن يستلزم
موزونا وموزونا به ولمرابط هذا بذلك ليصح الوزن اذ لا يعرف
قدر كل شيء بكل شيء وحاكما يحكم بذلك فكذا في الميزان يجب ان يكون
كفتان لاجل الموزونين ولمرابطهما هو العمود وشيئا ناطقا
بذلك وهو اللسان واما كيفية الوزن ففيه خلاف ولكل فرقة متمسك
من الايات والاخبار وذلك لان الوزن اما بان يكون الحسنات في كفة

والسيئات في اخرى ويكون للحسنات والسيئات كفة والكفة الاخرى
شيء يعرف به قدر الاعمال الحسنة والسيئة ومرجعها الى الحقايق و
الصفات الكمالية وهو الكامل بالذات كالنبي والوصي لارباب الديانات
والاول يحتمل اقساما احدها ان يكون كل حسنة بازاء سيئة مضادة
لها والثاني ان يوضع كل نوع من الحسنات بازاء نوع من السيئات التي
تناسبها وتكون من جنسها كان يوضع الاقوال في مقابلة الاقوال والاعمال
والاعتقادات كذلك والثالث ان يوضع الحسنات مطلقا في مقابلة
السيئات كذلك وهذه اربعة اقسام يحتملها الوزن لا احب غيرها
ولا يضر في سواها ممن قال بالوزن الحقيقي من دون تاويل و تخمين
خيالي ثم اعلم ان الموازين ان كانت بالمقايسة الى النبي والوصي فنبيله
واضح جلي اذا النبي والوصي في كل امة يجب ان يكونا على اقصى درجات الكمال
المتصور في حق هذه الامة وفي اعلى طبقات العلم والمعرفة الانبياء والاوصياء
صلوات الله عليهم فانهم في اعلى معارج الكمال بالنظر الى العالمين على
ما هدانا اليه الاصول العرفانية والقواعد البرهانية فبهذه الموازنة
يعرف السيئات في الاقوال والاعمال والاخلاق والاعتقادات من
مضادتها الاقوال الذلك النبي والوصي وافعالهما واخلاقهما وعقايدهما
وكبر المعاصي وصغرها من زيادة البعد وقلته ويعرف مراتب الحسنات
بالمراتب من تلك الكمالات والمشابهات وشدتها وضعفها وترجح الكفه
على قدر مراتب القرب وحدود الشدة والضعف واما اذا كان الوزن
باحد الوجوه الثلثة الاخر فذلك في الميزان المعقول الذي يعرف به
الاعتقادات الصحيحة والباطلة مما لا خفاء فيه واما في الميزان

الجسمي الذي يوزن به الاقوال والافعال والنفسي الذي يوزن به
الاخلاق فمما استعضل واستحقيق بان بعده من الذاء المعضل والذي
يمكنني ان اكشف به القناع عن وجوه خرايد اسراره بالاطلاع هو ان
للانوار الالهية والحقايق اللاهوتية انواعا من التنزلات و انحاء
من التجليات احدها في مرايا الحقايق والاعيان والصفات والثاني
في كسوة الكلمات التامات والالفاظ والعبارات والثالث في مجالي
الاخلاق والاعمال والمقامات وهذه التنزلات في العوالم الوجودية
بعضها على محاذاة بعض في الرتب المشهودية ففي العالم الكوني
هي هذه الاشخاص وتلك الاوصاف والاخلاق وهذه الحركات والسكنات
وفي العالم العرشي لكل من هذه ملكوت هو باطنها ورب نوعها و
مدبرها شؤونها وفي العالم النفسي حقيقة روحية هي معها التي
منها فتوحها وفي العالم العقلي هو حقيقية الصرفة وذاته النورية
ومثاله العقلي ونوره الربوبي وبالجملة فالصلوة مثلا حقيقة
ربوبية في العالم الاسماء الالهية هي التي اخبر جبرئيل عليه السلام رسول الله
صلى الله عليه واله بان ربك يصلي ويقول سبوح قدوس رب الملائكة
والروح وفي العالم الروحي حقيقة نورية هي التي صلاها الرسول
مع صفوف الارواح في معراجه وفي العرش حقيقة مثالية تراها
الملائكة حين يصلي المؤمن في هذه النشاة الدنياوية وفي النشاة
العنصرية صورة دنيوية هي هذه الصلوة المفروضة وقس على ذلك
كل عمل صالح وكلمة طيبة والحقايق التي فوق هذه النشاة العنصرية
كلها حقايق متاصلة متقررة نورانية وفي مقابلتها حقايق ظلمانية

كذلك معرفتها الجهل في مقابلة العقل ولا شك ان العالم العرشي جسم
لطيف نوري والعالم نوري والعالم النفسي لا يخلو من لابسة مادة
جسمية شريفة في غاية النورية فصح تجسد الاعمال والاقوال وصح الوزن
بلا تجشم تاويل يتعرض للقال والقيل وان كان تحقيق المقام يحتاج
الى اكثر تطويل ثم اعلم ان الوزن بالطريقين واقع ليس لقائل عن العقل
داحض وذلك بان يكون المؤمن الذي ليست له سيئة اصلا يوزن حسناته
مع الامام وكذا الاثر والذي له حسنات وسيئات يوزن اولا حسناته
مع سيئاته فان رجحت الحسنات يوزن ثانيا مع الامام والله اعلم بحقائق
امور **المقام السابع** في الساعة اعلم ان الساعة تطلق على معنيين
احدهما ما اصطلح عليه من انها جزء من اربعة وعشرين والثاني الجزء القليل
من الليل او النهار واستعيرت ليوم القيمة اي الوقت الذي يقوم الناس
فيه لرب العالمين واريد انها ساعة حقيقية يحدث فيها امر عظيم فلاجل
الوقت سميت ساعة قال الزجاج او لسرعة الحساب فيها او لما نبه عليه
بقوله تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من
النهار وقال اخرون قيل الساعة ثلث ساعات كما ان القيمة كذلك الساعة
الكبرى وهي بعث الناس كلهم للحساب وغيره والساعة الوسطى وهي موت
اهل القرن الواحد مثل ما روى انه صلى الله عليه وآله راى غلاما فقال
ان يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى يقوم الساعة فقيل انه اخر من مات
من الصحابة والساعة الصغرى وهي موت الانسان الواحد منه قوله
تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة وقوله تعالى علم
ما امتحن في ولا اعضها الا اوا طلق الساعة فقد قامت قيامته ثم اعلم

انه

انه انما سمي هذا اليوم بالقيمة اما لقيام الناس فيه من قبورهم او لقيامهم
اذا جاء امر الرب تعالى للفصل والقضاء والملك صفا صفا فاذا قام
الناس من قبورهم يبدل الله الارض غير هذا اما بالصورة بان يسير جبالها
ويظهر مكنونها واما بارض اخرى تسمى بالساهرة فيمدها مد الاديم حتى
لا يرى فيها عوجا ولا امتا ثم يقبض السماء فيطويها كطي السجل للكتب
ثم يعيدها واهل على الارض الممدودة فيرد الخلائق على تلك الارض فاذا انشقت
السماء نزل ملائكتها سماء سماء ويصطفون خلف الناس سبعة صفوف
ثم ياتي الله اي امره في ظلل من الغمام والجنة على جنبه اليمنى وجهنم على اليسرى
فينادي من قبل الله ثلثا ينادي المتجافين جنوبهم والذين لا تلهيهم
تجارة والذين صدقوا ما عاهدوا الله فيؤمر بهم الى الجنة من دون
حساب ولا توقيف في المواقف ثم ينادي ثلث مرات اخرى ينادي كل جبار
عنيد ومن آذى الله ورسوله والمصورين والكتابين فيؤمر بهم الى النار ويبقى
اخرون ينتظرون ما يفعل الله بهم وفي خبر على ان في القيمة خمسين موقفا
كل موقف منها الف سنة يسال فيه عن شيء مخصوص فان وفي به جاز
سريعا والا يمكث الف عام ثم يصير الى الموقف الاخر وهكذا واول المواقف
حين خرج الناس من قبورهم يقومون على شفار قبورها عراة حفاة جياعا
عطاشا ثم الحشر ثم موقف النور ثم الظلمة ثم يساقون الى سرادقات الحساب
وهي عشرة مواقف والحساب بجمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها
ومعلوم ان للانسان الاف الاف اعمال متفرقة نافعة وضارة وقد لا يحصيها
الحاسب لتفرقها فاذا احضرت المتفرقات وجمعت كان حسابا وقد قدر
الله ان يكشف في لحظة واحدة للعالمين متفرقات اعمالهم ومبلغ اثارها

فهو اسرع الحاسبين وسئل عن امير المؤمنين عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق
في لحظة واحدة من غير تشويش وغلط قال كما يرزقهم الله مع ما يرى الحيوانات
كذا قيل وقال الاستاد معنى سرعة الحساب ان الله سبحانه يحاسب العبد
في الدنيا في كل آن ولحظة ويجزيه على اعماله في كل سكون وحركة فيكافي
طاعاته بالتوفيقات ومعاصيه بالخذلانات فالخير يجر الى الخير والشر
والشر يدعو الى الشر ومن حاسب نفسه في الدنيا عرف هذا المعنى فقد ورد
حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا انتهى ثم يساقون الى اخذ كتبهم
وفيه خمسة عشر موقفا ثم يقامون الى قراءة الكتب وهي موقف واحد ثم يحضرون
الى الميزان ثم يدعون الى الوقوف بين يدي الله في اثني عشر موقفا ثم يؤمر
بالخلق الى الصراط وهو سبعة جسور كل جسر موقف وهذه خمسون
الف موقف قال الله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة **المقام الثامن** في البعث من في القبور اعلم انه قد اختلف
في معنى الاعادة فجماعة من المتفلسفين الذين لم يبلغوا من العلم مبلغه
ولم يقتبسوا من مشكوة العلم نور حملوا الاعادة والنشاة الاخرة على امور
عقلية غير جسمية وجهلوا ان هيهنا نشاتين نشاة الاجسام ونشاة
الارواح وهي النشاة المعنوية فاثبتوا المعنوية ولم يتوجهوا الى النشاة
الجسمانية وقالوا ان موت الانسان هو قيامته لكن القيمة الصغرى وان
القيمة الكبرى هي حشر النفوس الجزئية الى النفس الكلية والحق لا استبعاد
في الحشر الجسماني ولا يبعد فيه دليل عقلي بل قام عليه البرهان القطعي وكذا
على ثبوت الصراط والميزان والجنة والنار الجسمانية كما قد اشرنا الى ذلك
فيما سيأتي من المقامات الاخروية ونقول هنا انه قد تقرر في مقره من نقله

الاجسام

الاجسام الطبيعية وان لا يطرء عليها العدم بالكلية وان اختلفت عليها
النشآت وتبدلت عليها الحالات اذ ليست تلك الاطوار الا اختلاف الصور
والاعراض عليها وترددها في المواطن والمقامات المعدة لها ولا يضر ذلك
بالحقائق والذوات ولا يلزم عند انقلاب الهيئات ثم ان النفس من حيث
هي نفس لا تخلو من ملابسة المادة ومعانقة الطبيعة الجسمانية وقد تحكم
في الاصول البرهانية ان النفس من حيث هذه العلاقة المادية قد تتخصص
بالاشخاص وتفرقت في افراد واصناف من قبل انطباعها في المادة وبحسب
انتقاشها في هذه المرائي الجسمانية المشتملة بالكمية التي يلزمها لذاتها
التقسيم والتقصص ويلزم ما يعرضها ويتعلق بها بتبعيتها فلا يعزب
شيء من العالم الجسماني من احاطة النفس الكلية فلا يخلو حصة من
الحصص الجسمية عن شروق نور من انوار هذه النفس الشريفة حتى قيل ان
هذا العالم موضوع في وسط النفس الكلية لكنها بارزة اثارها في بعض
المواد حسب استعدادها لذلك الظهور وفي بعضها كامنة الى يوم النشور
والبارزة قد يختلف ظهورها فقد يكون ببعض قواها وقد يكون بتمامها
كاملا واكمل الى ان انتهى الى افق العقل وذلك لاختلاف القوابل وتفاوت
استعداداتها ثم من البين ان هذه العلاقة وتلك المناسبة لا ينعدم
بتفتت اجزاء المادة وتشتت ابعاضها المتجزية وانتفاء العدم
بذلك ظهور اثارها وفرق ما بينهما وبالجملة انها لا تنقطع تلك
الملابسة بتفرق تلك الاجزاء واستحالتها في كيفيات شتى فان هذا
التفرق عندنا وبالنظر الى حواسنا واما عنده تعالى لا يعزب عن علمه
والاحاطة مثقال ذرة ولا يغيب عن شروق نوره منظر ولا كوة فهي على

اجتماعها الذاتي وتضامها الحقيقي بل اقول انها عند ارباب المعرفة
واليقين واصحاب الانظار المتروين كذلك لما قد استبان في المقامات
البرهانية سوالفا لا اقل لا اقل من ان الوحدة الشخصية لا تنثلم
ولا تنفسخ بالكثرة الانفصالية ولا ينافي تلك الانفصالات الا ابقاء
بقاء الوحدة الشخصية اذ ليست تلك الكثرة في مقابلة الوحدة على ما ترى
من ان تقطع ابعاض شخص انسان مثلا لا يوجب تكثر اشخاص ذلك النوع
وان الوحدة الاتصالية لا ينافيها الكثرة الابعاضية بناء على ان مقابل
الاتصال الحقيقي هو الانفصال الذي بمعنى عدم فرض اجزاء مشتركة في
الحدود وذلك مما قد يمتنع عروضه للمتصل الا بان يصير اجزاء لا يتجزى فالمتصل
الشخصي الذي يلزمه اتصاله الخاص المقداري ان يكون شخصا من نوع
حقيقي وان تفرق ابعاضه في اطراف الارض واكنافها فهو عند اهل
البصائر العرفانية على وحدتها الشخصية واتصالها الحقيقي وخاصيتها
الواقعية وهذا وان كان مما قد يستغرب كل الغرابة لكنه بعد التفحص
البرهاني الشديد والبحث العرفاني السديد يسير ليس ذلك بالبعيد فافهم
يؤيد ذلك كله ما روي في الاحتجاج عن الصادق عليه السلام في سؤال
الزنديق عنه الى ان قال واني له البعث والبدن قد بلي والاعضاء
قد تفرقت فعضو ببلدة ياكله سباعها وعضو باخرى تمزقه هوامها
وعضو قد صار ترابا يبنى به مع الطين في حائط قال عليه السلام ان الذي
انشاه من غير شيء وصوره على غير مثال كان سبق اليه قادر ان يعيده
كما بداه قال اوضح لي ذلك قال عليه السلام ان الروح مقيمة في مكانها روح
المحسن في ضياء وفسحة وروح المسيء في ضيق وظلمة والبدن يصير ترابا

كما منه

كما منه خلق وما تقذف به السباع والهوام من اجوافها مما اكلته ومزقته
كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات
الارض ويعلم عدد الاشياء ووزنها وان تراب الروحانيين بمنزلة الذهب
في التراب فاذا كان حين البعث مطرت الارض مطر النشور فتربو الارض
ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب اذا غسل
بالماء والزبد من اللبن اذا مخض فيجتمع تراب كل قالب الى قالبه فينتقل باذن
الله القادر الى حيث الروح فتعود الصور كهيئتها وتلج فيها الروح فاذا قد
استوى لا ينكر من نفسه شيئا الخبر بتمامه وبالجملة المادة الجسمانية و
الطبيعة الجسمانية لا تخلو من حركة في استعداداتها اللائقة بشانها
حسب مواطنها واحوالها ففي كرور الادوار ومرور الاكوار تستعد استعدادا
لصور مناسبة للصور المكتسبة الدنيوية بحسب كونها متصورة بها في
النشاة السابقة مثل ما هو الحق عندنا من انتفاء الصور البسيطة في
الممتزج مع انه بعد المزج ولا يبقى تعود الصور بنوعها في المواد المناسبة
لها بحسب قربها السابق فالذي يبقى من الميت بعد ما بلي من جميع اجزائه
من الاركان والقوى والهيئات هو الذي عبر عنه في الخبر بعجب الذنب المفسر
عند طائفة بالهيولى الاولى وعند اخرين بالجزء الذي لا يتجزى وعند
ابي حامد بالنفس وعند اهل الحق بالحصة الشخصية من الجوهر الجسمي الطبيعي
الذي تعلق به حصة شخصية بحسبه من النفس وهذه الحصة الجسمية هي
الباقية من الميت بعد زوال التخاطيط والتصاوير وفناء النقوش
والهيئات وفي النشاة الاخرة يلبس صورا اخروية وهيئات حقيقية
هي الاعمال المكتسبة والاخلاق المتخلقة انما هي اعمالكم ترد اليكم فهذا الحق

الباقي بحسب استعداداتها في الصور البرزخية وحركاتها في الهيئات
الحسنة القبيحة بقبيل ظهور الروح في بدن معمول لها في الدنيا بحسب
اعمالها وادراكاتها واخلاقها كاستعداد الحشيش بالنارية التي فيها
لقبول الاشتعال في الحجر الخاص على ما في الكافي فاذا افنيت الاشياء
افني الصور والهياكل والتقطيع ولا يزال العين لم يزل عالما بالجملة هذه البلية
كلبنة انكسرت وتقطعت فيجعلها ثانية في قالبها كما في الخبر ثم اعلم ان
للناس في الاعادة مذاهب فبعضهم ينكرون الاعادة مطلقا جسمانية كانت
او روحانية على ما نطق عنهم القرآن في غير موضع وبعضهم ينكرون الاعادة
الجسمانية ويقولون بالمعاد الروحاني على معنى عودها الى ما بدأت منه
من النفس الكلية وهؤلاء افترقوا فبعضهم يقولون بان النفوس الشريرة تصير
شياطين والنفوس الخيرة على الخلاف في خيريتها تصير ملائكة التامة برىء الاجرام
البرزخية ولما اعقولا فاسدة وبعضهم يقولون بان النفس ما دامت لها
شوب هيئات مادية فانها تتقلب في اجساد حيوانية او غيرها الى ان
تتخلص كل التخلص فتصير الى النفس ما دامت لها شوب هيئات مادية
فانها تتقلب في اجساد حيوانية او غيرها الى ان تتخلص كل التخلص فتصير
الى النفس الكلية وطائفة يقولون انها اذا فارقت هذا البدن رحلت
معها القوة الوهمية فيتوهم نفسها انسانا مقبورا على الصورة التي مات
عليها ويتخيل الالام واللذات الواصلة اليها وان النشأة الاخرة
هي خروج النفس عن غبار هذه الهيئات والتخيلات كما يخرج الجنين
عن القرار المكين وهذه المذاهب كلها خروج عن الطريق المستوى
والصراط المستقيم والضابطة ان اصول المذاهب خمسة اما القول بالمعاد

الجسماني فقط او بالروحاني فقط او بهما جميعا او بنفيهما مطلقا
او بالتوقف وذلك لانها قد تتفرع على القول في حقيقة النفس فمن قايل
بعرضيتها ومن ذاهب الى جوهريتها اما جوهر جسماني او مجرد نوراني
فالقايل بالعرضية ينفي الاعادة والقايل بالجسمية اما ينفيها او يثبت
المعاد الجسماني والقائل بالتجرد لا يسعه نفي الاعادة فاما ان يقول
بالروحاني فقط او بهما جميعا فتدبر ثم اعلم ان المناط في ذلك شي اخر
ايضا وهو ان للعقلاء في شان الافلاك وحركاتها من حيث سببيتها
للحوادث وعدم السببية ومن جهة تطرق الفساد اليها وعدمه مذاهب
الاول مذهب جمهور المتكلمين وهو انها لا دخل لها في ذلك بل هي مشية
الله لكن جرت عادة الله ان يحدث الحوادث حين هذا النظم الفلاني وبعد
الحركة الفلانية او ان يفيض من المبدأ بحسب اعدادات الافلاك كاعداد
النار لفيضان السخونة الثاني مذهب جمهور الحكماء وهو ان تلك الحركات
والنظرات اسباب للحوادث وهؤلاء افترقوا فرقتين فالالهيون ذهبوا الى
ان تلك السببية والاحداث باذن الله وبمشيته وفي توحيد المفضل ما
يعاضده حيث قال الامام ان الطبيعة يفعل باذن الله والطبيعيون
زعموا انها مستقلة في السببية من دون تسخير ثم ان قاطبة الحكماء الا
ما شذ منهم ذهبوا الى ان الافلاك لا يتطرق اليها الفناء والفساد ولا تقبل
الخرق والالتيام وطايفة من علماء اهل الاسلام وجمهور حكماء الهند ذهبوا
الى فساد السموات وطيها كطي السجل للكتابات وبعض الرياضيين
من اتباع بوذاسف الحكيم من القدماء زعموا تشابه الفصول وبعض الحوادث
وتكررها وان كان ذلك لبعد سنين واعوام وغب ادوار واكوار ولذلك

للاوضاع والحركات بناء على ما يرون
من تكرارها في السنة وتشابه الفصول
الواقعة فيها فلذا تم ذلك [illegible]
الحوادث بتمام [illegible]

ذهبوا الى القول بالتناسخ واما الالهيون والعرفاء المحققون فانكروا
ذلك التناسخ وابطلوا هذا التكرر وقد برهنا قبل هذا ان كل شكل
لا يعود بعينها ولا بما يشابهها وانت يمكنك ان تتيقن هذا حين ترى
انه اذا القي حجر في الماء يحدث منه دوائر امواج متناسبة يعقب ذلك الماء ويتحرك
الحجر واذا القي حجر اخر بعده من دون فاصلة فان الدوائر الحادثة من هذا
لا لم يمكن ان يشبه الدوائر الحادثة من الاول اذ الماء في النوبة الاولى ساكن وفي
الثانية متحرك وحدوث الدوائر الحادثة من الاول اذ التي بعد السكون
لا يشبه الحدوث التي بعد الحركة بالضرورة فضلا عن الاشكال مع تساوي
الاسباب على ان تساوي الاسباب ايضا غير صحيح لان من جملة اسباب الحوادث
اللاحقة مضي هذه الحركة السابقة وليس في التي الحوادث السابقة وبالجملة
فيجوز ان يتجدد دوره بان يجمع الادوار القريبة من التشابه ويجب
عود النفوس المفارقة بذاتها اليها كما ان لكل من هذه الدورات اختصاص
بحدوث حوادث لم يكن في سابقتها مثل ما نرى من حدوث حيوان لم يكن
سابقا ونبات لم يكن او لا الى غير ذلك من حدوث حوادث في راس كل سنة
او مائة او الف والله الموفق **ايقاظ** واما كيفية البعث الحق فمن الناس
من ذهب الى ان الاعادة مثل البداءة من خلق بعضهم من الطين والنفخ
كادم وحوا ثم من نكاح وتناسل الى اخر ولو في العالم البشري لكن في زمان
صغير لطيف هو بالحق ذلك الزمان ويكون على حسب ما يقدره الحق تعالى
ويفعله كما يشاء ويحمل على ذلك قوله تعالى كما بدأكم تعودون وهذا ليس بحق
عند اهل الحق العارفين بل التعويل في ذلك على الخبر المروي عن الصادقين
عليهم السلام وهو ان الله جل مجده هيأ بين نفختي الصور من فوق السماء

من البحر

من البحر المسجور مطرا اشبه المني على الارض المقبورين فيلتقي ذلك على الحظائر
الماء اجسادهم البالية فتمخض به الارض كالمراة الحاملة فيخرجون منها
كالخروج عن المشيمة واما قول اجل برهانه كما بدأكم تعودون فهو كقوله ولقد
علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون حيث اوجدها الله من غير مثال سبق
فهكذا تلك النشأة الاخرى بل هي هو وبالجملة ثم ينشئ الله النشأة
الاخرى على عجب الذنب الذي يبقى من الميت على ما عرفت من الجوهر الجسماني
النوري الباقي بعد تعرية شوائب الصور الدنيوية وكدورات الاعراض
الحاصلة من الامتزاجات العنصرية مستعدا لظهور افعال الارواح
المكملة عليها وبروز اثار النفوس المتعلقة المختصة بها فينفخ
اسرافيل محيي الارواح ومعطي الحيوة للاشباح نفخة واحدة فتمر تلك
النفخة على الصور البرزخية القريبة فتطفئها ثم ينفخ اخرى على تلك
الصور الجسمانية المستعدة للاشتغال بارواحها وصورها الاخروية
فاذا هم قيام ينظرون بعضهم لتلك الصور احياء ناطقة على شعائر قبورها
فيقول بعضهم من بعثنا من مرقدنا ومن قايل يقول سبحان الذي احيانا
بعد ما اماتنا واليه النشور فيظهر لهم بذلك يقظة بالنسبة الى البرزخ
كما يتخيلون ان البرزخ يقظة بالنظر الى الدنيا فالدنيا بالقياس
الى البرزخ نوم والبرزخ بالنسبة الى البعث نوم وفي الاحتجاج من سؤال
الزنديق ابا عبد الله عليه السلام اتتلاشى الروح عنها بالبقاء عليه السلام هو
باق الى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الاشياء وتفنى فلا حس
ولا محسوس ثم اعيدت كما بدأها مدبرها وذلك اربع مائة سنة يسبت
فيها الخلق وذلك بين النفختين الحديث اعلم انه اذا قام الناس من قبورهم

فحينئذ تبدل هذه الارض وتبدل غيرها فاما ارضا من فضة وسموات
من ذهب او تبدل خبزة نقية ياكل الناس حتى يفرغوا من الحساب
كما في الخبر وانشقت السماء فهي يومئذ واهية وانكدرت النجوم وكورت
الشمس وانخسفت الشمس والقمر وحشرت الوحوش وسجرت البحار و
زوجت النفوس بالابدان ونزلت الملئكة على ارجاء السموات و
ياتي الله في ظلل من الغمام والملئكة الى اخرها نقلناه واول من قام
من قبره رسول الله وعلى عليهما وآلهما الصلوة والسلام وفي خبر جابر
رضي الله عنه اذا كان يوم القيمة امر الله تعالى جبرئيل وميكائيل واسرافيل
فياتون بالبراق وتاج الكرامة وحلل الرضوان لمحمد صلى الله عليه
وآله فينادي جبرئيل ايتها الدنيا اي قبر محمد فتجيبه الارض بلا كلام على
حيث دكها الله دكا فرفع عمود من نور يعلو الى السماء ارتفع من قبره صلى
الله عليه وآله فيقفون على جبرئيل من عند راسه وميكائيل عن يمينه
واسرافيل عن رجليه فينادي اسرافيل ايتها الروح الطيبة ارجعي عند
الى جسدك الطيب قم يا محمد ينادي بذلك ثلث مرات وفي المرة الثالثة
يقوم النبي صلى الله عليه وآله ويلبس الحلل ويضع تاج الكرامة ويركب
البراق واسرافيل متقدم له وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وكذلك على عليه السلام على ما سبق في خبر الوسيلة **تذنيب** ولنذكر
نبذا من رجوع النفوس الى العالم العلوي وشرذمة في وصف هذا العالم
الربوبي من كلام اساطين الحكمة نقلا عن افلاطون الالهي قال ان
مسكن الانفس العقلية اذا تجردت خلف الفلك في عالم الربوبية حيث
نور الباري وليس كل نفس تفارق البدن تصير من ساعتها الى ذلك المحل

كان

لان من الانفس ما يفارق البدن وفيها دنس واشياء حسية فتهبط ما تغير
الى فلك القمر فتقيم هناك مدة من الزمان فاذا تهذبت ونقت ارتقت الى
فلك فلك وكوكب كوكب فتقيم في كل فلك مدة من الزمان واذا صارت الى
الفلك الاعلى ونقت غاية النقاء وزال عنها ادناس الحس وخبائث الاجرام وخشونتها
فتهيأ لها ان تفتتح العالم العقلي وجاوزت الفلك وصارت في اجل المحل واشرفه
وصارت بحيث لا يخفى عليه خافية وطابقت نور الباري وصارت تعلم كل شئ
قليلها وكثيرها كعلم الانسان باصبعه او بظفره او بشعرة واحدة من شعره
وصارت الاشياء من سياسة العالم كلها مكشوفة بارزة لها ففوض اليها
ابنية الباري اشياء من سياسة العالم ليلتذ بفعلها والتذ بها وقال
تلميذ المعلم الاول في اثولوجيا بعد كلام فان كان العالم الاعلى تاما فيه
التمام فلا محالة هناك الاشياء كلها التي ههنا الا انها فيه بنوع اعلى واشرف
كما قلنا مرارا فثم سماء ذات حيوة وفيها كواكب مثل هذه الكواكب التي في
هذه السماء غير انها انور واكمل واشرف وليس بينها افتراق كما يرى ههنا
وذلك انها ليست جسمانية وهناك ارض ليست بسباخ لكنها حية
عامرة وفيها الحيوان كلها وفيها نبات مغروس في الحيوة وفيها انهار
وبحار جارية وما يجري جريا حيوانيا وفيها الحيوانات المائية كلها وفيه
هواء وفيه حيوانات هوائية شبيهة بذلك الهواء والاشياء التي هناك حية
كلها وكيف لا يكون حية وهي في عالم الحيوة المحض لا يشوبها الموت وطبايع
الحيوان التي هناك مثل طبايع هذه الحيوانات الا ان الطبيعة هناك
اعلى واشرف من هذه الطبيعة لانها عقلية ليست حيوانية البتة فمن انكر
قولنا وقال من اين يكون في العالم الاعلى حيوان وسماء وساير الاشياء التي ذكرنا

عطارد فيقيم هناك مدة من الزمان فاذا تهذبت
ونقت ارتقت الى فلك صح

قلنا ان العالم الاعلى هو الحي التام الذي فيه جميع الاشياء لانه ابدع من المبدع
الاول التام ففيه كل عقل وكل نفس وليس هناك فقر ولا حاجة البتة لان
الاشياء التي هناك مملوة غنى وحيوة كانها حيوة تغلي وتفور وجري حيوة
تلك الاشياء انما ينبع من عين واحدة لا كانها حرارة واحدة او ريح واحدة
فقط بل كلها كيفية يوجد فيها كل طعم ونقول انك تجد في تلك الكيفية
الواحدة طعم الحلاوة والشراب وسائر الاشياء ذوات الطعوم وقواها وسائر
الاشياء الطيبة الروائح وجميع الالوان الواقعة تحت البصر وجميع الاشياء
الواقعة تحت اللمس وجميع الاشياء الواقعة تحت السمع اي اللحون كلها واصناف
الايقاع وجميع الاشياء الواقعة تحت الحس هذه كلها موجودة في كيفية واحدة
مبسوطة على ما وصفنا لان تلك الكيفية حيوانية عقلية تسع جميع الكيفيات
التي وصفنا ولا يضيق عن شيء منها من غير ان يختلط بعضها ببعض ويفسد
بعضها ببعض بل كلها فيها محفوظة كان كل واحد منها قائمة على حدة انتهى
ما رمنا نقله من كلامه الشريف **ختام** ولنختم الكلام بالقول في امره
الاختتام اعلم ان للعرفاء في انه هل يمكن ان يوجد عالم اخر بعد هذا وان يخلق خلق اخرون
يسكنون فيها ويعبدون الله تعالى بعد قيام النشأة الاخرة وبطلان
النشأة الدنيوية بسماواتها وارضها ونجومها ودخول اهل الجنة منازلهم
واهل النار مقاعدهم مجالا لافكار ومرامي انظار ولا دليل على امتناعه والنقل
محكم ببيان بل على وقوعه في الخصال عن جابر بن يزيد الجعفي قال سألت
ابا جعفر عليه السلم عن قول الله تعالى افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق
جديد قال يا جابر تاويل ذلك ان الله عز وجل خلق عالما غير هذا العالم وجدد
خلقا من غير فحولة ولا اناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم ارضا غير هذه الارض تحملهم

اذا افنى هذا الخلق وهذا العالم واسكن اهل الجنة
الجنة واهل النار النار جدد الله عز وجل

وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى ان الله انما خلق هذا العالم
الواحد وترى ان الله لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى
الف الف عالم والف الف ادم انت في اخر تلك العوالم واولئك الادميين
وفي تفسير العياشي ما بمعناه وعبارته لكن بتقديم وتأخير وفي توحيد المفضل
عن الصادق عليه السلم الحمد لله مدبر الادوار ومعيد الاكوار طبقا عن طبق
وعالما بعد عالم ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى وحديث جابر يدل على ان ذلك يقع في البدء فهكذا في العود والكلام هنا
مجال لا يسعه الحال بل لا يناسب المقام الفصلي لعلك تقول ان ذلك في النفخ او الخروج عنه
انه الغرض المتعال وللقول بان الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلوة و
الزكوة والصوم والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال
علي بن محمد عليهما السلم يا ابا القسم هذا دين الله الذي رضيه فاثبت لعباده
عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الى الفرائض
التي تجب بعد الولاية هي هذه بمعنى ان افتراض تلك الفرائض بعد الولاية
ولا تكون كاملة الا بعد القبول بالولاية والدها محبة اولي الامر الذين فرض
طاعتهم واولي القربى الذين اوجب مودتهم وجعلها اجر الرسالة ولا شيء
اعظم من هذه المنزلة ويلزم محبتهم عداوة عدوهم والتبري من الظالمين
عليهم والغاصبين حقوقهم كما فيه ميزان في التقابل فانه لا يمكن ترجيح احدهما
لامع الاستحقاق بالاخرى ولعل الوجه في استتباع الفروض الولاية لزمها
وتعقبها لها الاشارة الى انه لا يقبل الله تلك الفرائض من احد الا بالولاية
بهما كما يظهر من الاخبار المستفيضة بل كادت ان تكون متواترة من طرق مذهب
الامامية ولعل النقل في انحصار هذه الفرائض واشاراتها اوضاعها لتكون

امور جالبا في احكامها وليكن ذلك في مقدمة في الاصول ثم بعدها عليك يتلى
كتب في فصول اما المقدمة ففي تركيب الفروع على عدد السبعة وذلك يتبين
بعدما انتهى من امر فضيلة الاعداد من انها الاجل الت الجلال على حسب من محسوس
السبعة لما هو كالاتيان بكل واحد منها كما في الخبر ما يقرب من هذا ولان يصعد
العبد فوق سماء اذا اتى بكل منها على وجهها ولان تغلق عنه باب من ابواب
جهنم ويفتح له باب من ابواب الجنان اذ الحق ان الجنة هي الباطن بالنسبة الى جهنم
بمعنى ان الجنة للعبد الواحد جنة باعتبار البطون والملكوت جهنم باعتبار الظهور
واثار عالم الملك قال الله تعالى له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
وقال امير المؤمنين عليه السلام في حجاب استقفت حجابه على ما مضى اذا جاء النهار
فاين يكون الليل واذا جاء الليل اين يكون النهار فتبصره ولما وجه الترتيب
فهو لما ورد في الخبر ان الاسلام بني على خمس قواعد احدها التوحيد وهو اول
القواعد ومن اجزائها وشرائطها على ما يتبين في تضاعيف ما تلونا عليك
النبوة والولاية فهما وان كانا منه وجهان فيه اندراج المعلول في العلة
متعلقان تعلق المظهر بالظاهر فيه فالولاية بعموم مقام التوحيد في
الاولية بمعنى ان اول الاصول هو التوحيد وعلى هذا فان يكون اول
الفروع هو المتولي عما لبدني والصلوة لما كانت لها مرتبة الثانوية
لما قد ورد في الاخبار القدسية من قسمت الصلوة بيني وبين عبدي فالمصلي
ثان فهذا الاعتبار فكذا الصلوة ولكون احد اشتقاقات الصلوة من
المصلي في الحلبة وهو الثاني والسابق فلهذا كانت لها في ذكر الفروع
الثانوية الحقيقية ثم الزكوة يلي الصلوة لان الزكوة تطهير الاموال فناسب
الصلوة لكونها مشروطة بالتطهير فوقعت الصلوة بين تطهيرين ثم الصوم

يلي الزكوة

يلي الزكوة لكون الكمال انقضائه بزكوة الفطر التي هي تطهير الرقاب فناسب
ان يكون بعقب تطهير الاموال فصار الحج في المرتبة الخامسة من قواعد الاسلام
الذي يجب على المكلف في نفسه ثم بعدها كان العبد يؤدي ما يجب على نفسه
في نفسه يجب عليه ان يأتي بما يجب عليه بالنسبة الى غيره وهو ان يدعو غيره
اولا الى هذه النعمة العظمى اي الاسلام لله تعالى وهو الجهاد فاذا دخل الغير
وتقلد بهذا الخير تحقق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة اليه فهذا
وجه العدد وبناء الترتيب عليه **كتاب اسرار الصلوة** وهي لغة
الرحمة والدعاء فيضاف الى الله بمعنى الرحمة والى الملائكة بمعنى الرحمة والاستغفار
للمؤمنين قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقال سبحانه ويستغفرون
للذين امنوا ويضاف الى المؤمنين بالرحمة والدعاء والافعال المخصوصة
المعلومة شرعا ويضاف الى ما سوى الله من جميع المخلوقات من ملك وانسان و
حيوان ونبات ومعدن بحسب ما فرضت عليه وعينت قال عز من قائل الم تر
ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته و
تسبيحه والتسبيح في لغة العرب يجيء بمعنى الصلوة ثم اعلم ان اشتقاقها
اما من التصلية بمعنى تقويم العود بالنار فكان المصلي في توجهه الى الله
وقصده اياه يقوم ميله الى الباطل واعوجاجه الحاصل من النظر الى غيره
والتوجه الى ما سواه بالحرارة التي حصلت له من الحركة الصعودية والقرب
من شمس الحقيقة المعنوية كما في الخبر قوموا الى نيرانكم التي وقدتموها
على ظهوركم فاطفئوها بصلوتكم اي النيران التي اوقدتموها من التوجه
الى غير الله واحتمال الذنوب الموجبة للنار حيث حسبتم ان ما سوى الله يملك
النفع والضر ويحصل منه الخير والشر وزعمتم انه يستقيم بعبادتكم ويعيد به منكم

والتعبير بالظهر لانه موضع ما سواه وكانما تولوا فثم وجه الله فاطفئوا
هذه النار الموقدة على الظهور المطلعة على افئدة هذه الابدان التي كالقبور
ببرد اليقين وتزولوا غيث الجمر باقامة صلوة الخاشعين ثم ان اردتم التقويم
فعدلوا ظهوركم بتعديل اركان الصلوة وقوموها بقيامها كما هو حقها
واما ان ذكرت اشتقاقها من المصلي من سباق الخيل الذي يلي السابق ه
في الحلبة والصلوة ثانية في قواعد الاسلام كما في خبر بنائه على خمسة شهادة
ان لا اله الا الله والصلوة والزكوة والصوم والحج فلان المصلي ثان في الرتبة
على ما مضى من خبر قسمت الصلوة بيني وبين عبدي وفي كتاب فلاح السائل
لابن طاوس طاب ثراه في الجاء الحديث ان رزام مولى خالد بن عبد الله الذي
كان من الاشقياء سال الامام جعفر بن محمد عليهما السلام بحضرة ابي جعفر المنصور
عن الصلوة وحدودها فقال عليه السلم للصلوة اربعة الاف حد لست
تفي بواحد منها فقال اخبرني بما لا يحل تركه ولا تتم الصلوة الا به فقال الا ه
الا به فقال عليه السلم لا تتم الصلوة الا لذي طهر سابغ وتمام بالغ غير نازغ
ولا زائغ عرف فاخبت فثبت وهو واقف بين الياس والطمع والصبر
والجزع كان الوعد له صنع والوعيد به وقع بذل عرضه وتمثل عرضه
وبذل في الله المهجة وتنكب اليه المحجة غير مرتغم بارتغام يقطع علائق الاهتمام
بغير من له قصد واليه وفد ومنه استرفد فاذا اتى بذلك كانت هي الصلوة
التي بها امر التي تنهى عن الفحشاء والمنكر فالتفت المنصور الى ابي عبد الله عليه السلم
فقال يا ابا عبد الله لا نزال من بحرك نغترف واليك نزدلف تبصر من
العمى وتجلو بنورك الطخياء فنحن نعوم في سبحات قدسك
وطامي بحرك الحديث الطهر السابغ مما يكفي الوصف فيه بعد وقيل ما يغني

فيه

فيه الغسلات او ما يروى فيه الاعضاء من الماء او ما يكون بطريقة اهل البيت
عليهم السلم من كيفية الغسلات والمسحات فذاك في الطهارة اعتبار في الباطن
كما يجي في اسرار الطهارة والظاهر هنا ان الطهر السابغ هو التبري من الشرك
المطلق ومن المخالفين للائمة اهل الحق كما يشعر بذلك معنى قوله وتمام
بالغ على ما سنذكره والتمام البالغ هو البلوغ وكمال الرشد علما اعتبار و في
الحقيقة فهو القول بامامة علي واولاده عليهم السلم والدخول في زمرة اوليائهم
اما كون ذلك تماما فلقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي صح
واما كونه بالغا فلقوله سبحانه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
بربك الاية قوله غير نازغ ولا زائغ كلاهما بالزاي والغين المعجمتين
اي غير ناصب عداوة لاهل بيت الوحي والحكمة ولا مائل عنهم الى غيرهم من الغاصبين
لحقوقهم الجاحدين والمنكرين لمقاماتهم والجاهلين كانوا هم المختصين بالحق
فالمعاند لهم والمائل عنهم معاند للحق المطلق ومائل عن طريق الحق عرف فاخبت
فثبت اي عرف الحق والداعي اليه بالحق فاخبت الى الله والى وصي الثقلين
وانقاد واستسلم بالسمع والطاعة الحقيقيين ثم ثبت على ذلك اليقين
العرفاني كالجبال الرواسي والفاء في الموضعين لسببية ما قبلها لما بعدها
اي اذا عرف ووصل الى المقام المعرفة يلزمه الاخبات والخشوع والتحرز ثم يلزمه
الثبات على الطريقة المستقيمة فهذه الخمسة هي مقدمات الصلوة في الجملة
اذ لا بد قبلها من ان يعرف الله الذي يتوجه واين وسيلته الى ذلك وهو الامام
الذي في الحقيقة عبارة عن صلوة اهل المعرفة ومن ان يثبت على ذلك لكي
قياسا في الصلوة عبارة عن هذا الثبات ثم انه قوله عليه السلم وهو واقف الى
قوله والوعيد به وقع اشارة الى تحمل اسرار القيام فان الاستقامة الحقيقية

هو ان لا يميل الى الاضداد في الاخلاق وهذا مرتبة المؤمنين الكاملين حيث
استوى بأسهم ورجاؤهم وانه يصير من الاولياء الاخيار وذلك مقام الحرية
وهو اعلى درجات التلوين وفي هذا المقام علامات قال عز من قايل اشارة
الى العلامة الاولى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقال جل
مجده اشارة الى الثانية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فالاستقامة في المقامين هي الخلوص عن الطرفين والتجرد عن الوصفين بحيث
لا يفزع من فوت الشيء من نعمة او مدح او اي شيء يورث الفرح ولا يفرح بفقدان
شيء حصل او يحصل له وبالجملة يستوي بالنسبة الى قاطبة الامور ويقصر نظره
الى نور النور واما الثالثة فمستنبط من الاوليين اذ عدم الخوف والحزن وكذا
والفرح يوجب رفع الوعد والوعيد اذ المشروط يلزمه احد هذه الامور كما لا يخفى
وقوله عليه السلام لمن حضر المعقول وتنكب الى الحجة بيان لمقام الركوع اما اللغة
فالعرض تجريب للممثلين الاولين المتاع اي بذل راس ماله والغرض الهدف
وايضا المقصود والغاية اي جعل مقصوده نصب عينه وتنكب اي مال
والحجة الطريق اي مال الى الحجة الى الله والى الخضوع له والمعنى انه لا انحناء
في الركوع بان يخلو بنفسه كالقوس ويتمثل الغرض ليصيبه بسهم نظره اليه
فقط ويميل الى الله بظاهره الافتقار والذلة والمسكنة ووضع اعلى يده
غير مرتغم الحظر استعداد ببيان السجود وما يتبصر به والجملة الفعلية
وقعت وصفا للارتغام وكلمة غير للاستثناء والارتغام هو اللصوق
بالرغام الذي هو التراب وغير مرتغم بارتغام انفه بالتراب الذي هو محل
الذلة ارتغاما قاطعا لجميع الهموم مسبل همة واحدة الى المقصود الاعلى
والمطلوب الحقيقي وذلك بالفناء عن نفسه وعن كل شيء ثم اذا رفع راسه

من السجود

من السجود للتشهد فهو في مقام الوفود الى الله ذي الجلال والاكرام والوافد
مسترفد وطالب للانعام فمن كان شكاه الله له والسلم فهذا هو الصلوة
التي يمنع من ملاحظة ما سوى الله والنظر الى غيره وسياتي تفصيل هذا
الاجمال في ما سياتي ان شاء الله العزيز المتعال **فصل**
في زيادات الصلوة قيل الحكمة في ذلك ان اصل الصلوة يقتضي الشفعية
للنسبة التي وقع عليها بين العبد والرب كما سبق فاقلها ركعتان لانه وقت
اثنين اول الازواج فبالاثنان يتم ما بين الرب والعبد كما في الصبح وخص
ذلك بالصبح لانه وقت طلوع النور الغيبي على هياكل الممكن الذي هو الزوج الحقيقي
وبين انه الشيئين اذا تألفا كانا شيئا واحدا فلهذا كانت
الركعتان صلوة واحدة فاذا اضيفت ركعة فذلك للاشارة بان الركعتين
المنقسمتين واحدة ثم ان الشيئين المتألفين الركعتان واحد منهما محيط
بالآخر من جميع وجوهه بخلاف الآخر فانه يتضمن الاول من بعض الوجوه لانه
الدليل عليه كما لا يخفى فالنظر الى الواحد الاول يعطي الاقتصار على زيادة
ركعة وذلك كما في المغرب ولما اذا انظر الى الاول والثاني من حيث ان
الاول يتضمن الثاني من جميع الوجوه والثاني يتضمن الاول من بعض الوجوه
ظهرت الرباعية ولما اذا انظر في اول الامر الى استهلاك الثاني في جميع المراتب
وان الاول هو المتبوع فيكفي الركعة الواحدة وذلك في الوتر كما قيل **وصل**
سياتي ان صلوة المغرب انما هي لمرتبة الزهراء عليها السلام وهذه المرتبة تقتضي
الوترية لانه لا انتاج الكلي الا عن الفردية والتثليث او لا افراد فالثالثة
في هذه الصلوة ينبغي ان يكون واحدة لان الكلي الا ان المراة لها مرتبة الغيب
والاحتجاب فيغلب عليها جهة الوحدة الاول الغائب عن العقول لا بطالها

الصلوات الاخر لمرتبة عينهم بنية الرسول والولي والسبطين كالظهر والعصر
والعشاء ولا ريب ان الرجل الجامع لمرتبتي الغيب والشهادة فالالائق بهذه
الصلوات زيادة الركعتين لذلك ثم اعلم ان هذه الصلوة المكتوبة تجب
على من يجب بشرط البلوغ والعقل والطهارة كما اشار الامام اليه بقوله لا اثم
الا الذي طهر سابغ وتمام بالغ والثاني اشارة الى العقل والبلوغ اذ البلوغ
التام يكون بالعقل والا فلا ينفع واما اعتبار الباطن في هذه الثلثة فالبالغ
العاقل هو الذي يعقل الامر عن اشامة وهيئة كما يلقاه في سره ويفرق
بين خواطر القلب فيما هو من الله ومن نفسه ويميز بين لمة الملك ولمة
الشيطان فاذا بلغ في المعرفة والتميز الى هذا الحد وعقل عن الله ما يريد منه
وسمع قول القدسي وسعني قلب عبدي وجب عند ذلك طهارة قلبه
من كل شيء يخرجه من ملاحظات ربه وبالجملة يستعمل هذه الطهارة في
قلبه وفي كل عضو من اعضائه الباطنة التي هي بازاء الظاهرة على الحد المشروع
ولنتكلم على ذلك في فصول **فصل** في الطهارة اعلم ان للطهارة
لغة النظافة وهي اما طهارة الظاهر والباطن والثاني اما طهارة
النفس او العقل او السر والاول اما طهارة الحس او طهارة الاعضاء
من حيث مدخليتها لا باحترعبادة ولا يقبل النقصان والزيادة او طهارة
الاعضاء لا من هذه الجهة فالطهارة المعنوية للنفس تخليتها من سفساف
الاخلاق ومذام الاوصاف وتحليتها بمحاسنها ومحامدها وطهارة
العقل من دنس الافكار المضلة ووسخ الشبهة والاراء الباطلة وطهارة
السر من النظر الى غير الله وتنبيه الى ما سواه واما الطهارة الظاهرة
للحس فمن الامور المستقذرة التي تتجنبها الطباع وتستقذرها

الطباع

والابصار
الطباع والاسماع والطهارة العضوية المطلقة انما هي من النجاسات
الشرعية واما الطهارة العضوية المبيحة فلها ثلثة اسماء وضوء وغسل وتيمم
فالوضوء تنبيه على مقامات معنوية واشارة الى تجليات روحانية
وستقف على شرذمة منها ان شاء الله تعالى والغسل لاجل الفناء الذي
عم الجنب بسبب وجدان اللذة النفسانية السارية في البدن المشعر
عن حجوده في نفسه ولبس لذلك بنفسه فيغتسل فيلبس لباس الوجود
من ربه بالماء الذي هو اصل الحيوة والوجود والعلم ولبعده من موطن
القرب من حيث انانيته فالجنابة غربة عن موطن العبودية ودخول في
حدود المولى واتصاف بوصف السيادة فيتطهر من ذلك بغسل جميع
بدنه للاعتراف بالتقصير واما التيمم فلاجل عروض العوز للعبد من رؤية
نفسه بالاقتدار الظاهر منه فيحرم من الرحمة الخاصة لعباد الله المكرمين
فلم يصل الى العلم الذي هو حيوة القلب في اماته الدعوى غلوة سهم
نظرا الفكري ولم يتمكن من تحصيل العلم اللدني لنقصان في فطرته
او يخاف من نفسه الوقوع فما ازيد فرض يجب عليه التقليد والنظر في اصل
نشأته حتى يتحقق ان ذاته فيتطهر بهذا النظر في نفسه ليعرف بذلك
خالقه **فصل** في المطهر وهو اما الماء الذي هو سر الحيوة الذي هي
اصل العلم والمشاهدة للحي القيوم قال الله تعالى وانزلنا من السماء ماء
لنحيي به وقال جل وعلا وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب
عنكم رجز الشيطان واما التراب الذي هو اصل نشأة الانسان كما قال
عز من قائل منها خلقناكم وقال جل جلاله فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا وذلك لتفكر في ذاتك لتعرف من اوجدك ومما

اوجدت ولم اوجدت فتخضع لم وتضع التكبر من راسك لان التراب
هو الاصل في الذلة والمسكنة ثم اعلم ان ماء الغيث في غاية الصفاوله
مزاج واحد ولا يمازجه شيء خارج فهو في الباطن العلم اللدني الذي له
طعم واحد لان الانبياء والاولياء كلهم على قول متحد وان اختلفت المشارب
والمناهل فليكن اعتمادك في طهورك الباطني بهذا الماء واما ماء العيون
والابار فهو مختلف الطعم بحسب تلك البقعة والاراضي التي خرج منها و
امتزج بترابها فهو العلم المستفاد من الافكار الصحيحة التي لا تخلو من
شائبة التغير بحسب مزاج التفكر لانه ينظر في مواد محسوسة يقوم عليها
البراهين والاخير للغسل على الماء الذي يقرب من قرة وقلة ويناسب مشربك
وفصل في التخلي لما كان الله دعا عبده الى العبد في صلوته الى قربه ومناجاته
فينبغي ان يميط عن نفسك كل اذى ووسخ يبعده عن ربه فمن ذلك تطهير
جوفه وتخليته عن فضلة طعامه وشرابه التي هي رجز حيث لم يكن لها
في تلك المدينة الفاضلة الانسانية منفعة بل هي منشأ الفتن والعلل
ومنشاء الالام والاسقام في هذا الهيكل ويغسل موضع خروجها حتى
لا يبقى اثر من اثارها اما بالماء الذي هو اصل الحيوة اذ الموضع لا في
الميت البعيد عن رحمة الروح فيه واما بالاستجمار حيث كان الحجر النازل كل
ما يقصد تبعيده فيقوي بذلك على التطهير من رذيلة الاسباب و
المسببات كما هو غاية الوضوء ويصير هذا عنوانا للتطهير قلبه عن جميع الادناس
وللبراءة من نفسه ومن الناس ولا يخلو البيت لتنزل سلطان القرب نزولا
بلا قياس واعلم ان السوئتان هما محل الستر والصون كما انهما محل الخارج
الاذى المقايم بالبطن وهما ايضا عورتان اي مائلتان الى ما يوسوسه

النفس من الامور التي ادخلت في الدين اصلا وفرعا فاذا اطهرتهما من هذا
الخبث الظاهر بالماء او بالحجر فازل عن باطنك ما تعلق به من الافكار الردية
والشبه المضلة بماء العلم بتوحيد الله وتصديق رسله وطاعة ولاة امره
علما حقيقيا برهانيا تعقل غاية عزه وجلاله وتعرف به وجه الحق في كل
شبهة وطريق الخروج من كل ضيق وظلمة ان كنت ممن يتمكن من استعمال
هذا النحو من العلم والا فباستجمار لزوم الجماعة وتقليدا ائمة اهل العلم
والحكمة اذ الحجر والجماعة ايضا وجه الوتر يارة الله وترا يحب الوتر فيريد
ان يكون الوتر شهودا للسالك اليه في كل امر وان تمكنت من الجمع بين العلم
ولزوم الجماعة فهو نور على نور وبالجملة كان الانسان بالمحاذية العقلية
يهم الانجار ليدفع الاخباث الواردة عليه من جهة الشيطان فقد ورد
في دعاء الاستنجاء الحمد لله الذي طهرني من الرجس النجس الخبيث المخبث
الشيطان الرجيم فصل في الوضوء اعلم انه ما من حكم شرعي في الظاهر
الا وله نسبة الى الباطن فليكن انت يا اخي ممن يعبد الله بما شرع ظاهرا
وباطنا لتكون من اهل الشرف ولا تكن ممن يعبد الله على حرف فاذا تمكنت
من استعمال الماء في الوضوء فاستشعر انك بحسب ما تبتغ عند الله في
منزل اباح الله لك تناوله حسا ولطفا وشرع لك تحصيل العلم الحقيقي
المعرفة ومواقع احكامه وفتح لك بابا الى السماء قربه ومنها جاز بالماء
الذي نزل منها لتطهير عباده وتخليصهم من كل ما يورث البعد عنه وعن
جواره وكذلك مكنك من طهارة الظاهر بالماء الذي هو حيوة الابدان
والباطن بالعلم الذي هو حيوة روح الانسان فاول ما ينبغي ان تغسله
يديك قبل ادخالهما الاناء لتناول تلك الجهة وهذا العلم وتطهرهما من كل

شيئا منها من حرام الله وحقوقك فالذي لا يحول عن المعاصي والمهمني لا يوفق على
الطاعات الا بالله وايضا اليدان محل القبض بالشح والبخل والمنع فينبغي
تطهيرهما بالبسط والبذل والايثار والاعطاء وايضا ينبغي تطهيرهما من الامور
التي وجب بالشرع تركها كالغصب والسرقة وغيرهما او ندب على تركها كالدنيا
وزخارفها ثم ان نوم الليل هو غفلتك عن مرتبة غيبك كما ان نوم النهار
هو غفلتك عن مقام شهادتك فبالغسل يحصل الصفو بكل من العالمين
وتوقيتك في نفسك كلتي النشأتين ثم تمضمضك بالذكر الحسن ليزول
عن لسانك ما لك الذكر القبيح وبالتلاوة وذكر الله واصلاح ذات البين وطهره تجد
من كلمة الشرك والكذب والبهتان وعن كلما نهى الشارع عن التكلم به والتعلق
بفضوله ثم استنشاقك بالانخطاط عن درجة الكبرياء والعزة باستعمال
احكام العبودية حتى تستعد لاستشمام روائح القرب من حضرة ذي المنن
ووجدان نفحات الرحمن من قبل اليمن ثم بعد ذلك اغسل وجهك بالحياء
عن الله ان يراك حيث نهاك وعن توجهك الى غيره تعالى وان ترجع
علاه متمنيا ثم اغسل يديك من مرافق رؤية الاسباب الى منتهى الصلاح
المباشرة والاكتساب ثم امسح براسك بوضع الرياسة التي فيه لكونه
اعلى ما في البدن ومقر القوى الفكرية وباظهار التذلل والخشوع
وازالة ريح الشموخ والعلو قال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ولم يشرع مسح الراس
في التيمم لان وضع التراب عليه من علامة الفراق والمقصود بالصلاة
الوصلة والوفاق ثم امسح رجليك بكثرة السعي الى المساجد والثبات
على الجهاد الاصغر والاكبر وطهرهما من المشي مرحا وبالنميمة والعصبية مشيك

فقدم وضوئك هذا ما قالوا في الوضوء ولقد بذلوا الجهد فيما قالوا
وصل في ذلك ورد في الاخبار عن الائمة الاطهار ان آدم عليه السلام
لما مشى الى الشجرة فتوجه اليها وتناولها فوضعها على راسه طمعا
للخلود واعظاما لها امرت هذه الامة التي هي خير امة اخرجت للناس
بان يطهروا هذه المواضع بالمسح والغسل ليطهروا من جنابة الاب الذي
هو الاصل والاول وسر السر في ذلك على ما فهمت من هذه الرواية ان النفس
حين ما وجدت من بارئها نظرت الى ذاتها وما فيها من الحسن والبهاء
واتيان الخلافة الحاملة لها والجواهر العقلية المودعة فيها فتشمخت و
ترفعت ثم توجهت الى العالم السفلي لاظهار ما استودع فيها من الانوار
طمعا في ان تخلد لها ويملكها ابدا فخانت فيما ائتمنت وجعلها
لنفسها فاقبلت بوجهها نحو المادة القابلة لظهورها وعملت في تلك
المادة بايدي اكتسابها فصيرتها موطن ظهورها وسجدت بجبهتها ووقفت
لها حيث عملت على حسب استعدادها ثم مشت الى ارض الغرور عن الحسن والبهاء
وسقطت ما في يديها من الانوار العقلية وجواهرها فرجعت خاسرة
وتحسرت على ما فرطت في جنب الله غفلة وجهالة فلما ادركتها العناية
الالهية ونادتها ارجعي الى ربك ايتها النفس الغريبة امرتها بان تغسل
هذه الاعضاء التي لها مدخلية في هذا العصيان بماء العلم بتوحيد الله صفة وذاتا
وافعالا وان الملك لله الواحد القهار وانه ليس في الدار غيره ديار
وان الكل منه وله واليه وان لا ملجأ من الله الا اليه فينبغي ان تغسل وجهه
من التوجه الى عالم الزور ويديه مما اكتسبت لنفسها من دار الغرور وتمسح
راسه من الخضوع لغير الله تعالى ومن الكبرياء العارضة لها من النظر الى نفسها

ورياستها فى العالم السفلى ويسيح رجليه بالمشى الى دار العزيز يفعل ذلك
لاستعداد الصلوة التى هى معراج المؤمن الى الله تعالى ويطهر نفسه من اوساخ
هذه الخطيئة التى احاطت بها وبا طرافها **فصل** فى الاوقات اعلم
ان الوقت هو ما انتفى من حال الانسان من جهل او معرفة ومن سيئة او حسنة
وكالاستواء هو وقوف المربوب فى محل التوقف ان هل يقصد العبادة الا لاداء
ما يلزمه من حق العبودية او لما يلزمه من اداء حق سيده من حقوق الالهية
فهو فى تلك الحال من وقت الطلوع الى ان تزول الشمس فيترجح له عند ذلك
ان يعبد لما يستحقه الربوبية من الانعام عليه بحيث يرى امحاء حقوق
العبودية عند استيلاء نور الالوهية محو الاظلال فى النور الغالب عند ذلك
الوقت فلا يزال يرقب ذلك النور ويتضرع الى الله حتى الغروب فاذا غربت
وحرمت من شروقها فى يترقب آثارها فيصلى المغرب لذلك ويبقى فى
ظلمة الليل متحيرا فيشرع فى السؤال والبكاء ويراعى نجوم الليل حيث هى
اثر من آثارها فيصلى العشاء ثم لما لم يظهر له ذلك النور يزيد فى التضرع
والبكاء ويتنفل ويتنفس الصعداء الى ان يطلع الصبح فيرى آثاره
القبول فيؤدى فرض الصباح ولا يزال مراقبا الى ان يتجلى فالعبد بين
عبادتين يدعو ربه خوفا من حد الزوال الى الغروب لشفق وطمعا
فى ان لا يكون حجاب بعد ذلك فى بقية ليلة الى حد الاستواء هذا ما قالوا
فى هذا المقام وهو لارباب الوقت وابناء الاكوان من تمام الكلام ٥
وصل فى ذلك اعلم انه قد ورد ان الصلوة هى العهد من الله وانها
الامانة وان الولاية هى الامانة وفى حق قد قامت الصلوة هى العهد من الله
وانها الامانة ان يعلى قامت الصلوة وفى خطبته عليه السلام انا صلوة المؤمنين

وصيام

وصيامهم الى غير ذلك وفى اخبار المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما اسرى
به الى السماء وصار الى ما صار النهار دخل وقت الزوال فامر بالصلوة مع
النبيين والملائكة المقربين صلوة الظهر ركعتين فهى اول صلوة فرضها
الله تعالى ولا ريب ان الاسراء وان كان قد وقع غير مرة فانما كان بالليل
وايضا فقد ورد فى الاخبار المستفيضة ان الشمس خلقت من شعاع نوره
صلى الله عليه وآله وعلى هذا فالزوال هو وقت استواء النور المحمدى فى حد
الكمال او وقت نفسه الشريفة بحيثا ستوت النسبة الى الكل ما دونه من الحضرات
التى خلقت من نوره والانوار التى استنارت بضياء وجوده وصعوده الى قاب
قوسين سلسلة البدوية والعودية ووصوله الى معتدل النهار من فلكه
الكلى المحيط بجميع الافلاك الروحانية والجسمانية فصلوة الظهر هو رسول
الله صلى الله عليه وآله ولما كان العصر وقت العصر فهو رتبة على عليه السلام من
الرسول بلا انفصال اذ العصر واقع فى القوس الصعودى للشمس كما ان قبيل
الزوال واقع فى القوس النزولى لها اذكما يسبح فى خبر طلوع الشمس وغروبها
هو ان الطلوع هو الابتداء من الله والغروب هو الرجوع اليه والولاية فى الحقيقة
الحقيقية فميل الشمس الى المغرب هو جهة النبى الى الله وهو مرتبة على عليه السلام فتسميه
ولقول الله عز من قائل حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فقد ورد
انها العصر وفى اخرانها على عليه السلام وقد روى عنهم عليهم السلام انهم الصلوة الوسطى
فصلوة العصر هو على عليه السلام ولذا استحب فى طريقية للخواص الجمع بين الصلوتين
واما المغرب فهو وقت فاطمة عليها السلام لانها الليلة الالهية وليلة القدر
ففى تفسير فرات بن ابراهيم المحدث فى كتابه تفسير ليلة القدر عن الصادق عليه السلام
ان الليلة هى فاطمة الزهراء والقدر هو الله تعالى فهى عليها السلام الليلة الله ولانها

لما ولدت زاد النبي في المغرب ركعة واحدة شكراً لله فصارت صلوة المغرب التي
هي فاطمة عليها السلام ثلاثاً لان النتيجة المطلوبة منها عليها السلام لا يكون الا على الفردية ولولا
الافراد هي الثلاثة فتمثل الموضوع والمحمول والوسط يحصل الانتاج وقد ورد
في تاويل قوله سبحانه مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ان البحرين علي
وفاطمة عليهما السلام والبرزخ رسول الله صلى الله عليه وآله فهما الموضوع والمحمول والبرزخ
الوسط رسول الله صلى الله عليه وآله لان له نسبة الى احدهما بالاخوة والى الاخرى بالابوة
واما العشاء والصبح فهما اوقات الائمة الباقية اذ الركعات التي فيهما ست و
اسمائهم عليهم السلام ستة الحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وقد زاد
رسول الله صلى الله عليه وآله الركعتين في ولادة كل من الحسنين على اصل الواجبة التي
هي ركعتان ركعتين واوجب الاخفات في هاتين فهم عليهم السلام هي الصلوة الليلية
والركعات الاخفاتية ولذا صاروا مختفين في ظلمة دولة الظلمة فاذا ظهر
تباشير صبح يوم القيمة بخروج قائم آل محمد من هذه الظلمة ويرفع هذه الاخلاط
الفاسدة اللهم عجل فرج محمد صلوات الله عليه وآله وصل آخر في ذلك اعلم
انه قد ورد في الاخبار عن الائمة الاطهار ان الشمس عند الزوال لها حلقة
يدخل فيها فاذا دخلت زالت فيسبح كل شيء دون العرش وهي الساعة التي
يصلي فيها الرب تعالى وهي الساعة التي يؤتى بجهنم يوم القيمة واما
صلوة العصر فهي الساعة التي اكل فيها آدم من الشجرة فاخرجه الله من الجنة
فامر الله ذريته هذه الصلوة الى يوم القيمة واختارها لامتي واما صلوة المغرب
فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم فصلى آدم ثلث ركعات ركعة لخطيئته
وركعة لخطيئة حوا وركعة لقبول توبته واما صلوة العشاء فان للقبر
ظلمة وليوم القيمة ظلمة وللصراط ظلمة وللحشر ظلمة واما صلوة الغداة

فان

فان الشمس اذا طلعت تطلع على قرني شيطان فامر الله عباده ان يعبدوا الله
رغماً لانف الشيطان وفي رواية لان الفجر وقت نزول ملائكة النهار وصعود
الملائكة الليلية فافهم فصل في القبلة الخفية فيها هو خروج العبد
من كل شيء حتى من اختياره وتوجهه الى معبوده ومختاره حيث لم يكن ذلك
الشهود التام في كل اوقات الليالي والايام اذ كانت الصلوة دخول
في حرم الحق فهي نور ولا بد للمنور منه ان يصير سبباً لكشف بعض الامور
بحسب حال السالك في صفاء قلبه ونورانيته ذلك الا ترى ان اكثر الناس
يتذكرون حال الصلوة اكثر ما ينسونه في ساير الحالات ومن جملة ما
يكشف للعابد انه يعرف ان اختياره مستهلك في اختيار مولاه وان لا
منه اليها سواء ولما كان الحق من حيث غيبه سبحانه يستحيل ان يتعلق به المعرفة
ثم الحال الان يستقبل ذاته في قلبه من هو في منزل العبد والغير وانما
الممكن ان يعلمه من حيث جهة الممكن وبالمقايسة اليه في افتقاره في كل
شأنه اليه وتميزه تعالى بانه لا يتصف بصفات المحدثات ويعرف
بالسلوب والاضافات فلذلك شرع التوجه الى جهة القبلة لاهل البعد
عن حرم الكبرياء والعظمة فهذا ما قالوا في تحديد القبلة ولكل في ذلك جهة
وصل في ذلك بعض اشارة الله في اسرار الحج ان الكعبة والمنسك
التي فيها اشارات الى مقامات العهود السابقة واحوال المواثيق
المأخوذة في موطن الست بربكم وما فوقها من المواطن الربوبية
والالوهية والصلوة مجدد العهد من تصحيح التحقق بالعهد
من التوجه الى الكعبة لتمام تنبيه التذكر والله المستعان فصل في ستر
العورة ذلك اشارة الى ستر الاسرار الالهية التي يؤدي كشفها الى عدم احترام

الجاهلة لك الجناب الاعز الاحمى والعورة اصلها الميل كما قيل في قوله
تعالى ان بيوتنا عورة انها مايلة تريد السقوط ومنه الاعور فان
نظره مائل الى جهة واحدة فالعارف ينبغي ان ينزع عن الجاهل الاسرار
المنكشفة له من جهة الحق في صلوته والانوار المائلة اليه من جهة العلو
بالقلب في خطاباته **فصل** في اللباس الموحد العارف هو الذي
لا يرى نفسه في الصلوة ويغيب عنها وعن كل شيء تحت الانوار الالهية ويخلع
عن نفسه وعن كل ما يلابسه ويخلع بلباس التقوى عن كل ما عدا مقصوده
حتى يرى ان الحق يقيمه ويقعده فيصح قوله بحول الله وقوته اقوم واقعد
واركع واسجد **فصل** في طهارة اللباس النجاسة هو البعد وقد سبق
في ذي بعد والصلوة هي القرب والوصلة والعبد لا يمكن ان يحضر مع الله
في كل حال الا الاقلون من الرجال وذلك لما جبل عليه الانسان
من الغفلة والذهول عن هذه الحضرة فيجب عليه في اوقات الرخصة
ان يطهر قلبه من هذه النجاسة وعلى محاذاة الباطن يطهر ظاهره من الادناس
وينزهه من نجاسة اللباس **فصل** في المكان ان للاماكن اثرا في
حجاب القلب عن الله واقباله اليه تعالى اللهم الا لاصحاب الاحوال حيث
لا يشغلهم حال عن حال **فصل** ثم توجه الى مصلاك الذي هو
مرتبتك من حضرة مولاك بالخروج عن دنياك والذهول عن جميع متمناك
والصعود الى مرقاك بالاذان وخرق السماء الدنيا والحكم عليها
بالفناء بالتكبيرات الاربع على جهاتها الاربع والسماء الثانية
بشهادتك على مولاك بالوحدانية اذ في هذا المقام تستشعر بلا شوق
والسماء الثالثة بشهادتك على نبي الحضرة بالرسالة الكلية والعلانية

الجمعية

الجمعية والرابعة بحي على الصلوة والخامسة بحي على الفلاح والسادسة
بحي على خير العمل والسابعة باعادة التكبير والتهليل لاظهار الثبات
على السبيل ثم استقم كما امرت بذكر الاقامة وقم في حضرة المولى كانك
صلوة قائمة حتى تستحق بذلك لامامة صفوف الملئكة ويجيء تحقيق
حدودها في الفصل المعقود لها **فصل** في القيام قيامك في
الصلوة اقامتك نفسك في حضرة مولاك غير مالك لها نفعا ولا ضرا
ولا حيوة ولا موتا في دنياك واخرتك مرسلا يديك للاشعار بذلك
غير كف لهما فان التكفير جبر وكفر ولا متحركا او ناويا للبدن فانه تفويض
وشرك بل واضعا اياهما على الركبتين ليظهر الامر بين الامرين فالقيام
اشارة الى توحيد الافعال وقد سبق الكلام فيه في سابق المقال **فصل**
في النية اذا تخطيت هذه العقبات التي بمنزلة العتبات ووصلت
الى حضرة السرادقات فاقصد دخول الحضرة وقصد الصالحين نيته
بالخروج عن حالة كنت فيها مع الله الى حالة فوقها اذ في الحقيقة
ليس ثم شيء خارج عن الحق لا يخلو فيه فالعباد المكرمون يقصدون
حالا مخصوصا معه سبحانه ليس لهم سابقا والاخرون يرون انفسهم بعداء
عنه تعالى محجبين بتبعتهم او برؤية الغير في حضوره فهؤلاء قصدهم
القربة والتخلص عن البعد والفرقة **فصل** في التكبيرات الافتتاحية
ثم اشرع في فتح الابواب بالتكبير على فناء الاسباب ولكن ذلك حيث
ترى نفسك او شيئا احراز التكبير لا يعقل الا بوجود الغير وقد
وجوده وحيث تخرق هذه التكبيرات الحجب السبعة التي هي ملكوت
السموات وباطنها العبادات بكل تكبيرة تخرق حجابا مستورا ورفع ستر

من السوى حاكما عليها بالفناء والدثور ففي الخبر قال السائل الله اكبر
من كل شيء فقال عليه السلام ابن الشيء بل هو اكبر من ان يوصف **فصل**
في الاحرام تكبيرة الاحرام هي تكبير المنع لانها تمنع العبد من ان يخطر بباله
شيء في حرم الكبرياء الا لاجل الحكم عليه بالبطلان والفناء وتمنع الاشياء
من ان يشارك تعالى في هذا الكبرياء فهو اكبر من ان يقيده حال دون حال
بل هو مقلب الحال والاحوال واعظم من ان يحيط به وصف او نعت بل هو العلي
من الفوق والتحت **فصل** في رفع اليدين يشير هنا الرفع لكون ظهر
الكف مستقبلا للقبلة بان كل ما ملككم الله اياه او يمكن تملكه القاه
وراء الخلف وجعل كفه صفرا منه ثم ان الله يعطيه في كل حال من احوال الصلوة
جزاء لذلك الفعل فاذا ملك الجزاء تركه فيعطيه ما هو افضل الى ان يصل
الى السجدة فيترك الكل ويفنى عنه ويبقى مع الله وايضا هذا الرفع الايماء
على ان الاقتدار لله وان يديه خاليتين عن الاقتدار فمن رفعها الى الصدر
اعتبر كون الحق في قبلته ومن رفعها الى الاذنين اعتبر كون الحق فوقه
فصل في دعاء التوجيه قيل التوجيه من الله بالله الى الله مع الله في
الله لله على الله من الله ابتداء وبالله ثانيا والى الله غاية وانتهاء ومع
الله من اقترن وفي الله رغبة ولله قربة وعلى الله توكلا اقول يمكن ان يكون
تلك الاشارات مجتمعة في دعاء في التوجيه فوجهت من الله وبالله
لانه لا توجه الا بالله وهذا الابتداء وقوله عالم الغيب والشهادة يفيد
المعية والحنيفية يفيد الرغبة والاسلام هو الانقياد التام وتفويض
الامر الى الملك العلام يفيد التوكل وكون العبادة والمحيى والممات
لله ظاهر وعدم الشرك يفيد الانتهاء الى الله اذ ليس في نظره سوى الله بل الكل

هالك عند الله **فصل** في الوقوف لما كان العبد يناجي ربه في صلوته
ويجعله نصب عينيه في قبلته وللمناجاة مقابلة وهي تكون بين
الطرفين فينبغي ان يتكلم بالتمييز ان يرى ان الله يسمعها وان يقف حتى يسمع
قوله تعالى ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقف حتى يسمع
من الله قوله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يسمع قوله سبحانه اثنى علي
عبدي واذا قال مالك يوم الدين يسمع قوله عز من قائل مجدني عبدي
وفي رواية فوض الي عبدي فالاول راجع الى الحق بحسب ما يليق به من حيث
نسبة العالم اليه والثاني من حيث يقتضي نسبة العالم اليه فقط واذا قال
اياك نعبد واياك نستعين مراعيا حديث اعبد الله كانك تراه مخاطبا
اياه باياك تطلب الحضور يسمع قوله عز شانه هذا بيني وبين عبدي ولعبدي
ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة يسمع قوله جل
جلاله هؤلاء لعبدي ومن تقسيم الحمد يظهر ان الصلوة قسمت بين الله
وبين العبد فكما ان من اول السورة الى مالك يوم الدين تمحضا للحق
اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة للعبد خالصة واياك نعبد
واياك نستعين ايضا برزخية وقع فيها الاشتراك بين العبد والرب وكذلك
السجود لله خالصا لفناء العبد والقيام للعبد خاصة لقيامه في خدمة
مولاه والركوع حالة مشتركة يظهر منها استيلاء الانوار الالهية على موطن
العبد فهيئته بقية ملك العبد المربوب ونصيب ما للرب المشهود وسر
بيانا في الوقت الموعود **وصل** في ذلك فيما روي من صلوة المعراج
ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما امر بالصلوة والتكبيرة فسكت
فقال الله تعالى يا محمد باسمي فقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم سكت

فقال الله تعالى احمدني فقال الحمد لله رب العالمين وهكذا يسكت
في كل آية ويجيبه بلاحقتها فعلى هذا فالسكتات المستحبة انما هي نصاب
لصدور الامر واستماع الخطاب لله عز وجل **فصل** في الاستعاذة
قال الله عز من قائل واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان اعلم
ان المصلي يناجي ربه وهو قاصر عن معرفة ما ينبغي ان يتكلم ويخاطب ربه
في وقت مناجاته فعلم الله عباده ان يناجوه بكلامه سيما القرآن فان المصلي
لا يبها فلا بد ان يستعيذ بالله حين قراءة كلامه وان رخصة مناجاته
من تلبيس اهل البعد والبعيد من كل خطرة يوقعها في الخاطر من ملاحظة
غيره تعالى من حيث النفع والضر بل من حيث الشيئية والوجود قيل العارف
اذا تعوذ ينظر في الحال الموجب للتعوذ وفي حقيقة ما يتعوذ منه وفيما
يعاذ به فاذا غلب عليه ان كل شيء هو بيده سبحانه وانه في نفسه محل التصرف
يقول اعوذ بك منك وهذه هي استعاذة اهل التوحيد حيث يستعيذ فيه
من الاتحاد والحلول والقول بهما ومن نزل من هذه الدرجة استعاذ بالله عما لا يلائم
فعلا وصفة فيقول اعوذ برضاك من سخطك فقد خرج من حظ نفسه
ومن نزل من هذه ايضا يقول اعوذ بمعافاتك من عقوبتك فهذا في حظ
نفسه ومن نزل عن هذه ايضا يقول اعوذ والناس فيما يستقون مذاهب
واعلم انه ذكر في الاستعاذة الاسم الله لانه الجامع لحقايق جميع الاسماء
وفيه حقيقة كل اسم الى ان في مقابله خاطر سوى الله **فصل** في البسملة
قال الله تعالى تعليما لعباده في اوايل كلامه بسم الله الرحمن الرحيم
وقال سبحانه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقال عز من قائل فكلوا مما ذكر
اسم الله عليه وفي الخبر الخلاصي ان المراد بالفاكهة ولحم الطير وامثالها هي العلوم

والمعارف

والمعارف التي يظهر في العالم وينبت في ارض قابلية لاكمل النفوس
الماشية الذي للتعلم فالحقائق والمعارف الالهية نباتات مغروس في
الحبوة وحيوان درعي في حضرة الصفات بكلها النفوس الانسانية التي
وصلت الى اقليم العقل والحق القدسيات وفي الخبر العامي اذا استطعم
الامام من خلفه فليطعمه اي اذا طلب قرآنا في الصلوة حين نسي او وقف
فليقرأ عليه المأموم فسمى القرآن طعاما فلا بد قبل القراءة من البسملة
لهاتين الجهتين وايضا ينبغي للعبد في جميع حركاته وسكناته ان يعتقد
انه لا قوة الا بالله ولا استعانة على شيء الا به سيما في سيره الى الله ودخوله
في حضرة الكبرياء هذا اذا كانت الباء للاستعانة وان يبتدي في كل امره
وشئونه باسمه تعالى ليتذكر نفسه بانه الاول والاخر والمتيمنة وفيه معه
واليه هذا اذا كانت للملابسة وان يسم نفسه بسمة عباد الله وعلامة
الافتقار اليه عز وجلا وفي الباء اذا كانت لمعنى الاسم المشتق من الوسم
كما في خبر وان يكون ذكره اسم الله وقراءته اسم الله تعالى فيتعلق بالذكر
والقراءة وان يكون تحميدا باسم الله اذ الحمد لا يكون الا بالاسم فيتعلق بالحمد
المتأخر عنه في الذكر وهذا عند البعض ارجح من ساير التقديرات فاذا قال
العارف بسم الله علق الباء بما في الحمد من معنى الفعل ثم انه ذكر في البسملة
ثلثة اسماء الاسم الله لكونه للاسماء كالذات للصفات فينبغي ذكره اولا
من حيث انه دليل على الذات كاسماء الاعلام وان لم يتحقق فيها ثم الرحمن ثم
الرحيم من حيث كونهما اسمين له تعالى لا من حيث المرحومين ولا من حيث
اتصافه بالرحمة العامة والخاصة اذ من الفرق عند علماء الاشارة انهما
ورد اسم الحي لا ينبغي ذكر كون منه كلا ولا يتأخر فاذا العارف سيظهر له

من حيث يدل على الذات فقط واما اذا لم يكن كذلك فانه يدل على الاتصاف
والتاثير فسقط توهم التكرار بحسب الاسمين في البسملة والحمد مع كونهما اجزاء
منه **فصل** في القراءة شرع ذلك في حال القيام لوجوه منها ان صفة القيومية
في العبد لكونه قائما والله سبحانه قائم على كل نفس فهو للاشعار بان القيوم
بامر العبد وعنا في صلاحه ومن قيوم السموات والارض في الحقيقة مع ربه كما
ربه وليس لقيام الاجنة شيء وقام اناه اي مقام ثناء فالقيام مقام
توحيد الافعال ولهذا صار اول افعال الصلوة المشيرة الى التوحيدات
الثلثة ومن ثم شرع قراءة الحمد في القيام لانها صريحة في توحيد الافعال
وان الملك لله المتعال ولهذه السورة المباركة اسماء كثيرة منها انها السبع
المثاني والوجه في ذلك انه قد ورد ان ائمتنا عليهم السلام هم السبع المثاني ٥
فالسورة انما سميت بذلك لكونها اشارة الى انوارهم من نزولها وعروجها
الى الله والى بيان كمالاتهم من حيث الجلاء والاستجلاء والحكم مظاهر
المحامد الالهية ومرايا الانوار القدسية والى ان لهم المقام المحمود ولواء
الحمد في اليوم الموعود وبالجملة الى انهم اهل الحمد بل هم الشهداء بل هم الحمد
وذلك لانهم الواحد المخلوق قبل اللوح والقلم الاعلى والعرش والكرسي
والارض والسماء يسبح الله ويقدسه ويحمده وانه يخلقهما الشفعة والاسماء
والبيان ولانه كان [illegible] خلقت جميع الحقائق الالهية بسبب ذلك التسبيح
والتحميد ولا تستبعده من ان يكون التحميد علة الخلق والايجاد اذ الملائكة
شانهم ذلك حيث ظهر من تسبيحهم وتحميدهم هذه الامور من المناهي
وكذا المؤمن اذا سبح التسبيحات الاربع وغيرها يغرس لها شجرة في قيعان
الجنة وكما ورد انه من بعض الاذكار يخلق الحور والغلمان الى غير ذلك

فافهم

فافهم واذا قام العارف بين يدي سيده بالصفة ولم يبق في موقفه ولا في تكبيره
غير ربه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وراى اختصاصه تعالى برداء الكبرياء
واستيثاره بازار العظمة والبهاء فخرج بنزاله متلبسا بلباس الثناء فيشرع بعد
التسمية بالتحميد فيقول كما علمه ربه الحمد لله فان عواقب الثناء ترجع الى الاسم المقدس
والنور الاعظم بمعنى ان كل ثناء على كون من الاكوان فعاقبته الى الله الا الى الله
تصير الامور وذلك لان الثناء على اي شيء كان فهو على صفاته المحمودة
وهي تابع الصفات الالهية فالكل لله الذي ظهرت بتجليه صفاته في عالم الالوهية
التي هي مراة حقائق الاسماء والصفات رب العالمين الذي اسبغ اثار الاسماء
وجودا نوريا في مرتبة الصور الكلي في عالم الربوبي الرحمن الذي رحم بالحقائق
ولا بالدحيث نعت بلطافة مرتبتها وصفاء نورانيتها في هذه العوالم الكثيفة
انهم اشياء بانفسها وانوار دون الله تعالى فاظهرها في عالم الشهادة
حتى يتضح لها انها فاقرة الذوات هالكة الهويات فيعلموا انهم عباد
مربوبون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا انفسهم ينصرون وهذا
وان كان في الظاهر عقوبة مترتبة على ذنب العصيان الا انه رحمة عظيمة واحسان
الرحيم بانه رحيم حيث خلصهم من ورطة الطبع بظهور تلك الانوار في النشاة
الانسانية التي هي الكلمة الجامعة فهو رحمن العالمين ورحيم المؤمنين في رجوع
الاشياء بتقويم النشاة الاخرة وتحقق سلطان الاخرة فهو مالك يوم الدين
حيث يملك الكل ويحيط بالعقل والجهل الاحاطة بالامتنان وبملكه لهذا
السلطان وبتمام هذه الاسماء الحسنى يتجلى للعبد ان الذات الله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن وانه معكم اينما كنتم فالاولية لاسم الله والاخرية
لمالك يوم الدين والظاهرية للرحمن الرحيم والباطنية للرحيم لانه لم يجمع الكل في النشاة

والمعين رب العالمين لقوله تعالى حكاية عن ابرهيم ان معى ربي سيهدين فلما
لم يبق في نظر العارف في هذه الحالة شيء سوى الله لظهر توحيده برفع الخطاب
فجعله مواجها في قبلته الاعلى وجه التحديد بل على ما ادب الله على لسان نبيه
اعبد الله كانك تراه وقال اياك نعبد واياك نستعين وصيغة الجمع في
العبادة والاستعانة لان العابدين في العبد كثيرة من اجزائه واعضائه وقواه
وحدوده واطرافه والكل يطلب العون منه تعالى في ذلك اذ الصلوة تعم
حكمها ظاهر المصلى وباطنه بحيث لم يبق منه جزء ولا عضو فلابد ان يقف
بكله ويركع بكله ويسجد بكله وبالجملة يعبد الله بكله فمتى لم يكن كذلك
في عبادة ربه كان كاذبا في قوله ثم اهدنا ينبغي ان يحضر عنده الاسم الالهي
الهادي ويسأله ان يبين له الصراط ويثبته عليه ويوفقه للمشي عليه بحسب حاله
الصراط الذي عليه الرب فيكون الرب تعالى اماما وناصيته بيده المستقيم
الذي هو الوسط من الافراط والتفريط والغلو والتقصير صراط النبيين
والصديقين والاولياء والصالحين الذين انعمت عليهم بالهداية الى غير
المغضوب عليهم من الذين دعاهم النبي الى الاقرار بالرسالة بحي على الصلوة
والفلاح فلم يجيبوه ولا الضالين الذين دعاهم الى القول بالولاية بحي على خير
العمل فلم يجيبوه وان اجاب بعضهم في الظاهر لكن ضيعوه وضيعوا
وصل في ذلك اعلم ان الثناء هو اظهار صفة الكمال العلا فصاح منعوت
الجلال والجمال وان الالوهية تجمع الاسماء الحسنى والصفات العليا والعلاء
الاول الذي هو النور الجامع لرتبة الانوار الالهية وجملة المحامد السبحانية
اول مظهر لهذه الصفات واقدم مرآة لتلك الكمالات فهو نفس الحامد على
الاجمال وعين الثناء على وجه الكمال فاقول الحمد لله ثناء على النور العقلي والعالم

العلوي انما هو يسبح لله المتعال ومظهر مقدم لصفات الجمال والجلال
فله الالوهية العظمى والوحدانية الكبرى رب العالمين الذي يعلم ويثبته
خلق النفس الكلية الالهية التي هي عبده المربوب في المسجد الاقصى وبيت المقدس
الذي هو المادة الكلية الواقعة في فضاء القدس ومحل قيام الناس لرب
العالمين ومحط ركوعهم مع الراكعين وموضع سجودهم مع الساجدين
الرحمن الذي خلق الطبيعة الكلية بارادته لترتبط النفس بها الى الاعانة
كالانثى الذاتية ويهبط الى ارض عبادتها ويسعى لقيام الصلوة ۵
في هذا المسجد الاقصى الرحيم الذي اخرج النفوس البشرية المؤمنة التي
انزلت في خلوات هذه الليلة الظلماء واستنارت بنور ربها
ورجعت صافية نقية الى بارئها حيث نوديت ارجعي الى ربك راضية
مرضية فعادت الى بداياتها في السلسلة البدوية واحاطت ضالتها
التي هي الحكم والانوار الالهية في اقصى غرب العالم السفلي جامعا معرفته
الجواهر العقلية التي انتشرت في معادن الجبال الرواسي فهو مالك يوم
الدين حيث يرجع اليه الكل رجوعا اولا الى الكمال لنفس البشرية بحسب
ورجوعها الى الله ذي الجلال قبلا اثنان قامت النشأة الدنيا وتقوم
النشأة الاخرى فاذا رجعت هذه اللطائف الى رب العالمين خاطبته
بكلامه ووجهته مع فنائها وبقائها فقالت اياك نعبد اى نطلبك
في كل ذرة فوجدناك وتعرفت الينا في كل شيء فعرفناك حيث تجليت
لنا فيها بكمالاتك وتراءيت لنا بصفات ذاتك وكان مولانا ۵
جعفر بن محمد الصادق عليه السلم لم يزل يكرر هذه الاية في صلوته حتى سمعها
من قائلها واياك نستعين في هذا الطلب فاعنتنا بالوصول الى المطلب

فمنه ومنك واليك تفضل علينا واهدنا الصراط المستقيم الذي هو
وليك علي ابن ابيطالب عليه السلام وهو منك كما ورد ان عليا ممسوس في ذات الله
ومن الرسول كنفسه ومن اولاد الرسول اعين نورهم ومن الانبياء نفس ظهورهم
ومن الكل صراطهم فهو علي الصراط هؤلاء الذين انعمت عليهم حيث وصلوا
به اليك وتوسلوا به الى كل خير لديك وكانوا معهم سرا وهم منه كالاعضا
والقوى غير المغضوب عليهم من الذين افرطوا فيه من الغالين فجعلوه الاله العالمين
ولا الضالين الذين لم يصلوا الى معرفته وما قاسوا في مقامه فما عرفوه
حق معرفته فضلوا عن الطريق واضلوا كثيرا عن سبيله والحمد لله رب العالمين
وصل اخر بسم الله بعلي الولي الذي هو الاسم الاعظم لله والنور المقدم وقع
ابتداء الاشياء وحصل الانشاء وكمال الجلاء والاستجلاء الرحمن الذي هبط
الولي لخروج الاشياء الى الوجود الرحيم الذي هدايته على عترة العابدين المعبود
الحمد لله الكل تعالى الذي يتجلى بنفسه لنفسه في مرتبة غيبه فرأى ذاته ونوره علي
الذي هو باطن محمد عليهما وآلهما السلام في هذه المرآة لا يزال لما اختاره
لنفسه من الاسماء والصفات انما هو العلي العظيم وانه في ام الكتاب لدينا
لعلي حكيم وراى الرسول صلى الله عليه وآله في معراجه عليا يمشي امامه حتى دخل في النور
وكلم الله على لسان علي نبينا في المعراج وموسى في الطور وكلم عيسى في المهد
على لسانه وهو صبي يوصف ذلك الولي رب العالمين الذي ظهرت
الربوبية بتجلي المرتبة الالهية السابقة بنفسها لنفسها على نفسها فصار
على العالم العالمين ونور السموات والارضين وتعلمت الملائكة منه العلوم
وقام كل بامره في مقام معلوم فصاروا باذنه يعملون ولا يعصون
ويفعلون ما يؤمرون الرحمن الذي تجلت جوهرة الربوبية فظهرت العبودية

فصار

فصار علي مصور الارحام ومنبت النبات ومورق الاشجار ومثمر
الثمار وقاسم الارزاق ومغيث اهل الوفاق ومهلك المعروفين من اهل
النفاق الرحيم حيث هدى الانبياء والاولياء بنوره على من الظلمات
ونجاهم من البليات وتفضل على فقراء الامة المرحومة بان جعله اماما
لهم في الدنيا والاخرة فصاروا خير امة اخرجت للناس وفازوا بالفضيلة
على جميع الاكياس مالك يوم الدين حيث جعل مولى العباد بيد
علي في الدنيا ويوم التناد وكذا اعمالهم في الدنيا يعرض على المولى في
الصباح والمساء وحسابهم على علي في العقبى ليجزي الذين اساؤا
بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى فانه لهم سلطان في دار القرار
وجعله قسيم الجنة والنار اياك نعبد فحيث لا ابينا لعلي واياك نستعين
حيث نستعين بهذا الولي اهدنا الصراط المستقيم ثبتنا على ولايته
او اجعلنا على منهاجه واوصلنا اليه بان تجعلنا من المارين عليه
او من منازل هذا الصراط ومن قوى ذلك الانسان او ارنا نوره حتى نفوز
بالنورانية فصل ولنذكر بعد ذلك تفسير سورة القدر المباركة
لانها في شان الائمة الطاهرة ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله
في صلوة المعراج بقرائتها في الركعة الثانية بعدما امره بسوله في الركعة
الاولى بقراءة التوحيد للتلازم الواقع بين مدلوليهما بل الولاية كما مر
مرارا مندمجة في التوحيد وسيذكر المص رحمه الله اخبارا في تفسير
سورة التوحيد وهذا الذي نذكره في تفسير سورة القدر مما استفيد
من آثارهم واقتبس من انوارهم المقدسة قال الله تعالى
وعز من قائل بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه اعلم ان بنزول

على عليه السلام من عالم الغيب الذي هو مدلول الضمير في ليلة القدر بسبب
ليلة الله هي فاطمة عليها السلام لانه لو لم ينزل من السماء لم يكن كفوا احد
وما طلعت انوار ائمة الهدى ولابد في المشية من طلوعها لانه لولاهم ما نزل
امر من السماء وما ادريك ما ليلة القدر كرر الليلة المباركة لتعدد
مظاهرها فاحديها اشارة الى مرتبة فاطمة عليها السلام بحسب نفسها
والثانية بان تلك الليلة انما هي من زمان غروب شمس النبوة من حين
فوت النبي الى حين ظهور القائم عليه السلام والثالثة انها ظهرت باجمالها
في واحدة او ثلث ليال من شهر رمضان ليلة القدر خير من الف شهر
هذه الليلة المباركة خير من الف مؤمن لانه لولاها ما امن احد بالله
وما عرف الله وما عبد الله وكذا السنون التي من زمان غيبة النبي الى ظهور
القائم خير من السنين التي قبل بعثه وكذا الليلة التي في شهر رمضان
من ظهور سلطان ال محمد خير من الف شهر ملك فيه بنو امية تنزل
الملئكة والروح فيها اي بسبب هذه الليلة ونزول هذا النور
فيها تنزلت الجواهر العقلية والانوار الالهية التي بمنزلة القوى والارواح
للنفس الكلية الالهية في عالم الشهادة وتنزل الروح التي هي بعبارة
اخرى نفس هذه الليلة المباركة في تلك الليلة الطويلة التي غابت فيها
شمس النبوة وتنزل الملئكة والروح جميعا في الليلة القصيرة من شهر
رمضان من كل امر من الامور الالهية والقاء الجواهر العقلية المتلبسة
بلا لبسة الكونية على قائم ال محمد صلى الله عليه واله السلام ورحمة
للعالمين هذه الليالي الثلث من زمان فقدان حجية النبي صلى الله
عليه واله حتى مطلع الفجر في يوم القيمة بظهور قائم الائمة الطاهرة صلى الله

عليهم

عليهم اجمعين وعجل فرجهم ونصرتهم للدين **فصل** في الركوع لما كان
المصلي في وقوفه بين يدي ربه لم تنسبه الى القيومية وذلك مما يوهم التشبيه
وان كان في الاسم عند اهل الحق والمعرفة فبالحري ان ينتقل من هذه الحالة
الى الحالة التي تختص بالعبد من الخشوع فلذلك امر بالركوع لانه
لما نظر في قيامه وقراءته الى عظمة الله وتنزهه عن الافتقار الى الغير
في فعل او صفة فسبحه باسم الرب الذي هو من الامهات ومن الاسماء الكثيرة
الدور في الايات مضافا الى المربوب اذ العلماء تفاضلوا في مراتب المعرفة
فمنهم من يسبحه عما يعتقد فيه الاخر متعقبا بالاسم الاعظم العظيم لكون
الركوع متسببا من روية عظمته تعالى وعدم شركة غيره معه في شيء
من الاشياء فاذا فرغ من التسبيح الى اسم من الاسماء وذكر الاسم تحميده بل التسبيح
نفس تحميده كما لا يخفى وفي الخبر لما نزل قوله عز وجل فسبح باسم ربك العظيم
قال رسول الله اجعلوها في ركوعكم هذا ما قالوا في الركوع مع زيادات
منا لطيفة **وصل** الركوع على ما ارى اشارة الى توحيد الاسماء والصفات
وقد عرفت ان القيام مقام توحيد الافعال وذلك لان المصلي لما تحقق
بالتوحيد الفعلي ولا ريب ان هذه الافعال انما هي اثار الاسماء فيرى ان
الاسماء مع كثرتها انما جمعت تحت اسم واحد جامع لحقائقها فيدخل
تحت سلطان ذلك الاسم ويغني عن استقلاله بالفعل بل عن الفعل راسا
ويكتفي بكونه في الحقيقة من الحقائق المندرجة تحت ذلك الاسم الاسنى
فيخضع له بالانحناء مشيرا الى نفي الفعل عن نفسه واكتفائه من اثاره
ببقاء اسمه في الاسماء فاذا راى سلطان الاسم وعظمته فيذكر بعد
الاسم الرب ما اختاره الله لنفسه اولا من الاسماء وهو العظيم اذ العظمة

عقبه بالتحميد مشيرا الى ان
بالتحميد لا يخرج منه الصر
التسبيح صح

بالنسبة الى الاسماء وباعتبار الصفات الحسنى كان الاعلى باعتبار الذات
من دونه اعتبار النعوت والصفات **فصل** في آداب الركوع في مصباح الشريعة
مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في باب الركوع لا يركع عبد لله تعالى ركوعا
على الحقيقة الا زينه الله بنور بهائه واظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة
اصفيائه والركوع اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي
الركوع ادب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع
ركوع خاشع لله بقلبه متذلل وجل تحت سلطانه خافض له بجوارحه
خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين وحكي ان ربيع بن
خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا اصبح تزفر وقال آه سبق
المخلصون وقطع بنا واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك
في القيام بخدمته الا بعونه وفر بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه
ومكائده فان الله يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم الى اصول التواضع
والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم **بيان اجمالي**
الركوع الحقيقي اشارة الى الفناء عن الصفات وعن التزلزل فيها مع ابقائها
بقرينة تفريع التزيين بنور البهاء والاظلال تحت ظل الكبرياء اذ بعد
ما فني العابد من الاسماء والصفات يحيى ببقاء الله المعبر عنه بظل الكبرياء
اذ الكبرياء انما هي بحسب الذات ومن هو الركوع اول والسجود ثان يؤيد ذلك
اذ ما لم يصر فانيا عن الاول لم يتحقق بالثاني واما قوله فاركع الى آخر
الباب فاشارات الى لطائف احوال الركوع احدها ان الركوع انما هو
خشوع لله وتذلل واقرار بانه ما ادى في قيامه بخدمته حقها فلجأ
الى الركوع يتحسر على ما يفوته ويجمع ما يعطيه الله من فوائد الراكعين بفضله

والثاني استواء الظهر المستحب في الركوع اشارة الى انه وان قصر في القيام
بالخدمة لكن اتى بالخضوع والذل من دون اعوجاج من افتقار الى حريم
الله والثالث ان الانحطاط هو الانحطاط من المرتبة التي حسبها النفس حالة
القيام من المشاركة في الصفة فاذا الركوع اظهار للخضوع والذل واعتقاد ان
القيام بالخدمة ليس الا بعون الله اذ لا قوة الا بالله والرابع ان هذا
الانحطاط هو فرار بالقلب عن وساوس الشيطان حيث يخطر في القيام
الاستقلال وللمدخلية في شيء فان المراد بالركوع واظهار الذلة والخشوع
والاطلاع على صيغة الافتعال بمعنى الاشراف والاستيلاء **فصل** في رفع
الراس من الركوع لما كان الركوع هو الخضوع لاجل ما راى المصلي في قيامه انه
قام بنفسه فيركع بجميع اعضائه ويخفض بتمام جوارحه لاذ له لذي الجبارة
الله بان يعلم ان الله هو الذي قواه واقامه ثانيا فيرفع راسه ويقول
نيابة عن الله فان الله يقول على لسان عبده سمع الله لمن حمده في ركوعه حيث
نسب الكل اليه واعتقد انه القيوم والقائم على كل نفس بما كسبت **فصل**
في صلوة المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما تطأطأ راسه للركوع
رأى عرشه العظيم فقال سبحان ربي العظيم وبحمده ولما رفع راسه رأى
نورا ادهشه فخر مغشيا عليه وسجد **فصل** في السجود المصلي في
سجوده يطلب اصل نشأته وهو التراب ولذا استحب السجود على التربة
الله عن ذلك فالركوع حالة وجوده المستفاد من ربه والقيام طلب اصل
روحه والسجود حالة امكانه وعدمه الذاتي فالركوع حالة برزخية
بين القيام والسجود فله نسبة الى الله والعالم الالهي الذي منه نوره ونسبة
الى الاشياء بالفناء والفقر الذاتي الذي هو اصله وذكر الاسم الرب لما قلنا

والتعقيب بالاعلى لانه لما طلب بقيامه روحه التي هي من العالم العلوي
نفى في السجود علو نفسه رأسا واثبته لله تعالى وفي الخبر انه لما نزل قوله
سبحانه سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وآله اجعلوها في
سجودكم وصل السجود عندنا اشارة الى مقام توحيد الذات والحكم
باستهلاك الاسماء والصفات في هذه المرتبة وفناء كل شيء سوى الذات
الاحدية التي لها البقاء سرمدا وذكر الاسم الرب فيه لما سبق والاعلى لكونه
العلو باعتبار الذات فله العلو الاعلى فوق كل عال لانه فناء كل شيء وهلاكه
الا وجه ربك ذي الجلال وصل اخر في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة وما افلح
من خلى بربه في مثل ذلك الحال تشبيها بمخادع نفسه غافلا لاهيا عما اعد
الله للساجدين من البشر العاجل وراحة الاجل ولا بعد عن الله ابدا
من احسن تقربه في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته
بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم
انه خلق من تراب يطاه الخلق وانه ركب من نطفة يستقذرها كل احد
وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه بالقلب والسر والروح
فمن قرب منه بعد من غيره الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود
الا بالتواري عن جميع الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون كذلك
امر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلوته بشيء دون الله فهو قريب
من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته قال الله عز وجل
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
قال الله تعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي

وابتغاء

وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل بغيري
فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين بيان
حقيقة السجود هو الذي ذكره عليه السلام بقوله ما افلح من خلا بربه الخلق
مع الله لا يتيسر الا بالفناء عن كل شيء حتى عن نفسه وعن كونه فانيا لان
الله لا يخلو مع من يشرك به شيئا والبشر العاجل هو ان الله معه ويتولى
امره وتقويمه والراحة الاجل هو كونه في مقعد صدق عند مليك مقتدر
وقوله علم انه خلق اشارة الى الوجه الاعلى الذي ذكر في الفصل وقوله
وقد جعل الله معنى السجود الى اخره اشارة الى ما ذكرنا في الوصل و
التقرب بالقلب اول وبالروح ثان وبالسر ثالث والاول هو الفناء
عن كل شيء والتقرب والتعلق بالله ولا ريب انه يستدعي متعلقا
ومتعلقا به والثاني هو الفناء عن نفسه والثالث هو الفناء
عن الفناء وهو مقام محو المحو الا الى الله تصير الامور فصل في رفع
الرأس من السجود لما اخترق عالم الخلق في نظر الساجد من اجل الدعاوي
التي كانت من اول الصلوة الى حين السجود وفيه ترتفع الحجب والاستار
ويخترق ويخرق سبحات وجهه سبحانه وهي عالم الانوار ما ادركه
البصر من عالم الخلق ولا اثار ثم يستغرق المصلي في نور الله تعالى و
يتقلب فيه بحيث يشاء فيرفع رأسه من السجود اشارة الى ان المخترق
منه هو الدعوى ووصل الى عالم الانوار الذي ليس فيه دعوى اصلا
فيستغفر من الدعوى ويتوب الى ربه الاعلى برجوعه الى عالم النور
والضياء وصل في صلوة المعراج على ما في الروايات السابقة ثم
لما رفع رأسه من السجدة الاولى راى في ذلك النور اي النور الذي رآه حين

الرفع من الركوع فادهشه فسجد فلما رفع راسه ثانية لم يرد ذلك النور
فصل في الطمانينة في المواضع المستحبة المراد بها الثبات لتحقيق
ما يتجلى له في المقامات فاذا اسرع والتي بعده ما يطلق عليه الاسم فقد
فاته علم كثير ومن ثبت واستقر بالاطمينان يتمكن من ان ينال الرشاد من
الشان فصل في التشهد حقيقة التشهد هو الاستحضار فانه تفعل
من الشهود وهو الحضور والانسان مامور في صلوته بالحضور والحاضر
انما يخاطب بالعلم فمن الناس من يكون علمه بالله على ما ينتجه النظر
الفكري والعارف بمرتبة للتعين كان حاصلا له ويرجع في ذلك
الى ما قاله الانبياء وما نطق به القران والى ما عقل عن الله واخذ
منه فيشهد له تعالى بالالوهية ولنبيه بالرسالة وللاوصياء بالخلافة
على النحو الذي افاض عليه وصل لما كان التشهد بعد كمال الركعتين
وتمام السجدتين وقد علمت ان السجدة عبارة عن مقام فناء الفناء
ومحو المحو وفي فصل الله تعالى حيث وعدانه يلبس الفاني بقاء ببقائه
ويخلع عليه حلل من خلع اصفيائه فالتشهد هي حالة بقاء العبد ببقاء
الله ورؤية ان الامر بيد الله وان الملك لله الواحد القهار وصل اخر
في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم التشهد ثناء على الله فكن عبدا
له في السر خاضعا له في الفعل كما انك عبد له بالقول والدعوى وصل
صدق لسانك بصفاء صدق سرك فانه خلقك عبدا وامرك ان
تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته
لك وتعلم ان نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته
ومشيته وهم عاجزون عن اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه

الى ان تعجلها او الملال لا يستظهار من ... المختصة بكل مقام من المقامات

وارادته

وارادته قال الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة
من امرهم سبحان الله عما يشركون فكن لله عبدا ذاكرا بالقول والدعوى وصل
صدق لسانك بصفاء سرك فانه خلقك فعز وجل ان يكون ارادة
ومشيته واستعمل العبودية والرضا بحكمه وبالعبادة في اداء اوامره
وقد امرك بالصلوة على نبيه محمد صلى الله عليه واله فاوصل صلوته بصلوته
وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر ان لا يفوتك بركات معرفة حرمته
فتحرم عن فايدة صلوته وامره بالاستغفار والشفاعة فيك ان اتيت
بالواجب في الامر والنهي والسنن والادب وتعلم جليل مرتبته عند الله
بيان قوله عليه السلم وان تحقق عبوديتك الى قوله في اداء اوامره اشارة
الى حقيقة التشهد كما قلنا والى ما يذكر فيه من الشهادة بالالوهية
وقوله فقد امرك اشارة الى ما يذكر الشهادة بالرسالة والصلوة على الرسول
وقوله وامره عطف على امرك اي امر الرسول الحجاز انك بالشفاعة وقوله
تعلم اما عطف على قوله اتيت لكون الماضي في الشرط بمعنى المضارع
او عطف على علة مقدرة للصلوة على النبي والله اعلم فصل في التسليم في
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم معنى التسليم في دبر كل صلوة الامان
اي من ادى امر الله وسنة نبيه خاضعا له خاشعا منه فله الامان من بلاء
الدنيا وبراءة من عذاب الاخرة والسلم اسم من اسماء الله اودعه خلقه
ليستعملوا معناه في المعاملات والامانات والانصافات وتصديق
مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام
موضعه وتؤدي معناه فاتق الله ليسلم منك دينك وقلبك وعقلك
فلا تدنسها بظلمة المعاصي ولتسلم حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم

ارادة ومشية لاحد الا بعد ارادته

مثل بيوت معاملاتك معهم ثم صديقك ثم عدوك فان لم يسلم منه
من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلم موضعه فلا سلام ه
ولا تسليم وكان كاذبا فى سلامه وافشائه فى الخلق **وصل** قيل
ان التسليم لا يصح من المصلى الا ان يكون حال الصلوة مناجيا لربه غايبا ه
عن كل ما سواه من الاكوان والحضار فاذا اراد الخروج منها ومن افعالها
الى حالة مشاهدة الاكوان والجماعة سلم عليهم سلام القادم لغيبته فى صلوته
عن الاكوان وعنهم ولكونه عند ربه فان كان المصلى لم يزل مع الاكوان والجماعة
ووساوس النفس ومناجاة الابالسة فكيف يسلم عليهم فانه ما برح من عندهم
فلا يستوى هذا المصلى حيث يشعر بسلامه انه كان عند ربه خارجا ه
عن مجلس الجماعة ولم يكن كذلك واما سلام العارف فلانتقاله من حالة
الى حالة فلم تسليمة على من ينتقل عنه وتسليمه على من ينتقل اليه اقول فالتسليمات
التى على النبى صلى الله عليه وآله وعلى ساير الانبياء وعلى عباد الله الصالحين
انما هى للخروج من عندهم والتسليمة الاخيرة التى للحاضرين انما هى للدخول
عليهم **فصل** فى تكبيرات الاختتام هى نتايج التوحيدات الثلثة
المشتملة عليها الصلوة وهى تدارك التكبيرات الافتتاح هى نتايج التوجيهات
الافتتاح اعيدت لتذكر الحكم بعد الكمال فالاولى الله اكبر من ان يكون معه
شئ والثانية الله اكبر من ان يوصف والثالثة الله اكبر من ان يجرى فى
ملكه الا ما يشاء وبعبارة اخرى ليس فى العالم الاعلى ولا الاوسط
ولا الاسفل الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله والحمد لله **كتاب اسرار الزكوة**
اعلم ان الزكوة فى اللغة النماء والزيادة والقرب والصلاح والطهارة سميت
بها الصدقة الواجبة الشرعية لانها الموجب لزيادة الثواب حيث يكون

الواحد

الواحد بعشرة اضعافا اولزيادة المال ونمائه ولكونها مما يتقرب
بها الى الله بالاطاعة والامتثال لامره او بالتخلق باسمه المعطى والمغنى
والجواد والعزيز ذلك من الاسماء المناسبة ولتطهيره المال من حقوق الله
ذى الجلال ومن حقوق الادميين وتطهير القلوب من اوساخ حب المال
والميل الى جمعه ولكونها مما يصلح باعطائها شان الفقير اولمواساة الاغنياء
لان الله كلفنا اهل الصحة القيام بشان اهل الزمانة وحقيق على من
يمنع رحمته من منع حق الله وان فيه من ذلك شكر نعم الله والطمع فى الزيادة
مع ما فيه من الرافة والرحمة لاهل الضعف وتقوية الفقراء والمعونة لهم على
امر الدين وهو عظة لاهل الدنيا وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الاخرة والخوف
من ان يصير الاغنياء امثال الفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم ما بقى
مسلم فقيرا محتاجا وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا الا بذنوب الاغنياء
كذا ورد فى الاخبار ثم اعلم ان الزكوة زكوتان زكوة الاموال والاعيان
وزكوة الروس والابدان اما الثانى فقسمان زكوة الفطرة وزكوة الاعضاء
والقوى والاول يكون فى النقدين والانعام الثلث والغلات الاربع ففى
الاولين ربع العشر لكن نصابها يختلف وفى الثانى ايضا ربع العشر
اما فى الغنم فظاهر واما فى البقر فلان نصابه الاول وان كان ثلثين لكن
الكمال والاستقرار فى الاربعين واما فى الابل فلانه وان كان النصاب
الاول فيها الخمس لكن الظاهر انها بوازى الاربعين والحاق الابل لانه
وان كان بالنصاب الاول من الغنم ولهذا تكون فيهما شاة وفى الغلات العشر
من غير الكسور المسببة وان الاغلب فيها ربع العشر فيما سوى الغلات ونحن
نذكر فى اسرارها بعون الله تعالى مفاتيح احدها سر اختصاص الكسر العشرى

او نصفه ويظهر من ذلك ان اكثر انواع
الزكوة انما هو على الكسر العشرى

من بين الكسور بالزكوة مطلقا واستقرار ذلك الكسر بعشر في الغلات
والثاني اختصاص ربع العشر بما سوى الغلات والثالث بيان زكوة
القوى والاعضاء وما يتعلق بها ومن الله المعونة في البدو والخاتمة

المفتاح الاول في بيان السر الذي اختصت به نسبة العشر من بين النسب
بالزكوة مطلقا وانها جرت في الغلات وذلك لتوافق النسبة للاضعاف
التي للحسنات لكون الحسنة تجازى بعشر امثالها فيكون هذا الكسر في تمامه
عشرة امثاله في المجازاة بعد الواحد فكانه اعطى الكل لله وبرأ نفسه من
نسبة الملك اليها فيباح بالسبعين والسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء
واما سر جريانها في الغلات فهو ان الانسان في جزء من النبات فقد ورد
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكرموا عمتكم النخلة بل هو نبات سماوي كما قال عز
من قائل والله انبتكم من الارض نباتا وفي الخبر انما الكرم الرجل المؤمن
وهذا الجزء واحد من عشرة لان له من الحقل حصة وكذا من النفس والهيولى
والصورة والجسم والاعراض والمعدن والنبات والحيوان والصور
الانسانية فله من النبات نصيب العشر بالوضع الالهي واما نصف العشر فهو
تفضل من الله على الاغنياء حيث كثرت عليهم المؤنة فيما يسقى بالدلاء

المفتاح الثاني في بيان سر اختصاص ربع العشر بما سوى الغلات
اما اصل العشر فلما ذكرنا من الوجهين واما ربع العشر فلما روي عن ابي عبد الله
مولانا الصادق عليه السلام قال انما جعل الله الزكوة في كل الف خمسة وعشرين
درهما لانه خلق الخلق فعلم غنيهم وفقيرهم وقويهم وضعيفهم فجعل من
كل الف خمسة وعشرين مسكينا لولا ذلك لزادهم الله لانه خالقهم
وهو اعلم بهم اقول فعلى هذا يكون في كل اربعين انسانا مسكين واحد على

قياس

قياس ربع العشر كالامر في الزكوة التي نحن بصددها كذلك واما سر هذا
الجزء الشريف فان تعلم اولا انه كالاعمال التي تصعد من الخلق الى الحق يزيد
الواحد منها عشرة الى السبعين والسبعمائة فصاعدا لقوله تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها وقوله سبحانه مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا
كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
كذلك الانوار التي تنزل من السماء والحقائق التي تنزل الى النشاة الاولى
الدنيا ينتشر نورها الى حد يمكن ان يستضئ بنورها من الحقائق التي تقبل
الارضية المناسبة لها وكما ان تلك الاعمال الخلقية كانت فاقرة ضعيفة
النور في عالمها وكلما صعدت تزايدت نورانيتها الى ما شاء الله
كذلك هذه الحقائق النورية النازلة كلما تفرقت من معدن ظهورها الذي هو
اكمل اشخاص تلك النشاة ضعفت نورانيتها الحدية فغلب عليها جهة ظلمة
هذه الدار فكلما غلبت النورانية قويت النسبة الى المبدأ الاعلى وضعفت
الرغبة الى دار الدنيا فلا يهم بجمع زخارفها فيغلب عليه الفقر والمسكنة
وكلما اضعفت النورانية غلبت الجهة الدنيوية فيركن اليها والى تحصيل متاعها
وجمع كل ما هو زينة للحيوة الدنيا وبالجملة فالواحدة من جهة الخلق اذا
صعدت الى الله ارتاشت وكلما قربت من عالم الامر اشتدت نورانيتها
فصارت عشرة او سبعين او سبعمائة الى غير ذلك من الاعداد التي نطق
الشارع بتعيينها في كل واحد من العبادات والواحدة من عالم الامر اذا
تنزلت الى عالم الخلق انتشرت وتفرقت نورانيتها وضوءها فصارت بحيث
يستضئ ببعض تلك الانوار كل العوالم الوجودية وبعض منها اشد من الام
وبعضها جماعة قلت وكثرت الى ان انتهى النور الجزئية يستضئ به الاربعين

لا اقل من ذلك كما ستعرف ان شاء الله واما ستر الاعمال بانها الممرود
على كل سماء من السبع وعلى العرش والكرسي اذا صارت مقبولة فيها غير مردودة
الى صاحبها يستزيد شرفا وبهاء ويكتسب ضياء ونماء كما هو المصرح به في خبر
صعود الاعمال الى ذلك لان السموات خلقت من انوار مختلفة في الاضاءة والنورية
فالمستترة هذه الاعمال في النورية من جنسها ويمكن ان يصعد اليها كما لا يخفى
او لانها لما صارت مقبولة في كل سماء جوزيت بما يناسب تلك المرتبة فيه
نورا وكانت تصير بسبب قبول الملائكة الموكلة مكتوبة في كل سماء فيلتئم
صاحبها برقيتها مقبولة في نفسها وفي السموات مع العرش والكرسي وهي عشر ٤٥٧
مراتب فلذلك ورد عشرة امثالها ثم ان ذلك الجماعة لم يبلغ مرتبتهم علومهم
الى ما سوى هذا التسع واما السبعون والسبعمائة فما زاد فهي لجماعة نفيذون
على خرق الحجب السبعين والسبعمائة وغيرها فيبصرون ما ستر الانوار فوق كل
قد فرغ سمعك فيما افدناك من خلق الاصفياء من نفس الانبياء والاولياء
لكن اظنك تحتاج ههنا الى تثقيف عصاك بضرب اخر من الكلام في الخبايا
التي في الزوايا اعلم انه من المستبين في القواعد العقلية والشواهد النقلية
ان السموات والارض وما بينهما وما تحتهما والعرش والكرسي وما فيهما
وما فوقهما انما يقوم بوجود خليفة الله كما يدل عليه خبر المعراج من ان في كل
سماء وفيما فوقها صورة علي والملائكة يزورونها ويتبركون بها و
يستفيدون منها من ان الامام لو لم يكن في الارض ساعة لساخت باهلها
وما ورد سوى الى غير ذلك من الاخبار ثم ان خلفاء الله واولياءه يتفاوتون
بحسب مراتبهم وتفاوت درجاتهم الى ما اكمل منه لانتهاء الحدوده
الخلقية بالضرورة وهو الذي يقوم به وجود جميع الانبياء والاولياء

وكذلك

وكذلك النشآت الوجودية من الاولى الى الاخرى وهو الكامل الذي لا اكمل
ولا اقرب منه الى الله جل وعلا وهو نبينا سيد الكونين وامام العالمين بحكم
النص والكشف بل العقل الصريح الصرف فكما استنارت بنوره الذي هو
نور الانوار جميع عوالم الوجود والبسوا من ضوئه الذي هو نور على نور حلية
الظهور والشهود فكذا استنارت بنور كل من اكتسب من نوره وصح نسبته
القرب اليه والى خلفائه من الانبياء والاصفياء والمؤمنين والاتقياء
طائفة من شيعتهم وامتهم فبعضهم بالنسبة الى امته وبعضهم النظر الى طائفة
مخصوصة وبعضهم بالقياس الى اهل محلته وبعضهم بالاضافة الى اهل بيته
على اختلاف مراتب نورانيتهم وتفاوت درجات شعتهم وتلك سنة الله
التي جرت لعباده وعلى ذلك بعثوا حيث بعث من الله برسالاته وافضل تلك الاضاءة
وما لا يمكن ان يكون بعد مرتبة هو ان يستنير بذلك النور اربعون بيتا
من بيوت الابدان العنصرية من كل عضو ذلك الولي من جملة الاربعين
وسر ذلك ان الجهات الخلقية اربع كما ورد في هذا الكتاب ان شاء
الله ان الاسم الذي هو المخلوق الاول له اربعة حدود ودونها عالم الاجسام
الذي هو عالم الجهات والكميات فالجهات المستنيرة للمؤمن المسكين على
النوري من كل جهة عشرة ابدان مع ذلك المؤمن عشرة فهو ان النور الذي هو عالم
الامر واللطيفة الغيبية لما صدرت من القلم الاعلى ونقش على اللوح
ثم تنزلت الى العرش والكرسي فمرت على السموات السبع فاكتسبت في كل
واحد من المنازل العشرة التي من اللوح الى الفلك القمري قوة بها يقوى
على اضاءة ما حولها فلذلك افاضت من كل جهة عشرة سوى جهة الشمال
فانها جهة ضعيفة غلبت عليها الظلمة بحسب كدورة ذاتها فلذلك

الذي نزل [illegible] اربعين [illegible]
من كل جهة سوى [illegible]

[illegible]

يكون ركونها الى زخارف الدنيوية والكتساب منافع تلك الدار الفانية
اكثر والسعي في عمارتها واكتساب نقودها وحبوبها وانعامها اغلب
الذي هو صاحب النواميس الغالب عليه جهة النفس والفاقر الى الله والاقبال
الى المبدأ الاعلى والنجاة في غرور دار الغرور والانقطاع الى دار السرور ورفض
الشهوات الدنيوية من حب النساء والبنين والقناطير المقنطرة فلذلك صار
في العناية الالهية والحكمة الربانية وجود واحد فقير في الاربعين سنة جارية
ولن تجد لسنة الله تبديلا فالمؤمن بالنسبة الحضرة كالقلب بالقياس الى
الاعضاء والقوى يصل فيضه اليها ويحيي بحيوته وهي يوصل اليه ما اكتسبت
من فضل الغذاء وعسى ان يكون النصيب للقلبي ايضا على هذه النسبة من
الاعضاء اي نسبة ربع العشر اذا تصفحنا تشريح الاعضاء وتتبعنا قسط
كل واحد منها والله اعلم

تنبيه

ولنتكلم على طراز اخر من الكلام
لبيان سر هذا المرام فنقول لا شك انه اذا شرع نور مما اصل في النورية
من انوار عالم الامر في الهبوط من العالم الاعلى الى العالم الاسفل الادنى
لمصلحة يراها خالق الانوار او ذنب صدرت من هذا النور في محافل الابرار
فسقط بذلك جناحه الذي طار بهما في عالم الانوار فهبط حتى ارتاش
فطار الى مقام الاسرار او غير ذلك من العلل المذكورة في محلها المعروفة
عند اهلها فمن المستبين ان هذا الهبوط والظهور حركة نزولية
من ذلك النور فيه دفعة وعدم سعة عين اهله من ان يطيق لشروق
ضوء هذا الشمس فجاة ولان النزول انما يتم بالتدريج خصوصا
اذا كان من عالم رفيع المكان الى عالم اخر حضيض البنيان فمن الضروري
ان تكون المادة المتعينة لشروق ذلك النور القابلة لهذا النور الظهور

تدريجية الظهور في مشهد الظهور وكذلك في العالم الشاهد من ظهور النور

متحركة

متحركة حركة صعودية بازاء الحركة النزولية وعلى محاذاتها بالحقيقة حتى
تستعد لموافاة ذلك النور في منتهى مسافتيهما بحيث يكون عليا درجات
تلك المادة يوافي قصيا طبقات نزول ذلك النور فيحصل قاب قوسين
او دائرة من خطين وايضا لان تلك الحركة من هذا النور انما هي بروزه متمكنا من
هذه المادة وظهوره من بواطن تلك الحاملة القابلة فكلما يقطع هذا
النور منزلا من منازل المادة تحركت هي للاستعداد لظهور نوره اتم من الاول
والقبول لفعل اكمل فيجب من ذلك ان تكون الحركة الصعودية للمادة على موازاة
الحركة النزولية لهذه اللطيفة الالهية ثم انه مما قد كان من المعلوم عند ذوي
البصائر الصافية ان المخلوق في اربع جهات محيط سواء كان من الاموات العالية
او السافلة وان الامر النازل من القلم الاعلى انما ينزل اولا في اللوح الذي
هو الكتاب المبين ثم الى العرش المجيد والكرسي الكريم ثم الى السموات السبع
كما قال عز من قائل يتنزل الامر بينهن الى ان ينتهي الى عالمنا هذا الذي هو
منتهى الحركة من وجه فاذا نزل من اللوح استنار ذلك باربع جهات النوراني
فيظهر في تلك المادة اربع انوار يحيي بكل نور شخص من انواع ذلك النور المتاصل
بالتبعية لا اقل من ذلك ولا اقوى الانوار من يستضيء بر جماعة او امة او عالم
من العوالم الوجودية لان الارواح ما يلزمها الحياة للمراد في كل موطن وقعت
وسريان الحيوة انما ظهرت كما سمعت في خبر السامري من ان خوار العجل من قبض
ما قبض من اثر الرسول حيث مشى جبرئيل عليه السلام على ذلك التراب وان
من اثر الروح سريان الحيوة كما في الخبر وكذلك انما ذلك النور في كل نزول فمادة
من المواد العرشية والكرسوية والسماوية اربع ظهورات في مادتها موجبة
لاضاءة اربع جهات من جهاتها يحصل لكل منها الحيوة لما حولها من الاشخاص

وما بانيا سببها من افراد الناس الى ان ينتهى الى الاربعين الذى هو المظهر الاصلى
لذلك النور فاقل ما يكون للانوار النازلة الى هذا العالم ستة عشر وثلثون
شعاعا على معنى انه اذا اقتضت الحكمة ظهور نوع من الانوار وقضت ان يظهر اثاره فى
هذه الدار فادنى مراتب النور فى الاضاءة المحلول واقلها فى الافادة الذى هو
يستضئ بنوره ويستفيد من ضوئه هذا العدد من اشخاص نوع فهذا العدد
من توابع ذلك النور وفروعه وظواهر حقيقته ويعتد بنوره وجوده وشئ
على ذلك الذى قلنا حكم النور الذى هذا النور من اضرابه وامثاله ثم تدرج
الى ان تنتهى الى نور الانوار والسيد المختار الذى خلقت لاجله العوالم
الوجودية بتبعيته صلى الله عليه واله وبالجملة ولذلك وجب فى السنة
الالهية والحكمة الربانية ان يكون هذه الاجناس الكونية انما تخرج منها ربع
العشر الذى هو اقل نسب الاشعة الى النور الاصلى وادنى مراتب تبعية
الاشخاص الانسانية للكامل منها وتاييدا لعلية الاربعين عدد تنزل
فيه الروح من اعلى عليين الى قرار مكين ان تخمير طينة ادم عليه السلام كان
فى اربعين صباحا وفى اليوم الاربعين نفخ فيه الروح واستضاء جسده
المبارك بنور هذا النفوح وكذا النطفة تصير بعد الاربعين علقة وهكذا
فى مراتبها المتواردة عليها ومنازلها التى تتفق فى حركتها وان بعثة
نبينا الذى هو سيد الخلق واكمل اهل المغرب والمشرق كان فى الاربعين
والبعثة لكل نبى انما يكون بعد العروج الى اقصى معارج كماله المتصور
فى حقه ولنبينا الى الصعود الى اقصى الدرجات الممكنة فى الواقع
وان اخلاص العبادة لله تعالى فى اربعين صباحا موجب لظهور الانوار
الالهية والحكمة الربانية والله اعلم واحكم تذنيب ويختلط بالبال اسرار خفية

الله

ان يجرى فى العناية الالهية ان يكون فى الاربعين من الاشخاص الانسانية
واحد فقير ولعل هذا البيان قريب من عكس البيانات السابقة فنقول اعلم
ان من المراتب ان الخلق انما يكون مظاهر للاسماء الجلالية والجمالية ومجالى
للانوار الالهية وان هذه الاسماء من حيث انها اسماء الله ومن حيث انها حقايق
من عالم الانوار ينبعث منها التوجه والغنا والتملك والتصرف فى الاشياء
فيجب ان يكون اثارها المترتبة عليها ما يغلب فيها هذه الصفات والمعلى
اعاظم ثم ما فى العلة ثم من المستبين انه يجرى فى الحكمة الربانية ان يكون
وجود الخلق فى عالم العناصر بعد الاربعين سواء تعدد الاربعون ام لا
كما يظهر من تخمير طينة ادم عليه السلام ومن تنقلات نطفة بنيه فى الاربعين
الى ان تظهر الولادة بعد سبعة اربعينيات فى الاغلب وغير ذلك مما قد ذكرنا
سابقا ومما لم نذكره ولما كانت الطبيعة الواحدة لا تختلف مقتضاها
فى اية مادة وجدت واية مرتبة تحققت واية نشأة نشأت فينبغى ان يكون
ظهور هذه الطبيعة فى الاربعين سواء كان من حيث الوجود او من حيث
ظهور الاحكام ثم ان المخلوق اثار بعضها اثار علتها التى هى الاسماء
النورية وبعضها من جهة نفسها القابلة فامتزجت الاثار واختلطت
الظلام بالانوار فكما ان للاسماء الالهية ظهورات مختلفة بحسب غلبة
بعض الاسماء على بعض وظهور اثار الغالب منها واختفاء احكام المغلوب
منها بحسب الازمان والاماكن والاوضاع وغير ذلك مما ليس هنا محل
ذكرها فكذا اثار الاسماء الفاعلة واحكام المواد القابلة مما قد يختلف
بالغالبية والمغلوبية ولما كان من المقررات وجود الخلق انما يكون
فى الاربعين فيجب من ذلك ان يكون ظهور جهة الخلقية وغلبة احكام المادة

القابلة من الفقر والفاقة والضعف والاستكانة في واحد من الاربعين
وذلك بحسب النشاة الدنياوية والباقون يغلب عليهم جهة الاسماء
من الغنى والثروة بحسب ظاهر هذه النشاة وهذا الحكم جار في الباطن
على مطابقة الظاهر حيث لا يتخلف وجود ولي الله الذي افقر الخلق
الى الله تعالى في جملة الاربعين سواء كان غنيا بحسب الظاهر ام لا
فقد ورد كثيرا في الاخبار ان الدعاء لا يرد من اربعين مؤمنا لضرورة
وجود ولي الله فيهم يقينا وذلك لان الظاهر عنوان الباطن واما
سر الاربعين فقد مضى وكذلك مضت سنة الاولين **المفتاح الثالث**
في زكوة الاعضاء والقوى وبيان اسرارها ولنقتد في ذلك بمولانا
الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه وعلى ابائه وابنائه حسب ما ذكر
في مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة ولنشرح على ما استفدناه من قواعد
الوافية قال عليه السلام في هذا الكتاب على كل جزء من اجزائك زكوة واجبة
لله بل على كل منبت شعر بل على كل لحظة من لحظاتك فزكوة العين النظر
بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم
والحكمة والقران وفوايد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك
بالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباهها وزكوة اللسان
النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره
وزكوة اليد البذل والسخاء بما انعم الله عليك وتحريكها بكتبة
العلوم ومنافع تنتفع بها المسلمون في طاعة الله والقبض عن الشرور
وزكوة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر
واصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة

دينك

دينك هذا ما يحتمله القلوب فهمه والنفوس استعماله وما لا يشرف
عليه الا عباده المخلصون اكثر من ان يحصى وهم اربابه وهو شعارهم
دون غيرهم صدق ولي الله وابن رسوله اقول قد بينا لك بل ومن
ان المؤمن اعز من الكبريت الاحمر بل هو الكبريت الاحمر وكذا فيه سنخا
من النبات كما قال النبي صلى الله عليه وآله اكرموا عمتكم النخلة فانها
من بقية طينة آدم وسنخا من الحيوان كما ورد في وصف المؤمن انه
الجمل الانف ان قيد انقاد فقوله عليه السلام على كل جزء من اجزائك اشارة
الى الجزء المعدني وقوله بل على كل منبت شعر ايماء الى الجزء النباتي وقوله
بل على كل لحظة من لحظاتك اشعار الى الجزء الحيواني واما قوله عليه السلام
واجبة لله فالمراد بالوجوب اما العقلي المحض فان العقل يحكم بان
شكر المنعم واجب وان شكر كل نعمة انما يكون بما يناسبها مثلا شكر العلم
هو بذله للمتعلمين المستحقين وشكر الجاه هو اغاثة المظلومين وقضاء حوائج
الملهوفين وشكر المال انما هو البذل الى الفقراء والمساكين ولان
المولى اذا اعطى عبدا من عبيده بل شخصا من امثاله شيئا من مالكه ليصرفه
في مصارف معينة فان العقل يستقبح صرف ذلك في غير المطلوب ولا شك
ان كل ما هو في الانسان فانما هو ملك الله عظيم الشان وهو سبحانه
اعطى كل عضو لعمل خاص من امور المعاش والمعاد فصرفه في غير ذلك
مما لا يجوزه ارباب الرشاد واما ان يكون المراد بالوجوب الشرعي فحينئذ
يكون مختصا بعباده المخلصين لا جميع المكلفين كما يشعر بذلك قوله
عليه السلام في اخر الخبر وهو شعارهم دون غيرهم وذلك لان لطوائف
العباد احكاما مختلفة حسب ما يقتضيه الازمنة والامزجة بل الكل

المستبين عندك ان الان ان استخدام المعدنيات
وهو فيه لازم من جم

موجود تكليفا يناسب مرتبته ويليق بدرجته اما سمعت ان حسنات
الابرار سيئات المقربين وقد كان وجب لرسول الله صلى الله عليه وآله
ما لا يجب على غيره من السابقين اللاحقين ثم انه عليه السلام ذكر اولا
ان لكل جزء زكوة بين ثانيا احكام القوى والاعضاء الظاهرة ليكون
انموذجا للقوى والاعضاء الباطنة فيقيس منها اليها من هو من اهل البصيرة
فقال زكوة العين كذا وذلك لان الله تعالى جعل للعين امتدادا
القبض والبسط نعمتان عظيمتان بل هما جنتان نضاختان فباى
الاء ربكما تكذبان فذكر للبسط زكوة وهي النظر بالعبرة اى لان ينظر
في السموات والارض والافاق والانفس ويسلك بذلك ملكوت السموات
والارض فيتدرج الى ان يصير متحققا بان لا يرى سوى الله تعالى كما قيل
ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله وذكر للقبض زكوة وهي الغض
عن الشهوات بان لا يطمح اليها ولا يطمع فيها فيترقى الى ان يغمض
النظر عن نفسه وعما سوى الله بان لا يرى الغير والسوى والله يؤيد
بنوره من يشاء قوله عليه السلام وزكوة الاذن الاستماع آه لما كانت
الاذن يجري فيها البسط والقبض بل هما جنتان فباى الاء ربكما تكذبان
ذكر عليه السلام لكل من القبض والبسط حقوقا فبسط الاذن ان يستمع الى
العلم اى علم الدين من الاحكام والاوامر والنواهي والحكمة اى العلم
بحقايق الاشياء المترتبة ترتيب السببي والمسببي الى مسبب الاسباب
وفوايد الدين من الموعظة والنصيحة من الامور التي يتقبلها ويتاذب
بها ويستحب فعلها فيترقى بترتيب الفرايض والنوافل الى ان يصير
محبوبا لله فيكون هو سبحانه سمع ذلك العبد فلا يسمع الا من الله ويصل

المرتبة يقول الخلق خاضع للحق لا يرى نور الا نوره ولا يسمع
صوت الاصوات واما قبض الاذن فمن استماع الكذب والغيبة واشباههما
الى ان يصل الى حد لا يسمع صوت احد سوى الله لان كل ما سواه معدوم ليس
لذاته فيكون كاذبا وهو لا يسمع الكذب فيسمع من الله وحده لا شريك له
قوله عليه السلام وزكوة اللسان النصح للمسلمين آه كما كان للعين والاذن
جهتان كذلك الامر في اللسان وهو وفمه جنتان فباى الاء ربكما
تكذبان فبسط اللسان هو النصح للمسلمين بان يرشدهم الى مصالح دينهم
ودنياهم والتيقيظ للغافلين بان يوقظهم من رقدة غفلتهم ويذكرهم
ما يشغلهم عن امورهم في اولادهم واخراهم هذا لما يتعدى فايدته واما ما يختص
بنفسه فكثرة التسبيح والذكر على موافقة اللسان للقلب الى ان يتصل
الذكر القلبي بل يتاحد مع الذكر اللساني فيترقى الى ان يتحد الذاكر
والذكر والمذكور واما قبضه فبان يمنع اللسان من الفحش و
الخنا وذكر غيره بالسوء فيتدرج الى ان يتنطق بالامور المباحة
ثم الى ان يمتنع عن غير الضرورة ثم الى ان يمتنع عن غير ذكر الله مطلقا
قوله عليه السلام وزكوة اليد البذل والسخاء آه في اليد ايضا جهتان ولذلك
صارت ثنتان احديهما للبسط والاخرى للقبض واليد العليا خير
من اليد السفلى اما الباسط فهو اليد اليمنى وحقها ان يبسط بالبذل
والسخاء بالصدقات الواجبة والمستحبة وتحريكها بكتبة العلوم
والاعمال المتعلقة باليد لمنافع الناس في طاعة الله واما القبض
فتظهره اليد اليسرى وان كان الحكم يشملهما وهو القبض عن الشرور
المتعدية الى الغير وغير المتعدية فيترقى في هذا البسط والقبض الى ان يليق

بان يقول انا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والنعمة قوله عليه السلم وذكوة الرجل السعي في حقوق الله آه البسط في الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين لفائدتين احدهما لنفسه من احراز الثواب واكتساب معالم الدين والعبرة فان يصير منهم بالخفا ان يعرفهم والثانية ادخال السرور في قلب المزور بلحضر الزيارة فقد انه ليكون الله وحده هو المنظور ومن جملة حقوق الله السعي الى مجالس الذكر وهي اما مواضع العبادة او مدارس اهل العلم والحكمة او ما يذكر الله فيها بالتهليل والتسبيح كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ارتعوا الى رياض الجنة فقيل وما رياض الجنة قال الحلق الذكر الى غير ذلك من الاخبار التي دلت على ان مجالس الذكر غير مواضع الصلوة والعلم ومن حقوق الله تعالى السعي الى اصلاح الناس وقضاء حوائجهم وكذا صلة الرحم والسعي الى الجهاد سواء كان الاكبر منه او الاصغر واما القبض في الرجل ضبطها فيه صلاح قلبك وسلامة دينك من عدم السعي الى محافل الفسق ومواضع التهمة وعن كل ما كره الله السعي اليه ثم ان العبد يترقى في هذا القبض والبسط والعمل بالعدل والوسط الى ان لا يضع قدمه على شيء الا يتزلزل عليه الركب بل ويرى الحيوة بين كثير في الارض المسلوكة قوله عليه السلم هذا ما يحتمل القلوب فهذه آه اشارة الى ما ذكره من ذكوات القوى الظاهرة قوله وما يتذوق آه اشارة الى ذكوة القوى الباطنة من الخيال والفكر والقلب والعقل والسر وبالجملة بان يكون همه واحدا وفكره في واحد وينظر عقله في واحد ويرى واحدا ولا يرى غيره الا كل شيء ما سوى الله باطل وقال الحزا انما الكون نقوش وخيال او عكوس في المرايا او ظلال هذا ما خطر بالبال في هذا المقام والله المفضل

المقام

المقام وهو آخر كتاب اسرار الزكوة ويتلوه ان شاء الله كتاب اسرار الصيام ونسال الله الاعانة على ذلك كما اعاننا في اخويه انه ولي الرشاد والهادي الى السداد والحمد لله اولا واخرا

كتاب اسرار الصيام

ولنكتف في ذلك بالاخبار التي وصلت الينا عن اهل بيت الحكمة والتاويل ومعادن الوحي والتنزيل فانها الكافية بها شهيدا والوافية بكشف الاسرار خبيرا فعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اصل الاسلام الصلوة وفرعه الزكوة وذروته الصيام وسنامه الجهاد وعنه صلى الله عليه وآله الزكوة الابدان الصيام وقال صلى الله عليه وآله الصوم يسود وجه الشيطان وجاء نفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فسالوا اعلمهم لاي شيء فرض الله الصوم على امتك بالنهار ثلثين يوما فقال صلى الله عليه وآله ان ادم لما اكل من الشجرة بقي في بطنه ثلثين يوما ففرض الله على ذريته ثلثين يوما الجوع والعطش والذي ياكلونه بالليل تفضل من الله وكذلك كان على ادم ففرض الله على امتي ثم تلا صلى الله عليه وآله كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وفيما كتب مولانا الرضا عليه السلم الى محمد بن سنان علة الصوم لعرفان مس الجوع والعطش ليكون ذليلا مستكينا ويكون دليلا على شدائد الاخرة مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات وليعلم شدة مبلغ ذلك من اهل الفقر والمسكنة وفي مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة قال الصادق عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الاخرة فاذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان وانزل نفسك منزلة المريض لا تشتهي طعاما ولا شرابا متوقعا في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب وطهر

باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة تقطع عن معنى الاخلاص لوجه الله
قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به
فالصوم يميت مواد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاوة القلب وطهارة
الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان الى الفقراء
وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله وسبب انكسار
الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى
وكفى بما ذكرنا منه لمن عقل ووفق بيان ما يمكن ان يستنير من هذه الانوار ٤٦٩
وما ينبغي ان يكون من الاسرار بحسب ما وصل اليه فهمي القاصر وفكري الفاتر
والله المستعان وعليه التكلان فاقول الاستعارة في حديث الذروة و
السنام اما من الحيوان خصوصا الابل فيكون الذروة والسنام تخييلا
او يكون المراد بالاصل البدن وبالفرع الشعر السنام ووجه الشبه ما قدمه
ان يكون تعرف في فضائل السوالف من الحقائق واللطائف الامور
العالية لما كانت عالم الحيوة والبهجة فلها من الصور التي ينبغي لها ان يكون
عليها في عالمها صورة من الصور الحيوانية طبقا لمقتضى المشابهة ولما
ان يكون الاستعارة من الاشجار فيكون ذكر الاصل والفرع تخييلا والمراد
بالذروة بالكسر والضم وكذا بالسنام هو اعلى الشجرة واعاليه ووجه الشبه
ان العبد يصعد بهذه العبادات الى اعلى عليين ويسمو اعماله الى ان يجعله
من المقربين ومحل التقديس فيكون الصلاة اصلا لعمادها لانها كما عرفت
اشارة الى التوحيد الذي هو اصل الاصول والمعرفة التي هي مدار العرق
والوصول واما فرعية الزكوة فلكونها اداء لحق الله فهي فرع الصلوة
التي هي معرفة الله وقدمت على الصيام لما قلنا في السوابق ونحن ههنا

ان الصيام

ان الصيام زكوة الابدان فهو اخراج حق من حقوق الله فينبغي ان يكون على
الذروة وهي ما يتصل بالفرع من جهة العلو وهكذا الحكم في الجهاد وقد عرفته
في اسرار الصلوة ثم ان خبر يسود الصوم للشيطان لعل الوجه فيه ان عمدة
مداخل الشيطان في الانسان الفرج واللسان وهذان الطريقان
في الصوم مسدودان فسواد الوجه كناية عن الخيبة والخذلان وايضا ان
طينة الشيطان انما تناسب مرتبة الحيوانية من الانسان ولذا قال يجري
من ابن آدم مجرى الدم الذي هو السلطان في الحيوان ولا ريب ان الانسان
بالصوم الذي يمنع القوة الشهوية من مقتضاها وما يقويها يضعف تلك
القوة ويوهنها لا محالة والضعف في الامور الجسمانية النباتية منها
والحيوانية يستلزم سواد البشرة كما لا يخفى واما خبر سؤال اليهود فانه
سؤالان احدهما عن كون الصيام في ثلثين يوما والثاني ان ذلك لم صح
في النهار دون الليل ونحن نضيف الى ذلك سؤالا اخر لم صار المقصود هو
وقوع ذلك في شهر رمضان فههنا فوائد **الفائدة الاولى** ذكر رسول الله
صلى الله عليه وآله في المقام الاول ان آدم لما اكل من الشجرة بقي في بطنه ثلثين
يوما ففرض الله على ذريته الجوع والعطش ثلثين يوما وكذلك كان على آدم
عليه السلام فاعلم انه صلى الله عليه وآله اجمل فاعل البقاء فاما ان يكون المستكن
ضميرا راجعا الى الماكول الذي هو الثمرة حيث يفهم من فحوى الكلام بمعنى ان
يبقى ذلك الماكول او راجعا اليه باعتبار تقدير الاثر اي بقي اثر الماكول
اما على الاول فلان الغذاء اذا ورد البدن تفعل القوى الفعالة التي له
في المادة الغذائية فعلا وتكسبها صورة فصورة لكن تلك المادة المنحصرة
فيها يبقى ثلثين او اربعين يوما وعند انقضاء تلك المدة لا يبقى منه شيء

المادة شی وهذا الاحتمال لاینفیها الاصول الطبیعیة واما علی الثانی فان
ذلک الغذاء یبقی اثرها ای الاثار المترتبة علیه من المنافع والمضار من
حیرة وهزبکل الما یتحلل وقواما للبدن فی تلک المدة واما تر الاربعین
فقد وقفت سابقا علی القدر الذی تطمئن به واما الثلثون فلعل بقاء
الاثر او الشی نفسه فی الامزجة القویة حسب ما یقتضیها طباع مبادی
اشخاص هذا النوع فی ثلثین یوما واما سر ان الحکم فی الابناء فلان الاذیة
کانت فی صلبه فتشارک ابیها فی الاغتذاء فیجب علیها التخلص منها فی المدة
التی اغتذت بها واما سر کون التدبیر فی القلب فقد عرفت انها باعتبار
المادة القابلة للصورة الانسانیة وانها هی التی لیست الا صورة الاب
ثم تفرقت فی الابناء وانها البرلها بذاتها معتاد خاص فلا یستبعد تشتتها
علی تلک الکثرة المقداریة نظیر ذلک تکون بید دلو بیا درونهادة حمة واحد
هذا فی البدن واما اذا کان باعتبار الروح فالامر اوضح عند اهله الفاتحة
الثانیة ذکر صلی الله علیه وآله فی جواب السؤال الثانی ان الذی یاکلونه باللیل
تفضل من الله والمعنی ان الوضع الطبیعی یقتضی الامساک فی هذه المدة
لیلا ونهارا لکن الله تعالی لما علم ان ذلک عسیر علیه لامزجة ابناء النوع
تفضل علیهم باعطاء الرخصة فی الاکل باللیل لانه سبحانه لا یکلف نفسا
الا وسعها فان قیل اذا کان الامر علی التفضل والتسهیل فینبغی ان یکون
ذلک فی اللیل لانه اسهل والشریعة المقدسة سهلة سمحاء فنقول قد سبق
ان ادم علیه السلام فعل ذلک الیوم وقبلت توبته وقت المغرب وخلص
من الذنب فی ذلک الوقت فجرت هذه السنة فی کل یوم من ایام الصیام
بان یتخلصوا فی هذا الوقت ویترخصوا لاکل الطعام الفاتحة الثالثة

فی بیان

فی بیان وجوب ذلک فی شهر رمضان المبارک وهو ان الله تعالی یقول
شهر رمضان الذی انزل فیه القران هدی للناس وبینات من الهدی والفرقان
وفی الخبر غرة الشهور شهر رمضان وقلب شهر رمضان لیلة القدر نزل القران
فی اول لیلة منه وتکامل فی لیلة القدر فاعلم ان الموجودات التی عندنا
هی تفاصیل موجودات عالم الامر وقد سبق مرارا ان القران هو جملة الحقایق
العلمیة وان قوام هذا العالم الذی نحن فیه انما هو بتنزل الامر من سماء عالم
القدس والمقام المکین الی ارض التکوین والتلوین فیجب من ذلک ان یکون
ابتداء عمارة هذا العالم فی لیلة القدر التی جرت السنة الالهیة بنزول
الامر فیها ولاجل برکة تلک اللیلة المبارکة اکتسبت منها البرکة لیال
تتقدمها والتی تتاخر عنها بحیث یکون المجموع ثلثین یوما وهو المسمی بشهر
رمضان واما اکثریة عدد ما قبلها من اللیالی بالنظر الی ما بعدها
حتی ان الاولی تقرب من عشرین بخلاف الاخیرة فلان النور اذا اشرق
فی الظهور یتنور بضوئه ما یقبل الشروق فذلک النور وطلوعه حتی یطلع
بکلیته فاذا طلع بتمامه فاجاء الانغماس فی المواد الکونیة الظلمانیة فیختفی
نوره سریعا بخلاف شروقه فانه من ضد نفسه وبامر من ربه وقد نقل ان
ان صحف ابراهیم علیه السلام نزلت فی اول لیلة من شهر رمضان وهو مبداء
طلوع النور الفرقانی وصبیحة الیوم الجملی المحمدی ونزلت التوریة فی اللیلة
الثالثة منه وهو وقت شروق ذلک النور وفی اللیلة الثانیة عشر نزل
الزبور وهو وقت ارتفاع هذا النور وفی اللیلة الثامنة عشر نزل الانجیل
وهو کمال ارتفاع ذلک النور وفی اللیلة الثالثة والعشرین نزل القران
وهو استواء هذه الشمس وفی الوحی القدیم جاء النور من طور سیناء واشرق

من شاعير واستعلن في جبل فاران وهذا صريح في وحدة النور وتفاوت
اشراقاته وصرح بذلك ان نبينا سيد المرسلين صلى الله عليه وآله كما هو مجمع جميع
انوار الانبياء ومنتهى معارج كمالها كذلك القرآن هو جملة الحقايق
الالهية المنزلة في الكتب السماوية فهو كمصباح على مستوى الكمال وقضايا
درجات الجمعية والاشتمال فاحتفظ بذلك الوميض الساطع فانه مما لا تجده
في كتب الجوامع والحمد لله الواهب النافع **فصل** واما حديث مصباح
الشريعة فالامام الصادق عليه السلام فسر اولا الخبر المنقول عن جده سيد الانبياء
صلوات الله عليه وآله وعليهم اجمعين بان المراد من كون الصوم جنة هو انه
ستر من آفات الدنيا حيث انه لا يرتاض البدن يحفظ الشخص عن الامراض
والاسقام لكونه حمية من مضار الاغذية والاشربة التي وقعت في عرض
العام المولدة للمواد الغليظة التي لا تتحلل الا بالارتياض التام وكذا هو
حجاب من عذاب الآخرة حيث امتثل امر الله واستسلم لحكم الله في حبس
الجوع والعطش وترك نفسه وذلت لطاعة الله وحده فيثاب بكل ذلك
ويبعد عن النار واهوال يوم القيمة وايضا يكون دليلا على شدة فزع
فيحترز بذلك الخوف الحاصل من الصيام عن ارتكاب ما يوجب الجوع والعطش
في ذلك المقام وايضا تنكسر بسبب الصوم شهوته فلا يقرب من الحرمات كل
القرب ويعلم حال الفقير من شدة الجوع والمسكنة فينفق في سبيل الله تعالى
ويكتسب الثواب والزلفى والحجاب من شدايد الدار الآخرة الى غير ذلك
من منافع الدنيا والعقبى فقوله عليه السلام فاذا صمت فانو اي اذا صمت الصيام الكامل
من الامساك عن المطاعم والمشارب والمناكح فانو بالصوم الباطني بان تكف
نفسك عن كل ما تشتهي نفسك مما ليس يقربك الى الله فانها النفس الامارة

بالسوء وكذا تقطع همتك اي ما هو مقصودك او قصدك عن خطرات
ما سوى الله فانها خطرات الشيطان وانزل نفسك اي باطنك مريضا
من رذايل الاخلاق وفواسد الاخلاط بحيث لا تشتهي طعاما ولا شرابا كما هو علاج
المرضى متوقعا في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب وطهر بهذه الحمية
باطنك من كل كدر يحصل من اعتقاد الآراء الباطلة والخطرات الشيطانية
ومن كل غفلة عن ذكر الله وعن كل ظلمة جهل يقطعك هذه كلها عن معنى الاخلاص
لوجه الله اي عن ان تكون بكليتك بسبب صومك مخلصا لله عز شانه ثم
ذكر عليه السلام شاهدا على ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله نقلا عن الله
تعالى انه قال الصوم لي وانا اجزي به والمعنى ان غير الصوم من العبادات
انما هي طلب فعل يشعر بالانانية والغيرية وينبئ عن الرغبة والبغية بخلاف
الصوم فانه ترك المطلوبات وقطع للنفس عن المشتهيات وكف عن كل ما
يرغب اليه ويبتغي وفي ذلك افناء للنفس عن شهواتها بل عن اصلها وكليتها
بان تبقى عن نفسها وعن صفاتها بعد الفناء فالصوم عبارة عن الفناء
في الفناء فلا يبقى الا الله لانها تحيى ببقاء الله فان ذلك يشعر عن الغيرية
والاثنية فيكون جزائي هو الله وحده لا بقاء له عز شانه وقد قيل في معناه
ان ساير العبادات انما تتحقق بحركات فلما تخلو عن شبهة الرياء بخلاف
الصوم فانه امر حقيقته ان لا يطلع عليه الا الله فيكون الله سبحانه يتفرد
باعطاء جزائه من النظر الى وجهه الكريم والكرامة بلقاء الله الملك العظيم
وايضا بالصوم يتشبه الانسان بالملائكة المقربين والانوار القدسيين
وهم لله وجودهم وهو تتميم لحق كونهم لله فيصير العبد بهذا التشبه [illegible]
لله من هذه الجهة وقد تقدمت في فصل الفناء زيادة وجهه فتكون اشد في معناه

ان سایر العبادات انما هی للوصول الی مرتبة الانسان النوری
كما الصلوة لمقامات توحیده ووجدانات معرفته والحج لتذكر عهوده
واخذ مواثیقه فی عوالمه السابقة علی هذا الوجود العنصری بخلاف
الصوم فانه للامساك عن الكل وقطع الفروع والاصول للانقطاع
الی مبدء المبادی وعلة كل معلول لعموم ما ذكرناه اولا او علی واصح
ثم انه علیه السلم فرع علی ذلك الحكم الذی قد قلنا فی بیاننا قوله فالصوم
یمیت مواد النفس اشارة الی فنائها بكلیتها ویمیت شهوة الطبع
اشارة الی الفناء عن مشتهیاتها الدنیویة والاخرویة وفیه صفاوة
القلب الذی هو اللطیفة الالهیة ای صفاء الروح العلویة عن المیل
الی غیر الله والقرب منه وطهارة الجوارح الظاهرة عن الادناس
الدنیویة ونظافة القوی الباطنة عن الخیالات الشیطانیة
والتوهمات النفسانیة وعمارة الظاهر مع الباطن بتخریب بنیان
الانیة وبالفناء عن الكل بالكلیة لان توهم الوجود للشیء یقتضی
السكنی فی هذا الخراب والوقوف تحت الحجاب وفیه ای فی الصوم
الشكر علی النعم لان حقیقة الشكر هو رؤیة المنعم لا النعم وذلك
یستلزم الحكم بفناء الغیر علی الحقیقة وفیه الاحسان علی الفقراء
لما قد یشاهد من الجوع والعطش وعدم الوصول الی المشتهیات مع
الرغبة الیها وفیه زیادة التضرع والخشوع والبكاء لما قد یشاهد
من ان تعلیل الغذاء انما هو تقویة الروح وتحریكه الی الجنبة العالیة
والمبدأ الاعلی بالخضوع والخشوع والبكاء وهو حبل الالتجاء
الی الله تعالی وسبب انكسار الهمة حیث قلنا ان الصوم عبارة

عن فناء

عن فناء العبد عند المولی فهو سبب انكسار الهمة عن غیر الله وموجب
لتخفیف الحساب اذ الحساب انما هو علی كل شیء والصایم قد فنی عن
نفسه وعن كل شیء وكذا تضعیف الحسنات لانه اذا فنی عن الكل تقوم
مقامه من یكفی عن الثقل والجلل وكفی بالله وكیلا والله المستعان
هذا اخر ما اردنا ایراده فی بیان اسرار الصوم حسب ما یحضرنا الوقت
ویصل الیه الفهم ویتلوه كتاب اسرار الحج ان شاء الله والحمد لله ٥٥

كتاب اسرار الحج والوصول الی شاهق هذا الطور انما یتیسر
بسیر ثلث طرق من النور فبالنور الاول یصل السالك الی اسرار التسمیة
المناسك وبالثانی یطلع علی سر هذه الاوضاع وانها لم صارت
كذلك وبالثالث یتحقق بحقایق المقامات من هو بقدم العرفان
سالك **المنهج الاول** فی بیان اسرار التسمیة اعلم انه قد قیل ان
بكة بالباء موضع البیت وبالمیم سایر البلد وقیل هما اسم هذه
البلدة المباركة اذ الباء والمیم یتعاقبان علی الكلمة والرضا
علیه السلم سمیت مكة لان الناس یمكون فیها ویقال لمن قصدها
قد مكا وذلك قوله تعالی وما كان صلوتهم عند البیت الا مكاء
وتصدیة فالمكاء التصفیر والتصدیة صفق الیدین اقول بناء هذا
اما علی الاشتقاق الكبیر او علی ان اصل المكاء المك فقلبت احدی
الكافین حرف علة كما فی املك واملیت وفی القاموس مكة علی صیغة كما
الفعل اهلكه ونقصه فقوله علیه السلم ویقال لمن قصدها قد مكا ای قصد مكة او قصدها
نقصان ماله او نقصان ذنوبه وفسر المكا بالتنقیص لانه نقصان
فی الشعر وفسر التصدیة صفق الیدین وكانه ماخوذ مما فی القاموس

الصدع الرجل اللطيف الجسم وسميت بكة لان الرجال والنساء
تبك بها اى تزدحم او تراحموا او تبك اعناق الجبابرة اى تدقها
لان الناس يجيؤن فيها اما بالتشديد بمعنى يزدحمون كما
فى خبر او بالتخفيف بمعنى يبكون لما فى خبر اخر لبكاء الناس حولها فيها
وسميت كعبة لانها وسط الدنيا وهو بحذاء الضراح فى السماء
الرابعة وهو بحذاء العرش وهو مربع لان الكلمات التى بنى عليها
الاسلام اربع وقيل كل شئ علا وارتفع فهو كعب ومنه سميت الكعبة
انتهى وسميت بيت الله الحرام لحرمته او لكونه حراما على المشركين
ان يدخلوه وسميت البيت العتيق لانه اعتق من الغرق يوم طوفان نوح
عليه السلم ولانه ليس من بيت الا وله رب يسكنه بخلافه فانه لا يسكنه
ولا رب له الا الله فهو بيت حر عتيق من الناس حيث لا يملكه احد وسمى
الحطيم وهو ما بين الحجر الاسود وباب البيت لان الناس يحطم بعضهم
بعضا هناك ويزدحمون وقيل سمى بذلك لان البيت رفع وترك
هو محطوما يدوسه الناس وسميت منى لان جبرئيل قال لادم وفى خبر
اخر لابرهيم تمن فكانت تسمى منى وفى اخر تمنى ان يجعل الله مكان
ابنه كبشا وسميت عرفات لان جبرئيل خرج بادم وفى خبر اخر بابرهيم
فى يوم عرفة اليها فلما زالت الشمس قال له اعترف بذنوبك واعرف
مناسكك وسمى المشعر الحرام مزدلفة لان جبرئيل قال لادم وفى خبر
اخر لابرهيم ازدلف الى المشعر اى اقترب وسمى ايضا جمعا لان ادم
وفى خبر اخر جمع فيها بين الصلوتين وسياتى فى تسمية بواقى المناسك
فى ضمن عللها ونذكر هناك ما يليق ان يكون شرحا لما ذكر هيهنا

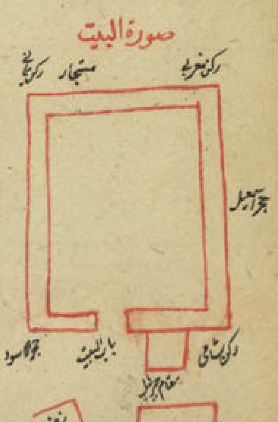
الضراح كغراب [illegible]

المنبع الثانى فى بيان سر هذه الاوضاع والمقامات قال الله عز
من قايل ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وقال جل
مجده جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وقال عز برهانه
ولله على الناس حج البيت وقال جل جلاله وليطوفوا بالبيت العتيق
وعن الرضا عليه السلم وضع البيت وسط الارض لانه الموضع الذى من تحته دحيت الارض
وكل ريح هبت فى الدنيا فانها تخرج من تحت الركن الشامى وهى اول
بقعة وضعت فى الارض لانها الوسط فيكون الفرض لاهل الشرق
والغرب سواء الخبر شرح ذلك على ما وصل اليه فهمى انه لما تعلقت
الارادة الالهية طبقا اقتضاه سر المحبوبية التامة بخلق النشأة
الانسانية وكانت هذه اللطيفة الالهية ترابية الموطن وقع
التقدير بعمارة الارض لاجل اداء ذلك الفرض ولا ريب ان هذا
انما يتأتى بنشف الرطوبة المائية عن ظهر الارض ولذا صار ربنا بحكمته
عنا يتحول بجده مركز الشمس خارجا عن مركز الكل حتى قربت من ناحية
الجنوب فجذبت الرطوبات الى ما هناك لفصل البحر فى هذه الناحية
وانحسر الماء عن الشمال حيث ما تمت به العمارة فى الارض ونشأت
فيها الحيوانات وابتداء ذلك فيما يقرب خط الاستواء لاستيلاء
الحرارة الشمسية على تلك الافاق فى اكثر الفصول على النسبة
الواحدة تقريبا فلما طلعت شمس تلك الارادة من سماء الخلاق
مستوى الجسم الكلى الذى هو نور جرم عرش الله العلى وافى لشروقها
وطلوع نورها هذا الافق الا عند الى هذه الجهة ولقد عرفت
من سوابق بياناتنا ان هذه الطبيعة مظهر الارادة الالهية وانه تكعب

العرش عبارة عن الجهات الاربع التي لهذه الطبيعة فصار البيت كعبا
لمحاذاته العرش الذي قلنا فان طبعت النقوش العالية والصور
النورية في مرايا الحقائق السافلة وسمي كعبة لهذا الشكل ولتلك
المحاذاة ولانها وسط الدنيا لما في الخبر النبوي ونزيد ذلك بيانا
ونقول قد عرفت ان الجهات الاربع للطبيعة التي هي مظهر الارادة
الالهية منها ما يحاذي بها شطر العقل الكل ومنها ما لها بالنظر
الى النفس ومنها الجهة التي بالنظر الى نفسها ومنها ما لها بالقياس
الى الهيولى فلما انعكست تلك الجهات النورية العلوية في مراة
ارض الهبا بلية لظهور الانوار الالهية تحققت الاركان الاربعة
للكعبة المباركة ثم من انتضا الان هذه النظرات ومناسبات تلك
الجهات على ما سبق نحن قواعد البيت واضلاعها ثم ان هذه الحقائق
الاربع المناسلة الالهية اثنتان منها وقعتا في جهة مشرق الحقيقة
وهما العقل والنفس لكونهما من افق عالم الانوار ومنهما ابتدأت
في الشروق شمس الاسرار واثنتان منها غربيتان وهما الطبيعة
والهيولى الكلية لان النور الفايض من المبدا الاعلى ابتدا من الاولين
واتم ربعي الدورة بتمامه في اليوم الالهي حتى شرع في الافول بالاخيرتين
واكمل الربعين الاخرين بتمام الدايرة في تلك الليلة ثم يطلع
انشاء الله العزيز من هذا الافق الغربي عند تمام الامر الالهي في اخر
الزمان والى ما قلنا من الافقين الشرقيين والغربيين اشير في
التنزيل الكريم بقوله عز من قايل رب المشرقين ورب المغربين
فمن ضرورة المضاهاة وقعت هذه الاركان والقواعد من البيت

على هذه الصورة فاثنتان منها شرقيان وهما الركن الذي فيه الحجر
يلي القطب الشمالي من جهة المشرق والركن اليماني الذي يلي القطب الجنوبي
من هذه الجهة ايضا واثنان منها غربيان احدهما الركن الشامي الذي
يلي القطب الشمالي من جهة المغرب والاخر الركن المغربي الذي يلي القطب
الشمالي من تلك الجهة فالركن الذي فيه الحجر يحاذي الجهة التي للطبيعة
الى العقل فلذا وقع في السمت الاسفل الشرقي الذي هو قدام البيت
من جهة اليمين حين ما فرض كانه شخص انساني اذ الوجه صاحب
البيت مواجها الى الشمال حيث يكون المعمورة في هذه الجهة اكثره
فالمواجه الينا من البيت هو جهة الحق وعبر في القدسيات عن ذلك
حيث يكون المعمورة من هذه الجهة اكثر فالمواجه الينا من البيت هو جهة ورد في الموطا المالمه
الحق وعبر في القدسيات عن ذلك حيث ورد في التوجه الى الكعبة واستقبل
وجهي يعني الكعبة الخبر والمواجه منا الى البيت هو جهة الخلق ولذا ورد الحجر
يمين الله في ارضه يصافح بها خلقه ثم قد علمت ان الركن الماني من العناصر
انما حدث في هذا العالم من الجهة التي للطبيعة الى العقل فلذا كان منبع
الماء العذب من زمزم انما هو من تحت هذا الركن وهو ايضا بناء اهل
العراق ومن اجله سمي بالعراقي وذلك لغلبة القوة العقلية عليهم وفي الخبر
لو كان الدين بالثريا لناله رجال من فارس واما الركن الشامي الذي هو
من يسار البيت حين ما فرض مواجها لنا وعن يمين المواجه اليه فهو
يحاذي الجهة التي للطبيعة الى الهيولى لان الهيولى صدرت عن العقل
من جهة خلفيته وهي اليسار وقد علمت ان الركن الترابي انما حدث في هذا
العالم من الجهة التي للطبيعة الى الهيولى وهي اشبه شيء بالتراب لتمامية

استعداد ظهور الحقائق في هذه النشأة الترابية واما الركن اليماني
الذي هو يمين البيت من جهة الجنوب التي هي الخلف حين مواجهتنا
فهو يحاذي الجهة التي للطبيعة الى النفس اي الروح الكلي فلذا وقع في الجنب
الاخر لان الحجارة النفس صادرة عن العقل من الجهة الحقيقية ولذا وقع في الجنب
الشرقي من البيت وفي الخبر ايضا انه يمين الله في ارضه كما كان الحجر كذلك وفي
اخر الحجر الاسود والركن اليماني من يمين العرش وقد علمنا ان الركن الناري انما
حدث في هذا العالم من الجهة التي للطبيعة الى النفس فلذا ورد الاستعاذة
من النار حين استلام ذلك الركن ولما الركن المغربي الواقع عن يسار البيت
من جهة الخلف على ما بيناه فهو يحاذي الجهة التي للطبيعة الى نفسها ولذا يقع
بين الركن المحاذي للجهة التي الى الهيولى اي الشامي والركن الذي يحاذي
للجهة التي للنفس اي اليماني لان الطبيعة هي الحاصلة من نفخ الروح الكلي
في الهيولى وقد علمت ان الركن الهوائي في هذا العالم انما حدث من هذه
الجهة للطبيعة ولما كان ظهور الطبيعة واثارها انما هو في المادة
فلذلك كان اثر هذا الركن انما ظهر في الركن الشامي كما ورد ان الريح
تهب من الركن الشامي جنوبا وشمالا ودبورا وصبا ولذلك كان
يتحرك ذلك الركن في الشتاء والصيف والليل والنهار وذلك لان الريح
انما هي من نفس الرحمن وهذه الطبيعة انما هي مظهر هذا الاسم ولا يظهر فعلها
الا في الهيولى وهذه هي صورة البيت وبهذا الذي حققنا صح كون
البيت مكعبا لمحاذاته عرش الله الاعظم الذي هو من حجر عبارة عن الطبيعة
الكلية للجسم الكلي وفي خبر اخر لمحاذاته البيت المعمور الذي في السماء الدنيا
وهو بحذاء الضراح الذي في السماء الرابعة وهو بحذاء العرش وهو مربع



لانه

لان الكلمات التي بني الاسلام عليها اربع وهي التسبيحات الاربع ونظير
ذلك ما ذكرنا مع اخذ مقدمة شريفة مبنية في تضاعيف ما ذكر في سوالف
المقامات من ان الامر انما يتنزل من سماء الى سماء الى ان ينتهي الى ارض
الشهود وان كلها في هذا العالم الحسي فانما هو صورة للعلوم التي تنزل
الى ان تنتهي الى صورة الصور واما التعليل بان الكلمات التي بني الاسلام
عليها اربع فلذلك جعل العرش مكعبا فلعل المراد ان هذا العرش الجسماني
على محاذاة عرش الوحدانية الحقيقية على التوحيدات الثلاثة اي الفعلي
الذي هو مفاد التحميد والصفاتي الذي هو مفاد التهليل والذاتي
الذي هو مفاد التكبير ثم التنزيه عن جميع التوحيدات الذي هو مفاد
التسبيح وقد سبق ما يليق بان يكون شرحا لهذا المقام ويجيء ما يوضح بعض
ذلك الكلام ان شاء الله تعالى **فصل** ونتكلم على طراز اخر من الكلام
غريب عن الافهام واظنه يقرع اسماع ارباب العقول ولم يخطب
ابكار هذه الافكار هؤلاء الفحول فاعلم يسر الله لك انه قد ورد عن ابي
جعفر باقر علم الاولين عن ابائه معادن علوم سيد المرسلين صلوات الله
عليهم اجمعين ان ادم عليه السلام بعد هبوطه شكى الى الله الوحشة فاهبط الله
عليه خيمة من خيم الجنة فضرب جبرئيل الخيمة على الترعة التي هي مكان البيت
وقواعده التي رفعتها الملائكة وهي على مقدار اركان البيت وقواعده
وكان عمود الخيمة قضيبا من ياقوت احمر فاضاء نوره جبال مكة وما حولها
وهي مواضع الحرم وكانت اوتادها صخرة من عقبان الجنة واطنابها
من ضفائر الارجوان ثم امر الله ان ينحي ادم وحواء الخيمة ويبني مكانها
بيتا على موضع الترعة حيال البيت المعمور ليطوف الملائكة السبعون الف الذين

امرهم الله بمواضع ادم كما يطوفون بالبيت المعمور ورفع قواعد البيت بحجر
من الصفا وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلام وهو بالكوفة ورابعة من حجر ابي قبيس
وجعل له بابا الى المشرق وبابا الى المغرب فلما فرغ طافت الملائكة وطاف
ادم وحوا اسبوعا الخبر اقول لعل المراد بما في هذا الخبر الشريف هو الذي ورد في ظ في ٤٠،٣
الخبر الاخر منها ما روي عن الصادق ع في مكان البيت لما جاء جبرئيل آدم
عليهم السلام بالتوبة بامر الله تعالى فانطلق حتى اتى البيت فنزلت غمامة فاظلته فامر
جبرئيل بان يخط برجله حيث اظلت الغمامة وفي خبر اخر لبنائه ستر الحجر الاسود
انه كان ملكا من عظماء الملائكة وهو اول من اقر من الملائكة عند اخذ الميثاق
وكان مع ادم في الجنة تذكرة للعهد فلما تاب الله على ادم حول ذلك الملك
حجرا في صورة درة بيضاء فرماها من الجنة الى ادم وفي اخر الحجر الاسود عينان
واذنان وفم ولسان وكان اذا مر عليها ادم في الجنة ضربها برجله
فلما هبط وهي ياقوتة حمراء بادر فلثمها فلذلك صار الناس يلثمون
الحجر وفي اخر لما هبط ادم الى ابي قبيس شكى الى الله الوحشة وانه لا يسمع
ما يسمع في الجنة فاهبط الله ياقوتة حمراء فوضعت موضع البيت يطوف بها
ادم وضوؤها يبلغ موضع الاعلام فعلمت الاعلام على ضوئها وصار حرما
فهذه الاسرار مما لا يجوز وصول اصحابها العقول المرتاضة فضلا عن الافهام
المنزهة ونحن بفضل الله نشير الى المعتبر من هذا النور لمن اراد الارتقاء
الى ما هو في ذلك الطور فنقول وبالله التوفيق قد تكرر فيما سلف من اصول
الحكم التي احكمناها لك ومن ابواب المعارف التي فتحناها لك ان الموجودات
كلها مع تباينها على قسمين جسماني وروحاني وان افضل الاشكال و
اوسعها وابعدها عن قبول الآفات هو الكرة فلذلك صارت البسايط

على هذا

على هذا الشكل ثم يجب ان يكون ثلاث الكرات بعضها محيطا ببعض
اذ لو لم يكن كذلك لكان بينها جسم او خلاء اما الخلاء فيمتنع وجوده
بالبيانات المذكورة في مقامها والجسم الواقع بين الكرات يحصل
ان يكون كريا وذلك واضح وقد قلنا ان الاجسام البسيطة البدنية
كلها كرات فتعين ان يكون بعضها محيطا ببعض ثم ان كل واحدة بالاضافة
من هذه الكرات بالقياس الى ما فوقها كدر غليظ مثل ان الارض بالقياس
الى الماء كذلك وهو بالقياس الى الهواء وهو بالنسبة الى النار وهي بالنظر
الى فلك القمر وهكذا يتصاعد الامر في السماويات بالغلظة واللطافة
الى ان تنتهي الى الفلك الاطلس الذي هو عرش الجسمانيات حيث يصفو
عن كلية الكدورات الواقعة فيما تحته حتى عن الكواكب فهو والذي يليه
بالنظر الى السموات السبع كالمعقول بين المحسوس ولهذا لم يطلق
عليها صاحب الشرع وخاتم النبوة صلى الله عليه وآله اسم السماء لذلك
الامتياز وهذا الذي قلنا انما هو في الموجودات الجسمانية واما
الموجودات الروحانية فلوجوب المضاهاة والمطابقة بين العالمين
على ما تقرر وجب الاستدلال فيها بل هذه التي يلينا انما اكتسب
الاستدلال منها ففي العالم الاعلى كرات حقيقية بعضها محيط
ببعض احاطة العلة بالمعلول من جميع جهاته والسافل هناك ايضا
كالكدر بالاضافة الى العالي لكن السافل عندنا كالمركز للعالي المحيط
بخلاف ما هناك ايضا كالكدر فان العالي مركز مع ذلك له الاحاطة
والسافل كالمحيط وله المحاطية وهكذا حتى ينتهي الامر الى مركز دايرة
الوجود واصل الاصول في نقطة هي مركز الكرات الجسمانية تجرد مركز الكرات

العقلية واختص المركز الجسمانى لسعادة ظهور بيت الله فيه على محاذاة
عرش الوحدانية الكبرى الذى هو البيت العقلى لتطواف طوايف العقول
القادسة وصح انه يحاذى عرش الله المجيد فى العالم النفسانى وهو الجسم
المحيط بالكل الذى ابتداء اثر النفس الكلية فيه وهذه المحاذاة هى محاذاة
المركز للمحيط وانه يحاذى عرش الله الاعظم الذى هو عرش الوحدانية المعبر عنه
فى الشرع الاقدس بالعقل الكلى الذى هو مركز المركزات العقلية ولما كان الله
سبحانه هو المحيط بجميع الدوائر والمراكز العقلية والجسمانية وهذه المحاذاة
هى محاذاة المركز للمركز حيث انتهى الامر من جهة العلو منعكسا منعطفا الى
انطبق على المركز السفلى وهذا سر لم ار احدا تكلم بالكنه مما ذكرنا وبالجملة
فكما ان العرش اى هذه الطبيعة العرشية فى اية زيادة تحققت مجردة كانت
او جسمانية انما تقوم بسقف وعمود واوتاد والمثاب ولا ينفك ذلك فى حال
استدارتها كما اومانا اليه فيما سلف كذا للعرش الوحدانية انما قامت ايضا
بها فالعمود هى الالوهية الكبرى التى بها قامت السموات والارض على عواليها
وسوافلها التى هى شواهد الوحدانية وهى بمنزلة الياقوتة الحمراء الجامعة فيها
جهتى الحق الذى هو النور المطلق والخلق الذى هو الظلمة لان الاله
يقتضى مألوها ولا ريب ان الحمرة الحادثة من اختلاط البياض الذى
هو جهة النور والسواد الذى هو جهة الظلمة والاوتاد هى الطبيعة
الممسكة لنظام العالم الجسمانى بجهاتها الاربع واصفرارها الذهبى
لاجل كونها مرتبة من الانوار العقلية لكن اطمانت الى الارض الهيولانية
واستحكمت فيها وانطبعت باثارها وانصبغت باحكامها والاطناب
هى اشعة نور النفس المنبثة فى افاق العالم الجسمانى وهى بحسب مرتبتها

فى شرفات

فى شرفات العالم العلوى وارجوانيتها لتوسطها بين عالم الامر المحض
وهو العالم العقل وبين عالم الامر المحض وهو العالم العقلى وبين عالم
الخلق اى الهيولى والطبيعة ولاجل انها اى البنفسجية انما الحدث
من اختلاط الصفرة والحمرة واما الخضرة فهى المرتبة العقلية التى مع كونها
مركزا للكل فهى محيطة بالدوائر العقلية والجسمية هذا هو عرش الوحدانية
وبيت الله فى المرتبة العقلية وهو اول بيت وضع للاناس العقليين
والملائكة المهيمين ولضرورة المضاهاة بين العوالم وقع على محاذاته
فى المرتبة النفسية ومرتبة الطبيعة والارض الهيولانية بيوتات الهية
ومساجد يذكر فيها اسمه سبحانه فالعرش المجيد الذى هو اول المظاهر
الروح الكلى هو بيت الله فى العالم النفسى لتطواف الملائكة المقربين
والضراح فى السماء الرابعة التى هى كشمس القلادة لعالم الطبيعة الجسمانية
بيت الله فى عالم الطبيعة لاجل تطواف الملائكة المدبرة والكعبة
التى فى وسط الكل هو بيت الله فى عالم الشهادة وارض الهيولى وهى على محاذاة
الكل لاجل كونها محاذية للمركز الاصلى ففى الخبر النبوى المعراجى وكانى
انظر الى بيتكم هذا ثم قال صلى الله عليه واله ولكل مثل مثال الا ان العمامة
مثال الخيمة التى فى الجنة العقلية والحجر الاسود هى الياقوتة واستار
الكعبة وجدت انها بمنزلة خيمة الارجوان اذ الحجب فى العالم الاكبر
هى مراتب النفوس والاحجار التى من جبل الصفا ومن طور سيناء ومن جبل
السلام ومن جبل ابى قبيس بازاء الاوتاد الا للنخبة وهى اشارة الى الاول
الولاية التى كانت لابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلى صلوات الله عليهم
ففى التوراة جاء النور وفى رواية جاء الله من طور سيناء واشرق فى ساعير

واضا فجبل فاران فالاولى اشارة الى ظهور موسى عليه السلام والثانى
المنفاة عيسى عليه السلام والثالث الى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه واله
لكن النور واحد وهو النور المصطفوى وهو لا حول له وهذا النور ابتدأ في
كمال الظهور من ابراهيم عليه السلام وان كان بدو ظهوره من ادم عليه السلام فالحجر
الذى من الصفا هو مرتبة ابراهيم في اعلى كلمة الله واظهار الدين الحنيف
والحجر الذى من طور سيناء اشارة الى مرتبة موسى عليه السلام من بناء الدين و
استحكام الشريعة والحجر الذى من جبل السلم اشارة الى مرتبة عيسى وان كان
هو مقام مولانا امير المؤمنين عليه السلام لانه كما ان ختم ولاية ادم كان لعيسى
كذلك كان ختم الولاية الكلية بمولانا على عليه السلام فهو دايم مقام عيسى عليه السلام
وهذه الاشارات لاجل ان الدين الذى هو العرش من وجه كما سيأتى
انما قام بهؤلاء الذين هم عظماء اولى العزم فكذا الكعبة التى هى بازاء
العرش من كل وجه قامت بتلك الاحجار ولهذا قال الرضا عليه السلام لا يزال
الدين ما دامت الكعبة وهذا معنى قوله تعالى الاحجار ولهذا قال الرضا
عليه السلام لا على ما في الخبر جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس على
هذا الذى حققنا فالركن الشامى لعله من حجر الصفا لان ادم الصفى
انما ظهر في هذا المقام ابراهيم الذى كان من الارض المقدسة
انما نزل الى هذا المكان لقوله تعالى حكاية عنه انى اسكنت من ذريتى
بواد غير ذى زرع والركن المغربى من حجر طور سيناء لان هذه الجهة
كانت لموسى عليه السلام قال تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى
الامر والركن العراقى من حجر الجنة وهو الحجر الاسود وهى الجهة التى لكل شيء
الى العالم العلوى والركن اليمانى من جبل السلم لان لعيسى عليه السلام جهة الشرق

والذى قام مقامه وهو مولانا على عليه السلام كان مولى المؤمنين واميرهم
وفي الخبر الايمان يمان والحكمة يمانية وتمام البيت من حجر ابى قبيس
لان تمامية النعمة وكمال الدين وختمية الرسالة كانت بسيدنا وسيد
الكونين صلى الله عليه واله وكانا قد تجاوزا الحد الذى لا ينبغى ان
يذاع في العالمين وكانك ما سمعت هذا في زبر السابقين فخذه
واشكر الله رب العالمين فصل وجعل مقام ابراهيم عليه السلام قبالة
الكعبة عن يسار البيت لما في الخبر ان مقام ابراهيم عن يسار العرش وقد مر
ان الكعبة على محاذاة عرش الله المجيد وكان الانبياء عليهم السلام وجبرئيل الذى
يتوجه بهم الى الحق وجعل مقام جبرئيل عند الباب من جانب اليسار
لانه الذى يوصل الوافدين الى الله الى جوار بيت الله العقلى والمنزل
القدسى ويدخل الملتجئين الى خزائن الالطاف الالهية ومقاما امينا
ويفتح لهم ابواب العلوم الالهية ويؤيدهم بالتأييدات الربانية
وبالجملة هو مفيض العلم على المستعدين من المبدأ الفياض والمورد
عطاش المعارف الحقيقية الى عذبة من المناهل وكوثر من الحياض
صح وجعل حجر اسمعيل عليه السلام عن يسار البيت لعل كونه مقام
ابراهيم عليه السلام كذلك لان الولد سر ابيه فالنيابة فيه اوضح واما سر
كون مقام ابراهيم عن يسار العرش فلان العرش الذى هو الملك العظيم
مزدوج محقق في جسم وروح وغذاء ومرتبة فادم واسرافيل للصور
ومحمد صلى الله عليه واله وجبرئيل عليه السلام للارواح وابراهيم وميكائيل
للارزاق وملك الموت وصوان للوعد والوعيد كذا قيل في تعيين المقامات
وتفصيل ذلك ان العرش كما سيأتى على وجوه فمنه عرش الوحدانية

وعرش العلم وعرش الدين وعرش الملك وهو جملة العالم الجسماني بارواحه
وقواه واجسامه وعرش السرير الذي هو واحد من الكرات المحيطة بالسموات
والارض وقد عرفت بعض احكام الثلثة الاول بل الاربعة واما عرش السرير
فحوامله اربعة املاك واحدها على صورة الانسان يسترزق الله للطيور
ورابعها على صورة الثور يسترزق الله للبهائم واما عرش الملك الذي
هو جملة الخلق فحوامله محسوس في جسم وروح وغذاء ومرتبة لكل احد فادم
من الانبياء واسرافيل من الملائكة للصور الى نفخ الحيوة ومحمد صلى الله
عليه واله وجبرئيل للارواح واشكالهما وابرهيم وميكائيل عليهما السلام
للارزاق وعلي عليه السلام ومالك ورضوان للوعد والوعيد وتعيين
مقام كل احد من الجنة والنار واما عرش الوحدانية فحوامله اربعة هي
العقل والنفس والطبيعة والمادة وقد عرفت غير مرة واما عرش العلم
والدين فحوامله اربعة من الاولين هم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
واربعة من الاخرين هم محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام فعرش السرير
على محاذاة عرش الوحدانية ولذلك صار حوامله اربعة وعرش
الملك على محاذاة عرش العلم والدين ولذلك صار حوامله ثمانية
وان كان كل على محاذاة كل بوجه فالكعبة التي بازاء العرش مطلقا
ومن كل وجه ينبغي ان يكون فيها مقام جبرئيل عند الباب ليعرج
بالارواح الكاملة الى عالم الانوار ويوصلها الى رب الدار وينبغي ان يكون
مقام ابرهيم عليه السلام عن يسار البيت محاذيا للركن الشامي الذي قد سبق
انه من الحجر المنسوب الى ذياره عليه السلام لان مقامه في عرش الملك عن اليسار
لانه قد ورد انه موكل بارزاق اولاد المؤمنين كما ان ميكائيل موكل

لبني آدم وآخر على صورة الاسد يسترزق الله للسباع وثالثها على صورة النسر يسترزق الله

بالارزاق

بالارزاق مطلقا والغذاء له جهة اليسار ولا غرابة في المغتذي
ولانه عليه السلام سمي خليلا لتخلله محبة الله وتخلل محبة الله اياه كما يتخلل
الغذاء بدن المغتذي اي يصير في خلله فهو مقارب بالافق المبين
فاني عن نفسه وعن العالمين فيكون به يسمع الله وبه يبصر الله وبه
يبطش وبه يمشي كما في الخبر في شان انبياء الله عليهم السلام بهم ينظر الله
الى العباد وهذه نتيجة قرب الفرائض واذا اعتبر تخلل محبة الله اياه
فهو مقرب نور الله جل برهانه فيكون الله سمعه وبصره ويده ورجله
كما ورد بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وهذه نتيجة
قرب النوافل **فصل** في علة الوفادة الى الحج روى عن مولانا
الامام باقر علوم الاولين محمد بن علي بن الحسين عليه السلام في علة فرض
الحج قال العلة لما اراد الله ان يجعل في الارض خليفة ضجت الملئكة
فقالوا اجعله منا فرد عليهم باني اعلم ما لا تعلمون فظنوا ان ذلك
سخط حيث حجب عنهم نوره الظاهر لهم فلاذوا بالعرش يطوفون
بامر الله عز وجل لهم بيت من مرمر سقفه ياقوتة حمراء واساطينه
الزبرجد يدخله كل يوم سبعون الف ملك للزيارة فاحب الله
ذلك فخلق الله البيت في الارض وجعل للعباد الطواف حوله وفي
رواية يطوفون سبعة الاف سنة فصار الطواف سبعة اشواط لكل
الف شوط اقول وبالله التوفيق هذا بيان الجهة الفاعلية الذي
ذكرنا انفا بيانا للعلة المادية والصورية مع بعض جهات
العلة الفاعلية واما بيان العلة الغائية فيستخرج من كلام مولانا
الصادق عليه السلام فهو بيان العلة الفاعلية مع شرح للرواية المذكورة

والسائر كالمحيط الا انه المحاط وذات تعدل الدوائر الحسية ولا يبال المركز نسخه

فاعلم انه قد سبق ان كل غال في العالم الاعلى فهو كالمركز من حيث هو مركز تقتضي ان يطوف المحيط حوله سواء كان في الدوائر العقلية والجسمية وعن هذا المعنى عبر بالكنز المخفي والمحبة وقد سبق ايضاً ان المركز الاصلي الارضي يحاذي المركز الاصلي فكما ان حول المركز الاصلي انا عقليون وبشريون يطوفون حوله على هيمان وهيمان ويجولون حول حريم العظمة كما يليق بهذا الشان كذلك جرت السنة الالهية وسبقت العناية الربانية بوقوع ذلك في ارض البعد والفراق ليتذكر هؤلاء الاناسي حالات اولئك البشر العوالي وكانت هذه الارادة في خفايا الاسرار وكامن حجب الاستار الى ان تنزل في مقامات الصفات وتتراحب تنزل الدرجات حتى بلغ مقام ظهور الارادة التي مظهرها الطبيعة المحكمة لنظام العالم واطلعت الملائكة على ظهور آدم فهنالك انفتح هذا السر كل الوضوح وظهرت هذه الارادة الخفية في موطن الظهور والسفوح فالتمست تلك الخلائق لانفسهم بان نظرت الى صفاء الطينة وخلوص الطوية فما وجدت والاشرف منهم ولا اليق بذلك من انفسهم فودوا بنقصان عليهم وان هنالك نشأة اعلى درجة واشرف منزلة منهم فعلموا هنالك بقصورهم وتبينهم ونقصان عليهم وانهم لسبقوا كما ظنوا ولا فوقهم ما لم اعلموا فلاذوا بالعرش الذي هو بالنظر الى مرتبتهم كالمركز لهم وان كان محيطاً بهم لانهم ملائكة طبيعيون فامرهم الله بان نظامهم الى العلو ان يحول بيت النفس الكلية التي هي العرش وهو نفوس الحسية الصافية عن كدورات الكيفيات الجسمانية وسقفه هي النفس

الالهية التي هي بالقوة حاملة كما عرفت فيما سبق ان النفس كالظل على الجسم كالسقف للبيت واساطينه هي انوارها الفائضة لها الى الجسم الكل وهي زبرجدة لتوسطها بين الحمرة والمرمرية تقريباً ثم وضع هذا البيت بحذائه على التفصيل الذي سبق **فصل** في الكافي قال ابو عبد الله عليه السلام لبكير بن اعين فهل تدري ما كان الحجر قلت لا قال كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله فلما اخذ الله من الملائكة الميثاق كان اول من آمن به واقر ذلك الملك فاتخذه الله اميناً على جميع خلقه فالقمه الميثاق واودعه عنده واستعبد الخلق ان يجددوا عنده في كل سنة الاقرار بالميثاق والعهد الذي اخذ الله عز وجل عليهم ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكره الميثاق ويجدد عنده الاقرار في كل سنة فلما عصى آدم واخرج من الجنة انساه العهد والميثاق الذي اخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد ووصيه فلما تاب على آدم حول ذلك الملك في صورة درة بيضاء فرماه من الجنة الى آدم وهو بارض الهند فلما نظر اليه انس اليه وهو لا يعرفه باكثر من انه جوهرة وانطقه الله فقال يا آدم اتعرفني قال لا قال اجل استحوذ عليك الشيطان فانساك ذكر ربك ثم تحول الى صورته التي كان مع آدم في الجنة فقال لآدم اين العهد والميثاق فوثب اليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبله وجدد الاقرار بالعهد والميثاق ثم حوله الله عز وجل الى جوهرة الحجر درة بيضاء صافية تضيء فحمله آدم على عاتقه اجلالاً له وتعظيماً فكان اذا اعيى حمله عنه جبرئيل حتى وافى به مكة فما زال يانس به بمكة ويجدد الاقرار له كل يوم وليلة ثم ان الله عز وجل لما بنى

الكعبة ووضع الحجر في ذلك المكان لانه تبارك وتعالى حين اخذ الميثاق
من ولد ادم اخذه في ذلك المكان وفي ذلك المكان لانه تبارك
وتعالى حين اخذ الميثاق من ولد ادم ولذلك القم الملك الميثاق
ولذلك وضع في ذلك الركن ونحي ادم من مكان البيت وحوا الى المروة
ووضع الحجر في ذلك الركن فلما نظر ادم من الصفا وقد وضع الحجر
في الركن كبر الله وهلله ومجده فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال
الركن الذي فيه الحجر من الصفا فان الله اودعه العهد والميثاق دون
غيره من الملائكة لان الله عز وجل لما اخذ الميثاق له بالربوبية
ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعلي عليه السلام بالوصية اصطكت
فرايص الملائكة فاول من اسرع الى الاقرار ذلك الملك ولم يكن فيهم
اشد حبا لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله منه ولذلك اختاره الله من بينهم
والقمه الميثاق وهو يجيء يوم القيمة وله لسان ناطق وعين ناظرة
يشهد لكل من وافاه في ذلك المكان وحفظ الميثاق اقول لما
خطر بالبال في بيان ان هذا الذي هو حجر للقاء الاخذ الميثاقه
كما يظهر من الاخبار انما وقع في مواطن كثيرة ومن تلك المواطن
مرتبة الجسمية التي يعبر عنها في بعض الخطابات بالياقوتة الحمراء
والدرة البيضاء وهو العرش من وجه ولا ريب ان تعين المحيط
والمركز في الجسم الكلي وكذا قدرت مقادير الكل والجل عند
تحقق هذه المرتبة ولما كان الغرض من هذا النظام هو الانسان
على ما عرفت مرارا وقع التقدير بوجود اشخاص هذا النوع
الشريف في تلك المرتبة بان خلق هذه المرتبة لاجل قرارها ومعاشها

الى الصفا

وقدر

وقدر آجالها واعمارها ومقادير اوضاعها كما وقعت الارادة بحيث
في المرتبة السابقة على هذه المرتبة وكذا وقعت المشية في المرتبة السابقة
المتقدمة على الارادة وهكذا وبالجملة في كل مرتبة وقع حكم من هذه الاحكام
بوجود هذه اللطيفة اخذ الميثاق عن ابناء النوع بالالوهية والرسالة
والولاية المطلقتين بان نظر الرب الى حقايقها فنطقوا بالسنتهم المناسبة
لعالمهم من الاجزاء التي تلي المركز العالم لان هذا البنيان تراب الجلد
طينة الهيكل فاخذ الميثاق من ذرات لطينة الترابية القريبة
من المركز المجتمعة كلها بالنحو الجملي في طينة ادم ثم قبلت تلك الاجزاء القتا
بمحض لطافة طينتها النورية وصار قرصفها الاصلي فالتقم ذلك
الميثاق في الجوهرة القريبة من المركز حيث استوت نسبتها الى جميع الاجزاء
لان الشاهد ينبغي ان يكون عدلا غير مايل الى طرف من الاطراف اعني
معنى ان هذا الجزء لما كان متعينا قبل تعين ساير الاجزاء وكان
من جنس طينة ادم وتلك الطينة هي القابلة لحمل الامانة وقبول
التكليف بالالوهية والنبوة والولاية صار هذا الجزء هو الشاهد
والملتقم فيه الميثاق وعبر عنه بالملك بفتحتين لان هذه المرتبة
هي باطن عالم الملك بالضم الذي هو عالمنا هذا ولكل باطن له
سلطنة على الظاهر بالتربية والتدبير ولا نعني بالملك الا من له
هذا السلطان والتقدم حيث تحقق بالمركزية قبل تعين الاجزاء
الاخر باحكامها ولسنا نعني بالمركز ما اصطلح عليه القوم بل على معنى
يقال للارض مركز وبالجملة الحجر الاسود وهو الجزء القريب من الوسط
من الارضية النورية المصاحبة لطينة ادم من حيث وقوعه في افق حكم

لعالمهم بالافراد والشهادة فتعين المركز المحيط
في الجسم الكلي المركز هو احد المواطن
فقد خلق جزء ادم من اجزائه التي
في المركز اعني مركز

فيه بحدث ادم ولم يخالطه الادناس والادران التركيبية والاختلاطات
المزاجية بل بقي على صرافة الجسمية النورية فلذا ورد انه كان ياقوتة
حمراء او درة بيضاء كما ورد في شان العرش كذلك والمعنى الحقيقي
هو تلبيسه بلباس النشاة العنصرية وهبوطه من العالم الشريف
العرشي والجسم النوري الى هذا العالم الظلماني ثم وقوعه في الهند
موطن هبوطه في هذه المرتبة التي هي مغرب للارواح وعدم معرفة
ادم به لاجل تغيير اللباس واحاطة ظلمة ذنوب بني ادم به حيث
ظهرت هذه المرتبة بسبب تغشيتهم وتزودهم وهبوطهم حيث
هبطوا من اجل سقوط ريشهم وعصيانهم ثم تحوله ثانيا الى صورته
الاصلية الى ان عرفه ادم هو تبدله لتقشير ادم اياه عن هذا اللباس
كتقشير المحسوس لرؤية المعقول وحمل ادم وجبرئيل اياه على العاتق
عبارة عن مجيئه الى هذه النشاة بتوسط وجود ادم مع اعانة
جبرئيل في هذا النظام الاتم اذ لولا وجود هذا النوع وكذا توسط
جبرئيل لم يحصل انتقاله من مكانه ومقامه ثم وضع الحجر في هذا المكان
الذي هو الوسط لكونه مقامه حين الميثاق على هذا النمط كما اشرنا
اليه وذلك للاشعار برجوع الكل اليه بامره **فصل** في الاحرام
والتلبية اما الاحرام فلما قد عرفت ان الاعلام انما وضعت على صنوف
الياقوتة فالحرم لله والاعلام عنده الجدران والمواقيت اسكفة
الباب حيث وضعها الشارع من الله العالم من الله بمقادير اتصالات
المراتب والمقامات المحسوسة على محاذاة المراتب العقلية بالنسبة
الى حرم الكبرياء فالوافد الى الله ينبغي له اولا اذا اراد دخول الباب

باب

ان يقف

ان يقف على الاسكفة ويقيم على العتبة فيستاذن من صاحب الباب بان يتاهب
للدخول بالطهارة عن الاوساخ المكتسبة في دار البعد والغرور والتنظف
عن الالواث الموجبة للطرد والحرمان عن دار السرور وبالتشبه بمن جاور
الحضرة في قيام نفسه بالخدمة والموت عن كل شيء ورفض ما سوى المحبوب
من كل جنوة وفي فلذلك جرت السنة هناك بالغسل ولبس ثياب الاحرام
الذي يشبه الاكفان وعن الصادق عليه السلام الاحرام لعلة التحريم وتحريم الحرم
لعلة المسجد وحرمة المسجد لعلة الكعبة والمراد بالتحريم حرمة الحرم وارادة
دخول الحرم واما التلبية فانما هي اجابة لرب الارباب اذ نادى العباد
حين الاحرام ففي الخبر ان الناس اذا احرموا ناداهم الله عبادي لاحرمنكم
على النار فيقولون لبيك لهذه الاجابة يعني لما استاذنوا في الميقات
بالغسل وثوبي الاحرام واستعدوا للوفود الى الله فهذا السلام اذن
لهم بالنداء فينبغي لهم الاجابة بالتلبية والشكر على هذه النعمة وعن
الصادق عليه السلام ان موسى مر بصفاح الروحا موضع بين الحرمين على
ثلاثين او اربعين ميلا من المدينة فقال لبيك كشاف الكرب العظيم
لبيك ومر عيسى بهذا الموضع فقال لبيك عبدك وابن امتك لبيك
اقول ومر نبينا صلى الله عليه واله بهذا الموضع وهو يقول لبيك
ذا المعارج لبيك اقول وذلك لان اجابة كل من هؤلاء المرسلين من اولي
العزم المكرمين بالنعمة العظيمة التي عنده من الله اما موسى فكشف الله كربته
من الرجوع الى امه ثم الى وطنه ثم اهلاك فرعون وقومه وانجاء بني اسرائيل
من ايديهم وخلوص الدين لله بعدما اهلك الله طوايف الظلم والعدوان
واحزاب الشيطان لاجله واما عيسى فالنعمة العظيمة التي عنده

هو ان الله انشاه من فوق الاب من طينة صديقة اصطفاها الله ونفخ
روحه فيه واما نبينا صلى الله عليه وآله فلانه عنده اعظم من وجه
الى الله الصمد وصعوده الى حيث لم يكن بينه وبين الله احد وجبرئيل آخر
للتلبية انها اجابة لدعوة ابيهم ابراهيم عليه السلام حيث نادى من في الاصلاب
فاجابه من في الاصلاب فاجابة اجابة فهذه تذكرة للاجابة السابقة
وتجديد للعهود المتقدمة قال الله تعالى لابراهيم واذن في الناس
بالحج يأتوك رجالا وعن الصادق عليه السلام لما تم بناء البيت نادى ابراهيم
في الناس فاسمع من في الاصلاب وقال هلم الحج فلو نادى هلموا الى الحج
لم يحج الا من كان يومئذ مخلوقا فلبى الناس في اصلاب الرجال لبيك داعي الله
فمن لبى مرة يحج مرة ومن لبى اكثر يحج بعدده وفي رواية ان ابراهيم
قام في المقام او على الحجر ووضع اصبعيه في اذنيه فقال ايها
الناس اجيبوا ربكم فاجابوه بالتلبية في اصلاب الرجال وارحام
النساء وفي رواية ان الحجر الذي في مقام ابراهيم فيه اثر قدمه
لانه حين اذن في الناس قام على هذا الحجر باعلى صوته فلم يحتمله
الحجر تغرق رجلاه فيه اقول وههنا فوايد الاولى ان الفرق بين هلم
وهلموا ان صيغة الجمع تختص بالمذكر فلا عموم له بالنظر الى غيره بخلاف
هلم فانه لا اختصاص له بشيء فانه قد يستعمل في غير المفرد فهو انسب
بان يراد منه العموم بالنسبة الى ما يصدق عليه الانسان بالفعل
او بالقوة وايضا لما كان هذا الخطاب ليس لمعين فلا يليق ان يأتي
بصيغة الجمع المفهوم منه تعيين المخاطب كذا قيل وفيه نظر لان
هذا القائل يزعم ان المجيب هو الارواح المخلوقة قبل الابدان بالفي

انها

انها موجودات متعينة يناسبها صيغة الجمع على انه يناقض ذلك
ما ورد في الخبر الثاني ان ابراهيم قال ايها الناس اجيبوا بصيغة
الجمع وعندي ان الوجه في الخبر الاول ان استعمال هلم لمجرد الامر وطلب
الحضور مع تجريده من خصوصية المخاطب بالافراد والجمعية والتذكير
والتانيث والمعنى ليكن اتيان بالحج ولمن يريد قصد الى البيت
ممن يتاتى منه هذا القصد من افراد البشر وهذا انما يصح في صيغة
المفرد حيث لم يكن فيه علامة الزيادة لاجل التانيث والتثنية
والجمع بخلاف صيغة الجمع فان الزيادة فيهما تغير عن ذلك كما لا يخفى
على المتدرب في العلوم العربية والوجه في الخبر الثاني ان النداء
والطلب انما وقع اولا بقوله يا ايها الناس اي الذين يصدق على كل
منهم انه اذا وجد كان انسانا فلما التفت لهذا الوجه لزم ان يعقبه صيغة
الجمع للامر وذلك لا يغير بالمقصود اذ العموم انما يستفيد من الاول
دون الثاني ويؤيد ذلك قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا ولا ريب في ان قوله جميعا تاكيد والتاكيد انما يصح
فيما يفهم المقصود بدونه وههنا من عموم الناس الثانية قد قيل
ان هذه الاجابة وقعت من الارواح التي من شانها ان تقع في الاصلاب
والارحام لما قد ورد ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام
اقول انما يصح ذلك على الحمل بمعنى الخبر وهو ان يكون القبلية لجملة هذا
القبيل على جملة ذلك القبيل بان يتقدم كل الارواح على مبدأ هذا
النوع واما اذا اريد تقدم روح شخص بالنسبة الى بدنه وهو المعنى
الاخر للخبر وهو الاظهر فلا يصح كما لا يخفى وعندي ان هذا التقدم ليس

بحسب الزمان بان يتقدم الارواح التي عام زماني على خلق بدن آدم
او بدن كل شخص اذ ليس لها من حيث نفسها وجود في الزمان حتى يتقدم
بل وانما من حيث كونها مع ابدانها فهي حادثة معها بالضرورة بل ذلك
القبلية بحسب وجودها الدهري المقدس عن الزمان لكن بحيث اذا قدر وجودها
بهذا الزمان كان هذا المقدار اذ المراتب متحاذية بحسب تحاذي
الحقايق السافلة والعالية فعلى هذا لا يتخالف حكم المعنيين اذ لا تفاوت
ح بين ان يعتبر التقدم بالنسبة الى مبدا النوع وبين ان يعتبر بالقياس
الى الابناء لان هذا التقدم لما كان متعاليا عن الزمان فالنسبة
الى كل الزمانيات المتقدمة والمتاخرة بحسب مراتبها سواسية وهذا
دقيق جدا غاية الدقة ولا يعرفه الا من له قدم صدق في المعرفة فاعلم
ان الاجابة ليست من الارواح مجردة فحسب بل مع ملابسة كل روح مع طينته
الاصلية التي هي كالذر في صلب آدم حين تخمير طينة آدم الذي روحه
بمنزلة جملة ارواح بنيه وكذا جسده بمنزلة اجسادهم على ما هو طريقتنا
من ان النفس من حيث هي نفس لا تخلو عن مادة ما والا لم تكن نفسا وبالجملة
لكل احد طينة كالذرة تعلقت بها نفسه عند تخمير طينة آدم عليه السلم
بمعنى ان هذه النفوس تعينت نحوا من التعين في هذه المرتبة وتشعبت
الذرات في الاصلاب والارحام وتفرقت في الاراضي والاثمار والانعام
حيث مات الحامل الطاهر من الذرات قبل ان يبذرها في محاله
الامهات فانبثت في اطراف الارض فتحركت تناسخة الى ان انتهت
الى الانسان وهكذا الى ما شاء الله والى ان يرث الله الارض ومن عليها الثالثة
قوله عليه السلام في الخبر الثاني فاجابوه بالتلبية من في اصلاب الرجال

وارحام

وارحام النساء مشعر بان مني الام له دخل في تحمل الطينة فربما يكون
هو الحامل بناء على انبثاث الذرات في الحال المختلفة الى ان صار جزء
المولود فاتفق ان يحملها الام لا الاب وحيث ذلك مثل ان تاكل
غذاء هو حاملها او ينتقل من صلب ام الام الى الام حيث لم يتعدد
لرواد ذكور المغيرة للفتح يحتاج الى مني الوالد لاجل العاقبة
وقد لا يحتاج كما وقع في مريم الصديقة فالنفخ هنا لاجل ظهور
الاثار النفسية وسيجيء لذلك زيادة بسط في الموضع اللائق ان شاء الله
الرابعة قوله عليه السلام في الخبر الثالث فعرقت رجلاه فلعل ذلك
اشارة الى قبول الدعوة التي اصل نشاتهم التراب للاتيان الى
الحج واجابتهم للدعوة الى وفاتهم حصة من الحجر للاشارة الى ان هذا
القبول انما ياتي من طايفة سبقت لهم من الله العناية وهكذا يقع
الكلمات النافعة في النفوس الشريفة ومثل هذا يفعل المواعظ البالغة
في القلوب القابلة وان كانت في مرتبة الحجارة وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله الخامسة القايل بان المجيب هو الارواح منع اولا
شرطية توسط الهواء المتكيف واستند بان الملائكة السموية مع كونها
اجساما يتكلمون ويسمعون من دون توسط الهواء ثم منع اشتراطه
في اسماع الارواح وهو كما ترى واقول الحق في هذا المقام ان الكلام
من لدي هو وطن صدر فانه يسلك في الطريق الذي يشبه ذلك الموطن
ويقع على المدرك الذي من جنس هذا الموطن وتفصيل ذلك ان
الكلام اذا صدر من اللسان فانه لا يتجاوز السمع الذي هو من جنس

مدرك اللسان وح يشترط توسط هذا الهواء المحسوس الذي من جنسهما
واذا صدر من الخيال او اكتسى لباس اللفظ فانه يرد بعد ما يقرع السمع في مدارك
الخيال فيتوسط هناك اولا الهواء المحسوس للادراك السمعي ثم الهواء
الذي من جنس الارواح البخارية في فضاء الدماغ للادراك الخيالي واذا صدر
من القلب متلبسا بلباس اللفظ فانه يسلك هذين الفضائين الحسيين
اولا ثم يسير في الهواء الذي يجاور فم القلوب من حيث يبتدي في البرزخ
ارض الدماغ الى حيث ينتهي الى فضاء العقل حسبما ياخذ النفس من هذه
القوى الدماغية فيقتبس من هذا الطريق وان لم يكن متلبسا باللفظ
فقد يتوسط فاسماعه هواء واحد ومنه روح القدس نفث في روعي
ويسمى بالقذف في القلب وقد يتوسط هواءان ويسمى بالنقر في الاسماع واما
الكلام السري العقلي فالطرق فان كان مع اللفظ فيتوسط الاهوية
الثلاثة مع توسط الهواء العقلي حيث لا حس ولا محسوس وان لم يكن مع اللفظ
فقد يتوسط الثلاثة التي دون الهواء الحسي وقد يتوسط اثنان وقد يكون
واحدا وذلك اذا لم يكن بين المخاطبين احد وقد يكون فوق ذلك
حيث يكون القائل والسامع واحدا وانت اذا تاملت بعين
الاستبصار في اخبار النبوات وجدت لما حققنا ايماضات واشارات
وناهيك هذه الوسيضة هنا ثم اعلم ان ابراهيم لا محالة انما كان ابتلاؤه
العقلي حيث كان ذلك باذن الله وامره سبحانه فاما مع مصاحبة اللفظ
او بدونها فعلى الاول يكون من قبيل سماع الملائكة صيحتهم لاهل
الارض كما وقع لقوم صالح وغيرهم ويكون المخاطبون يسمعون
باذان اباءهم الموجودين ويكون وصول الصوت من قبيل ما وقع

من مولانا

من مولانا علي عليه السلام حيث ضرب برجله معويه بالشام وعلى الثاني
فاما من قبيل الوقر في الاسماع حيث يكون المخاطبون في اصلاب الاباء
يسمعون بقواهم الباطنة المندمجة في قوى ابائهم واما من قبيل القذف
في القلوب حيث يكون ممن وقع على قلوبهم الكامنة في الاصلاب اشباح
بعقولهم حيث يسمعون بعقولهم المندمجة في عقل ابيهم ابرهيم عليه السلام
وهذا ايضا في اتحاد العاقل والمعقول وذلك لانه عليه السلام كان ابا لجميع
المسلمين فتبصر ثم اعلم ان هذا الذي قلنا يعرفه من يعرف ان للنطفة
نصيبا من جميع قوى الاباء وان الاولاد هي تفاصيل الاباء وان الولد
سر ابيه ثم ما اشعر الى هذا المرام والحمد لله المفضل المنعام **فصل**
نذكر فيه اسرار المناسك على الترتيب حسبما ورد في الخبر مع توضيح فنقول
ما ذكره الجبرئيل لادم عليه السلام للتوبة بامر الله اي لان يرجع الى السر منتهيا
التوجه الى غيره وتوقع الخير من شيء دون اذنه وطلبا لبيس تحمله في سعيه
مما يوجب حصول التنزل الى موطن سفل مما كان فيه حتى يظهر في ذلك
الموطن اثار الشيء المطلوب كالعلم مثلا مطابقا لما ورد من ان الشجرة
المنهية هي علم آل محمد صلى الله عليه وآله اذ لا ريب ان الجواهر العلمية يستدعي
ظهور معلوماتها وشهود الاثار المترتبة عليها حسب غاياتها في عالم
الشهادة واذا حصلت للعالم بانه يصير جزءا من ذاته كما يصير الغذاء جزءا
للمغتذي على ما هو الحق فيصير هذا العالم الذي هو كالكل كالحامل لها
وهو يغتذي لظهور كما قلنا وذلك يتوقف على ان ينزل العالم معها
حسب تنزلها في مواطن ظهور اثارها ولاجل هذا الاكل وذلك التظهر
امر ادم عليه السلام بالهبوط الى دار الغرور لتظهر الجواهر العلمية التي اكلها قد برز

الحقايق النورية التي تضمنها فلما هبط من جنان القرب الى مسكن
البعد بكى من مفارقة هذا العالم النوري والموطن الاصلي فنزل جبرئيل
الذي هو مغيث النفوس ومربيها وحامل رسالات الله الى اربابها ليرشده
طريق الانابة ويوصله الى ما كان فيه من الجنة والنعمة ولما كان هذا
العالم السفلي اثر الحقايق النورية واصنام الاشباح العقلية
ولا يمكن الوصول الى الاصول الا بالتمسك بالفروع فانطلق به
اي بادم عليه السلام حتى اتى البيت اذ التقرب الى الله والتوجه اليه
انما هو بالتطوف حول حريمه واللياذ الى فناء داره وحرم الله
في كل عالم من العوالم يجب ان يكون من جنس ذلك العالم لكن بحيث
يضاهي ما يحاكي كما في المرتبة السابقة وان الظاهر عنوان الباطن
وبيت الله تعالى في العالم العنصري لضرورة الارضية هي الكعبة
وهذا الاتيان في مقام السلوك يحاذي التصور في مقام المعرفة
لان الشيء ما لم يتصور وان كان بوجه ما لم يمكن التوجه والحركة
اليه يضاهي ما مضى السير من الله الى الله في مقام التحقق فنزل غمامة
اظلتهم هذه الغمامة ما يحاذي الضراح والبيت المعمور والعرش
وهي عمامة الحيرة وعلامة قبول التوبة بانه سينزل لمن نماء القدس
غيثا مغيثا لانشاء النشاءة الاخرة واثبات حقيقة الانسان
من ارض القابلية فامر جبرئيل بان يخط برجله حيث اظلته
الغمامة فانطبعت صورة بيت الله العقلي في العالم الارضي والخط
بالرجل لاجل قصوره في العالم السفلي فخط مكان البيت على المحاذاة
التي يقتضيها الظلمة والضمير حيث لم يشذ من العالم النوري

شيء

شيء الا وقد صوره احسن صورة وخط الحرم بعده حيث وصل
نور الياقوتة التي سبق بيانها غير مرة اشارة الى وصول فيض الانسان
الى ساير الاكوان وانها استنارت بنور هذا الشان ولاجل هذا
الخط الاولي الذي بمنزلة العالم الصوري جرت السنة بان ياتي
المحرم اولا الى البيت ويطوف به ثم ياتي المناسك ثم يعود
الى البيت اخيرا ثم انطلق به حتى اتى منى وهو اول المناسك
لان كل حركة مسبوقة بشوق طبيعي او ارادي متسبب عن تمني
الوصول الى المقصد ولا ريب ان رؤية آثار الاجابة من تظليل
الغمامة وتعيين موضع البيت من الكعبة والالهام بالتطوف حول
حريم العظمة يوجب تمني القربة والزلفة فاراه موضع مسجد منى
دون ان يامره بالعمل بما يوجب حصول المتمنى لان اول ما يظهر
في القلب الذي هو بيت الله في طريق السلوك اليه هو التمني ثم يظهر
ثانيا في الاسباب والاعمال الموصلة اليه ثم اتى العرفات هذا
شروع في العمل وهو اول خطوة من خطوات السلوك لان التوجه
الى السبيل لا يتاتى الا بالهرب من المكان الذي هو فيه ولا يتحقق
الحركة الا بالاعتراف بالذنب الذي يلزم العبودية بل نفسها اول
المقامات الموجبة للتوجه الى الله والهرب عما كان صدر عنه
من الخطاء المقتضي للبعد عن الله واختيار الهبوط الى ارض الغربة
لدفع القاذورة والطغيان عما كان فيه من الوان دار الغرور
فاقامه على العرف بان عرفه ذلك المقام على التحقيق وقال له
اذا غربت الشمس عرفت بذنبك لاحتجاب نور شمس الحقيقة عنك

بارتكاب المعصية واستتارك بظلمة الذنوب الموبقة فوقفك وقت
المغرب حيث احاطت بك ظلمة الذنوب واشرفت شمسك على الغروب
فاعترف بذنبك واقر بانك لا تبعد عن مولاك الا بحسبانك انك
انت ثم امرك بالافاضة من عرفات بان تتزلزل عن وقوفك وجوده الذي لا يبقى
بذنب ثم على الجبال السبعة وهي اصول الحجب السبعة النورية
والمقامات التفصيلية بين العبد والرب بعدما تخلص من مقام القلب
ومرتبة الطبع فامره بالتكبير على كل جبل اربع تكبيرات اي بالحكم
بفنائها واستهلاكها من حدودها الاربعة فارتفعت الحجب عن
نظره وانكشف سبحات نور الجمال عينه ثم انتهى الى جمع
بعدما كان في مقام الفرق فجمع بين الصلوتين صلوتي المغرب و
العشاء وذلك في المزدلفة ولذا سمي بها وبالجمع لتوقع القرب
والتحقق بمقام الجمع وقد عرفت في كتاب اسرار الصلوة ان هاتين
الصلوتين لترقب طلوع شمس الحقيقة من مشرق القرب والوصلة
ثم امره ان ينبطح اي يقع على حجر من بطحاء وهي الفضاء
الذي في المشعر توقعا لشروق النور وتهيأ للحضور فانبطح
حتى انفجر الصبح من سبحات وجه الحقيقة في ظلمة عالم الطبيعة
ثم امره بصعود الجبل جبل جمع ليتحقق بمقام الجمع على الكمال
والتمام ويستولي على حقائق هذا المقام وبالاعتراف بالذنب
حين طلوع الشمس سبع مرات عدد الحجب لان طلوع شمس
الحقيقة لا يبقي اثرا ولا رسما للوجودات التي هي الذنوب الموبقة
وفيما كان الله التوبة سبعا بان يسال توجه الرب اليه بقبول التو

عد كالاعتراف ويقرب اليه في كل مرة على تجلي خاص حتى يرى
العبد ان المتجلي والمتجلى له والمتجلى فيه امر واحد فيصعد اليه
في كل مسافة ازيد درجة من القرب لانها هي السابق وانما جعل اعترافه
لان من لم يدرك عرفات وادرك جمع فقد وفى بحجه اذ الحج
هو القصد الى الله بشرط البرية من جميعها سواء فاذا وافى القصد
مع احد الاعترافين فقد تحقق المقصود ذلك من تسهيل الله الامر
على عباده من فضل الله على ضعفاء بريته فلما افاض ادم من جمع الى منى
فوصل الى مناه واتصل الى مولاه فامره بصلوة ركعتين لان الصلوة
قربان كل تقي وقد سبق انها هي التوحيدات الثلث وان يقرب
الى الله قربانا مشعرا بذبح بدنة عقله او بقرة نفسه او شاة قلبه
لكل احد ما يصل اليه وسعه ويستحضر مقامه ولا يكلف الله نفسا
الا وسعها وان ليس للانسان الا ما سعى وان يحلق راسه من اذى
الانانية ووسخ الكبر تواضعا لله واستهلاكا لديه اذ قبل قربانه بان
اعطاه لباس البقاء في كل مرتبة حصل عنها الفناء وقال النبي صلى
الله عليه وآله انه يغفر لصاحب الاضحية عند اول قطرة من دمها
وقال استفرهوا ضحاياكم فانها مطاياكم على الصراط ثم انطلق
الى البيت حين ما خفف على ذنوبه واستهلاك الكل في نظره وليستتر
على جميع حرامه بخلعة البقاء بعد الفناء ورجع هو الى الله واستحق
دخول بيت الله والبقاء ببقاء الله فعرض له ابليس عند الجمرة الثالثة
لاجل انه من يتقرب الى الله والوصول الى حرم كبريائه منتهى المراتب التي
يمكن بان يتسلط ابليس على السالك بان يستشعر بهذا الفناء ويسع

بالبقاء ببقاء الله فيفوز بقرب الكبرياء ولا يخلص سره الى الله مع الله
فوقع لآدم عليه السلام هذا الشعور فعلمه جبرئيل معنيا للنفوس بان هذه
المرتبة لا يخلص من شوب مغايرة ولا يخلو من توهم منافرة بل ينبغي
ان يفني السالك عن هذا الفناء بان لا يستشعر بتلك الفناء فقال له
ارم بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة للحكم بالفناء على الكل فناء
خالصا عن شوب الشعور بسر العدد كون اصول الحجب التي هي الخلق
فذهب ابليس ثم فعل في اليوم الثالث والرابع لتاكيد هذا الحكم
والتحقق بتلك المقام ثم انطلق ثم فعل بر الى البيت فامره
ان يطوف بالبيت سبع مرات هذه هي مرتبة السير لله مع الله
الى الخلق والتلبس بمقامات الحجب السبعة وعندها تحقق البركات
الخمسة اذ الازدواج بين السبعة المرتبة خمسة فقبل الله توبته
بالوصول الى نقطة القرب والطواف حول حريم القطب المستلزمة
للاحاطة على جميع الدوائر العقلية والحسية فصار كامل المتصرف
في العوالم العلوية والسفلية وخليفة من ربه واستباحت له الكائنات
الواقعة بين الحقائق الاصول المبتداه من هبوط المبادي الى افق
العالم الكوني لاستنتاج الفروع المقصودة في النظام الكلي والله
اعلم والحكم **فصل** عن مولانا ومولى الثقلين امير المؤمنين وامام
المتقين صلوات الله عليه انه سئل عن الوقوف في الجبل لم لم يكن في الحرم
قال لان الكعبة بيته والحرم بابه فلما قصدوه وافدين وقفهم بالباب
يتضرعون قيل فالمشعر الحرام لم صار في الحرم قال لانه لما اذن لهم
بالدخول وقفهم بالحجاب الثاني فلما طال تضرعهم بها اذن لهم بتقريب

قربانهم فلما قضوا تفثهم تطهروا بها من الذنوب التي كانت حجابا بينهم
وبينه اذن لهم بالزيارة على الطهارة قيل لهم حرم الصيام ايام التشريق
قال لان القوم زوار الله وهم في ضيافته ولا يجمل بالمضيف ان يصوم اضيافه
قيل له فالتعلق باستار الكعبة لاي معنى هو قال مثله مثل رجل له عند اخر
جناية او ذنب فهو يتعلق بثوبه ويتضرع اليه ويخضع له ان يتجافى له عن ذنبه
اقول المراد بالجبل جبل عرفات وهو خارج الحرم واما المشعر الحرام فهو
المزدلفة وهي مقام القرب فيجب ان يكون في الحرم وقد سبق ما ينبغي
ان يكون شرحا لهذا الخبر وفي رواية الكعبة بيت الله والمشعر بابه فلما
قصده الزائرون وقفهم بالباب حتى اذن لهم بالدخول ثم وقفهم بالحجاب
الثاني وهو مزدلفة فلما نظر الى طول تضرعهم امرهم بتقريب قربانهم
ليغفر لهم عند اول قطرة من دمها وذلك بان يفنيهم عن انفسهم وعن كل
شيء ويوصلهم الى جواره الذي ليس فوقه سطح لصعود رقي والحمد لله على
فضله **المنهج الثالث** قال الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة
اذا اردت الحج فجرد قلبك لله من قبل عزمك عن كل شاغل وحجاب كل حاجب
وفوض امورك كلها الى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك
وسكونك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا والراحة والخلق
واخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد على زادك
وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة ان يصير
ذلك عدوا ووبالا فان من ادعى رضا الله واعتمد على شيء سواه صيره
عليه عدوا ووبالا ليعلم انه ليس له قوة ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة
الله وتوفيقه واستعد استعداد من لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة

ووداع اوقات فرايض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله وما يجب
عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء والايثار
الزاد على دوام الاوقات ثم اغتسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك
والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع واحرم عن كل شيء يمنعك
عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب بمعنى اجابة صافية خالصة
زاكية لله عز وجل في دعوتك له مستمسكا بعروة الوثقى وطف بقلبك
مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت
وهرول هربا من هواك وتبريا من جميع حولك وقوتك واخرج عن
غفلتك وزلاتك بخروجك الى منى ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه
واعترف بالخطايا بعرفات وجدد عهدك عند الله بوحدانيته وتقرب الى الله
واتقه بمزدلفة واصعد بروحك الى الملأ الاعلى بصعودك الى الجبل
واذبح حنجرة الهوى والطمع عنك عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة
والدناءة والذميمة عند رمي الجمار واحلق العيوب الظاهرة والباطنة
بحلق شعرك وادخل في امان الله وكنفه وستره وكلائه من متابعة
مرادك بدخولك الحرم وزر البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفته
بجلاله وسلطانه واستلم الحجر رضى بقسمته وخضوعا لعزته وودع
ما سواه بطواف الوداع وصف روحك وسرك للقاء الله يوم تلقاه
بوقوفك على الصفا وكن ذا مروة من الله نقيا عند المروة واستقم
على شرط حجك هذا ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك واوجبته
الى يوم القيامة واعلم بان الله لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات
بالاضافة الى نفسه بقوله عز وجل ولله على ما شرعه الا للاستعداد

الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ولا شرع نبيه سنة في خلال على

واشارة

والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيامة وفصل بيان السابقة من الدخول
في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة مناسك الحج من اولها
الى آخرها لاولي الالباب واولي النهى **كتاب اسرار الجهاد** اعلم
ان الجهاد جهادان جهاد في الظاهر وجهاد في الباطن وقد وقع النص
بذلك في القرآن الكريم منها ما اشير الى الاعم وذلك في مواضع كثيرة كما لا يخفى
على اهل البصيرة ومنها ما اشير الى الاول منهما وذلك ايضا كثير كالاول
قال تعالى وقاتلوا المشركين كافة والى الثاني غير مرة قال عز من قائل
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن النبي صلى الله عليه وآله حين
الرجوع من بعض الغزوات رجعنا من الجهاد الاصغر وبقي لنا الجهاد الاكبر
قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة النفس وعنه صلى الله عليه وآله
اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ثم انه سبحانه شرع الجهاد في
الاصغر لاعزاز دينه واعلاء كلمته وشمول رحمته من يشاء من عباده
وليحق الحق ويبطل الباطل ويتم نوره ولو كره الكافرون واوجب
الجهاد الاكبر ليصفو الارواح العالية المحبوسة في ارض الغربة عن شائبة
الالوان المادية ويخلي النفوس الشريفة التي اطمأنت في المساكن
الهيولانية وانغمست باحكامها وانطبعت بها ورضيت بالعيش القليل
من الدنيا ويخلص العقول العالية من هذا المضيق الى فسحة عالمها
الاقصى وسعة افقها الاعلى ولا يتيسر ذلك الا بالتجافي عن دار
الغرور ولذاتها وشهواتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والاستعداد
لدار الخلود والسرور والتهيؤ لسكنى عالم الصفاء والنور رزقنا الله

وايّاكم ذلك بفضله ومنّه انه على ذلك لقدير وبالاجابة جدير ثم
ان احكام الجهاد في الظاهر مما قد فرغ عنه في الفقه فلا كثير فائدة هنا
في ذكرها واما الجهاد في الباطن فقد ورد عن الصادق جعفر بن محمد
عليهما السلام في مصباح الشريعة ما قد اشتمل في جميع احكامه ونحن نكتفي هنا
بذكر ما تراه لتامن بيانه قال عليه السلام طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهواه
ومن هزم جند هواه ظفر برضا الله ومن جاوز عقله نفسه الامارة
بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله فقد فاز
فوزاً عظيماً ولا حجاب اظلم واوحش بين العبد وبين الله من النفس والهوى
لقتلهما وقطعهما سلاح ومثل الافتقار الى الله والخشوع والجوع
والظماء بالنهار والسهر بالليل فان مات صاحبه مات شهيداً وان عاش
واستقام ادّى عاقبته الى الرضوان الاكبر قال الله عز وجل والذين
جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وان الله لمع المحسنين واذا رايت
مجتهداً ابلغ منك في اجتهاده فوبّخ نفسك ولمها وعيّرها تحثيثا
على الازدياد عليه واجعل لها زماماً من الامر وعناناً من النهي وسقها
كالرائض الفاره الذي لا يذهب عليه من خطواتها الا وقد صحح اولها
واخرها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي حتى يتورم قدماه
ويقول افلا اكون عبداً شكوراً اراد ان يعتبر به امته فلا تغفلوا
عن الاجتهاد والتعبد والرياضة بحال الا انك لو وجدت حلاوة عبادة
الله ورايت بركاتها واستضأت بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة
ولو قطعت ارباً ارباً فما اعرض من اعرض عنها الا بحرمان فوائد السلف
من العصمة والتوفيق قيل لربيع بن خثيم ما لك لا تنام بالليل قال لاني

اخاف البيات **بيان** اعلم ايها السالك الى الله بقدم المجاهدة
والعرفان انه قد تضافرت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله على ذكر ان الحجب الحق
في طريق سلوك العبد الى الله ذي المعارج سبعة ينبغي للمجاهد في سبيل الله
من خرق تلك الحجب وقطعها وهذه هي امهات الحجب والا فقد ورد انها
سبعون وانها سبعمائة الى سبعين الف والى تلك الاصول اشار بعض المفسرين
بان السالك الى الله عز وجل في ارتياضه واجتهاده يمر على سبعة ستور وعند
الوصول الى كل واحد منها يحسب ان ذلك منتهى سلوكه وصعوده فتيسّره
فانيا التوفيق الى مرتبة فوق ذلك وهكذا الى ان يتدرج فوق الكل ولعل
ما حكى العارف الرومي من ان الشيخ الدقوقي ورؤيته ثمانية اشجار ثم صيرورتها
واحدة ثم صيرورتها ثمانية رجال ثم واحداً اماماً يقتدى به في الصلوة
على ما فصل ذلك في منظومه المثنوي اشارة الى ما ذكرنا وان السبعة منها
اشارة الى تلك الحجب والواحدة الى النفس التي هذه الحجب مراتب تنزلاتها
ودركات معاصيها وقال بعض سادة ارباب العرفان ان قوله سبحانه
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين اشارة الى تلك
المراتب انتهى اقول ولا عجب في ان يعبر عنها بالسموات حيث تولّت
النفس من سماء اطلاقها وعرش مرتبتها مارة عليها الى ان انطبعت
في ارض المادة وتلبست بالغواشي الهيولانية ولانها صارت في تلبسها
بواحدة من هذه المراتب السبعة الانفسية صار منشأ لجرم سماوي
من السبعة الافاقية على حسب مناسبة تلك المرتبة لجوهر هذه السماء وبين
تلك الحجب النفسية وتلك الاجرام السماوية اوان بين هذه الحجب وتلك
الجواهر مناسبة لا يعلمها الا الله والراسخون بحيث يكون السالك الى الله

في مجاهدة نفسه كلما خرق واحدا من الحجب السبعة يصعد الى سماء يناسب ذلك
الحجاب الى ان ينتهي الى ما شاء الله ولنفصل القول في بيان الحجب وتعدادها
ليكون بصيرة لمن سلكها فنقول انا المستعين في سره ان النفس العقلية
النورية لما صدرت من مبدعها التام وقعت رؤيتها اولا على نفسها
فحسبت انها على شيء لاجل ما رأت في نفسها من جلايل النعم التي اودع فيها
خالقها من احكام الاسماء وانوارها ومن التي اعطاها البارى القيوم من الاعوان
والقوى لما رضا العقل بعساكرها على ما ورد في الخبر المروى لتفصيل جنود العقل
والجهل على ما في الكافي وهذه هي المرتبة الاولى من الحجب ثم لما تطرقت في نفسها
وعلمت انها ذات جملة لتفاصيل حقائق العالم تسبب منها تلك التفاصيل
على الترتيب السببي والمسببي حسب ما فصل في محله فصارت روحا مدبرا
للكل الى ان صارت منطبعة في المادة مستورة باحكامها فصارت قلبا
وهاتان المرتبتان مع السابقة هي ثلاثة حجب ثم توجهت الى تدبير العالم
والسياسات الموجبة لاتساقه وانتظام مصالحه من تشريع الشرائع والاديان
وتاسيس السنن والاحكام المناسبة لكل زمان باذن باريها الرحمن وهذه
هي المرتبة الخامسة فركنت الى هذا العالم كل الركون واطمأنت كل الاطمينان
وهذه هي المرتبة السادسة فازدادت من الله بعدا لاجل تلبسها باحكام
الطبع والعادة وذلك حيث رأت نفسها شيئا بل سلطانا مستبدا بل متفردا
بالتدبير ولذلك يرى بعض الناس قد ادعوا الالوهية والرسالة واقل ذلك
انك لا ترى نفسا الا وبها التسلط ولو على واحد من الناس ولذلك احتجبت
بالجمع عن الوصول الى خالقها وازدادت بعدا من الموطن النورية التي كانت
فيها تبصرة فالعبد السالك الى الله يقدم المجاهدة العرفانية والمجاهدة

في سلوك سبيله بقطع المسافة المعنوية يجب عليه ان يصعد هذه العقبات
المترتبة ويخرق تلك الحجب الواقعة في الوسط بان يبتدئ بسيره الى الله
من منتهى دركات النفس الى ان ينتهي الى اعلى درجات هذه الشمس
فاول ما يصنع في السلوك ان يخلع عن نفسه خلافة امر الطبع واحكام
حكام الطبيعة ويحترز عن تقلد رسوم العرف والعادة ويتجافى عن تقليد
آثار السلف الدنيا ونحن ويحترز عن اتباع شهوات القوى الشهوية
والغضبية على اليقين فعن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام اغلق ابواب
جوارحك عما يرجع ضرره الى قلبك ويذهب بوجاهتك عند الله ويعقب
الحسرة والندامة يوم القيمة الخبر فالحجاب الاول هو الطبع وآثاره وثانيا
ينبغي ان يقلع عن نفسه حب هذه الدنيا المتزينة بالغرور المتحببة الى اهلها
بالكذب والزور قال رسول الله صلى الله عليه وآله حب الدنيا رأس كل
خطيئة ولا يجمع هواها مع رضا الله سبحانه وعن الصادق عليه السلام الدنيا
بمنزلة صورة رأسها الكبر وعينها الحرص واذنها الطمع ولسانها الرياء
ويدها الشهوة ورجلها العجب وقلبها الغفلة وكونها الفناء وحاصلها
الزوال فمن احبها اورثته الكبر ومن استحسنها اورثته الحرص ومن طلبها اورثته الطمع ومن مدحها البسته الرياء ومن ارادها مكنته من العجب ومن اطمأن اليها
اورثته الغفلة ومن اعجبه متاعها افتنته ولا يبقى ومن جمعها وبخل بها
ردته الى مستقرها وهي النار فالحجاب الثاني هي الدنيا وليعلم ان هذين
الحجابين مراتب للنفس الامارة ثم بعد ذلك يظهر للسالك مقامات القلب
وثالثا ان لا يعجب ولا يرى عمله شيئا بالنظر الى ما انعم الله عليه من النعماء والقياس
الى ما يليق بجناب الكبرياء اذ المخلصون على خطر فضلا عن غيرهم من البشر
وعن الصادق عليه السلام الاخلاص يجمع حواصل الاعمال وهو معنى مفتاحه

القبول وتوقيع الرضا في تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وان قل عمله
ومن لا يتقبل منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بادم عليه السلام وابليس وعلامة
القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة كل حركة وسكون والمخلص
ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والعامل والمعمول بالعمل لانه
اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني
التنزيه في التوحيد كما قال الاول هلك العاملون الا العابدون وهلك
العابدون الا العالمون وهلك العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون
الا المخلصون وهلك المخلصون الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون
وان الموقنين لعلى خطر قال الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين وادنى الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا
فيوجب به على ربه مكافاة بعمله لانه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز
وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع السلامة من جميع الاثام
وفي الاخرة النجاة من النار والفوز بالجنة انتهى الخبر فالحجاب الثالث هو العمل
وذا بعدا ينبغي له ان لا يتفاوت عنده المدح والذم من الاعداء والاحبا
بل يحثو على وجوه المداحين التراب وان لا يأسف على المفقود ولا يفرح
بالموجود ويكون في ذلك متأسيا بسيد الاولياء واشرف الوصيين
امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حيث قال ما عبدتك خوفا من نارك
ولا طمعا في جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وهذا هو الزهد
الحقيقي وعن الصادق عليه السلام الزهد مفتاح باب الاخرة والبراءة من النار
وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا اعجاب
في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض عليها الها

فالحجاب

فالحجاب الرابع هو الرغبة الى الجنة والخوف من النار وليعلم ان هاتين
المرتبتين من اللتين مقامات القلب هما من مراتب النفس اللوامة وبعد
سلوك هذه العقبات يضع قدمه على القلب ويصعد الى مقام الروح
وخامسا ينبغي ان يجتهد كل الاجتهاد ويسعى كل السعي في ذوبان
قلبه وبذل مهجته ورفض ما سوى الله بالرضا بقضاء الملك القدير بل يبذل
مجهوده في تضييع النفس واهلاكها وارتياضها بالجوع والظما في النهار
والسهر بالليل في ميدان الشوق حيث يقرب من افق عالم الروح وعرصاتها
عليه السلام المشتاق لا يشتهي طعاما ولا شرابا ولا ياوي عمرانا وعنه عليه السلام
في بيان ان السلامة في العزلة والصمت قال عليه السلام ان لم يجد السبيل
فالانتقال من بلد الى بلد وطرح النفس في براري التلف بسر صاف وقلب
خاشع وبدن صابر الخبر بل يجتهد في اتلاف نفسه واهلاكها ويجعلها
هدفا للبلايا فقد روينا ان النبي صلى الله عليه واله قبل الهجرة كثيرا ما يذهب
الى جبل حرا ويغلب عليه الشوق فيهوي بنفسه الى السقوط وربما يسقط
نفسه من شاهق حتى قيل فيه عشق محمد ربه فالحجاب الخامس هو القلب
وبعد ذلك يدخل السالك في حريم النفس المطمئنة وصار ساميا بتمكن
على ذروة الارواح العالية ويجلس في اسرة الانوار القاهرة فلما كان
هذا المقام قريبا من جوار الله يرى كل الانوار مستلاشية عنده مضمحلة
لديه سبحانه ويرى الكل منه واليه فيخلع عن نفسه بالكلية ويفنى عن وجوده
وانيته المستعارة فيبقى ببقاء الله ويفنى كل الاشياء فالحجاب السادس
هو الروح ثم بعد هذا الفناء بحيث لا يخطر في نفسه بانه من اهل الفناء
فيبقى بالله وحده ثم ينادي من تحته لمن الملك اليوم فيجيب لسان الحق

لا محجوبة الواحد القهار فالحجاب السابع هو الحسبان وتوهم الشيئية
والى المرتبة السادسة والسابعة اشير في الخبر السماوي بالعشق والقتل
حيث ورد من عشقني عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعلى
ديته ومن على ديته فانا ديته كما سيجيء والحمد لله وحده **فصل** ولنرجع
الى بيان حديث مصباح الشريعة على ما نقلنا اولا فنقول ما ضبط بالبال
في فهم هذا الذي هو خير المقال بعد كلام اهل المقال ان الطوائف الذين
اوجب الله قتالهم والجهاد معهم في الظاهر مع اختلاف آرائهم وعقائدهم
يجمعهم كلهم الفساد والمشترك بين الكفر والشرك وهو العدول عن دين الله
والميل عن الطريق المستقيم الذي ارتضاه فذكر عليه السلام في الجهاد الاكبر على
محاذاة الطائفتين اللتين في الجهاد الاصغر النفس والهوى فالنفس امارة
بالسوء هي الكافرة بالله والاهواء المغوية المردية هي المشركة بالله تعالى اما
الثاني فلقوله عز من قائل أرأيت من اتخذ الهه هواه واما الاول فلان النفس
والمراد بها الروح الذي هو من عالم الامر حين هبطت الى العالم السفلي
وانطبعت في الموطن العنصري حتى كانها صارت طبعا وهي لاجل ذلك
الهبوط والانطباع نسيت عالمها وما فيه من الحسن والبهاء والخضوع لله
عز وعلا وذهلت عما اخذ منها من المواثيق وعقد عليها من العقود
فكفرت بانعم الله تعالى حيث اخفتها وانكرتها لان الكفر في الاصل
هو الاخفاء كما قد عرفت مرارا ثم انه صلوات الله عليه لما ذكر اولا ما يجب
قتاله فتح ابواب الملكوت بين ثانيا الشخص المجاهد وهو القوة العقلية
المستنيرة بنور الله المقتبسة من مشكوة النبوة والولاية ثم ذكر ثالثا
السلاح والآلة لهذا القتال والجهاد وهو الجهد والاستكانة وغيرهما مما ذكر

في هذه

في هذه الرواية ثم افاد عليه السلام ان هذه كما يكون سلاحا كذلك تكون
عسكرا وجندا لكن باعتبارين ولهذا ذكرها مرتين ويؤيد ذلك كونها
خمسة والعسكر يكون كذلك ولذا يسمى خميسا فالافتقار الى الله تعالى
هي المقدمة والسهر بالليل الساقة والخشوع هو القلب لانه يكون بالقلب
والجوع والظماء بالنهار هما الجناحان وجعل المعركة بساط خدمة
الله تعالى ثم ذكر عليه السلام ان ذلك هو الجهاد في الله بخلاف الجهاد الاصغر
فانه الجهاد في سبيل الله واستشهد في ذلك بقوله سبحانه والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومعنى الجهاد في الله هو ان يجاهد العبد
نفسه ويجهد الى ان يصل الى جوار الله برفض جلابيب الحس والخيال والعقل
وخلع نعلي الدنيا والآخرة وقطع الهمة عن كل ما سوى الله ثم الانقطاع
بالكلية الى المولى وقتل النفس وقمع الهوى وجعل الهم واحدا بحيث لا يرى
ولا يعلم الا واحدا ثم ذكر عليه السلام ان المجاهد في الظاهر اما ان يقتل
ويصير غالبا او يقتل ويصير مغلوبا مع انه في هذه الحالة يكون غالبا
او يقتل ويصير مغلوبا مع انه في هذه الحالة يكون غالبا كذلك المجاهد
في طريق الباطن اما ان يموت في اثناء اجتهاده او يعيش بعد فراغه
فالاول يصير من الشهداء ومن يخرج من بيت نفسه وموطن هواه مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ويكون ديته
هو الله كما ورد من طلبني وجدني ومن وجدني عشقني ومن عشقني عشقته
ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعلي ديته ومن علي ديته فانا ديته
او ومن احبني بسبب تقربه بالنوافل احببته ومن احببته الله قتلته
اي قتلت نفسه وهواه وقطعته عن كل ما يهواه ومن قتلته كان الله علي ديته

بمقتضى السنة الالهية فى القتل ومن على ديته فانا ديته بانى كنت سمعه
وبصره ويده ورجله بل كل شئ منه واما الثانى فيؤدى الى عيشة
الى الرضوان الاكبر اى يعيش فى رضوان الله فى الدنيا والاخرة ورضوان
الله اكبر وهو ان يكون كل شئ يحدث ويجئ ويذهب فى العالم فانما هو
برضاه ولا يتحرك متحرك الا بامره وحكمه الذى امضاه لانه فنى عن نفسه وعن كل
وبقى بالله جل شانه وفى الوحى القديم يا ابن ادم خلقتك لاجلى اطعنى
اجعلك مثلى اذا قلت للشئ كن فيكون وقيل فى ذلك لم له منك ه
بمنزلة كن منه تعالى ثم انه عليه السلام حث على ذلك الاجتهاد بقوله واذا رايت
مجتهدا ابلغ منك فى اجتهاده فوبخ نفسك توبيخا بليغا ولمها ملامة
كاملة وعيرها تعييرا تاما بانه مثلك بل ربما تكون انت اقوى منه فى العمل
والاجتهاد والصبر على المشاق وتيسير الازدياد وافعل ذلك التوبيخ
للتحثيث على ان تزداد عليه والتحريص على التنافس فيما السير ثم انه عليه السلام
ذكر طريق الارتياض للنفس بعد ما صارت اسيرة لك منهية عما هواه
من الانس الى وطنه الذى هو العالم العنصرى ومن حب الشهوات اللازمة
للطبع الحيوانى بقوله واجعل لها زماما من الامر اه استعار الزمام للامر
اذ الزمام انما يكون للقياد وذكر العنان فى النهى لانه انما يجعل للذود
والمنع ثم قال وسقها كالرائض اى الفارس الذى يريد رياضة الخيل الفاره
العالم بطريق الرياضة الذى لا يذهب [عن ذاكر] راس مخطوة من خطوات الخيل الا
ويصح اول تلك الخطوات واخرها بان لا يجمح ولا يذهب يمينا وشمالا ولا
ولا يطفر طفرا بل يريد ان يكون على النهج القويم والطريق المستقيم ثم انه
حث على الاجتهاد وحرض على طريق الرشاد بثلثة وجوه احدها بالتاسى

بالنبى

بالنبى صلى الله عليه وآله فانه يصلى حتى يتورم قدماه فقيل له فى ذلك انك
نبى وسيد الانبياء فيقول افلا اكون عبدا شكورا ينبغى لى ان اؤدى شكر
هذه النعمة التى جعلنى الله سيد الاولين والاخرين مع انه صلى الله عليه وآله
اراد ان يعتبر بذلك الاجتهاد امته بان يروا او يسمعوا ان خاتم النبيين
الذى هو اقرب الخلق الى الله يجتهد بهذه المرتبة فلا يغفلوا عن الاجتهاد
والتعبد والرياضة فى حال من الاحوال ولا يشغلهم عن ذلك شغل من
الاشغال وثانيها بذكر اللذة الحاصلة من الاجتهاد والحلاوة التى
لهذا الجهاد فقال وانك لو وجدت حلاوة عبادة الله وذقتها ما ذقت
ذواقا من الدنيا ولو رايت بركاتها الحقيقية وخيراتها ما نظرت الى
هذه الدنيا وما طمحت الى خيراتها المظنونة المشوبة بالف بلاء وطرائفها
ولو استضات بنورها لم ترد نورا من غيرها ولم تصبر ساعة عنها ولو قطعت
اربا اربا وتقطعت عضوا عضوا فالذين اعرضوا عن العبادة والاجتهاد
ما اعرضوا عنهما الا بان يحرموا من لذاتها التى استفادها السلف
الصالحون والبغية التى سبق اليها السابقون من العصمة من شرور هذه
النشاة ولذاتها الكدرة ومن التوفيق للعبادة وذوق هذه اللذة
اللدنية لان الانسان ما لم يذق ذوقا ما لم يجد تفاوتا ما بين
الحنظل والحلو وثالثها بان الغفلة عن العبادة والرياضة ساعة
واحدة موجبة للسقوط عن الدرجات العالية كما قيل فى النظم الفارسى
رفتم كه خار از پا كشم محمل نهان شد از نظر   يك لحظه غافل گشتم
وصد ساله راهم دور شد   وداعية الى تسلط الشيطان اذ البعد عن
الرحمن هو نفس القرب من الشيطان والغفلة عنه تعالى هى [سواء] الاقبال الى ما

ولذا لما قيل لربيع بن خثيم الذي هو احد الزهاد الثمانية ما لك لا تنام
بالليل قال لاني اخاف البيات اي بيات عساكر الشيطان واختطافهم
اياي من سماء القرب الى ارض الحرمان **كتاب اسرار الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر** بالجريان تذكر في هذا الباب ما ورد في مصباح الشريعة
ومفتاح الحقيقة فانه بلغ النهاية في هذه الطريقة قال الصادق عليه السلام
من لم ينسلخ عن هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم
الشيطان ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وامان عصمته لا يصلح للامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لانه اذا لم يكن بهذه الصفة فكل ما اظهر يكون حجة
عليه ولا ينتفع الناس به قال الله عز وجل اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم ويقال له يا خائن اتطالب الخلق بما خنت به نفسك وارخيت
عنه عنانك روي ان ثعلبة الاسدي سأل رسول الله صلى الله عليه وآله
عن هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم فقال صلى الله عليه وآله أمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على ما اصابك حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب
كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع امر العامة وصاحب الامر بالمعروف
يحتاج الى ان يكون عالما بالحلال والحرام فارغا من خاصة نفسه
مما يامرهم به وينهاهم عنه ناصحا للخلق رحيما بهم بالرفق وحسن البيان
عارفا بتفاوت اخلاقهم لينزل كلا منزلته بصيرا بمكر النفس ومكائد
الشيطان صابرا على ما يلحقه لا يكافئهم بها ولا يشكو منهم ولا يستعمل
الحمية ولا يغتاظ لنفسه مجردا نيته لله ومبتغيا لوجهه فان خالفوه
وجفوه صبر وان وافقوه وقبلوا منه شكر مفوضا امره الى الله ناظرا الى عيبه

بيان اعلم وفقك الله لمعرفة معالم دينه ومواقع احكامه ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر انما يجبان في الواجب والحرام ويستحبان في المندوب والمكروه
بشروط اربعة العلم بالحكم واصرار الفاعل وتجويز التاثير والامن من الضرر
فان تفرد بالرؤية تعين عليه والا فان شرع غيره في الزجر وظن هو تأثير
مشاركته وجب عليه ايضا والا فلا وللانكار مراتب اولها بالقلب ويشترط
فيه من الشرائط الاولان وثانيها باللسان وثالثها باظهار الكراهة
القلبية والاعراض عنه ورابعها باليد ككسر الملاهي واراقة الخمر وخامسها
بالضرب وشبهه مع القدرة لو لم ينزجر الا به وسادسها بالجراح ويتوقف
على اجازة الحاكم ثم ان الاحكام الالهية كما لها صورة ظاهرة كذلك لها
حقيقة باطنية يعرفها اهل العلم بالله وما لم يتحقق الانسان بالحقيقة
الباطنية لم ينفعه الصورة الظاهرة كثير نفع كمن هجم عليه عدو وهو في قربه
حصن حصين وهو يكرر من قوله استعيذ من هذا العدو بذلك الحصن وظاهر
ان ذلك لا يخلصه ولا يجديه نفعا كذلك القائل بلسانه اعوذ بالله
من الشيطان وهو لا يدخل في كنف الله اذا عرفت ذلك فالانسان يجب
ان يامر نفسه بما عرف انه من اوامر الله تعالى وينهى نفسه عما ينكره الله ويبعد
من جواره فكما ان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر شرائط اربعة في الظاهر
كذلك لهما شرائط بذلك العدد في الباطن على المحاذاة التي بينهما فقوله
عليه السلام من لم ينسلخ عن هواجسه على محاذاة الشرط الاول وهو العلم بالمامور
به والمنهي عنه وقوله ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها على موازاة
الشرط الثاني وهو اصرار الفاعل وقوله ولم يهزم الشيطان بحذاء
الشرط الثالث وهو تجويز التاثير وقوله ولم يدخل في كنف الله وتوحيده

واولاه عصمته بان الشرط الرابع وهو الامن من الضرر والوجه في مقابله
الاوليين ان العلم من الصفات النفسانية وكذلك هو حبس الخاطر من الامور
القلبية وفي الثانية ان ارتماء ما قرب الصفات المذمومة واتباع الشهوات
النفسانية انما هو من افعاله واوصافه الراسخة وذلك في مقابلة اطراد
الغير وفي الثالثة ان انهزام الشيطان وبعده عنه انما يجوز لامتثاله
للاوامر وانتهائه عن المناهي وذلك في مقابلة تجويز التاثير في الغير
وفي الرابعة ان الدخول في كنف الله وعصمته يوجب الامن من جميع
الاضرار وذلك في مقابلة الامن من القدرة على الغير بالاية عليه ثم ذكر عشر
خصال يحتاج صاحب الامر بالمعروف الى ان يكون هذه الصفات له
في نفسه اولها ان يكون عالما بالحلال والحرام والانحاذ بامر وعما ذا ينهى
وثانيتها ان يكون قد فرغ بنفسه عن امتثال الاوامر والانتهاء عن النواهي
وثالثتها ان يكون ناصحا للخلق من دون عرض فائدة يعود الى نفسه
ورابعتها ان يكون رحيما بعباد الله باللطف والرفق وحسن البيان
غير جاف ولا غليظ ولا سخاب وخامستها ان يكون عارفا بتفاوت
اخلاقهم بان يامر ويزجر كلا بما يوافق حالهم ويتبين لكل امته لهم وسادستها
ان يكون بصيرا بمكر النفس ومكائد الشيطان لئلا يكون امره ونهيه موربا
لعجب نفسه بان يظن نفسه فارغا عن هذا وانه بذلك فاق عباد الله
وبلغ مرتبة الامر بالمعروف وسابعتها ان يكون صابرا على ما يلحقه
من الاذى في جنب الله ولا يكون ذلك الامر والنهي لمكافاة اذاهم ولا تشفي
من ذلك ولا يستعمل الحمية والعصبية ولا الغيظ والحقد لاجل انتسابهم
اياه الى السفه حيث يامر وينهى وثامنتها ان يجرد نيته في ذلك لله

ولابتغاء

ولابتغاء وجهه والقربة اليه والزلفة لديه فانه اذا كان لله تعالى
يصبر على المشاق ويشكر على الوفاق وتاسعتها ان يفوض امره الى الله
ولا يخاف لومة لائم وعاشرتها ان يكون ناظرا الى عيوبه في كل لحظة ولا
يبرئ نفسه من الاقتحام فيما ينهى عنه غيره بل كلما يامر غيره يجب ان يامر
اولا نفسه وان كان مؤتمرا وكلما ينهى غيره ينهى اولا نفسه وان كان
منتهيا تذييل هذه الصفات لصاحب الامر بالمعروف قلما يوجد
في غير المعصومين عليهم السلام الا في المؤمنين الممتحنين ولا يخفى ان قوله عليه السلم
ولم يدخل في كنف الله وتوحيده واوان عصمته مما يومي الى الكمال الا ما
ثم ان في الحديث النبوي الوارد في جواب ثعلبة الاسدي ذكر من امهات
ذمايم القلب ثلثة وهي الشح المطاع والهوى المتبع والاعجاب
بالنفس وترك الاصل والراس وهو حب الدنيا ومعه تصير الامهات
اربعة ووجه الترك ان حب الدنيا وان كان من جملة الامهات لكنه
في الحقيقة اصل لهذه الثلثة لان حب الدنيا راس كل خطيئة ولا يوجد
تلك الثلثة بدونه بل هو مورث لها واما المتشعبات منها فمن حب
الدنيا يتشعب البخل والحرص والجزع والغضب والحقد والحسد والكبر
والغرور والرياء والنفاق ومن الشح يتشعب البخل والحرص والجزع والمكر
وامثالها ومن الهوى المتبع يتشعب السرف والاصرار والكفران والامن
من مكر الله واليأس من روح الله ومن الاعجاب بالنفس يتشعب الجحود
والقسوة والجهل والحمق والخرق والعجلة وقد يتشعب بعض من واحد
اخر ومن اثنين او ثلثة واربعة منها كما لا يخفى وعلاج كل منها بتحصيل
ضده المحمود كالزهد والكرم والبصيرة الرافعة للامهات وكالعفة

الفروع المشتبه وبان تذكر ما ورد ثم

۵۲۵

والشجاعة والحكمة والرضا والعفو والتسليم والتواضع والانتباه
والاخلاص والسخا والتوكل والتوبة والشكر والخوف والرجاء والتصديق
والرأفة والعلم والفهم والرفق والتؤدة والصبر وسلامة الصدر والانصاف
والحياء التي بازاء تلك الرذائل والآفات المترتبة عليها ومدح اضداده
المحمودة وتكلف النفس على الطرف المقابل بالافعال المستجلبة له والاعتياد
حتى يقف على مستوى الاعتدال الذي هو الصراط المستقيم والطريق
المستوي الذي يسلك بسالكه الى الجنة ومن مال عنه قليلا هوى الى هوة
الجحيم ولا يتيسر ذلك الا بمطالعة كتب الاخلاق واشرفها كتاب الكفر
والايمان من الكافي وكتاب مصباح الشريعة لمولانا جعفر بن محمد الصادق
عليه وعلى آبائه واولاده شرايف التحيات وكرايم الصلوات والتسليمات
ولعمري انه اعظم في هذا الباب مع اختصاره وايجازه وقد نقل عن الشيخ
العالم زين الملة والدين الشهيد الثاني قدس الله روحه بالتوصية
على مطالعة هذا الكتاب الشريف بحيث لا ينفك عن صحبته في حضر
ولا سفر ولقد احسن رحمه الله في هذه الوصية فجزاه الله حسن العاقبة
واعاذنا واياكم من ذمايم القلب ورزقنا واياكم محامدها هذا
اخر ما اردنا ايراده في المجلد الاول من شرح توحيد شيخنا الفقيه
القمي رضوان الله عليه وبتمامه تم الباب الثالث حامدا مصليا
مستغفرا ويتلوه ان شاء الله في المجلد الثاني باب تفسير سورة التوحيد

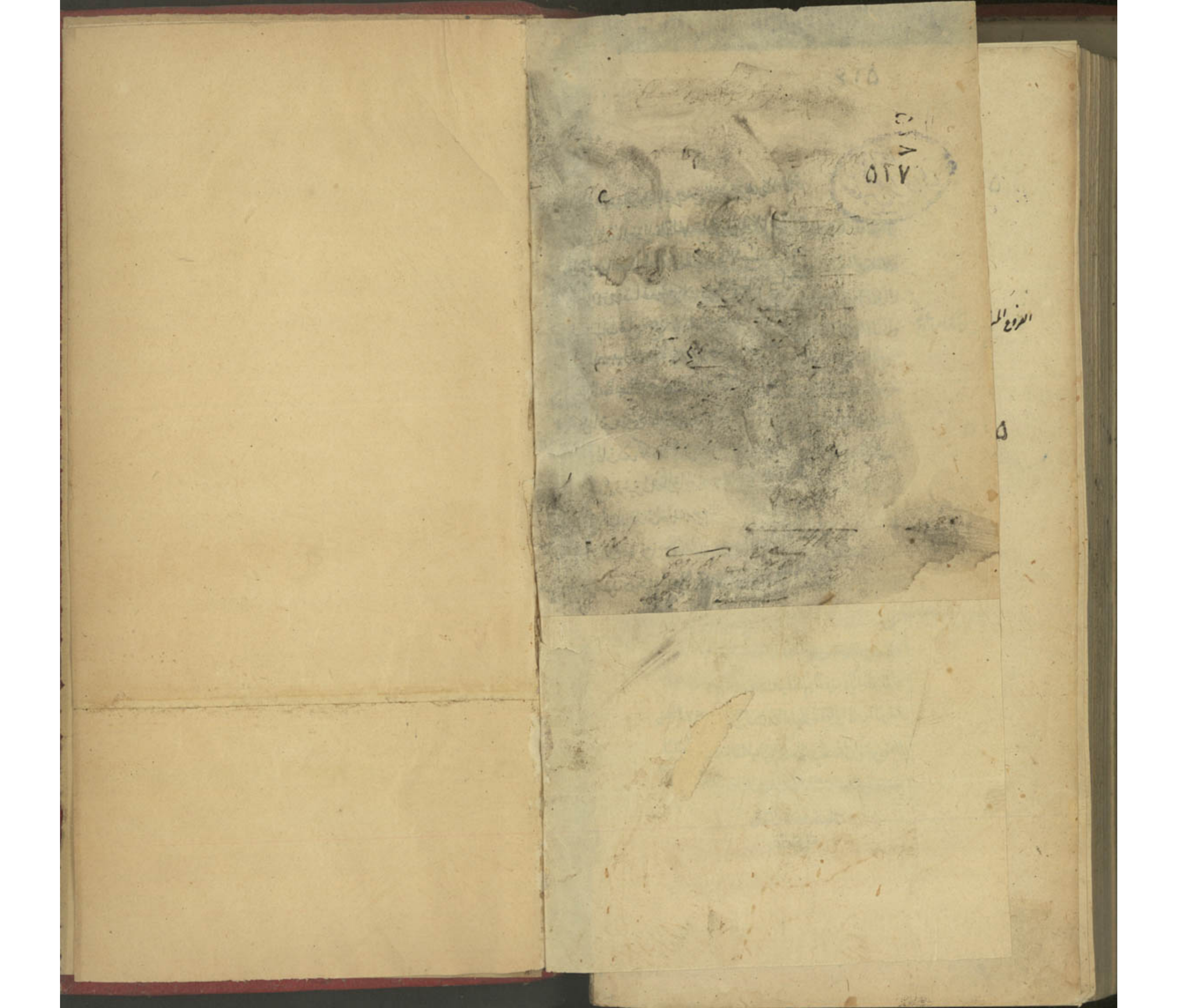
والحمد لله وحده والصلوة
خاتمة تحرير الكتاب على محمد وآله وهي من نشآت الحضرة
المعظم مخدوم الزمان ووحيد الدوران ميرزا محمد طاهر

الثمر

۵۲۶



الثمر ختم للزهر والزهر ختم للشجر ووقوع الحجر عن ختم الحجر والاعراض
عما سوى الله تعالى ختم للنظر فالحمد لله اولا وآخرا على ما اولانا من بدايع النعم
واخرا على ما انعم علينا من حسن الخاتمة لفرط الاحسان والكرم
سبحان من وفقنا لختم شرح كلام من هو نقش خاتم الرسل حجج
لنا اسباب انفتاح منهج فهم كلام نتيجة هادي السبل اللهم ليس
لعبدك سبيل الى حمدك احمدك ان تقول انت انت ولا عذر لقصور
عن اداء ما يجب عليه احسن من قوله ما انا الا كما كنت اللهم وفقني لاداء
كل ما تحبه وترضى كما وفقتني لتبيين مكنونات تلك الرموز واخراج
مودعات هذه الكنوز اللهم ان كان ما نطقت به من البيان صوابا
فاجعله ذخيرة لي في طريق المعاد وان كان من هفوات الطبع المطبوع
على النسيان فلا تؤاخذني به يوم التناد ثم وفقني بان اكون محصلا
لمرضاتك فيما بقي من حيوتي وان يكون تحصيل رضاك تاليا لصومي
وصلوتي واحشرني في زمرة محبي موالينا الائمة الاثني عشر في اليوم الذي
يحقق فيه الحجر ويشتد فيه النظر والحمد لله


٥٢٧

